



جمهورية السودان
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية
كلية الدراسات العليا
دائرة القرآن الكريم والدراسات الإسلامية
شعبة التفسير وعلوم القرآن

اختيارات الإمام النسفي في تفسيره

من الجزء الحادي عشر إلى الجزء الخامس عشر

﴿دراسة تحليلية وصفية﴾

بحث مقدم لنيل درجة التخصص الأولى (الماجستير) في التفسير وعلوم القرآن

إشراف الدكتور
يوسف إبراهيم علي البدري

إعداد الطالب
حسين حسن علي حسن باحاج

١٤٣٧ هـ - ٢٠١٥ م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

استهلال

قَالَ تَعَالَى:

﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ

وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ

أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴾^(١)

(١) سورة الإسراء الآية ٩

إهداء

إلى والديّ الغاليين أطال الله في عمريهما وأحسن

عملهما، براءً واحساناً

وإلى إخواني الأعمام وأخواتي الكريمات، صلة وعرفاناً

وإلى زوجتي وأولادي، ذكوراً وإناثاً، عطاءً وحناناً

إلى هؤلاء جميعاً أهدي باكورة بحثي وأطروحة رسالتي

فأسأل المولى جل شأنه أن يثقل به حسناتهم وأن يعلي

به درجاتهم

الشكر والعرفان

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات فله الحمد والثناء الحسن، والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله - ﷺ - القائل: «لا يشكر الله من لا يشكر الناس»^(١) وبعد:

فأتقدم بالشكر لمن هم أهل الفضل بعد الله عز وجل في إنجاز هذه الرسالة وأخص بالشكر والعرفان شيخي وأستاذي المشرف على الرسالة فضيلة الدكتور/ يوسف إبراهيم علي البدري، الذي لم يبخل عليّ بثمانين وقته، وتوجيهاته القيّمة، وتصويب قلمه، ومما شجعني على اللقاء به، والجلوس معه، سعة صدره، وأخلاقه الفاضلة وتواضعه، فأنعم به من عالم مربي، أسأل الله أن يطيل في عمره لخدمة دينه، ويرزقه حسن الخاتمة، ويجزيه عني خير الجزاء، وأتقدم بالشكر والعرفان لجامعتنا العامرة جامعة القرآن الكريم، والتي كان لي كل الشرف بالانتساب إليها ممثلة في رئاستها، وعمادة الدراسات العليا وموظفيها، كما أتقدم بالشكر لفضيلة الأستاذين الجليلين عضوي لجنة المناقشة فضيلة الأستاذ الدكتور/ عثمان محمد الحسن عبداللطيف، أستاذ التفسير وعلوم القرآن الكريم بجامعة أم درمان الإسلامية. وفضيلة الأستاذ الدكتور/ يوسف صابون دهب، استاذ التفسير وعلوم القرآن الكريم بجامعة القرآن الكريم والدراسات الإسلامية، والشكر لكل الإخوة في مكتبة جامعة القرآن الكريم، والمكتبة المركزية بجامعة أم درمان الإسلامية، وجامعة النيلين، لتعاونهم على توفير المصادر الأساسية التي اعتمدت عليها في إعداد هذا البحث، والشكر لكل من شجعني في مواصلة دراستي هذه، وفي مقدمتهم أخي الدكتور/ محسن حسن باحاج، فلهم مني كل الشكر والعرفان، وجزاهم الله خيراً.

(١) الجامع الكبير، محمد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى، (د. ط)، دار الغرب الإسلامي - بيروت، ت: بشار عواد معروف، أبواب البر والصلة، باب ما جاء في الشكر لمن أحسن إليك، ٣٥/٥، رقم الحديث: (١٩٥٤).

ملخص البحث

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وعلى آله وصحبه ، وبعد.
الرسالة بعنوان: اختيارات الإمام النسفي في تفسيره من الجزء الحادي عشر إلى الجزء
الخامس عشر دراسة تحليلية وصفية.

تتكون الرسالة من مقدمة، وثلاثة فصول، وخاتمة، وفهارس.
المقدمة: تشتمل على: أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، وحدود البحث، والدراسات
السابقة، وهيكل البحث.

أما الفصل الأول: تضمن التعريف بالإمام النسفي وذلك ببيان عصره،
واستعراض الحالة السياسية والاجتماعية والثقافية والحركة العلمية، ثم ترجمته: اسمه
وكنيته ونسبه، ومولده ونشأته ووفاته، وحياته العلمية: رحلاته لطلب العلم وإبراز أهم
شيوخه وتلاميذه؛ وتضمن هذا الفصل أيضاً بيان عقيدته، ومذهبه الفقهي، وآثاره
العلمية ومؤلفاته.

والفصل الثاني من الرسالة: كانت الدراسة فيه عن منهج الإمام النسفي في التفسير،
ومنهجه في الاختيار، ووضحت الدراسة صيغ الاختيار ووجوهه عند النسفي، وتم ذكر
تأصيله لقواعد الترجيح في التفسير مع أمثلة تطبيقية لها.

والفصل الثالث: وهو جوهر الرسالة، الذي عني باختيارات الإمام النسفي من أول الجزء
الحادي عشر إلى آخر الجزء الخامس عشر، وقد بلغت أربعين مسألة ، ودراسة هذه
الاختيارات والترجيحات دراسة تحليلية مقارنة بأقوال أئمة العلم من المفسرين، وغيرهم.
ثم الخاتمة وفيها أهم النتائج والتوصيات والفهارس الفنية الكاشفة عن مضامين الرسالة.

Abstract

Praise and thank for Allah , then, peace and blessings for a last Prophet Mohammed, Allah blessings and peace for him.

The title of this thesis is Al-Imam Al- Nasafi choices, In his interpretation from eleventh to fifteenth parts, comparative analysis study.

This thesis consists is introduction, three chapters, conclusion and contents.

Introduction: include, the study importance, the reasons for choosing the topic, the research limits, previous studies, and the research structure.

Chapter one include, definition about Al-Imam Al- Nasafi, his time statement, review of the political situation, Social, ,cultural, and scientific movement. Then his translated: his name, surname, percentage, birth, upbringing, and his death. Also, His scientific career: his trips to get knowledge, and who is the highlight and important his teachers, and his students. This chapter also, includes belief statement, his way for understand, his scientific effects and his writings.

Chapter two from this thesis about Al-Imam Al- Nasafi In his interpretation mode, his choose way and statement formats and forms of choice, , rules rooting for weighting in interpretation, with practical examples.

Chapter three: it is thesis essence for cares about Al-Imam Al- Nasafi choices, In his interpretation from beginning eleventh to last fifteenth parts, forty issue reached. This study choices and weights comparative analysis study of senior scientists from the commentators, and others. Then, conclusion the most important findings, recommendations technical for the content in thesis.

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

أما بعد:

فإن الله قد بعث محمداً بشريعته على حين فترة من الرسل حين طبقت الجاهلية الأرض فعم الفساد القول والعمل، فهدى الله به إلى أقوم الطرق، وأوضح السبل، فهدى به من الضلالة، وعلم به من الجهالة، وكثر به بعد القلة، وأعز به بعد الذلة، وأغنى به بعد العيلة، وبصر به من العمى، وحذر به من الردى، وفتح برسالته أعيناً عمياء، وأذانا صمّاً، وقلوباً غلفاً فبلغ الرسالة وأدى الأمانة، ونصح الأمة وجاهد في الله حق جهاده وعبد الله حتى أتاه اليقين، فلم يدع خيراً إلا دل أمته عليه، ولا شراً إلا حذر منه ونهى عن سلوك الطريق الموصلة إليه، ففتح القلوب بالإيمان والقرآن، وجاهد أعداء الله بالقلب واليد واللسان، فدعا إلى الله على بصيرة، وسار في الأمة بالعدل والإحسان وخلق العظيم أحسن سيرة، إلى أن أشرقت برسالته الأرض بعد ظلماتها، وتألقت به القلوب بعد شتاتها، وسارت دعوته سير الشمس في الأقطار، وبلغ دينه ما بلغ الليل والنهار، فكانت شريعته رحمة للعالمين، وهداية للناس أجمعين، ولا تزال بفضل الله، ومنه منهلاً فياضاً، ومورداً عذباً زلالاً، تتجدد الحاجة إليها يوماً بعد يوم، يفىء الناس إليها، ويحتمون بحماها، ويستظلون بظلالها، كلما ذاقوا مرارة غيرها من الأفكار المنحرفة، والمذاهب الهدامة، والديانات الباطلة، فبقيت شريعة الله في عليائها وسؤددها، وعزها ومجدها، ثابتة الأركان، محكمة البنيان، دائمة العطاء.

ساعدها في ذلك؛ النهج الخالد، والنبراس المضيء، الذي جعله الله سبحانه وتعالى سرّاً لبقائها، ومصدراً لعزتها، وطريقاً لهدايتها، ذلك الكتاب العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد.

وقد كرّس العلماء أوقاتهم، وقطعوا أعمارهم، وأفنوا همهم في استخلاص كنوز هذا الكتاب، وإيضاح مكنونه وجمع درره، واقتناص جواهره. فما زالوا ينهلون من كنوزه التي لا تنفد، ومعينه الذي لا ينضب.

وممن سار في ركابهم، وانتظم في زمامهم إمام جليل، وعالم كبير ذلكم هو الإمام العلامة أبو البركات عبدالله بن أحمد بن محمود النسفي في تفسيره مدارك التنزيل وحقائق التأويل، فأحببت أن أجمع بعضاً من اختياراته من الجزء الحادي عشر إلى الجزء الخامس عشر وأقدمها إلى جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية كلية القرآن الكريم وهذا من فضله وكرمه أن وفقني لالتحاق بهذه الجامعة المباركة ويقسم التفسير فيها، لأنهل من معينها الصافي ويكون لي شرف التتلمذ على مشايخها الأجلاء لمواصلة الدراسة فيها لنيل الدرجة المذكورة. هذا وإني قد بذلت قصارى جهدي في معالجة مسائل هذا البحث، وتوصلت إلى ما ينفع ويفيد الأمة الإسلامية، وأسأل الله ﷻ أن يجعل عملي خالصاً لوجهه الكريم وأسأله التوفيق والسداد في القول والعمل. والله الموفق

أهمية الموضوع وأسباب اختياره:

تظهر أهمية هذا الموضوع من عدّة وجوه، يمكن إجمالها في النقاط الآتية:

١. تكمن أهمية هذا الموضوع في أنه يخدم كتاب الله تعالى وهذه أسى غاية ينبغي أن

يسعى إليها كل مسلم

٢. إن تفسير "مدارك التنزيل وحقائق التأويل " من أجلّ التفاسير وأعظمها شأنًا، وقد استفاد منه طلابُ العلم والعلماءُ على اختلاف تخصصاتهم ومشاربهم، قد علم كل أناس مشربهم.

٣. كثرةُ الفوائدِ والاستنباطاتِ والدررِ المودعةِ في هذا التفسير، مما يجدر بكل طالب علم الاطلاعُ على بعضها والاستفادةُ منها وبذلُ غاية الجهد في تحصيلها.

٤. إن تفسير الإمام النسفي مليءٌ بعرض الأقوال المتعلقة بعلم التفسير وترجيحه لما يراه الأقربَ للصواب بطرقٍ ترجيحيةٍ معيّنة.

٥. إن علم التفسير علمٌ كثرت فيه الأقوال وتعددت فيه الآراء، فهو بحاجةٍ إلى الدراسة والتحليل والمقارنة إذ أن هذا العمل سبيل ووسيلة إلى الوصول إلى المقصود من التفسير.

٦. يمثل هذا الموضوع لوناً من ألوان التفسير، وهو المسمى (بالتفسير المقارن) الذي يعرض النصوص والآراء، ويوازن بينها، ويبين الراجح من المرجوح. ولقد دفعني إلى اختيار هذا الموضوع - ليكون بحثاً في مرحلة الماجستير - أسبابٌ كثيرة، منها:

١. حاجة الأمة الإسلامية ولا سيما طلاب العلم إلى معرفة اختيارات الإمام النسفي في الأجزاء المذكورة من تفسيره.

٢. الحاجة إلى التحليل والمقارنة لما اختاره الإمام النسفي في الأجزاء المحددة من تفسيره.

٣. قيمة هذا الموضوع التفسيرية، إذ هو متعلق بمعرفة الاختيار من الأقوال في تفسير آي القرآن، ولا شك أن اختيار ما رجح وجهه مما يتنافس للوصول إليه.

٤. إن تفسير الإمام النَّسْفِي قد استفاد منه الباحثون في جوانب عديدة كاللغة، والنحو، والقراءات، وأصول الدين، وغيرها، وبقي جانب مهم، هو اختياراته التفسيرية لكلام الله تحليل ومقارنة.

٥. اعتماد هذا الموضوع على المقارنة، والتحليل، والترجيح المقترن بالدليل والتعليل، وهذا يُكسب الباحث قوّة ومملكة في تفسير كتاب الله تعالى.

٦. إن في هذا البحث تطبيقاً لقواعد الترجيح في التفسير التي وضعها العلماء، وهذا العمل يزيد تلك القواعد تأصيلاً، ويزيدنا لها فهماً وإدراكاً.

٧. تعلقُ هذا الموضوع بدراستي، وأرجو من الله تعالى أن يعلمني ما ينفعني وأن ينفعني بما علمني وأن يزدني علماً وتقياً وبراً وصلاًحاً يتبعه فلاحٌ ونجاحٌ، وأن يجزّل لي ولمشاخي الفضلاء الأجرَ والمثوبة.

الدراسات السابقة:

للمكانة العلمية التي وصل إليها الإمام النَّسْفِي، ولما اشتمل عليه كتابه من كنوز العلم والمعرفة، فقد تسابق الباحثون للغوص في أعماق هذا الكتاب لاستخراج الكنوز والدرر، ومن خلال البحث في الدراسات السابقة لهذا الكتاب لم أجد أحداً من الباحثين - حسب ما وقف عليه الباحث واطلع عليه - تطرق إلى اختيارات الإمام النَّسْفِي في التفسير دراسة مستقلة، وجملة ما بحث في تفسير هذا الإمام منصباً على الدراسات اللغوية والنحوية، أو الاحتجاج للقراءات، وتحقيق الكتاب، أو ذكر منهجه في التفسير، أما في هذا الموضوع أعني - اختيارات الإمام النَّسْفِي في التفسير فلم يدرس، ومن أبرز تلك الدراسات ما يلي: - منهج الإمام النَّسْفِي في القراءات وأثرها في تفسيره، رسالة ماجستير مقدمة من الطالبة: سحر محمد فهمي كردية، إشراف الدكتور: عبد الرحمن يوسف الجمل، قدمت هذه الرسالة إكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في قسم التفسير وعلوم القرآن من كلية أصول الدين في الجامعة الإسلامية بغزة العام

الجامعي ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م. - منهج الإمام النَّسْفِي في تفسير القرآن الكريم ومقارنته
بمنهج الزمخشري، والبيضاوي وأبي السعود، الباحث أ. محمود لطفي محمد جاد،
جنسية الباحث: مصر، الجامعة: جامعة الأزهر، الكلية: أصول الدين، القسم: التفسير،
التخصص: التفسير وعلوم القرآن، الدرجة العلمية: دكتوراه، تاريخ المناقشة ١٩٩٢-
٠٧-٢٥ م، المشرف أ. د. . سمير عبد العزيز شليوة. - (الخلاص النحوي في تفسير
الإمام النسفي) تمت مناقشة أطروحة طالب الدكتوراه في اللغة العربية، حمدان إبراهيم
حمدان الزوبعي، إشراف الدكتور: محمد خليل إبراهيم، بتاريخ: ٢٠/٣/٢٠١٢م.

حدود البحث

من خلال العنوان يتضح أن البحث حدد بأربعة حدود، وهي:
الحد الأول: الضابط أو الحد الذي اتبعه الباحث في هذه الاختيارات هو ما صرح
النسفي باختياره، إما بلفظ صريح وصحيح أو بإشارة يفهم منها الاختيار حسب صيغ
الاختيار لديه.
الحد الثاني: اختيارات الإمام النَّسْفِي فلا يدخل في البحث اختيارات غيره، ما لم يكن له
ترجيح واختيار.
الحد الثالث: في التفسير، فلا يدخل في صلب الموضوع ما اختلف فيه أهل العلم مما
ليس له أثر في معنى الآية، وإن رجح فيه، كالخلاف في القراءات التي لا تؤثر في
المعنى، والخلاف في اللغة والإعراب مما لا تأثير له في المعنى. . ونحو ذلك.
الحد الرابع: من الجزء الحادي عشر إلى الجزء الخامس عشر فلا يدخل فيه غيره من
الأجزاء.

منهج البحث:

تقوم الدراسة على المنهج الاستقرائي التحليلي، وسيكون منهج الكتابة فيه على النحو التالي:

أولاً : منهج دراسة اختيارات الامام النسفي وترجيحاته في التفسير:

١- استخراج اختيارات الامام النسفي وترجيحاته في الأجزاء المحددة لي من تفسيره.

٢- سأقتصر في بحثي هذا على الخلاف المتعلق بتفسير الآية وبيان معناها؛ أما

الخلاف المتعلق بالأحكام الفقهية أو المسائل اللغوية فلا أذكره إلا إذا كان مرتبطاً بمعنى الآية ارتباطاً وثيقاً.

٣- بعد جمع الاختيارات والترجيحات وترتيبها حسب ترتيب السور أقوم بدراساتها حسب الطريقة التالية:

أ- أذكر الآية التي ورد فيها الخلاف.

ب- أذكر نص اختيار الامام النسفي أو ترجيحه في موضع الخلاف.

ج- المقارنة بين اختيارات النسفي واختيارات غيره من أئمة التفسير، مع الاستدلال لكل قول من الأقوال، وذكر ما يرد عليه من اعتراضات. مبتدأً بالقول الراجح، ما لم يقتض الأمر خلاف ذلك، كأن يكون الراجح الجمع بين الأقوال وحمل الآية على كل ما ذكر فيها.

د- أذكر خلاصة تلك المقارنة ببيان القول الذي أراه راجحاً مع بيان سبب الترجيح ودليله .

ثانياً : المنهج العام لكتابة البحث:

سألتزم - بعون الله ومشيبته - عند الكتابة في البحث بالمنهج العلمي المتبع في كتابة مثل هذه البحوث العلمية والمتمثل في النقاط الآتية :

١- عزو الآيات الواردة إلى سورها.

- ٢- توثيق القراءات من مصادرها الأصلية.
- ٣- تخريج الأحاديث النبوية، والآثار المروية حسب الطريقة المتبعة مع الحرص على ذكر حكم العلماء المحدثين على تلك الأحاديث إذا لم تكن في الصحيحين.
- ٤- اعتنيت بذكر أقوال السلف من الصحابة والتابعين في معاني الآيات، ولا سيما أقوالهم في الكتب المسندة .
- ٥- توثيق النصوص من مصادرها الأصلية، مع الحرص على العزو إليها بالطرق المتعارف عليها
- ٦- شرحت الغريب، ووضحت الغامض.
- ٧- أترجم للأعلام الذين ورد ذكرهم في متن البحث.
- ٨- عزوت الشواهد الشعرية إلى دواوينها إن وجدت، وإلا إلى مصادرها المعتمدة.
- ٩- عرّفت بالفرق، والطوائف، والأماكن التي تحتاج إلى تعريف.
- ١٠- وضعت فهرس كاشفة، تيسر الاستفادة من البحث.

هيكل البحث

اشتمل هيكل البحث على مقدمة وثلاثة فصول وخاتمة وهي على النحو الآتي:
المقدمة: وهي تشمل على: أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، وحدود البحث، والدراسات السابقة، وهيكل البحث.

الفصل الأول: ترجمة موجزة للإمام النَّسْفِي ومنهجيته في التفسير،

ويشتمل على ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: عصر الإمام النَّسْفِي، وفيه ثلاثة مطالب:

. المطلب الأول: الحياة السياسية.

. المطلب الثاني: الحياة الاجتماعية.

. المطلب الثالث: الحياة الثقافية والحركة العلمية.

المبحث الثاني: ترجمة الإمام النَّسَفي، وفيه ثلاثة مطالب:

. المطلب الأول: اسمه، ونسبه، وكنيته.

. المطلب الثاني: مولده، ونشأته.

. المطلب الثالث: وفاته.

المبحث الثالث: حياة الإمام النَّسَفي، وفيه أربعة مطالب:

. المطلب الأول: مكانته العلمية، وثناء العلماء عليه.

. المطلب الثاني: شيوخه، وتلاميذه.

. المطلب الثالث: عقيدته، ومذهبه الفقهي.

. المطلب الرابع: وآثاره العلمية، ومؤلفاته.

الفصل الثاني: منهج الإمام النسفي في الاختيار، وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: تعريف الاختيار والترجيح، والفرق بينهما، ومتى يكون الاختيار؟ وفيه

ثلاثة مطالب:

. المطلب الأول: تعريف الاختيار والترجيح.

. المطلب الثاني: الفرق بين الاختيار والترجيح.

. المطلب الثالث: متى يكون الاختيار؟

المبحث الثاني: صيغُ الاختيار وأساليبه عند الإمام النَّسَفي، وفيه ثلاثة مطالب:

. المطلب الأول: التنصيصُ على القول المختار.

. المطلب الثاني: التفسيرُ بقولٍ مع النص على ضعف غيره.

. المطلب الثالث: التفسيرُ بالقولِ المختار وذكره بصيغة الجزم، وذكر الأقوال الأخرى

بصيغة التمريض.

المبحث الثالث: وجوهُ الاختيار عند الإمام النَّسَفي، وفيه تسعة مطالب:

. المطلب الأول: الاختيار بالنظائر القرآنية.

- . المطلب الثاني: الترجيحُ بظاهر القرآن.
- . المطلب الثالث: الترجيحُ بالسياق.
- . المطلب الرابع: الاختيار بالقراءات.
- . المطلب الخامس: الاختيار بالحديث النبوي.
- . المطلب السادس: الاختيار بأسباب النزول.
- . المطلب السابع: الاختيار بأقوال السلف.
- . المطلب الثامن: الاختيار بالعموم.
- . المطلب التاسع: الاختيار باللغة والشعر.

الفصل الثالث

اختيارات الإمام النَّسْفِي في تفسيره، من الجزء الحادي عشر إلى الجزء الخامس عشر.

الفصل الأول

عصر المؤلف وحياته.

المبحث الأول: عصر الإمام النسفي.

المبحث الثاني: ترجمة الإمام النسفي.

المبحث الثالث: حياته العلمية.

المبحث الأول: عصر الإمام النسفي

المطلب الأول: الحالة السياسية:

عاش الإمام النسفي في عهد الدولة العباسية، والتي عاشت خمسة قرون من سنة (٢٣٢هـ)، حتى زالت على يد التتار سنة (٦٥٦هـ)، الموافق (١٢٥٨م)^(١)، وقد كانت الدولة العباسية قائمة في بغداد^(٢)، وتحت سيادتها جزء من بلاد العراق يمتد من تكريت^(٣) إلى الفاو^(٤) ومن حلوان^(٥) إلى عانة^(٦)، واقتصرت سلطة الخليفة في خارج رقعة بلاده الصغيرة على المظهر الديني. وكان العالم الإسلامي مقسم إلى دويلات كثيرة، انشغل حكامها بالتوسع كل على حساب الآخر.

أما في بلاد الشرق فقد كانت إمبراطورية خوارزم العظيمة^(٧) التي كانت في أول الأمر تحمي الخلافة العباسية من الشرق والشمال الشرقي بقوة جيوشها وضخامة أموالها،

(١) تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي، حسن إبراهيم حسن، ط٤، (١٩٧٩م)، دار الأندلسي، بيروت، ٢٣/٢.

(٢) بغداد: عاصمة العراق تقع على جانبي نهر دجلة في المنطقة التي يقرب فيها دجلة من الفرات، أسسها أبو جعفر المنصور ولم تنزل بغداد موطن الأكاسرة في سالف الأزمان ومنزل الخلفاء في دولة الإسلام. معجم البلدان ١/٤٦١، ٤٥٦، ياقوت بن عبد الله الحموي أبو عبد الله ط دار الفكر - بيروت.

(٣) تكريت: تكريت بفتح التاء والعامّة يكسرونها بلدة مشهورة بين بغداد والموصل وهي إلى بغداد أقرب بينها وبين بغداد ثلاثون فرسخاً ولها قلعة حصينة في طرفها الأعلى راكبة على دجلة وهي غربي دجلة. معجم البلدان ٢/٣٨ المصدر السابق.

(٤) الفاو: مدينة وميناء على الضفة اليمنى من مصب شط العرب تعتبر أبعد نقطة في جنوب العراق. المنجد باللغة والأعلام ٥١٩، تجديد الأستاذ كرم البستاني ومجموعة من العلماء ط دار المشرق - بيروت .

(٥) حلوان: في عدة مواضع حلوان العراق وهي في آخر حدود السواد مما يلي الجبال في بغداد وقيل إنها سميت بحلوان بن عمران بن الحاف بن قضاة كان بعض الملوك أقطعها إياها فسميت به. معجم البلدان ٢/٢٩٠، المصدر السابق.

(٦) عانة: بلد مشهور بين الرقة وهيت يعد في أعمال الجزيرة وجاء في الشعر عانات كأنه جمع بما حوله ونسبت العرب إليه الخمر قال بعضهم تخيرها أخو عانات شهراً ورجى برها عاماً فعاماً وهي مشرفة على الفرات قرب حديثة النورة وبها قلعة حصينة وقد نسب إليها يعيش بن الجهم العاني. معجم البلدان ٤/٧٢، المصدر السابق.

(٧) قامت إمبراطورية خوارزم العظيمة في إقليم خوارزم، واعترف به الخليفة العباسي، وأرسل إليه الخلع والتشريفات، وكانت الدولة الخوارزمية دولة مترامية الأطراف، وكانت تضم معظم البلاد الإسلامية في قارة آسيا. تمتد حدودها من غرب الصين شرقاً إلى أجزاء كبيرة من إيران غرباً. موسوعة الحروب الصليبية (المغول) التتار بين الانتشار والانتكاس ل: د. علي محمد الصلّبي ١/٢٠١. قصة التتار من البداية. إلى عين جالوت ل: د. راغب السرجاني ١/٦.

ولكن علاء الدين محمد خوارزم شاه^(١) طمع في الاستيلاء على بغداد^(٢) وانتزاع السلطة من الخليفة العباسي، ولكنه اضطر إلى التراجع بسبب هبوب عاصفة ثلجية وبسبب غارات المغول^(٣) نحو بلاده وإحلالهم الهزيمة بجيوشه حتى اضطر للهرب إلى جهة بحر قزوين^(٤) حيث مات في إحدى جزره ٦٢٠ هـ.

أما الجزيرة ومصر^(٥) ومعظم بلاد الشام^(٦) فقد كانت تحت سلطان خلفاء صلاح الدين الأيوبي^(٧)، الذين انشغلوا بالمنازعات والحروب، رغم تهديد الدويلات الصليبية التي

(١) هو الملك علاء الدين ابن محمد خوارزم شاه بن أنوش تكين وكان أنوش تكين مملوكاً لرجل من غرستان ولذلك قيل له أنوش تكين غرشه ولما توفي خوارزم شاه محمد ولي بعده ابنه. تاريخ أبي الفداء ١٥٧/٢.

(٢) انظر: ص ٢، من البحث.

(٣) المغول: قوم من أطراف الصين يسكنون جبال طمغاج من الصين، ملكوا أكثر المعمور من الأرض وأطيبه وأحسنه عمارة وأكثره أهلاً وأعدلهم أخلاقاً وسيرة. وهم يسجدون للشمس إذا طلعت ولا يحرمون شيئاً يأكلون ما يجدونه من الحيوانات والميتات. وضع لهم جنكيز خان السياسات التي يتحاكمون إليها ويحكمون بها، وأكثرها مخالف لشرائع الله تعالى وكتبه، وهو شيء اقترحه من عند نفسه، وتبعوه في ذلك. البداية والنهاية ٩٠/١٣، ٩٤، ٩٥، ١٢٧ للامام الحافظ ابي الفداء اسماعيل بن كثير الدمشقي المتوفى سنة ٧٧٤ هـ. حققه ودقق اصوله وعلق حواشيه علي شيري ط: ١: دار إحياء التراث العربي طبعة جديدة محققة ١٤٠٨ هـ.

(٤) بحر الخرز بحر داخلي يفصل بين أوروبا وآسية وتشترك فيه روسيا وإيران، مساحته السطحية ٤٢٤. ك م، وقد سمي باسم قبائل (الخرز) التي كانت تسكن حوله، ويسمى أيضاً بحر قزوين، ويصب في شماله نهر (ال فولكا). تعريف بالأماكن الواردة في البداية والنهاية ٢٩٠/١، لابن كثير. مصدر الكتاب موقع الاسلام على الانترنت.

(٥) مصر: بفتح أوله وثانيه، وتشديد الراء، سميت مصر بمصر بن مصرام بن حام بن نوح، عليه السلام، وهي من فتوح عمرو بن العاص في أيام عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ومساحتها ثمانية وعشرون ألف فدآن. معجم البلدان، ياقوت الحموي، ٥ /١٣٩، مصدر سابق.

(٦) الشام: جمع شامة، سميت بذلك لكثرة قراها وتداني بعضها من بعض فشبهت بالشامات؛ سميت بذلك لأن قوماً من كنعان بن حام خرجوا عند التقريب فقتلوا موا إليها، أي: أخذوا ذات الشمال فسميت بالشام لذلك، سميت الشام بسام بن نوح عليه السلام، وذلك أنه أول من نزلها فجعلت السين شينا لتغير اللفظ العجمي، وأما حدها فمن الفرات إلى العريش المتاخم للديار المصرية، وأما عرضها فمن جبلي طيء من نحو القبلة إلى بحر الروم وما بشأمة ذلك من البلاد، وبها من أمهات المدن منبج وحلب وحماة وحمص ودمشق والبييت المقدس والمعرة، وفي الساحل أنطاكية وطرابلس وعكا وصور وعسقلان وغير ذلك، وهي خمسة أجناد، جند قنسرين وجند دمشق وجند الأردن وجند فلسطين وجند حمص، معجم البلدان، ياقوت الحموي، ٣ /٣١٢، مصدر سابق.

(٧) السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن العزيز محمد الأيوبي آخر ملوكهم ولد بحلب سنة ٦٢٧ هـ وتولى الخلافة بعد وفاة والده سنة ٦٣٤ هـ وقد قتله هولاء سنة ٦٥٩ هـ. الأعلام ٢٢٠/٨، ل خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (المتوفى: ١٣٩٦ هـ) ط: ١٥: دار العلم للملايين ٢٠٠٢ م.

كانت في سوريا^(١) وفلسطين^(٢) لهم. كل ذلك أتاح الفرصة للمغول^(٣) لشن غاراتهم على البلاد الإسلامية التي بدأت في ٦٠٧ هـ.^(٤)

فبينما كان جنكيز خان^(٥) - إمبراطور المغول - مشغولاً بمحاربة إمبراطورية كين في الصين قتل خوارزم شاه سفراءه، فحول إمبراطور المغول وجهته شطر بلاد خوارزم الإسلامية سنة ٦١٦ هـ.^(٦)

فخرجوا من أطراف الصين، من جبال طمغاج^(٧)، وبينها وبين بلاد الإسلام ما يزيد على ستة أشهر، ودخلوا تركستان^(٨)، ومنها إلى بلاد ما وراء النهر^(٩) مثل بخارى^(١٠)

(١) سوريا، واسمها الرسمي الجمهورية العربية السورية منذ ١٩٦١، هي جمهورية مركزية، مؤلفة من ١٤ محافظة، عاصمتها مدينة دمشق، تقع ضمن منطقة الشرق الأوسط في غرب آسيا؛ يحدها شمالاً تركيا، وشرقاً العراق، وجنوباً الأردن، وغرباً فلسطين، ولبنان، والبحر الأبيض المتوسط، بمساحة ١٨٥١٨٠ كم مربع، وتضاريس وغطاء نباتي وحيواني متنوع، ومناخ مترواح بين متوسطي، وشبه جاف. تصنف سوريا جنباً إلى جنب مع العراق بوصفها أقدم مواقع مهد الحضارة البشرية، موسوعة ويكيبيديا مصدر سابق.

(٢) دولة فلسطين هي أرض تشغل الجزء الجنوبي من الساحل الشرقي للبحر المتوسط حتى غور نهر الأردن مشكلة الجزء الجنوبي الغربي من بلاد الشام. تقع في قلب الشرق الأوسط وتصل بين غربي آسيا وشمال أفريقيا بوقوعها وشبه جزيرة سيناء عند نقطة التقاء القارتين، وهي تقاطع طرق للأديان والثقافات والتجارة والسياسة، ولذلك لكثير من مدنها أهمية تاريخية أو دينية، وعلى رأسها القدس. موسوعة ويكيبيديا المصدر السابق.

(٣) انظر: ص ٣، من البحث.

(٤) تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي. د. حسن إبراهيم حسن ط دار الفكر ١٣٠/٤.

(٥) جنكيز خان ملك التتار، عليه من الله ما يستحقه، وهو صاحب الياسق وضعها ليتحاكموا إليها - يعني التتار ومن معهم من أمراء - الترك ممن يبتغي حكم الجاهلية وهو والد تولى، وجد هو لاکو بن تولى - الذي قتل الخليفة المستعصم وأهل بغداد في سنة ست وخمسين وستمائة البداية والنهاية ٤٤/١٣.

(٦) الكامل في التاريخ. عز الدين أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الكريم الجزري المعروف ب"ابن الأثير" ٣٦٠/١٢ ط دار الفكر وتاريخ الإسلام ١٢٩/٤، ١٣٤.

(٧) طمغاج: مدينة مشهورة كبيرة من بلاد الترك، ذات قرى كثيرة، وقراها بين جبلين في مضيق لا سبيل إليها إلا من ذلك المضيق، ولا يمكن دخولها لو منع مانع فلا يتعرض لها أحد من ملوك الترك، لعلمهم بأن قصدوا غير مفيد، وسلطانها ذو قدر ومكانة عند ملوك الترك. بها معادن الذهب فلذلك كثر الذهب عندهم حتى اتخذوا منه الظروف والأواني. آثار البلاد وأخبار العباد ٤١١/١. ل زكريا بن محمد بن محمود القزويني (المتوفى: ٦٨٢ هـ) ط: دار صادر بيروت.

(٨) منطقة واسعة في آسيا الوسطى، تجعل منها الجبال التي في وسطها تنقسم تركستان حالياً إلى قسمين: تركستان الشرقية أو الصينية، و تركستان الغربية تشمل خمس جمهوريات إسلامية استقلت حديثاً عقب انهيار الاتحاد السوفيتي، وهي جمهوريات كازاخستان وأوزبكستان وتركمانستان وطاجيكستان و قرغيزستان. وتركستان مصطلح فارسي تاريخي يتكون من مقطعين: ترك وستان ويعني أرض الترك. موسوعة ويكيبيديا على الانترنت.

(٩) بلاد ما وراء النهر: اسم أطلقه المسلمون على البلاد الواقعة شرق نهر (جیحون) بخراسان، ويسمى حالياً (نهر امودريا) وتشمل مدن بخارى وسمرقند وطشقند، وتسمى بلاد تركستان التي كانت جزءاً من الاتحاد السوفيتي سابقاً. المنجد ٦٣١، مصدر سابق. ومعجم البلدان ٤٥/٥، مصدر سابق.

(١٠) بخارى: مدينة في جنوب غرب الاتحاد السوفياتي (أوزبكستان) شهيرة بمساجدها ومدارسها وهي من أعظم مدن ما وراء النهر، وكانت قاعدة ملك السامانية وهي مدينة قديمة كثيرة البساتين. فتحت زمن معاوية بن أبي سفيان ﷺ وإليها ينسب الإمام البخاري. المنجد في اللغة والأعلام ١١٩، المصدر السابق. معجم البلدان ٣٥٣/١، المصدر السابق. ومعجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع ٥٠٩/١، ل أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري الأندلسي (المتوفى: ٤٨٧ هـ) ط ٣. عالم الكتب، بيروت، ١٤٠٣ هـ.

التي بها موطن مفسرنا، فألقى المغول^(١) بالمنابر والمصاحف في الخندق، وأشعلوا النار في المدارس والمساجد وغيرها من المباني، حتى أصبحت بخارى^(٢) أثراً بعد عين، وهكذا فعلوا بمدينة سمرقند^(٣) وبلخ^(٤) وغيرها من مدن آسيا التي كانت من قبل موطن الأولياء وكعبة العلوم.

ثم توجهوا غرباً حتى وصلوا إلى حدود العراق^(٥)، وبهذا الغزو التتري ابتلي المسلمون بمصائب لم يبتل بها أحد من الأمم، فلم يدخلوا بلداً إلا قتلوا جميع من فيه من الرجال والنساء والأطفال، وشقوا بطون الحوامل وقتلوا الأجنة، وأتلفوا ما فيه بالنهب إن احتاجوا إليه، وبالحرقيق إن لم يحتاجوا إليه، وأكثر ما كانوا يحرقون المساجد، ويأخذون الأسرى من المسلمين ويحاصرون بهم، وإن لم يقدرُوا على الخروج قتلوهم.

وكان الناس يخافون منهم خوفاً عظيماً، حتى قيل إن رجلاً منهم دخل إلى درب وبه مائة رجل لم يستطع واحد منهم أن يتقدم إليه، وما زال يقتلهم واحداً بعد واحد حتى قتل الجميع، ولم يرفع أحد يده إليه، ونهب ذلك الدرب وحده^(٦).

وفي سنة ٦٥٦ هـ سقطت بغداد^(٧) في يد التتار^(٨) على يد هولاء^(٩)، وقتل المغول أهلها وهدموا مساجدها ليحصلوا على ذهب قبابها وجردوا القصور مما بها من التحف النادرة، وأتلفوا عدداً كثيراً من الكتب القيمة في مكباتها، وقتلوا كثيراً من رجال العلم

(١) انظر: ص ٣، من البحث.

(٢) انظر: ص ٤، من البحث.

(٣) سمرقند: مدينة مشهورة بما وراء النهر؛ في وسط آسيا خربها جنكيز خان ٦٥١ هـ فيها قبر تيمور لنك قالوا: أول من أسسها كيكاس ابن كيقباز. معجم البلدان ٣/٢٧٩. مصدر سابق. والمنجد في اللغة والأعلام ٦٥. مصدر سابق. آثار البلاد وأخبار العباد ١١٩/١-٢٢٠. مصدر سابق. و أطلس التاريخ العربي والإسلامي ٣٧، د. شوقي أبو خليل، ط: دار الفكر، دمشق سوريا.

(٤) بلخ: مدينة مشهورة بخراسان أول من بناها لهراسف الملك وقيل الإسكندر افتتحت في عهد عثمان بن عفان ﷺ. معجم البلدان ٤/٥٦٨. المصدر السابق. وأطلس التاريخ العربي والإسلامي ٣٧ المصدر السابق.

(٥) الكامل في التاريخ ١٢/٣٥٩-٣٦٠. مصدر سابق ومحاضرات تاريخ الأمم الإسلامية ٤٦٧-٤٦٨، للشيخ محمد الخضري بك ط المكتبة التجارية الكبرى مصر، وتاريخ الإسلام ٤/١٤٣، مصدر سابق.

(٦) البداية والنهاية. للحافظ ابن كثير ١٣/٩٠، ط مكتبة المعارف بيروت. وتاريخ العرب ٧-٩ ل د. محمد أسعد أطلس ط دار الاندلس.

(٧) انظر: ص ٢، من البحث.

(٨) التتار أو التتر كلمة أطلقها العرب على مجموعة القبائل المغولية التي اجتاحت الشرق العربي وبلاداً إسلامية أخرى في القرنين الثاني عشر والثالث عشر الميلاديين. عرف التتار عند الأوربيين بالتتار أو التاتار Tatar، أما الصينيون فيدعونهم بالتأتا ويحذفون حرف الراء. موسوعة ويكيبيديا، مصدر سابق.

(٩) هولاء خان بن تولي خان بن جنكيز خان: ملك التتار بن ملك التتار وهو والد ملوكهم وهو ملكا جبارا فاجرا كفارا لعنه الله قتل من المسلمين شرقا وغربا مالا يعلم عددهم إلا الذي خلقهم وسيجزيه على ذلك شر الجزاء، دفن في مدينة تلا لا رحمه الله. البداية والنهاية لابن كثير مصدر سابق ١٣/٢٤٨ فوات الوفيات ٢/٥٨٠، ل محمد بن شاكر بن أحمد الكتبي، ط: دار الكتب العلمية، بيروت ٢٠٠٠م، ت: علي محمد بن يعوض الله/عادل أحمد عبد الموجود.

فيها، وضاعت الثروة الأدبية والفنية التي عنى الخلفاء العباسيون بجمعها منذ بنى أبو جعفر المنصور^(١) بغداد واتخذها حاضرة الدولة. وانتهت هذه الحوادث بقتل الخليفة المستعصم^(٢)، وزوال الدولة العباسية التي عاش العالم الإسلامي في ظلها زهاء خمسة قرون^(٣)

وفي سنة ٦٥٨ هـ دخل التتار^(٤) دمشق^(٥) ثم وصلوا إلى غزة^(٦)، وعزموا على المسير إلى مصر^(٧) في ذلك الوقت كانت الحروب قائمة بين أبناء البيت الأيوبي في مصر والشام^(٨)، فاستعان الأيوبيون بالمماليك المجلوبة من البلاد المجاورة، مما أدى إلى زيادة نفوذ أولئك المماليك وأصبحوا أصحاب السلطة والنفوذ والحكم. ولما توفي السلطان الصالح أيوب^(٩)، ولي شؤون الحكم بعده زوجته شجرة الدر^(١٠)، وأصلها مملوكة لهذا السلطان، وأصبحت سلطانة البلاد، ولكنها خلعت نفسها بسبب رفض

(١) أبو جعفر عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس، ولد سنة خمس وتسعين. تاريخ الخلفاء ٢٥٩/١، ل عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، ط: مطبعة السعادة - مصر - ١٣٧١ هـ - ١٩٥٢ م، ت: محمد محي الدين عبد الحميد

(٢) المستعصم: عبد الله بن منصور من سلالة هارون الرشيد ولد ببغداد وولي الخلافة سنة ٦٤٠ هـ وتوفي ٦٥٦ هـ الأعلام لخير الدين الزركلي ٤/ ١٤٠ مصدر سابق.

(٣) تاريخ الإسلام ٤/١٥٢، ١٥٣، ٣٠٨. مصدر سابق.

(٤) انظر: ص ٥، من البحث.

(٥) مدينة قديمة ذات مجد عريق، وتاريخ حافل، فتحها المسلمون سنة ١٤ هـ. اتخذها معاوية بن أبي سفيان عاصمة الملك فكانت عروس المدائن وسيدة العواصم. منها خرجت أعداد لا تحصى من العلماء والأدباء والشعراء. وهي اليوم عاصمة الجمهورية العربية السورية. معجم البلدان ٢/٤٦٣؛ مصدر سابق وتعريف بالأماكن الواردة في البداية والنهاية لابن كثير ١ / ٤٩٥. مصدر سابق.

(٦) مدينة طيبة بين الشام ومصر على طرف رمال مصر، قال، ﷺ: أبشركم بالعروسين غزة وعسقلان. فتحها معاوية بن أبي سفيان في أيام عمر بن الخطاب. وكفاها معجزاً أنها مولد الإمام محمد بن إدريس الشافعي. ولد بها سنة خمسين ومائة. آثار البلاد وأخبار العباد ١/٩٠. مصدر سابق.

(٧) انظر: ص ٣، من البحث.

(٨) البداية والنهاية ١٣/٢٥٥، ٢٥٧. المصدر السابق.

(٩) انظر: ص ٣، من البحث.

(١٠) الصالح أيوب: هو أيوب بن محمد، ولد ونشأ بالقاهرة وولي الخلافة سنة ٧٣٧ هـ، من آثاره قلعة الروضة بالقاهرة توفي ٦٠٩ هـ الأعلام ٢/٣٨. مصدر سابق.

(١١) شجرة الدر بنت عبد الله أم خليل الصالحية التركية كانت من حظايا الملك الصالح نجم الدين أيوب وقد ملكت الديار المصرية بعد مقتل ابن زوجها المعظم توران شاه ت: ٦٥٥ هـ. البداية والنهاية ١٣/١٩٩. مصدر سابق.

الخليفة العباسي ذلك، وتزوجت من أيبك^(١) أحد المماليك، وأصبح أول سلطان للمماليك.

ولما بلغ السلطان قطز^(٢) - ثالث سلاطين - المماليك أخذ التتار^(٣) لدمشق^(٤)، ووصولهم إلى غزة^(٥)، بادرهم قبل أن يبادروه، واجتمع معهم في عين جالوت^(٦) في نفس السنة، وهزمهم شر هزيمة، وهكذا أوقف زحف التتار في بلاد المسلمين. وحاول السلطان قطز إعادة الخلافة إلى بغداد^(٧) ولكنه قتل، وتولى السلطة بالقاهرة^(٨) الظاهر بيبرس^(٩)، واستدعى إلى القاهرة أبا القاسم، وهو أحد أبناء البيت العباسي، وتمت له البيعة بالخلافة بعد المستعصم ولقب بالمستنصر^(١٠).

(١) الملك المعز أيبك: أصله من ممالك السلطان الملك الصالح نجم الدين أيوب، كان معروفاً بالسداد وملازمة الصلاة ولا يشرب الخمر وعنده كرم وسعة صدر ولين جانب، فبايعوه وسلطنوه وأجلسوه في دست الملك في أواخر شهر ربيع الآخر سنة ثمان وأربعين وستمئة. النجوم الزاهرة ٤/٧، في ملوك مصر والقاهرة، ل: جمال الدين أبي المحاسن يوسف بن تغري بردى الأتابكي، ط: وزارة والإرشاد القومي - مصر

(٢) الملك المظفر قطز بن عبد الله سيف الدين التركي أخص ممالك المعز التركماني أحد ممالك الصالح أيوب بن الكامل، بويع في ذي القعدة سنة سبع وخمسين وستمئة. البداية والنهاية ١٣/٢٢٥. مصدر سابق.

(٣) انظر: ص ٥، من البحث.

(٤) انظر: ص ٦، من البحث.

(٥) انظر: ص ٦، من البحث.

(٦) اسم موقع عند مدينة بيسان في غور الأردن جرت عنده موقعة فاصلة بين الجيش الإسلامي والمغول وانتهت بهزيمة المغول لأول مرة. تعريف بالأماكن الواردة في البداية والنهاية لابن كثير ٢/١٦١. المصدر السابق.

(٧) انظر: ص ٢، من البحث.

(٨) القاهرة هي عاصمة جمهورية مصر العربية وأهم مدنها على الإطلاق وسميت تاريخياً باسم مدينة الألف مئذنة لكثرة مساجدها. أسسها من عدة مدن ولتكون عاصمة، القائد المعز لدين الله لفتح القاهرة بعد أن أسس الدولة الفاطمية، وتضم القاهرة مدينة الفسطاط التي أسسها عمرو بن العاص سنة ٢٠ هـ، ومدينة العسكر التي أسسها صالح بن علي العباسي سنة ١٣٢ هـ، ومدينة القطائع التي أسسها أحمد بن طولون سنة ٢٥٦ هـ، بالإضافة إلى الأحياء التي طرأت عليها بعد عهد صلاح الدين وحتى الآن. القاهرة هي أكبر مدينة أفريقية والأكثر سكاناً في أفريقيا و الشرق الأوسط. موسوعة ويكيبيديا على الانترنت

(٩) كان من ممالك المنصور قلاوون وترقى إلى أن جعله أمير طبلخانة وكان أشقر اللون مستدير اللحية موصوفاً بالعقل التام والفقّه وهو من جملة الامراء الذين تعصبوا للناصر. البدر الطالع ١/١٦٦، بمحاسن من بعد القرن السابع، ل محمد بن علي الشوكاني، ط دار المعرفة - بيروت .

(١٠) ولد الخليفة الحكم المستنصر بالله يوم الجمعة عند صلاتها. غرة رجب سنة ٣٠٢ هـ. أمه أم ولد إسمها مرجانه، وصف بأنه كان أبيض مشرباً بحمرة، أعين، أفنى، جهير الصوت، قصير الساقين، ضخم الجسم، غليظ العنق، عظيم السواعد أقم. سير أعلام النبلاء، ١٦/٢٣٠-٢٣١. مصدر سابق

ولما توجه هذا الخليفة الجديد إلى التتار^(١) لاسترجاع بغداد^(٢)، قتله التتار قبل أن يصل إليها سنة ٦٦٠ هـ وتمت البيعة بعده بالخلافة للحاكم بأمر الله^(٣) واستمرت خلافته من ٦٦٠-٧٠١ هـ^(٤)

وهكذا يتبين لنا أن الإمام النسفي - رحمه الله - قد عاصر هذه الحادثة العظمى والمصيبة الكبرى التي حلت بالمسلمين، والتي وصفها ابن الأثير^(٥) فقال: "هذا الفعل يتضمن ذكر الحادثة العظمى والمصيبة الكبرى التي عقت الأيام والليالي عن مثلها، عمت الخلائق وحضت المسلمين، فلو قال قائل: إن العالم منذ خلق الله سبحانه وتعالى آدم وإلى الآن، لم يبتل بمثلها، لكان صادقاً، فإن التواريخ لم تتضمن ما يقاربها ولا ما يدانيها"^(٦).

وقد وصف المستشرق الإنجليزي سير توماس أرنولد ما قام به المغول^(٧) من ضروب الوحشية في غزواتهم فقال: "لا يعرف الإسلام من بين ما نزل به من الخطوب"^(٨)

(١) انظر: ص ٥، من البحث.

(٢) انظر: ص ٢، من البحث.

(٣) الحاكم بأمر الله: منصور بن عبد العزيز بن نزار بن المعز معد بن المنصور بن إسماعيل بن محمد بن

المهدي، أبو علي العبيدي المصري الرافضي، الإسماعيلي الزنديق. سير أعلام النبلاء، ١٧/ ١٨٨

(٤) البداية والنهاية ١٣/ ٢٥٥، ٢٥٧، المصدر السابق. وتاريخ العالم الإسلامي ١/ ٢٥٧-٢٧٦، ل. د. إبراهيم أحمد

العديوي ط: معهد الدراسات الإسلامية. وموسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية ٥/ ٢٠٤-٢٠٥، ل. د. أحمد شلبي، ط مكتبة النهضة المصرية.

(٥) علي بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، أبو الحسن عز الدين ابن الأثير: المؤرخ الامام، من العلماء بالنسب والادب. ولد ونشأ في جزيرة ابن عمر، وسكن الموصل. وتجول في البلدان، وعاد إلى الموصل، فكان منزله مجمع الفضلاء والأدباء، وتوفي بها. من تصانيفه " الكامل - " اثنا عشر مجلداً، مرتب على السنين، بلغ فيه عام ٦٢٩ هـ، أكثر من جاء بعده من المورخين عيال على كتابه هذا، و " أسد الغابة في معرفة الصحابة - " خمس مجلدات كبيرة مرتب على الحروف، و " اللباب" اختصر به أنساب السمعاني وزاد فيه، و " تاريخ الدولة الاتابية " و " الجامع الكبير " في البلاغة، و " تاريخ الموصل " لم يتمه. ولد في ٥٥٥ هـ وتوفي ٦٣٠ هـ، ١١٦٠ - ١٢٣٣ م. الأعلام ٤/ ٣٣١، مصدر سابق.

(٦) الكامل في التاريخ ١٢/ ٣٥٨، مصدر سابق.

(٧) انظر: ص ٣، من البحث.

(٨) الخطب سبب الأمر تقول: ما خطبك؟. قلت: قال الأزهري: أي ما أمرك؟ وتقول هذا خطب جليل وخطب يسير وجمعه (خطوب) انتهى كلام الأزهري. مختار الصحاح، ص: ٩٢

والولايات خطباً أشد هولاً من غزوات المغول^(١)؛ فلقد انسابت جيوش جنكيز خان^(٢) انسياب الثلوج من قمم الجبال، واكتسحت في طريقها الحواضر الإسلامية، وأتت على ما كان لها من مدنية وثقافة، ولم يتركوا وراءهم من تلك البلاد سوى خرائب وأطلال بالية، وكانت تقوم فيها قبل ذلك القصور الفخمة المحاطة بالحدائق الغناء والمروج الخضراء^(٣).

المطلب الثاني: الحالة الاجتماعية:

عاش الإمام النسفي رحمه الله فترة زوال الخلافة العباسية، وغارات المغول على العالم الإسلامي، لذا ينبغي الحديث عن الحالة الاجتماعية في هاتين المرحلتين.

- أما في العصر العباسي فقد كان المجتمع يتألف من عدة طبقات تتمثل في:
- الخاصة وهم أقرباء الخليفة ورجال الدولة البارزون كالأشراف والوزراء والقواد والكتّاب والقضاة والعلماء والأدباء، وهؤلاء لهم مرافق خاصة بهم كما كان لهم باب خاص يدخلون على الملك منه.
 - العامة وهم أهل الحرف والصنائع والتجار والفلاحون والجنود، وهؤلاء لهم مرافق خاصة بهم ويدخلون على الخليفة من باب العامة.
 - الخدم ومنهم الأحرار وأغلبهم العبيد الذين أخذوا كأسرى حرب، ولهم ببغداد شارع خاص بهم، يسمى دار الرقيق، وموضع آخر يسمى باب النخاسين، يقومون بخدمة الخليفة وحاشيته وخدمة الناس. وأغلب الرقيق كانوا من بلاد ما وراء النهر^(٤)، وأما أسواق الرقيق فكانت تتركز في مصر^(٥) وشمال

(١) انظر: ص ٣، من البحث.

(٢) انظر: ص ٤، من البحث.

(٣) تاريخ الإسلام ١٣٤/٤، مصدر سابق.

(٤) انظر: ص ٤، من البحث.

(٥) انظر: ص ٣، من البحث.

أفريقيا، ويلاحظ أن بعض الخلفاء العباسيين كانت أمهاتهم من تلك الجوارى التي كان يشتريها الخليفة لجمال منظرها أو لعذوبة صوتها أو لذكائها وجودة شعرها. وقد شاع استخدام الخِصيان في المجتمع العراقي لحماية الحريم لذا فقد ارتفعت أسعارهم.

• ومن طبقات المجتمع أهل الذمة وهم اليهود والنصارى الذين كانوا يتمتعون بالأمن والطمأنينة تحت ظل سماحة الإسلام، فكانوا يقيمون شعائرهم، ويشاركونهم الخلفاء في مناسباتهم وأعيادهم، ويكرمونهم بالعطايا والهدايا.

أما الاحتفالات الدينية فكان من مظاهرها خروج الخليفة مرتدياً أوفر الثياب وبصحبة كبار رجال الدولة، ويقف العامة على جانبي الطريق لتحية الخليفة وهو في طريقه للمسجد.

وأما حفلات الزواج فقد اتسمت بالبذخ والإسراف، وقد ورد أنه ليلة زفاف مجاهد الدين أيبك الدويدار المستنصري^(١)، أرسل إلى داره كثير من أواني الذهب والفضة والجواهر يزيد ثمنها على ثلاثمائة ألف دينار، وقدم له كبار رجال الدولة الهدايا التي تتألف من مماليك الترك والخدم والأحباش والثياب والطيب والخيل وغيرها، وأرسل إليه الخليفة المستنصر^(٢)، ثلاثمائة ألف دينار.

أما المرأة فكانت لا تختلط بالرجال الغرباء، وكان المحتسب^(٣) لا يسمح باختلاط الرجل بالمرأة في الطرقات العامة ولو كانا زوجين، ولكنها كانت تحضر مجالس الوعظ في المساجد، مما يدل على مشاركتها للرجل في الشعائر الدينية وميدان العلم والثقافة^(٤)

(١) الملك، مقدم جيوش العراق. كان بطلاً شجاعاً موصوفاً بالرأى والإقدام. كان يقول: لو مكنتي أمير المؤمنين المستنصر لقهرت هولاء. قتل وقت غلبة العدو على بغداد صبراً. تاريخ الإسلام ٢٨١/٤٨، ووفيات المشاهير والأعلام، لشمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، ط١: دار الكتاب العربي، لبنان/بيروت ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م، ت: د. عمر عبد السلام تدمري

(٢) انظر: ص ٧، من البحث.

(٣) مأمور من الحاكم لضبط الموازين ونحو ذلك. دولة السلاجقة ١ / ٤٢٥ لعلي محمد محمد الصلابي

(٤) تاريخ الإسلام ٤ / ٤٠٦، ٥٨٦. المصدر السابق. وتاريخ الأدب العربي ٤ / ٥٣، ٦٦، ل. د. شوقي ضيف ط: دار المعارف مصر.

أما في مصر^(١) والشام^(٢) فقد انشغل الأيوبيون بالحروب فيما بينهم، واستعانوا بأجناد المماليك، فازداد نفوذ أولئك المماليك، حتى أصبحوا أصحاب الأرض والأموال والسلطة والنفوذ والحكم والإدارة.

وكان المجتمع في عهد المماليك يتكون من ثلاث طبقات:

• طبقة المماليك، وقد عاشوا منفصلين تمام الانفصال عن سائر السكان، وأطلق عليهم أرباب السيف.

• أرباب القلم أي الموظفين المدنيين في مختلف دواوين السلطة.

• عامة الناس من التجار وأرباب المهن.

• طبقة الفلاحين وأهل الريف التي كانت بمعزل عن الطبقات الثلاث

السابقة، ولم يعرفوا عن القاهرة^(٣) والإسكندرية^(٤) شيئاً، وانشغلوا بزراعة

الأرض لأصحابها دون أن يروهم.

ومن مظاهر اللهو في العصر المملوكي لعب الكرة بالصولجان^(٥)، وسباق الخيل،

ومواكب النصر، وحفلات الأعياد الإسلامية والمسيحية^(٦).

(١) انظر: ص ٣، من البحث.

(٢) انظر: ص ٣، من البحث.

(٣) انظر: ص ٧، من البحث.

(٤) هي المدينة المشهورة بمصر، على ساحل البحر. اختلف أهل السير في بانيتها: فمنهم من ذهب إلى أن بانيتها الإسكندر الأول، وهو ذو القرنين اشك بن سلوكوس الرومي، الذي جال الأرض وبلغ الظلمات ومغرب الشمس ومطلعها، وسد على يأجوج ومأجوج كما أخبر الله تعالى عنه، وكان إذا بلغ موضعاً لا ينفذ اتخذ هناك تمثالاً من النحاس ماداً يميناً مكتوباً عليها: ليس ورائي مذهب. ومنهم من قال بناها الإسكندر بن دارا ابن بنت الفيلسوف الرومي، شبهوه بالإسكندر الأول لأنه ذهب إلى الصين والمغرب ومات وهو ابن اثنتين وثلاثين سنة، والأول كان مؤمناً والثاني كان على مذهب أرسطاطاليس، وبين الأول والثاني دهر طويل. آثار البلاد وأخبار العباد ٥٦١/١. المصدر السابق.

(٥) الصولجان: عصا يعطف طرفها، يضرب بها الكرة على الدواب، فأما العصا التي اعوج طرفها خلقة في شجرتها فهي محجن. . . والصولجان والصولج والصلجة كلها معربة". تهذيب اللغة ٥٦٣/١٠، ل محمد بن أحمد بن الأزهر الهروي، أبو منصور (المتوفى: ٣٧٠هـ) ت: محمد عوض مرعب ط ١: دار إحياء التراث العربي، بيروت ٢٠٠١م. المعرب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم ٢١٣، ل أبي منصور الجواليقي تحقيق أحمد شاكر ط ٣ دار الكتب المصرية ١٩٩٥م.

(٦) تاريخ العالم الإسلامي ٢٧٦/١، مصدر سابق.

أما بعد غزو التتار^(١) لبلاد المسلمين فيمكن وصف الحالة الاجتماعية للعالم الإسلامي الذي كان تحت سيطرة المغول^(٢) من خلال تعاليم السياق الذي وضعه جنكيز خان^(٣) لترقية حالة بلاده الاجتماعية والخُلقية، وهي كلمة تركية قديمة معناها القانون الاجتماعي، ومما شرعه في هذا السياق:

قتل الزاني ومن تعمد الكذب أو السحر أو تجسس على أحد، ومن بال في الماء أو على الرماد قُتل، ومن أحكامه الأساسية تعظيم جميع الملل من غير تعصب لملة ما، وألا يكون على أحد من ولد علي بن أبي طالب مؤنة ولا كلفة، وألا يكون على أحد من الفقراء والقراء والفقهاء والأطباء ومن عداهم من أرباب العلوم وأهل النقش والزهد والتعبد والمؤذنين ومغسلي الأموات شيء من ذلك، وألا ينفرد أحد بأكل شيء وغيره يراه بل يجب أن يشركه في طعامه، وألا يتميز أحد بالشبع على أصحابه، وحرمة تفخيم الألقاب ومنح الألقاب، وإنما يخاطب السلطان ومن دونه باسمه المجرد، وألزم نساء العسكر بالقيام بما على الرجال من الواجبات عند غيبتهم، وألزمهم عند رأس كل سنة أن يعرضوا بناتهم الأبنكار على السلطان ليختار منهن من يشاء لنفسه وأولاده.

ولما مات جنكيز خان التزم أولاده بما جاء في السياق ولم يخالفه أحد، وقاموا بنشره بين القبائل الوثنية والمسيحيين في شرق روسيا وفي سيبيريا والصين^(٤)

المطلب الثالث: الحالة الثقافية والحركة العلمية:

على الرغم مما انتاب العالم الإسلامي في نهاية العصر العباسي من ضعف وتفكك وانحلال، إلا أننا نجد أن هذه الفترة تتميز بنهضة علمية، وحركة فكرية نشطة في

(١) انظر: ص ٥، من البحث.

(٢) انظر: ص ٣، من البحث.

(٣) انظر: ص ٤، من البحث.

(٤) تاريخ الإسلام ١٣٠/٤-١٣٣، مصدر سابق. ومحاضرات تاريخ الأمم الإسلامية ٤٦٨-٤٦٩، لـ الشيخ محمد الخضري بك، ط: المكتبة التجارية الكبرى مصر.

بغداد^(١)، وفي تلك الدول التي استقلت عن الخلافة العباسية، كالعزنيين^(٢) والفاطميين^(٣) والأيوبيين في مصر^(٤) والأمويين في الأندلس والمرابطين والموحدين في المغرب. وكان لظهور الفرق الإسلامية التي اتخذت الثقافة والعلم وسيلة لتحقيق أغراضها دور في تلك النهضة العلمية. وخير مثال لذلك تلك الآثار التي خلفها العلماء من السنيين والشيعيين.

ومن مراكز الثقافة الإسلامية التي جذبت إليها العلماء أصبهان^(٥) والري^(٦)، وكانت بلاد بني بويه^(٧) هناك كعبة يؤمها العلماء ورجال الأدب، والبلاط الساماني^(٨)

(١) انظر: ص ٢، من البحث.

(٢) كانت الدولة الغزنوية هي أول دولة تركية قوية مشهورة ظهرت في إيران. وكان أول حكام الغزنويين وهو البتكين عبداً تركياً من مماليك السامانيين الذين التحقوا بجيشهم ثم استطاع أن يصير من قوادهم وأن يصبح حاكماً على خراسان سنة ٣٤٩ هـ ثم تمكن من بسط نفوذه على إقليم أفغانستان في سنة ٣٥١ هـ حيث أعلن عن تأسيس دولة تركية جديدة سميت الدولة الغزنوية. مجلة الرائد-متخصصة في الفرق ١/٢٢.

(٣) دامت دولة الفاطميين ٢٦٠ سنة منها اثنتان وخمسون سنة بالمغرب ومائتان وثمان سنوات بمصر وعدد خلفائها أربع عشرة خليفة أولهم عبيد الله المهدي واخرهم العاضد الذي توفي بمصر يوم عاشوراء سنة ٥٦٧ هـ وبموته انقضت دولة الفاطميين من المشرق والمغرب، وكانت نهايتهم على يد البطل صلاح الدين الأيوبي، وكان أول خلفائهم هو عبيد الله المهدي الشيعي الرافضي ٢٩٧. ٣٢٢ هـ أبعاد التحالف الرافضي الصليبي في العراق وآثاره على المنطقة ١/٢٧ سماوا أنفسهم "الفاطميين" كذباً وزوراً، وهم كما قال فيهم غير واحد من العلماء: "ظاهراً هم الرضخ وباطنهم الكفر المحض"، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: "إن غاية ما يزعمه أنهم كانوا يظهرون الإسلام والتزام شرائعه، وليس كل من أظهر الإسلام يكون مؤمناً في الباطن، إذ قد عُرف في المظهرين للإسلام المؤمن والمنافق، قال الله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَيَأْتُونَ الْآخِرَ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ٨] وهؤلاء القوم يشهد عليهم علماء الأمة وأئمتها وجاهيرها أنهم كانوا منافقين زنادقة، يظهرون الإسلام ويبطنون الكفر، فالشاهد لهم بالإيمان شاهد لهم بما لا يعلمه، إذ ليس معه شيء يدل على إيمانهم مثل ما مع منازعيه ما يدل على نفاقهم وزندقته، وكذلك "النسب" قد علم أن جمهور الأمة تطعن في نسبهم، ويذكرون أنهم من أولاد المجوس أو اليهود "اه. مجموع الفتاوى ٣٥/١٢٨، ل تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم بن تيمية الحراني (المتوفى: ٧٢٨ هـ) ت: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم ط: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية ١٤١٦ هـ/١٩٩٥ م. التوضيح والتتمات على كشف الشبهات ١/١٥٦. قسم العقيدة المكتبة الشاملة غير موافق للمطبوع.

(٤) انظر: ص ٣، من البحث.

(٥) أصبهان: بكسر الالف وأفتحها، وهي أشهر بلاد الجبل واسمها بالعجمية: سباهان، الأنساب، ١/١٧٥، لأبي سعد عبدالكريم بن محمد بن منصور السمعاني، ط (١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م)، دار الكتب العلمية، وضع حواشيه محمد عبدالقادر عطا.

(٦) الري: مدينة مشهورة من أمهات البلاد وأعلام المدن، كثيرة الفواكه والخيرات بينها وبين نيسابور ستين ومائة فرسخاً وإلى قزوین سبعة وعشرين فرسخاً. وهي محيط الحاج على طريق البابلية وقصبة بلاد الجبل، معجم البلدان، ياقوت الحموي، ٣/١١٦. ل شهاب الدين أبي عبدالله ياقوت بن عبدالله الحموي الرومي البغدادي، ط (١٩٩٥ م)، دار صادر، بيروت.

(٧) البويهيون: هم أسرة ديلميه إيرانية شيعية المعتقد حاقدين على الإسلام، وتتكون من ثلاثة رجال ظهر أمرهم وهم: علي والحسن وأحمد أبناء بويه من الوصول إلى مراكز سياسية قيادية، ملك والدهم بغداد وسكن بها، وصار أميراً، بدرت منهم أعمال منكرة ضد الإسلام، موجز التاريخ الإسلامي ١/ ٢١٠، ل أحمد معمور العسيري، ط ٣، (١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م)، دولة السلاجقة وبرز مشروع إسلامي لمقاومة التغلغل الباطني والغزو الصليبي ١/٣٢، علي محمد محمد الصلابي، ط ٣، (١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦ م)، مؤسسة أقرأ للنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة.

(٨) الحاكم الساماني إسماعيل بن أحمد على عمرو بن الليث الصفاري، وهكذا أصبح أميراً لخراسان متخذاً بخارى عاصمة له. تراجم رواة الحديث في نيسابور ١/٢٤. بحث بقلم رجاردو. بليت، نشر بالإنكليزية في مجلة الشرق الاقتصادي والاجتماعي نسيان ١٩٧٠م ترجمة شاكر نصيف لطيف العبيدي، الأستاذ المساعد في قسم اللغات الأوربية، كلية الآداب، جامعة بغداد.

في بخارى^(١)، وبلاط السلاجقة^(٢) في مرو^(٣) حاضرة خراسان^(٤) وقد ذكر ياقوت الحموي^(٥) أن مرو أخرجت من الأعيان وعلماء الدين والأركان ما لم تخرج مدينة مثلها، وبين أنه حين فارقها أمام غارات التتار^(٦) سنة ٦١٦ هـ كان فيها عشر خزائن للوقف، لم يُر في الدنيا مثلها كثرة وجودة^(٧).

وفي مصر^(٨) كان الأزهر^(٩) مركزاً هاماً للثقافة والعلم، واهتم فيها الأيوبيون ببناء المدارس كالناصرية والقمحية والسيفية والفاضلية التي أسست سنة ٥٨٠ هـ، وكانت مكتبتها تشتمل على مائة ألف مجلد، ومن المدارس التي أنشئت في عهد الأيوبيين (دار الحديث) التي بناها الملك الكامل^(١٠).

كما أن العباسيين قد اهتموا بنشر العلوم الطبية، فأسسوا المدارس الطبية، والمستشفيات ودَعَوْا إلى عقد المؤتمرات الطبية، التي يجتمع فيها الأطباء من كافة البلاد في موسم

(١) انظر: ص ٤، من البحث.

(٢) لما دخل السلاجقة بغداد عملوا من فورهم على إحياء المذهب السني، ومقارعة المذهب الشيعي، وحرصوا في كل مناسبة على تأكيد عدة أمور منها إسلامهم، وتمسكهم بمذهب أهل السنة والجماعة، ومنها حرصهم على جهاد الكفار، وأهل المذاهب والملل المنحرفة، والولاء المطلق للخلافة العباسية - راحة الصدور ١٦٦-١٧٠. - واستطاعوا أن يوحدوا ما تناثر من أشلاء الخلافة العباسية، ويلموا شعنها بعد تفرق، وخطب لهم وللخلفاء العباسيين من حدود الصين شرقاً، إلى أقاصي بلاد الإسلام في الشمال، إلى آخر بلاد اليمن في الجنوب وفيات الأعيان ٢٨٤/٥، وأبناء أبناء الزمان لـ أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان اليرمكي الإربلي (المتوفى: ٦٨١ هـ) تحقيق إحسان عباس ط دار صادر - بيروت. وتاريخ العرب ٥٧٢/٢. مصدر سابق.

(٣) مرو: أشهر مدن خراسان وقصبتها، والنسبة إليها مروزي على غير قياس، وكانت تعرف في العصور الوسطى بمرو الشاهجان تمييزاً لها عن مرو الروذ. معجم البلدان ١١٢/٥، مصدر سابق. وبلدان الخلافة الشرقية ٤٤٠. لـ كي لسترنج نقله إلى العربية بشير فرنسيس وكوريس عواد موسسة الرسالة بيروت ط ٢ ١٤٠٥ هـ ١٩٨٥ م (٤) تاريخ الإسلام ٣٩٨/٤. مصدر سابق.

(٥) ياقوت الحموي مؤرخ ثقة جغرافي رومي الأصل اشتراه تاجر من حماة له (معجم البلدان)، و (معجم الأدباء). المنجد باللغة والأعلام، تجديد الأستاذ كرم البستاني ومجموعة من العلماء، ط. دار المشرق بيروت. ٧٤٧.

(٦) انظر: ص ٥، من البحث.

(٧) معجم البلدان ١٣٢/٥، مصدر سابق.

(٨) انظر: ص ٣، من البحث.

(٩) جامع الأزهر في مصر.

(١٠) تاريخ الإسلام ٤٠٣/٤، مصدر سابق.

الحج، وكانت بغداد^(١) في الشرق، وقرطبة^(٢) في الغرب من أهم مراكز الثقافة الطبية الإسلامية.

هذا بالإضافة إلى المكتبات التي كانت تزخر بالكتب الدينية والعلمية والأدبية وغيرها، والتي كانت من أهم مراكز الثقافة الإسلامية، كمكتبة " دار الحكمة " التي أمدتها العباسيون بمختلف الكتب والتي ظلت قائمة حتى استولى التتار^(٣) على بغداد سنة ٦٥٦هـ. ومكتبة " دار العلم " التي كانت تحتوي على مئات الألوف من المصنفات، وقد انتفع الناس بما فيها من أوراق وأقلام للنسخ والبحث والدراسة دون مقابل^(٤) كما أن مساجد قرطبة قد جذبت إليها الأوروبيين الذين وفدوا إليها لارتشاف العلم من مناهله. ولما كان الغزو التتري انتقلت مراكز العلم والأدب من بغداد وبخارى^(٥) ونيسابور^(٦) والري^(٧) وقرطبة وأشبيلية^(٨) وغيرها من مراكز العلم في العصر العباسي إلى القاهرة^(٩) والإسكندرية^(١٠)

(١) انظر: ص ٢، من البحث.

(٢) وهي: مدينة عظيمة بالأندلس وسط بلادها وكانت سريراً لملكها، وبها كانت ملوك بني أمية، يُنسب إليها جملة وافرة من أهل العلم. انظر: الأنساب ٤/٤٧٢، مصدر سابق. معجم البلدان ٤/٣٢٤. المصدر السابق.

(٣) انظر: ص ٥، من البحث.

(٤) أمراء الشعر العربي في العصر العباسي. أنيس المقدسي ٥٨ ط. دار العلم للملايين. بيروت، وتاريخ الإسلام ٤/٤٠٣-٤٠٨. مصدر سابق.

(٥) انظر: ص ٤، من البحث.

(٦) نيسابور: بفتح أوله والعامية يسمونه نساوور، وهي مدينة عظيمة ذات فضائل جسيمة، معدن الفضلاء ومنبع العلماء لم أر فيما طوّقت من البلاد مدينة كانت مثلها. معجم البلدان ٥/٣٣١. مصدر سابق

(٧) انظر: ص ١٣، من البحث.

(٨) مدينة بالأندلس بقرب لبة كبيرة. تباينت بلاد الأندلس بكل فضيلة وامتازت عنها بكل مزية من طيب الهواء وعضوية الماء، وصحة التربة والزرع والضرع وكثرة الثمرات من كل نوع وصيد البر والبحر، بها زيتون أخضر يبقى مدة لا يتغير به حال ولا يعروه اختلال، وقد أخذ في الأرض طولاً وعرضاً فراسخ في فراسخ، ويبقى زيتته بعدويته أعواماً. وكذلك بها عسل كثير جداً وثين يابس. ينسب إليها الشيخ الفاضل محمد بن العربي الملقب بمحيي الدين. آثار البلاد وأخبار العباد ١/٢٠٣. مصدر سابق.

(٩) انظر: ص ٧، من البحث.

(١٠) انظر: ص ١١، من البحث.

وأسيوط^(١) والفيوم^(٢) ودمشق^(٣) وحمص^(٤) وحلب^(٥) وحماة^(٦) وغيرها من مدائن مصر^(٧)

والشام^(٨) وهما في حوزة سلاطين المماليك ومن بقي من ملوك الأيوبيين، وقد كانت

الملجأ الوحيد لأبناء اللسان العربي في فرارهم من وجه المغول^(٩) بعد أخذهم لخراسان

وفارس والعراق، فنبت فيهما معظم شعراء ذلك العصر وأدبائه وأطبائه وسائر رجال

العلم.

(١) مدينة في غربي النيل من نواحي الصعيد في مستوى، كثيرة الخيرات عجيبة المنتزهات، وعجائب عماراتها وصورها مما يرى لا مما يذكر. ولما صورت الدنيا للرشد لم يستحسن غير كورة اسيوط، لكثرة ما بها من الخيرات والمنتزهات. فيها سبع وخمسون كنيسة للنصارى. ومن عجائبها ان بها ثلاثين ألف فدان، ينشر ماؤها في جميعها وإن كان قليلاً لاستواء سطح أرضها، ويصل الماء إلى جميع أقطارها. وبها الأفيون المصري الذي يحمل إلى سائر البلاد، وهو عصارة ورق الخشخاش الأسود والخس. وبها سائر أنواع السكر ومنها يحمل إلى جميع الدنيا. وبها مناسج الديبقي والثياب اللطيفة التي لا يوجد مثلها في شيء من البلاد. آثار البلاد وأخبار العباد ٥٨/١. المصدر السابق.

(٢) ناحية في غربي مصر في منخفض من الأرض والنيل مشرف عليها. ذكر ان يوسف الصديق، عليه السلام، لما ولي مصر ورأى ما لقي أهلها من القحط، وكان الفيوم يومئذ بطيحة تجتمع فيها فضول ماء الصعيد، أوحى الله تعالى إليه أن احفر ثلاثة خلج: خليجاً من أعلى الصعيد، وخليجاً شرقياً، وخليجاً غربياً، كل واحد من موضع كذا إلى موضع كذا. فأمر يوسف العمال بها فخرج ماؤها من الخليج الشرقي وانصب في النيل، وخرج من الخليج الغربي وانصب في الصحراء ولم يبق في الجوبة ماء، ثم أمر الفعلة بقطع ما كان بها من القصب والطرفاء فصارت الجوبة أرضاً نفية، ثم ارتفع ماء النيل فدخل خليجها فسقاها من خليج أعلى الصعيد، فصارت لجة من النيل، كل ذلك في سبعين يوماً. فخرج وأصحابه فرأوا ذلك وقالوا: هذا عمل ألف يوم، فسمي الموضع الفيوم. ثم صارت تزرع كما تزرع أرض مصر. آثار البلاد وأخبار العباد ٩٤/١. مصدر سابق.

(٣) انظر: ص ٦، من البحث.

(٤) مدينة بأرض الشام حصينة، أصح بلاد الشام هواء وترية. وهي كثيرة المياه والأشجار ولا يكاد يلدغ بها عقرب أو تنهش حية. ولو غسل ثوب بماء حمص لا يقرب عقرب لابسه إلى أن يغسل بماء آخر. وأهلها موصوفون بالجمال المفرط والبلاهة؛ ومن العجب أنهم كانوا أشد الناس على علي، عليه السلام، فلما انقضت تلك الأيام صاروا من غلاة الشيعة، حتى ان في أهلها كثيراً ممن يرى مذهب النصيرية وأصلحهم الامامية السبابة. وأما حكومة قاضي حمص فمشهورة: ذكر أنه تحاكم إليه رجل وامرأة، فقالت المرأة: هذا رجل أجنبي مني وقد قبلني، فقال القاضي: قومي إليه وقبليه كما قبلك! فقالت: عفوت عنه! فقال لها: مري راشدة. وبها قبر خالد بن الوليد، عليه السلام، آثار البلاد وأخبار العباد ٧٣/١. المصدر السابق.

(٥) مدينة عظيمة كثيرة الخيرات طيبة الهواء صحيحة التربة. لها سور حصين وقلعة حصينة. قال الزجاجي: كان الخليل، عليه السلام، يحلب غنمه بها ويتصدق بلبنها يوم الجمعة فيقول الفقراء: حلب، فسميت بذلك، ولقد خص الله تعالى هذه المدينة ببركة عظيمة من حيث يزرع في أرضها القطن والسوسم والبطيخ والخيار والدخن والكرم والمشمش والتفاح والتين عذياً يسقى بماء المطر، فيأتي غصناً رويماً يفوق ما يسقى بالسبح في غيرها من البلاد. آثار البلاد وأخبار العباد ٧٢/١. المصدر السابق.

(٦) مدينة حماة إحدى أمهات الشام الرفيعة، ومدائنها البديعة، ذات الحسن الرائق، والجمال الفائق، تحفها البساتين والجنات، عليها النواعير كالأفلاك الدائرات، يشقها النهر العظيم المسمى بالعاصي. ولها روض سمي بالمنصورية أعظم من المدينة، فيه الأسواق الحافلة، والحمامات الحسان، وبحماة الفواكه الكثيرة ومنها المشمش اللوزي، إذا كسرت نواته وجدت في داخلها لوزة حلوة. قال ابن جزي: وفي هذه المدينة ونهرها ونواعيرها وبساتينها. رحلة ابن بطوطة ٢٨/١. ل ابن بطوطة مصدر الكتاب : موقع الوراق

<http://www.alwarraq.com>

(٧) انظر: ص ٣، من البحث.

(٨) انظر: ص ٣، من البحث.

(٩) انظر: ص ٣، من البحث.

وقد قُلَّتْ المكتبات الكبرى بسبب حرقها وإغراقها على أيدي النصارى^(١)، فقد أحرق جنكيز خان^(٢) من المكتبات في بخارى^(٣) ونيسابور وغيرهما من مراكز العلم في فارس ما لا يحصى، وأتلف هولوكو^(٤) كتب العلم في بغداد^(٥).

أما المدارس فقد كثرت في مصر^(٦) والشام^(٧) وأهمها في القاهرة^(٨) ودمشق^(٩)، وأول من أنشأ المدارس في الشام السلطان نور الدين زنكي^(١٠)، واقتدى به من جاء بعده من الملوك والسلطين. واختلفت المدارس حسب مذاهبها وأغراضها للتفسير أو الحديث أو الفقه للشافعية أو الحنفية أو المالكية أو الحنابلة أو الطب أو الفلسفة أو الرياضيات، وتخرج من هذه المدارس الإسلامية طائفة كبيرة من العلماء، ومن أشهر المدارس الإسلامية بالقاهرة الأزهر الشريف الذي أصبح جامعة يتلقى فيها طلاب العلم مختلف العلوم والفنون كالتوحيد والفقه واللغة والنحو والبيان والطب وغير ذلك من العلوم^(١١).
ومن مدارس بلاد ما وراء النهر^(١٢) - موطن النسفي - المدرسة الأتابكية^(١٣)

(١) انظر: ص ٥، من البحث.

(٢) انظر: ص ٤، من البحث.

(٣) انظر: ص ٤، من البحث.

(٤) انظر: ص ٥، من البحث.

(٥) انظر: ص ٢، من البحث.

(٦) انظر: ص ٣، من البحث.

(٧) انظر: ص ٣، من البحث.

(٨) انظر: ص ٧، من البحث.

(٩) انظر: ص ٦، من البحث.

(١٠) قال ابن كثير -رحمه الله- في ترجمة نور الدين زنكي: "كان مجاهداً في الفرنج أمراً بالمعروف، ناهياً عن المنكر، محباً للعلماء والفقراء والصالحين، مبعضاً للظلم، صحيح الاعتقاد مؤثراً لأفعال الخير، ولا يجسر أحد أن يظلم أحداً في زمانه، وكان قد قمع المناكر وأهلها، ورفع العلم والشرع، وكان مدمناً لقيام الليل، إلى أن قال: قال ابن الجوزي: استرجع نور الدين محمد بن زنكي -رحمه الله تعالى- من أيدي الكفار نيفاً وخمسين مدينة". البداية والنهاية للحافظ ابن كثير ٣٨٧/١٢، دار الفكر العربي.

(١١) تاريخ آداب اللغة العربية. جرجي زيدان ١١٦/٢-١٢١. ط. دار مكتبة الحياة بيروت والنسفي وآراؤه العقدية نائلة المشهوروي ٤-٨ رسالة ماجستير مقدمة إلى معهد الدعوة وأصول الدين، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، (١٤١٦ هـ ١٩٩٥ م).

(١٢) انظر: ص ٤، من البحث.

(١٣) المدرسة الأتابكية - أنشأها شهاب الدين طغرل الأتابك عتيق الملك الظاهر غياث الدين غازي نائب السلطنة بقلعة حلب ومدبر الدولة بعد وفاة معتقه. انتهت عمارتها في سنة ثمان عشرة وستمئة. وأول من درس فيها الشيخ الإمام جمال الدين خليفة بن سليمان بن خليفة القرشي الحوراني الأصل ولم يزل بها إلى أن توفي في الرابع والعشرين من شوال سنة ثمان وثلاثين وستمئة وكان فقيهاً عالماً تفقه إلى علاء الدين الكاساني ووليها من بعده مجد الدين عبد الرحمان بن كمال الدين بن العديم ولم يزل بها إلى أن خرج من حلب فراراً من التتر إسوة بأهل بلده وأحرقت في زمان التتر وهي دائرة الآن. - الكتاب: الأعلاق الخطيرة، في ذكر أمراء الشام و الجزيرة ٤٠/١، ل ابن شداد، المصدر، موقع الوراق، <http://www.alwarraq.com>.

في بلدة إيذج^(١)، والمدرسة المقتدائية بـكـلاباذ^(٢) والتي تم بناؤها سنة ٦٧٠هـ،
والمدرسة القطبية^(٣) السلطانية في مدينة برد وشهر - كرمان -^(٤) وفي هاتين الأخيرتين
درس مفسرنا الإمام النسفي - رحمه الله -^(٥).

ومع هذه النهضة العلمية، إلا أننا نجد أنه قد غلبت عليها سمة الجمع والشرح لا
الابتكار، فقد كثرت فيه الموسوعات والمجموعات والمعاجم مثل:

- موسوعة نهاية الأرب لشهاب الدين أحمد النوري ت ٧٣٢هـ.
- موسوعة لسان العرب لابن منظور ت ٧١١هـ.
- وفيات الأعيان لابن خلكان ت ٦٨١هـ وهو معجم تاريخي.

(١) إيذج: بلد بين خوزستان وأصبهان من قرى سمرقند عند الجبل كثيرة الزلازل وبها معادن كثيرة. معجم البلدان ١/٤٣٢. مصدر سابق.

(٢) محلة من محال بخارى، ينسب إليها أبو نصر أحمد بن محمد بن الحسين الحافظ الكلاباذي، له كتاب " الهداية والارشاد، في معرفة أهل الفقه والساد " الذين أخرجهم البخاري في جامعه. الروض المعطار في خبر الأقطار ١/٤٩٤. ل محمد بن عبد المنعم الجميري تحقيق، إحسان عباس ط ٢ مؤسسة ناصر للثقافة -بيروت - طبع على مطابع دار السراج، ١٩٨٠، م معجم البلدان ٤/٥٣٦. مصدر سابق.

(٣) المدرسة القُطبية: بناها قطب الدين خسرو بن بلبل بن شجاع الهدباني في سنة ٥٧٠هـ. ١١٧٤. وجعلها وقفاً على الفقهاء الشافعي. المقرئزي، المواعظ والاعتبار. ٢/٣٦٥. ل المقرئزي موقع الوراق <http://www.alwarraq.com> [الكتاب مرقم آليا غير موافق للمطبوع]

(٤) كرمان: مدينة في إيران مركز تجاري هام شهر بصناعة الأنسجة القطنية والصوفية والسجاد. معجم البلدان ٤/٥١٥. مصدر سابق. وأطلس التاريخ العربي والإسلامي ١٩. مصدر سابق.

(٥) النسفي وأراؤه العقديّة ٧-٨. ل نائلة المشهراوي، رسالة ماجستير مقدمة إلى معهد الدعوة وأصول الدين جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية قسنطينة.

المبحث الثاني: ترجمته

المطلب الأول: اسمه وكنيته ونسبته:

هو الإمام الفقيه المتكلم الأصولي المفسر حافظ الدين عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي أبو البركات، أحد الزهاد العلماء العاملين^(١). ينسب إلى نسف - بفتح النون والسين - ببلاد السند وهي من بلاد ما وراء النهر^(٢) بين جيحون^(٣) وسمرقند^(٤)، وتعرف اليوم باسم (قرش) أي القصر. سماها العرب في القرون الوسطى (نسف) والفرس (نخشب)، لها قرى كثيرة والغالب على أرضها الخصب، وهي مدينة لها أربعة أبواب، تقع على مدرج بخارى^(٥) وبلخ^{(٦)(٧)} ذكرها أبو تمام حبيب بن أوس في قصيدة يقولها للمعتصم^(٨)

تهابُ الرومُ في معاقلها والترك تخشاك من وراء نَسَفٍ^(٩)

(١) الأعلام. خير الدين الزركلي ٦٧/٤. مصدر سابق. وكشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون. للعلامة مصطفى ابن عبدالله القسطنطيني الرومي المعروف بحاجي خليفة ٥٢٨/٢ ط دار الفكر.

(٢) انظر: ص ٤، من البحث.

(٣) جيحون: نهر طوله ٢، ٥٤٠ كم ينبع من جبال يامير (الهند) ويصب في بحر آر معجم البلدان ٢٨٨/٢ والمنجد في اللغة والأعلام ٦٥، وأطلس التاريخ العربي والإسلامي ١٩. مصدر سابق،

(٤) انظر: ص ٥، من البحث.

(٥) انظر: ص ٤، من البحث.

(٦) معجم البلدان ٣٢٩/٥، مصدر سابق. واللباب في تهذيب الأنساب لعز الدين بن الأثير ٣٠٨/٣ ط دار صادر بيروت.

(٧) بلخ مدينة مشهور بخراسان وأشهرها ذكرا وأكثرها خيرا وبينها وبين ترمذ اثنا عشر فرسخا، ويقال لنهر جيحون نهر بلخ، معجم البلدان ١/٤٧٩-٤٨٠؛ مصدر سابق. ومراصد الاطلاع ١/٢١٧. ل عبد المؤمن بن عبد الحق، ابن شمائل القطيعي البغدادي، الحنبلي، صفى الدين (المتوفى: ٧٣٩هـ) ط ١ دار الجيل، بيروت ١٤١٢ هـ. أصول الدين عند الإمام أبي حنيفة ١/١١٨. ل محمد بن عبد الرحمن الخميس ط دار الصميعي، المملكة العربية السعودية.

(٨) الأنساب. للإمام السمعاني ٤٨٦/٥. مصدر سابق.

(٩) هكذا ذكره السمعاني ولم أعثر عليه في ديوان أبي تمام.

خرج منها الكثير من العلماء منهم أبو إسحق إبراهيم بن معقل بن الحجاج النسفي^(١)، الذي جمع السنة والتفسير. . ويكنى النسفي (بأبي البركات) ويلقب (حافظ الدين) واللقب الشائع عليه هو: النسفي، وعلى هذا فهو:
أبو البركات حافظ الدين عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي.

المطلب الثاني: مولده ونشأته

اكتفت كتب التراجم بذكر اسمه وكنيته ولقبه ومؤلفاته، ولم تذكر لنا ولادته. والمصدر الوحيد الذي ذكر لنا تاريخ ولادته هو (الموسوعة العربية الميسرة)^(٢) بإشراف محمد شفيق غربال وهو (١٢٣٢ - ١٣١٠) بالتقويم الميلادي ويكون بالحساب الهجري (٥٦٣٠هـ).

أما نشأته وأسرته فلا يعرف عنها شيء إلا ما جاء في كشف الأسرار شرح المصنف على المنار ما يشير أن والده كان صالحاً متعلماً:

(ابن الإمام الكبير السعيد حميد الملة والدين أحمد بن محمود النسفي)^(٣)

وقد يرجع هذا الفقر الشديد في المصادر التي تتحدث عنه إلى الاضطرابات والفتن التي عاشها العالم الإسلامي في ذلك الوقت بسبب غزو التتار^(٤)، الذين أحرقوا الكتب والمكتبات والمساجد ودور العلم، حتى أصبحت بخارى^(٥) أثراً بعد عين.

(١) هو الحافظ العلامة أبو إسحاق النسفي قاضي نسف وعالمها ومصنف المسند الكبير والتفسير وغير ذلك قال الخليلي هو حافظ ثقة مات سنة ٢٩٤. تذكرة الحفاظ/٢/٦٨٦، للإمام شمس الدين محمد الذهبي، ط . دار الكتب العلمية، بيروت لبنان. ومعجم المؤلفين ١/١١٥، لعمر كحالة، ط مكتبة المثنى بيروت. وفتح الباري ١/٥. لابن حجر العسقلاني، ط. المكتبة السلفية.

(٢) الموسوعة العربية الميسرة بأشراف محمد شفيق غربال ١٨٣٣/٢ ط. دار إحياء التراث العربي بيروت لبنان.

(٣) النسفي وآراؤه العقديّة ١٢. مصدر سابق.

(٤) انظر: ص ٥، من البحث.

(٥) انظر: ص ٤، من البحث.

المطلب الثالث: وفاته

اختلف المترجمون في تحديد السنة التي توفي فيها النسفي إلى ثلاثة أقوال:

١. قيل إنه توفي سنة ٧٠١هـ^(١)

٢. وقيل إنه توفي سنة ٧١٠هـ^(٢)

٣. وقيل إنه توفي سنة ٧١١هـ^(٣)

أما القول الأول فترده الروايات التي تذكر أنه دخل بغداد^(٤) سنة ٧١٠هـ^(٥)

وعلى هذا فتكون وفاته ما بين (٧١٠-٧١١هـ).

وكان ذلك ليلة الجمعة من شهر ربيع الأول في بلدة إيدج من كور^(٦)

أصبهان ودفن فيها^(٧).

(١) كشف الظنون ٥٢٨/٢. مصدر سابق. والدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة شيخ الإسلام أحمد بن علي الشهير بابن حجر العسقلاني ٢/٢٤٧. ط دار الجيل بيروت، والتفسير والمفسرون. محمد حسين الذهبي ١/٣١٢ ط مكتبة وهبة. القاهرة.

(٢) الأعلام ٤/٦٧. وكشف الظنون ٢/٦٦٢. ومعجم المؤلفين. ٣/٣٢. والموسوعة العربية العالمية ٢٥/٣٣٣. مصادر سابقة. والطبقات السنية في تراجم الحنفية للمولى تقي الدين بن عبد القادر التميمي الداري الغزي ٤/٥٤. ط دار الرفاعي. الرياض، وهجر. إمبابة. القاهرة.

(٣) كشف الظنون ٢/١٦٧٥. مصدر سابق.

(٤) انظر: ص ٢، من البحث.

(٥) تاج التراجم في طبقات الحنفية. للشيخ أبي العدل زين الدين بن قطوبغا ٣٠ ط العاني. بغداد.

(٦) كور جمع كوره وهي البقعة التي تجتمع فيها المساكن والقرى، المنجد ٢٠٢، مصدر سابق.

(٧) الدرر الكامنة ٢/٢٤٧، مصدر سابق. والأعلام ٤/٦٧، مصدر سابق.

المبحث الثالث: حياته العلمية

المطلب الأول: رحلاته في طلب العلم

نشأ الإمام النسفي في بخارى^(١) وتعلم في مدارسها، ومن المدارس التي تعلم فيها المدرسة المقتدائية (بكلاباذ). وكان له أيضاً دورٌ في نشر العلم بها بدليل قوله في الاعتماد شرح العمدة^(٢).

"وقد حكى لي متعلم زاهد كان يختلف إلى في بخارى. . . ."

كان للنسفي أيضاً رحلات في طلب العلم بدليل قوله : (ورأيت المصلين ببخارى وغيرها من بلاد الإسلام. . .)^(٣)

ولم تذكر لنا كتب التراجم شيئاً عن هذه الرحلات إلا رحلة واحدة إلى بغداد^(٤) سنة ٧١٠هـ^(٥) أي في نهاية أيامه.

المطلب الثاني: شيوخه وتلاميذه

أخذ العلم عن أئمة العلماء في زمانه نذكر منهم:

شيوخه:

١. شمس الأئمة الكردي:

هو أستاذ الأئمة، والموفود عليه من الآفاق محمد بن عبد الستار بن محمد العمادي الكردي الحنفي البراتقيني، قرأ بخوارزم على برهان الدين ناصر بن عبدالسيد المطرزي^(٦) مؤلف "شرح المقامات"

(١) انظر: ص ٤، من البحث.

(٢) الاعتماد شرح العمدة. عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي (مخطوط) مصور عن دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة برقم (٨٨١١٨/٥٧٥٥)

(٣) النسفي وأراؤه العقديّة ١٣، مصدر سابق.

(٤) انظر: ص ٢، من البحث.

(٥) تاج التراجم ٣٠. مصدر سابق.

(٦) ناصر بن عبدالسيد بن علي المطرزي الخوارزمي أبو الفتح بن أبي المكارم كان عالماً باللغة والنحو والآداب وصنف في اللغة والعربية قرأ على أبيه وعلى المؤيد المكي خطيب خوارزم ودخل بغداد سنة إحدى وستمئة حاجاً وحدث بمصنفاته وكان حنفياً معتزلياً داعيةً ومن تصانيفه المغرب وشرح المقامات الحريرية توفي سنة عشر وستمئة. البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة ١/٧٩. محمد بن يعقوب الفيروزآبادي ط ١ جمعية إحياء التراث الإسلامي الكويت، ١٤٠٧هـ تحقيق: محمد المصري.

وتفقه بسمرقند^(١) على شيخ الإسلام برهان الدين علي بن أبي بكر بن عبد الجليل المرغيناني^(٢) وسمع منه، وتفقه ببخارى^(٣) على العلامة بدر الدين عمر بن عبد الكريم الورسكي^(٤)، وأبي المحاسن حسن بن منصور قاضي خان^(٥)، وجماعة، ورحلوا إليه إلى بخارى منهم: ابن أخيه العلامة محمد بن محمود الفقيهي^(٦)، والشيخ سيف الدين الباخري^(٧)، وتفقه عليه خلق كثير منهم الإمام أبو البركات النسفي وخواهر زادة وفخر الدين المايمرغي^{(٨)(٩)}.

(١) انظر: ص ٥، من البحث.

(٢) المرغيناني ٥٣٠ - ٥٩٣ هـ هو علي ابن ابي بكر عبد الجليل الفرغاني المرغيناني برهان الدين. نسبته الي (مرغينان) وهي مدينة من فرغانه وراء سيحون وحيجون. من أكابر فقهاء الحنفية. وكتابه (الهداية شرح بداية المبتدي) مشهور يتداوله الحنفية من تصانيفه أيضاً (منتهي الفروع)؛ و(ومختارات النوازل). [الجواهر المضية ٣٨٣/١؛ والفوائد البهية ص ١٤١؛ والاعلام للزركلي ٧٣/٥ . ملاحق تراجم الفقهاء الموسوعة الفقهية ٧٣/١١، سير أعلام النبلاء ط الحديث ١٥ / ٣٨٦.

(٣) انظر: ص ٤، من البحث.

(٤) عمر بن عبد الكريم الورسكي، البخاري (بدر الدين) فقيهه. (.. - ٥٩٤ هـ) (.. - ١١٩٨ م) توفي ببلخ. من تصانيفه: شرح علي كتاب الصدر ابن مازة على ترتيب الدباس للجامع الصغير للشيباني في فروع الفقه الحنفي. معجم المؤلفين ٧ / ٢٩٣ مصدر سابق.

(٥) هو العلامة شيخ الحنفية، أبو المحاسن حسن بن منصور بن محمود البخاري الحنفي، الأوزجندي. سمع الكثير من الإمام ظهير الدين الحسن بن علي بن عبد العزيز. ومن إبراهيم بن عثمان الصفاري وطائفة. روى عنه: العلامة جمال الدين محمود بن أحمد الحصري، أحد تلامذته. بقي إلى سنة تسع وثمانين وخمس مائة، فإنه أُملى في هذا العام. سير أعلام النبلاء ط الحديث ١٥ / ٣٨٦ (٦) لم أجد له ترجمة غير ما ذكر.

(٧) الباخري أبو الحسن علي بن الحسن بن علي أبي الطيب الباخري العلامة، الأديب، صاحب (دمية القصر) ، الشاعر، الفقيه الشافعي. تفقه بأبي محمد الجويني، ثم برع في الإنشاء والآداب، وسافر الكثير، وسمع الحديث، سير أعلام النبلاء ط الرسالة ١٨ / ٣٦٣ مصدر سابق.

(٨) بفتح الميم، وسكون الالف، والياء المثناة من تحتها، وفتح الميم الثانية، وسكون الراء، وكسر الغين المعجمة، هذه النسبة إلى ما يمرغ، وهي قرية كبيرة على طريق بخارى من نواحي نخشب. المصدر السابق ١٩ / ٣٠٧.

(٩) المصدر السابق ٢٣ / ١١٣.

ولد سنة ٥٥٩هـ، وتوفي ببخارى^(١) في محرم سنة ٦٤٢هـ، ودفن عند الإمام عبدالله بن محمد بن يعقوب الحارثي^{(٢)(٣)}.

٢. خواهر زادة:

هو العلامة بدر الدين محمود بن عبدالكريم الكردي المعروف بخواهر زادة، وهو ابن أخت شمس الأئمة محمد بن عبد الستار الكردي وقد تربي عند خاله. تفقه على يديه الإمام النسفي، وقد أشار إليه النسفي في كتابه (المستصفي في المستوفى شرح النافع في فروع الفقه الحنفي) (في مسألة اعتبار الرأس من الحلقوم إلى فوق، وقال: "وهذا وجه حسن واستدلال لطيف لم أسمع من أحد سواه"^(٤)

٣. حميد الدين الضرير البخاري^(٥)

علي بن محمد بن علي الإمام حميد الدين الرامشي البخاري الضرير الحنفي الفقيه المتوفى سنة ٦٦٦هـ، من تأليفه:

(١) شرح أصول البزدوي.

(٢) شرح الجامع الكبير للشيباني في الفروع.

والدليل على تتلمذ الإمام النسفي على حميد الدين الضرير قوله: "قد رفع حجاب شيوخنا العلامة حميد الدين، فأشار إلى ذلك ما يليق بذكره من الكتب المبسطة تتماماً للفائدة"^(٦)

(١) انظر: ص ٤، من البحث.

(٢) الشيخ، الإمام، الفقيه، العلامة، المحدث، عالم ما وراء النهر، أبو محمد الأستاذ عبد الله بن محمد بن يعقوب بن الحارث بن خليل الحارثي، البخاري، الكلاباذي، الحنفي، المشهور: بعبد الله الأستاذ. مولده: في سنة ثمان وخمسين ومائتين. سير أعلام النبلاء ١٥ / ٤٢٤، مصدر سابق.

(٣) النسفي وآراؤه العقيدية ١٧. مصدر سابق.

(٤) المصدر السابق ٢٣ / ١١٢. طبقات المفسرين، دلال الدين السيوطي ٢٢. ط. دار الكتب العلمية، بيروت لبنان.

(٥) كشف الظنون ٥ / ٥٧٠. مصدر سابق. معجم المؤلفين ٢ / ٤٩١. مصدر سابق.

(٦) النسفي وآراؤه العقيدية ١٧. مصدر سابق.

٤. العتابي^(١)

أحمد بن محمد بن عمر العتابي زاهد الدين أبو نصر البخاري الحنفي، المتوفى سنة ٥٨٦هـ من تصانيفه:

(١) تفسير القرآن.

(٢) جوامع الفقه ويعرف بالفتاوى العتابية.

تلاميذه :

تتلمذ على يدي الإمام النسفي خيار العلماء، نذكر منهم اثنين تيسر لنا معرفتهم من خلال كتب التراجم وهما:

١. الإمام السِغْنَاقي^(٢)

هو الحسين بن علي بن حجاج بن علي السِغْنَاقي بكسر السين وسكون الغين المعجمة، حسام الدين الفقيه الحنفي نزيل حلب والمتوفى بها سنة ٧١١هـ من تصانيفه:

أ. التسديد في شرح التمهيد.

ب. الكافي في شرح أصول البزدوي.

وقد سمع من النسفي وأخذ عنه^(٣)

٢. ابن الساعاتي^(٤)

أحمد بن علي بن ثعلب بن أبي الضياء البعلبكي، البغدادي الأصل والمنشأ من كبار فقهاء الحنفية يعرف بالساعاتي لكون أبيه عمل الساعات المشهورة على باب المستنصرية توفي سنة ٦٩٤هـ من تصانيفه:

(١) كشف الظنون ٥/٧٥٠، مصدر سابق. وطبقات المفسرين ٢١. مصدر سابق.

(٢) المصدر السابق ٥/٢٨٥.

(٣) الدرر الكامنة ٢/٢٤٧. مصدر سابق.

(٤) كشف الظنون ٥/٨٥. مصدر السابق.

أ. بديع النظام الجامع بين كتابي البزدوي والأحكام.

ب. الدر المنضود في الرد على ابن كمونة فيلسوف اليهود.

المطلب الثالث: عقيدته ومذهبه الفقهي

أولاً: عقيدته:

شهدت الفترة من النصف الثاني للقرن الثالث الهجري، والنصف الأول من القرن الرابع الهجري نشاطاً فكرياً، بعد ظهور الفرق الإسلامية المخالفة للسنة والجماعة كالمعتزلة، فقام فريق من العلماء يدافع عن آراء أهل السنة بالأدلة العقلية والنقلية، فظهر الأشعري^(١) قلب عاصمة الخلافة الإسلامية، وفي مصر^(٢) ظهر أبو جعفر الطحاوي^(٣)، وفي بلاد ما وراء النهر^(٤) ظهر أبو منصور الماتريدي^(٥) مؤسس المدرسة الماتريدية والتي ترجع جذورها إلى الإمام أبي حنيفة^{(٦)(٧)}.

أما مفسرنا- الإمام النسفي - فهو ينتسب إلى هذه المدرسة، فكثيراً ما نجده يستشهد بأقوال أبي منصور الماتريدي^(٨) بالإضافة إلى كونه حنفي المذهب فهذا يعني أنه

(١) هو أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري إمام أهل السنة وشيخهم شافعي المذهب، من تأليفه (مقالات الإسلاميين) و (الإنباء) في أصول الديانة ت ٣٢٤ هـ. الأعلام ٢٦٣/٤. مصدر سابق.

(٢) انظر: ص ٣، من البحث.

(٣) أبو جعفر أحمد بن محمد الأزدي الطحاوي الإمام المحدث الفقيه الحافظ، من مصنفاته (العقيدة الطحاوية) و (مشكل الآثار) و (أحكام القرآن) ت ٣٢١ هـ. شرح العقيدة الطحاوية. ابن أبي العز الحنفي ١٧ ط المكتب الإسلامي، والأعلام ٢٠٦/١. المصدر السابق.

(٤) انظر: ص ٤، من البحث.

(٥) أبو منصور الماتريدي هو محمد بن محمود الماتريدي، إمام من أئمة أهل السنة برع في علم الكلام وألف فيه (كتاب التوحيد) و (كتاب المقالات) و (كتاب تأويلات القرآن) وهو حنفي المذهب، ت ٣٣٣ هـ. الأعلام ١٩/٧. المصدر السابق.

(٦) أبو حنيفة النعمان بن ثابت بن زوطا بن ماه، مولى لقيم الله ابن ثعلبة: ولد سنة ثمانين ومات ببغداد سنة خمسين ومائة وهو ابن سبعين سنة، طبقات الفقهاء، محمد بن جلال الدين المكرم (ابن منظور)، ط ١، دار الرائد العربي، (١٩٧٠م)، بيروت، لبنان، ٨٦/١.

(٧) الفرق الإسلامية الكلامية د. عبد الفتاح المغربي ٢٦٧، ٣٢٨. مكتبة وهبة، و أثر التطور الفكري في التفسير في العصر العباسي د. مساعد مسلم آل جعفر ٣٠٢ مؤسسة الرسالة.

(٨) تفسير النسفي، عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي، ٢٢٦/١، ٢٦٦/١، ٢٨٠/١، ٣٦٢/١، ٤١٣/١، ٤٣٨/١، ٤٦١/١، ٤٧٢/١، ٥٥٢/١، ٥٧٢/١، ٦٢٧/١ ط دار الكتب العلمية، بيروت لبنان.

ماتريدي العقيدة، ذلك أن الماتريدي حنفي المذهب، وبالمقابل فإن الأشعري في الغالب شافعي المذهب^(١) وبالنظر في تفسيره نجد أنه زاخر بالدفاع عن عقيدة أهل السنة والجماعة، مع الرد على الفرق المخالفة لهم كالمعتزلة^(٢) والكرامية^(٣) والجهمية^(٤) والثوية^(٥) والمرجئة^(٦) والباطنية^(٧) والروافض^(٨)، وهذه نماذج من تفسيره تؤكد ذلك:

(١) النسفي وآراؤه العقديّة ٣٣، مصدر سابق.

(٢) المعتزلة هي إحدى الفرق التي خالفت أهل السنة والجماعة، ورأس هذه الفرقة وأول من تكلم بأصولهم هو واصل بن عطاء، ويسمون أصحاب العدل والتوحيد ويلقبون بالقدرية، وسموا بذلك اعتزالهم أقوال أهل السنة ومفارقة ما يعتقدون، وقيل غير ذلك والمعتزلة فرق شتى اختلفت فيما بينها إلى عشرين فرقة، ولهم أصول خمسة جعلوها بمنزلة أركان الإيمان عند أهل السنة، وهي التوحيد والعدل والمنزلة بين المنزليين والوعد والوعيد، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. ينظر: الفرق بين الفرق ص: ٩٣ لـ عبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادي أبو منصور ط دار الآفاق الجديدة - بيروت الطبعة الثانية، ١٩٧٧، والملل والنحل حاشية الفصل في الملل والنحل ٥٤/١ لـ أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني (المتوفى: ٥٤٨هـ) ط مؤسسة الحلبي. أقوال الحسين بن الفضل في التفسير ٦/١ رسائل جامعية من قسم القرآن جامعة الإمام

(٣) الكرامية: أصحاب أبي عبد الله محمد بن كزّام، وهو ممن يثبت الصفات إلا أنه ينتهي إلى التجسيم والتشبيه، وهم طوائف بلغ عددهم إلى اثنتي عشرة فرقة، وهم يزعمون أنّ الإيمان هو الإقرار والتصديق باللسان دون القلب، وأنكروا أن تكون معرفة القلب أو شيء غير التصديق باللسان إيماناً. مقالات الإسلاميين ٢٢٣/١ اختلاف المصلين لـ علي بن إسماعيل الأشعري أبو الحسن ط ٣ دار إحياء التراث العربي - بيروت تحقيق: هلموت ريتز. والملل والنحل المصدر السابق. ١٤٤/١ أقوال الحسين بن الفضل في التفسير ١ / ٤٠ المصدر السابق.

(٤) انظر: البحث الصفحة التالية

(٥) الثنوية وهم فرقة من المجوس، ومن الفرق بينهم وبين المجوسية الأصلية أن الثنوية يقولون بإثبات أصلين مدبرين قديمين يقتسمان الخير والشر والنفع والضرر والصلاح والفساد يسمون أحدهما النور والثاني الظلمة... أما المجوسية الأصلية فإنهم يقولون بالأصلين إلا أنهم يقولون لا يجوز أن يكون الأصلان قديمان بل النور أزلي والظلمة محدثة. الملل والنحل بهامش الفصل ٧٢/٢-٧٣. المصدر السابق. الانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار ٥٥/١٨ لـ يحيى بن أبي الخير العمراني ت ٥٥٨هـ. تحقيق سعود بن عبدالعزيز الخلف ط أضواء السلف الرياض ١٩٩٩م

(٦) المرجئة هي الأرجاء تأخير صاحب الكبيرة إلى القيامة فلا يقضي عليه علم ما في الدنيا من كونه من أهل الجنة أو من أهل النار وهم أصناف أربعة مرجئة الخوارج، ومرجئة القدرية، ومرجئة الجبرية، والمرجئة الخالصة. الملل والنحل. ٢٢٣/١. المصدر السابق.

(٧) الباطنية: لقب من ألقاب الشيعة الغالية الذين أظهروا الإسلام والتشيع، وأضرموا الكفر وهم دعاة ضلالة أرادوا هدم الإسلام فنسبتوا بالتشيع لآل البيت، وقد أضروا بالمسلمين من وقت ظهورهم إلى وقتنا الحاضر أضراراً بالغة في السر والعلن، وكانت لهم في بعض الأحيان والأقطار دول تغلبوا بها على الناس فأظهروا الكفر والإباحية والفجور وسفك دماء المسلمين، وهذا دينهم كلما تمكنوا وغلبوا على مكان في قلوبهم غل وحقد على الإسلام وأهله. وقد عني علماء المسلمين ببيان أساليبهم وفضح مؤامراتهم وخداعهم للمسلمين. الفرق بين الفرق: ٣١٢/٢٨١، المصدر السابق. الملل والنحل ١٦٧/١ - ١٩١، المصدر السابق. فرق الشيعة ٦٧ - ٧٦، لـ الحسن بن موسى النوبختي ط دار الأضواء بيروت ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرّة المضية في عقد الفرقة المرضية ٨٣/١، لـ شمس الدين، أبو العون محمد بن أحمد بن سالم السفاريني الحنبلي (المتوفى: ١١٨٨هـ) ط ٢ مؤسسة الخافقين ومكتبتها - دمشق ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م. الحركات الباطنية في العالم الإسلامي د. محمد أحمد الخطيب، عقيدة الدرور د. محمد أحمد الخطيب ص ١٣ - ١٧.

(٨) الروافض: هم المتشيعون لعليّ ﷺ وسموا روافض لرفضهم إمامة الشيخين وقد ادعى بعضهم الألوهية لعليّ ﷺ فأحرق. قوماً منهم ثم اختلفت الروافض بعد زمان عليّ ﷺ أربعة أصناف: زيدية، وإمامية، وكيسانية، وغلاة، واختلفت الزيدية فرقا، والإمامية فرقا، والغلاة فرقا كل فرقة منها تكفر سائرهما، وجميع فرق الغلاة منهم خارجون عن الإسلام أما فرقة الزيدية، فمعدودون في فرق الأمة. الفرق بين الفرق: ١٦. والملل والنحل: ١/٢٢٨، ٦٩، مصدران سابقان. العقائد. عمر عناية ١٣١ ط دار العصور.

١. رده على المعتزلة:

ف عند تفسيره لقوله ﴿وَأَتَقُوا يَوْمًا لَا يَجْرِي فِيهَا نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾^(١) يقول: "وتشبهت المعتزلة بالآية في نفي الشفاعة للعصاة مردود، لأن المنفي الكفار، وقد قال: الكليلة " شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي "^(٢).

٢. رده على الكرامية.

عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾^(٣) يقول: "والآية تنفي قول الكرامية أن الإيمان هو الإقرار باللسان لا غير لأنه نفى عنهم اسم الإيمان مع وجود الإقرار منهم، وتؤيد قول أهل السنة إنه إقرار باللسان وتصديق بالجنان"^(٤)

٣. رده على الجهمية^(٥)

فالجهمية يقولون بفناء الجنة وأهلها^(٦) لذا نجد النسفي عند تفسيره لقوله تعالى ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ سَعِدُوا ففِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءٌ غَيْرٌ مَّجْدُوزٍ﴾^(٧) يقول: " قيل كبرت الجهمية بأربع آيات:

(١) سورة البقرة: الآية ٤٨

(٢) رواه الترمذي رقم ٢٤٣٧ في صفة القيامة، باب ما جاء في الشفاعة، وأبو داود رقم ٤٧٣٩ في السنة، باب في الشفاعة، ورواه أيضاً ابن ماجة رقم ٤٣١٠ في الزهد، باب ذكر الشفاعة، وهو حديث صحيح. جامع الأصول ٤٧٦/١٠. جامع الأصول في أحاديث الرسول المؤلف: مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير (المتوفى: ٦٠٦هـ) تحقيق: عبد القادر الأنوروط - التتمة تحقيق بشير عيون ط ١ مكتبة الحلواني - مطبعة الملاح - مكتبة دار البيان

(٣) سورة البقرة الآية ٨

(٤) تفسير النسفي ٢٢/١. مصدر سابق.

(٥) الجهمية: هم أصحاب جهم بن صفوان وهو من الجبرية الخالصة ظهرت بدعته بترمد، وافق المعتزلة في نفي بعض الصفات الأزلية وزاد عليهم بأشياء، وقالوا لا قدرة للعبد أصلاً لا مؤثرة ولا كاسبة بل هو بمتزلة الجمادات، الملل والنحل ١١٣/١. المصدر السابق.

(٦) تفسير النسفي ٣٨/١. مصدر سابق.

(٧) سورة هود الآية ١٠٨

﴿عَطَاءٌ غَيْرٌ مَّجْدُودٌ﴾ ﴿أَكَلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا﴾^(١) ﴿مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ﴾^(٢) ﴿لَا مَقْطُوعَةَ وَلَا مَمْنُوعَةَ﴾^(٣)

٤. رده على المرجئة:

ف عند تفسيره لقوله تعالى ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾^(٤) (فيه رد على المرجئة في قولهم: "لا يضر مع الإيمان ذنب ولا يعذب بالنار أصلاً وعندنا غير الكافرين قد يدخلوها ولكن عاقبة أمره الجنة")^(٥).

هذا إلى جانب رده على الباطنية^(٦) والروافض^(٧) ورغم أن كلاً من الأشاعرة^(٨) والماتريدية من أهل السنة والجماعة إلا أننا نجد أن هناك خلافاً بينهم في بعض المسائل الكلامية مثل^(٩):

(١) كلام الله - تعالى - هل هو مسموع أو غير مسموع:

ف ترى الماتريدية أن كلام الله لا يسمع إنما هو عبارة عنه بينما يرى الأشاعرة جواز سماع كلام الله تعالى.

(٢) دور العقل في التحسين والتقييح:

فقال به الماتريدية وأن العقل يدركهما، ومنع الأشاعرة ذلك، وقالوا: إنما يتم التحسين والتقييح بالشرع لا بالعقل.

(٣) تكليف ما لا يطاق:

(١) سورة الرعد الآية ٣٥

(٢) سورة النحل الآية ٩٦

(٣) سورة الواقعة الآية ٣٣

(٤) سورة آل عمران: الآية ١٣٢

(٥) تفسير النسفي ١/٢٠٣.

(٦) المصدر السابق ١/٢٢١.

(٧) المصدر السابق ٢٦٨.

(٨) نسبة إلى علي بن إسماعيل بن إسحاق المشهور بأبي الحسن الأشعري. رحمه الله. وأهم عقائدها: نفي جميع الصفات إلا سبباً، والقول أن أفعال العباد مخلوقة لله وهي كسب لهم، إلى غير ذلك، وأشهر رجالها: الباقلاني، والجويني. وأما الأشعري الذي تتسب إليه هذه الفرقة فقد ثبت رجوعه إلى مذهب أهل السنة. تبيين كذب المفتري لابن عساكر ط: دار الكتاب العربي بيروت ٣٤ وما بعدها. ومنهج الأشاعرة في العقيدة لسفر الحوالي ط: الدار السلفية الكويت

(٩) فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام ١٠٨٨ مصدر سابق.

فمنعه الماتريديّة وجوزه الأشاعرة.

٤) أصل الإيمان:

فذهب الماتريديّة إلى أنه يجب على الناس معرفة ربهم، ولو لم يبعث فيهم رسولا بينما ذهب الأشعرية إلى أن هذه المعرفة واجبة بالشرع لا بالعقل كما تعتقد الماتريديّة.

٥) إيمان المقلد:

فجوزته الماتريديّة بينما منعه الأشاعرة واشتروا أن يعرف المكلف كل مسألة بدليل قطعي عقلي.

ثانياً: مذهبه الفقهي:

كان الإمام النسفي - رحمه الله - إماماً من أئمة المذهب الحنفي، وفقهياً من فقهاءه، وعالمياً أصولياً، ألف في الفقه الحنفي وأصوله كتباً شتى منها.

١. الوافي في فروع الفقه الحنفي.

٢. الكافي شرح الوافي.

٣. كنز الدقائق لخص فيه الوافي.

إلى غير ذلك من المؤلفات التي سنذكرها عند الحديث عن مؤلفاته.

وهذه نماذج من تفسيره تدل على أنه كان يأخذ بالمذهب الحنفي:

عند تفسيره لقوله تعالى ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ . . .﴾^(١) يقول:
"المراد إصاق المسح بالرأس، الذي يمسح بعضه ويستوعبه بالمسح كلاهما ملصق للمسح برأسه، فأخذ مالك^(٢) بالاحتياط فأوجب الاستيعاب، والشافعي^(٣) باليقين فأوجب

(١) سورة المائدة الآية ٦

(٢) مالك: هو الإمام شيخ الإسلام أبو عبد الله مالك بن أنس بن مالك الحميري ثم الأصبحي المدني، حليف بني تميم من قريش، إمام دار الهجرة، وعالم زمانه، وإليه ينسب المذهب المالكي، من كتبه: الموطأ، توفي سنة ١٧٩هـ. سير أعلام النبلاء ٤٨/٨-١٣٥، مصدر سابق.

(٣) محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن السائب بن عبيد بن عبد يزيد بن هاشم بن المطلب بن عبد مناف بن قصي، ولد بالشام بغزة. وقيل: باليمن (١٥٠هـ) وحمل إلى مكة وسكنها وتردد بالحجاز والعراق وغيرها. ثم قدم مصر واستوطنها، وتوفي سنة (٢٠٤هـ). ترتيب المدارك وتقريب المسالك، أبو الفضل القاضي عياض بن موسى اليحصبي، ط١، مطبعة فضالة - المحمدية، المغرب، ١٧٤/٣، منازل الأئمة الأربعة، أبو زكريا يحيى بن إبراهيم بن أحمد الأزدي السلماسي، ط١، (١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م)، مكتبة الملك فهد

الوطنية، ت: محمود بن عبد الرحمن قدح، ١/١٩٦.

أقل ما يقع عليه اسم المسح، وأخذنا ببيان النبي ﷺ وهو ما روي أنه مسح على ناصيته وقدرت الناصية بربع الرأس" (١).

وقد قالت الحنفية: "الواجب مسح ربع الرأس مرة بمقدار الناصية" (٢).

عند تفسيره لقوله ﴿وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ وَأَخَذْتُ مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا﴾ (٣) يقول: "والآية حجة لنا في الخلوة الصحيحة أنها تؤكد المهر حيث أنكر الأخذ وعلل بذلك" (٤).

وقالت الحنفية والحنابلة: "يتأكد المهر أيضاً بالخلوة الصحيحة، وخالفهم المالكية والشافعية فيه" (٥).

عند تفسيره لقوله تعالى ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَمِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ فُلُوقِهِمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَرَمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأَبْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ (٦) يقول: "فيحتمل أن تصرف إلى الأصناف كلها وأن تصرف إلى بعضها كما هو مذهبنا" (٧) ومذهب الحنفية في ذلك جواز صرف الزكاة إلى صنف واحد بخلاف الشافعية الذين يقولون "أنه يجب صرف جميع الصدقات الواجبة سواء الفطرة أو زكاة الأموال إلى ثمانية أصناف" (٨).

(١) تفسير النسفي ٣٠٨/١، مصدر سابق.

(٢) الفقه الإسلامي وأدلته د. وهبة الزحيلي ٢٢٠/١. ط. دار الفكر، و المبسوط لشمس الدين السرخي ٦٤/١ ط. دار الفكر، وانظر مقارنة المذاهب في الفقه عمل الأستاذين الشيخ محمود شلتوت، والشيخ محمد علي السائيس ص ٧ ط. محمد علي صبيح وأولاده بالأزهر بمصر.

(٣) سورة النساء الآية ٢١

(٤) تفسير النسفي ٢٤٣/١، مصدر السابق.

(٥) الفقه الإسلامي وأدلته ٢٨٩/٧، مصدر سابق. وحميد الآثار في نظم تنوير الأبصار لمحمد الجعفري ٢١ ط. المطبعة السلفية بمصر، ومحاضرات في عقد الزواج وآثاره ٢٥٤ للإمام محمد أبي زهرة ط. دار الفكر العربي.

(٦) سورة التوبة الآية ٦٠

(٧) تفسير النسفي ٥٠٣/١. مصدر سابق.

(٨) الفقه الإسلامي وأدلته ٨٦٨/٢، مصدر السابق.

ورغم أن النسفي - رحمه الله - كان حنفي المذهب إلا أننا نجد أنه كان يدعو للاجتهاد في تفسيره، فعند تفسيره لقوله تعالى ﴿لَوْلَا كِتَابٌ مِّنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾^(١) يقول: "﴿لَوْلَا كِتَابٌ مِّنَ اللَّهِ﴾ لولا حكم من الله سبق، أن لا يعذب أحداً على العمل بالاجتهاد وكان هذا اجتهاداً منهم لأنهم نظروا في أن استبقاءهم ربما كان سبباً في إسلامهم، وأن فداءهم يتقوى به على الجهاد، وخفي عليهم إن قتلهم أعز للإسلام وأهيب لمن وراءهم ... وفيما ذكر من الاستشارة دلالة على جواز الاجتهاد فيكون حجة على منكري القياس"^(٢)

وكرر الإمام النسفي دعوته للاجتهاد ومحاربة التقليد عند تفسيره لآيات أخرى مثل قوله تعالى ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْبَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةً عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَيْثُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾^(٣) قال: بناء على الظن وفيه دليل جواز الاجتهاد.^(٤) وقوله تعالى ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَبَكَ اللَّهُ﴾^(٥) قال: وفيه دلالة جواز الاجتهاد ...^(٦) وقوله تعالى ﴿فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا﴾^{(٧)(٨)}.

المطلب الرابع: آثاره العلمية ومؤلفاته:

أولاً: تفسيره الذي نحن بصدد الدراسة فيه:

ويسمى (مدارك التنزيل وحقائق التأويل)، واشتهر باسم (تفسير النسفي)، أهم ما يميزه أنه غير طويل ممل ولا قصير مخل، ورغم أنه يُصنف ضمن كتب التفسير بالرأي إلا

(١) سورة الأنفال: الآية ٦٨

(٢) تفسير النسفي ١/٤٨٠. مصدر سابق.

(٣) سورة البقرة الآية ٢٥٩

(٤) المصدر السابق ١/٢١٤

(٥) سورة النساء الآية ١٠٥

(٦) المصدر السابق ١/٣٩٣

(٧) سورة الأنبياء الآية ٧٩

(٨) المصدر السابق ٢/٤١٤

أنه لم يغفل جانب التفسير بالمأثور، فكثيراً ما كان صاحبه يفسر القرآن بالقرآن^(١)، وبالسنة المطهرة ولكن عنايته بذلك ليست كثيرة^(٢)،

وبأقوال الصحابة والتابعين^(٣) ما يوضح المعاني ويبين الأحكام المتعلقة بالآية، وكان يهتم بذكر أسباب النزول ويورد في ذلك الصحيح والضعيف^(٤).

أما بالنسبة للأحاديث الواردة في فضائل السور، فنجد أن الإمام النسفي لم يذكر إلا أحاديث قليلة أكثرها صحيح وبعضها حسن وقليل منها ضعيف متروك^(٥).

واستعرض فيه كثيراً من القراءات القرآنية المتواترة والشاذة والموضوعة مع التوجيه لها والترجيح بينها، وتعرض النسفي للكلام في بعض المسائل الفقهية، ويذكر آراء الفقهاء في المسألة الواحدة، ونجده يرجح أحياناً^(٦).

ويستعرض الآراء بدون ترجيح أحياناً أخرى^(٧).

وكذلك يتعرض النسفي للكلام في أصول الفقه، فهو يرى أن الإجماع حجة لا يجوز مخالفته^(٨)، وأن القياس حجة أيضاً^(٩) كما كان يقول بجواز الاجتهاد ويدعو لذلك^(١٠)

أما الروايات الإسرائيلية فنجده أحياناً يعتمد عدم ذكر بعض الروايات الإسرائيلية لما فيها من خرافات وتعارض واختلاف بلا ثمرة ولا فائدة خصوصاً ما ورد من روايات في

(١) تفسير سورة الفاتحة الآية ٧ والبقرة الآية ٣٧ والنحل الآية ١١٨

(٢) منهج الإمام النسفي في تفسير القرآن الكريم ومقارنته بمنهج الزمخشري والبيضاوي وأبي السعود. محمود عبد العاطي ١٢٤-١٣٨ رسالة مقدمة للحصول على درجة العالمية الدكتوراه، كلية أصول الدين بجامعة الأزهر بالقاهرة قسم التفسير وعلوم القرآن ١٤١٢، ١٩٩٢.

(٣) تفسير النسفي النساء ٤٣ والأنفال ٤٤. مصدر سابق.

(٤) منهج الإمام النسفي ١٥٩.

(٥) المصدر السابق ١٤١-١٤٥.

(٦) تفسير النسفي سورة البقرة الآية ٧٨ مصدر سابق.

(٧) المصدر السابق النساء الآية ٤٣.

(٨) المصدر السابق النساء الآية ١١٥.

(٩) المصدر السابق آل عمران الآية ١٥٩.

(١٠) المصدر السابق الأنفال الآيتان ٦٧-٦٨.

قصص الأنبياء وأقوالهم^(١)، ويتعمد ذكر بعض الروايات أحياناً أخرى ليبين أنها خرافات وإسرائيليات يهدف أصحابها من وضعها تشكيك المسلمين في أمر دينهم^(٢). ولكنه في الكثير الغالب يذكر الروايات الإسرائيلية ولا يعقب عليها بما يفيد بطلانها وردّها^(٣). أما في جانب العقيدة فقد بذل الإمام النسفي - رحمه الله - جهداً مشكوراً في تقرير مذهب أهل السنة ونصرته وعرض مذاهب من خالفهم من الفرق الضالة والرد عليها^(٤).

ثانياً: مؤلفات أخرى:

ترك لنا الإمام النسفي - رحمه الله - إلى جانب تفسيره آثاراً عظيمة في شتى العلوم الدينية، انتفع بها علماء المسلمين جيلاً بعد جيل، ومن هذه المصنفات:

أولاً: مصنفاته في العقيدة:

١. عمدة العقائد: يقع في حوالي ست وثلاثين صفحة، جمع فيه النسفي عمدة

عقيدة أهل السنة والجماعة، قال في أوله: "جمعت في هذا المختصر عمدة

عقيدة أهل السنة والجماعة قدس الله أرواحهم إجابة للسائلين وصوناً لهم

عن عقائد المبطلين. ."^(٥) له عدة شروحات^(٦) منها:

أ. شرح النسفي وسماه الاعتماد

ب. شرح شمس الدين محمد بن إبراهيم النكساري ت ٩٠١هـ^(٧).

(١) تفسير النسفي لسورة ص الآية ٣٤.

(٢) تفسير النسفي لسورة يوسف الآية ٢٤.

(٣) تفسير النسفي لسورة الأحزاب الآية ٣٧.

(٤) انظر: ص ٢٨، ٢٩، من البحث.

(٥) الاعتماد ٢٢٤. مصدر سابق.

(٦) المصدر السابق ١-٢.

(٧) محيي الدين محمد بن إبراهيم بن حسن النكساري كان رحمه الله تعالى عالماً بالعربية والعلوم الشرعية والعقلية وكان عارفاً بالعلوم الرياضية أيضاً وقد قرأها على المولى فتح الله الشرواني من تلامذة المولى قاضي زاده الرومي وكان حافظاً للقرآن العظيم وعارفاً بعلوم القراءات وكان ماهراً في علم التفسير غاية المهارة وكان يذكر الناس كل يوم الجمعة قد ختم تفسير القرآن العظيم في جامع ايا صوفية ثم قال ايها الناس اني سألت الله تعالى ان يمهني الى ختم تفسير القرآن العظيم ولعل الله تعالى يختمني عقيب ذلك فدعا الله سبحانه وتعالى بالختم على الخير والايمن فامن الناس لدعائه ثم اتى بيته ومريض وتوفي رحمه الله . العقد المنظوم /١

١٦٥-١٦٦، مصدر سابق.

ج. شرح جمال الدين محمود بن أحمد القنوي ت ٧٧٠هـ وسماه (الزبدة)^(١).

د. شرح أحمد بن أغوز دانشمند الإقشهدي الحنفي^(٢) سماه الانتقاد في شرح عمدة الاعتماد، وهو من أعيان المائة الثامنة. وقد تحدث فيه النسفي عن أدلة وجود الله تعالى، ومسائل القضاء والقدر والإيمان والإسلام والشفاعة وغير ذلك.

٢. **الاعتماد شرح العمدة:** وهو مصنف يقع في حوالي خمس وعشرين ومائتي صفحة، انتهى من تأليفه النسفي سنة ثمان وتسعين وستمئة كما ذكر ذلك في نهاية المصنف^(٣) قصد منه النسفي شرح المعضلات والمشكلات التي جاءت في العمدة وتبسيطها للقارئ كما جاء في أولها: "لما رأيت الهمم مائلة إلى العمدة التي صنفتها في شأن أهل السنة والجماعة وهي وإن كانت مشحونة بالروايات غير خالية عن الدراسات فهي مفتقرة إلى شرح موضح للمشكلات مبين للمعضلات، أردت أن أجمع كتاباً فيه شرح مسائلها وبسط دلائلها بتوفيق خالق العباد مسمى بالاعتماد في الاعتقاد. والله كاف من توكل عليه معين من فوض أموره إليه وهو حسبي ونعم المعين"^(٤).

٣. اللآلئ الفاخرة في علوم الآخرة

أشار إليه صاحب كشف الظنون^(٥).

ثانياً: مصنفاته في الفقه والأصول:

١. منار الأنوار:

(١) أحمد بن مسعود بن عبد الرحمن القنوي أبو العباس فقيه، اصولي، لغوي، نحوي. سكن دمشق، وتوفي بها. من مؤلفاته: شرح عقيدة الطحاوي، وشرح الجامع الكبير للشيباني في أربع مجلدات سماه التقرير ولم يكمل تبييضه فكملة ولده محمود المتوفى سنة ٧٧١ هـ. معجم المؤلفين ١٧٦/٢. مصدر سابق.

(٢) أحمد بن أغوز دانشمند الإقشهدي، الحنفي متكلم. له شرح عمدة العقائد لعبد الله النسفي سماه بالانتقاد في شرح عمدة الاعتقاد. معجم المؤلفين ١٦٨/١. المصدر السابق.

(٣) عمدة العقائد ١. عبد الله أحمد بن محمود النسفي (مخطوط)، مصور عن دار . الكتب والوثائق القومية، القاهرة، برقم (٨٨١١٨ / ٥٧٥٥

(٤) الاعتماد ١-٢. مصدر سابق.

(٥) كشف الظنون ٣٧٩/٥. مصدر سابق.

في أصول الفقه وهو جامع مختصر نافع، للمصنف شرح سماه بكشف الأسرار، وشرحه عدد من العلماء منهم سعد الدين الدهلوي^(١) وسماه إفاضة الأنوار في إضاءة أصول المنار توفي ٨٩١ هـ وناصر الدين القونوي توفي ٧٦٤ هـ^(٢) وله مختصره المسمى بقدس الأسرار في اختصار المنار^(٣).

٢. كشف الأسرار شرح المصنف على المنار:

وهو كتاب في أصول الفقه اختصره النسفي من أصول الفقه لفخر الإسلام وشمس الأئمة السرخسي^(٤) مراعيًا ترتيبه إلا ما دعت الضرورة إليه. ولم يكن هذا المصنف مقتصرًا على أصول الفقه، بل أورد فيه النسفي مسائل متنوعة في العقائد يسميها في بعض الأحيان بالمتفرقات، كمسألة الرؤية عند أهل السنة، ومسألة الصلاح والأصلح ونفيهما ومسألة صاحب الكبيرة والصفات إلى غير ذلك، وكثيرًا ما يضيف النسفي فيه من آرائه الخاصة مصرحاً بذلك إلا أنه لا يخرج في ذلك عن آراء الماتريدية والأحناف^(٥).

٣. كنز الدقائق في الفروع:

(١) سعد الدين الدهلوي توفي ٨٩١ هـ الموافق ١٤٨٦ م (أبو الفضائل) فقيه، اصولي. له شرح منار الانوار للنسفي في الفقه وسماه إفاضة الانوار في اضاءة اصول المنار. معجم المؤلفين ٢١٥/٤، مصدر سابق.

(٢) الشيخ ناصر الدين القونوي المعروف بالربوة الفقيه الحنفي ولد كما كتب بخطه في أول سنة ٦٧٩ هـ واشتغل بالعلم وتفقه وأفتى ودرس وأعاد بمدارس وكان مدرس المقدمية داخل باب الفرائد وخطيب الجامع اليلبغاوي واختصر المنار في أصول الفقه وشرحه وشرح الفرائض السراجية وكان من أعيان الحنفية ومات في جمادى الأولى سنة ٧٦٤. الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ٥٥/٥ - ٥٦. مصدر سابق.

(٣) النسفي وآراؤه العقديّة ٢٤. مصدر سابق. والطبقات السنية في تراجم الحنفية ١٥٥/٤. مصدر سابق.

(٤) هو: محمد بن أحمد بن أبي سهل، أبو بكر السرخسي، من أهل (سرخس) بلدة في خراسان، ويلقب بشمس الأئمة، كان إماماً في فقه الحنفية، علامة حجة متكلماً مناظراً، سجن في جب فكان يملئ كثيراً من كتبه على أصحابه وهو في الجب، وأصحابه في أعلى الجب، أملاها من حفظه، توفي سنة ٤٨٣ هـ. هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين ٧٦/٢. ل. إسماعيل بن محمد أمين بن مير سليم الباباني البغدادي (المتوفى: ١٣٩٩ هـ) طبع بعناية وكالة المعارف الجليلية في مطبعتها البهية استانبول ١٩٥١ أعادت طبعه بالأوفست: دار إحياء التراث العربي بيروت - لبنان.

(٥) تاج التراجم ٣٠. مصدر سابق. كشف الظنون ٦٦٢/٢. مصدر سابق

وهو مختصر في فروع الفقه الحنفي، لخص فيه النسفي كتاب الوافي، وهو من تأليفه أيضاً، وقام بشرحه ابن نجيم^(١) في كتابه البحر الرائق سنة ٩٧٠هـ^(٢)

٤. الوافي في فروع الفقه الحنفي:

وهو كتاب مقبول معتبر أوله لمن من على عباده بإرسال رسله ... قال فيه النسفي: "ما كان يخطر ببالي إبان فراغي أن أؤلف كتاباً جامعاً لمسائل الجامعين والزيادات حاوياً لما في المختصر ونظم الخلافات مشتملاً على بعض مسائل الفتاوى والواقعات، فألفته وأتممته في أسرع وقت ممكن وسميته بالوافي"^(٣)

٥. الكافي في شرح الوافي:

وهو شرح لكتاب الوافي يقول النسفي في مقدمته: "لما فرغت من المختصر المسمّى بالوافي أردت أن أشرحه شرحاً أوسمه بالكافي على وجه يكون مغنياً عن المطولات وحاوياً لوجوه الاستدلالات، موضحاً لما أبهم في الهداية من النكات وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب"^(٤)

٦. المصفي شرح منظومة عمر النسفي في الخلافات:

(١) هو زين الدين بن ابراهيم بن محمد الشهير بابن نجيم، من أهل مصر فقيه وأصولي حنفي، كان عالماً محققاً ومكثراً من التصنيف. أخذ عن شرف الدين البلقيني وشهاب الدين الشلبي وغيرهما. أجاز بالإفتاء والتدريس وانتفع به خلائق. من تصانيفه: (البحر الرائق في شرح كنز الدقائق) و (الفوائد الزينية في فقه الحنفية) و (الأشباه والنظائر) و (شرح المنار) في الأصول. وشذرات الذهب ٣٥٨/٨، عبد الحي بن العماد الحنبلي، ط. دار الكتب العلمية، بيروت لبنان. والأعلام للزركلي ١٠٤/٣، مصدر سابق. ومعجم المؤلفين ١٩٢/٤، مصدر سابق. ملاحق تراجم الفقهاء الموسوعة الفقهية ١٨/١١. المصدر: www.islam.gov.kw وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية [الكتاب مرقم ألياً غير موافق للمطبوع]

(٢) تاج التراجم ٣٠. المصدر السابق. والنسفي وآراؤه العقدية ٢٥٠. مصدر سابق. والبحر الرائق في شرح كثر الدقائق. الشيخ زين الدين الشهير بابن نجيم ٢/١. ط دار الكتب العربية الكبرى، وشرح العلامة معين الدين الهروي المعروف بمنلا مكسين على كنز الدقائق (٢) ط المطبعة الحسينية المصرية.

(٣) كشف الظنون ٧٨٩/٢. مصدر سابق.

(٤) كشف الظنون ٣٧٩/٥. مصدر سابق. والنسفي وآراؤه العقدية ٢٦. مصدر سابق.

قال النسفي: "لما فرغت من جمع شرح النافع وإملائه وهو المستصفي من المستوفى سألني بعض إخواني أن أجمع للمنظومة شرحاً مشتملاً على الدقائق فشرحتها وسميته المصفي"^(١)

٧. المستوفى في الفروع:

أشار إليه النسفي في قوله: "لما فرغت من جمع شرح النافع وإملائه وهو المستصفي من المستوفى"^(٢)

٨. شرح الهداية في الفروع:

وهو كتاب لشيخ الإسلام برهان الدين علي بن أبي بكر المرغيناني الحنفي المتوفى عام (٥٩٣ هـ)^(٣)، شرحه النسفي وفي طبقات تقي الدين من خط ابن الشحنة: أنه لا يعرف له شرح على (الهداية) وفي هوامش (الجواهر): قيل أنه دخل بغداد^(٤) وشرح الهداية سنة ٧٠٠ هـ^(٥).

٩. كتاب فضائل الأعمال^(٦).

أشار إليه حاجي خليفة في كشف الظنون^(٧).

(١) كشف الظنون ٣٧٩/٥. المصدر السابق. والنسفي وآراؤه العقدية ٢٦. المصدر السابق.
(٢) كشف الظنون ٣٧٩/٥. المصدر السابق. والنسفي وآراؤه العقدية ٢٧. المصدر السابق.
(٣) انظر: ص ٢٣، من البحث
(٤) انظر: ص ٢، من البحث.
(٥) تاج التراجم ٣٠. مصدر سابق. والطبقات السنية في تراجم الحنفية ١٥٥/٤. مصدر سابق. كشف الظنون ٢٠٢٢/٢. المصدر السابق.
(٦) كشف الظنون ٣٧٩/٥. المصدر السابق.
(٧) كشف الظنون ١٢٧٤/٢. المصدر السابق. والنسفي ومنهجه في التفسير، أميمة بدر الدين ٢٨. بحث مقدم لنيل درجة الماجستير في جامعة دمشق بكلية الآداب والعلوم الإنسانية قسم اللغة العربية وآدابها ١٩٨٩-١٩٩٠ م.

الفصل الثاني

منهج الإمام النسفي في الاختيار، وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: تعريف الاختيار والترجيح، والفرق بينهما،

ومتى يكون الاختيار؟

المبحث الثاني: صيغ الاختيار وأساليبه عند الإمام النَّسْفِي.

المبحث الثالث: وجوه الاختيار عند الإمام النَّسْفِي.

الفصل الثاني

المبحث الأول : تعريف الاختيار والترجيح، والفرق بينهما، ومتى يكون الاختيار؟ وفيه ثلاثة مطالب:

يرى بعض الباحثين أنّ الاختيار والترجيح بمعنى واحد^(١)، وكان الاختيار في هذا البحث هو التفريق بينهما، وقبل الحديث عن الفرق بينهما، يتعيّن أولاً تعريف كلّ منهما:

المطلب الأول: تعريف الاختيار والترجيح:

الاختيار في اللغة مصدر اختار . على وزن افتعل . من الخير، وهو التخيّر والانتقاء والاصطفاء. ومنه قوله تعالى ﴿ وَأَخَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِّمِيقَاتِنَا ﴾^(٢) أي: اصطفى منهم، وانتقى سبعين رجلاً^(٣).

وعرّفه بعضهم بأنّه: " طلب ما فعله خير"^(٤).

وقيل: " الميل إلى ما يُراد ويرتضى"^(٥).

وقيل: " ترجيح الشيء، وتخصيصه، وتقديمه على غيره"^(٦).

وعرّفه أئمّة القراءات بأنّه: " الوجه الذي يختاره القاريء من بين مروياته، أو الراوي

(١) على هذا سار الباحث محمد بن زيلعي هندي الذي بحث اختيارات الشيخ ابن تيمية في التفسير في رسالته التي بعنوان: (اختيارات ابن تيمية في التفسير؛ من أول سورة الفاتحة إلى آخر سورة النساء: جمعاً وترتيباً ودراسة) والتي تقدّم بها لنيل درجة الدكتوراة في القرآن وعلومه بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

(٢) سورة الأعراف الآية ١٥٥

(٣) لسان العرب ١٣٠٠/٢، مادة (خير) لأبي الفضل محمد بن مكرم بن عليّ ابن منظور: القاهرة: دار المعارف. تحقيق: عبد الله الكبير، ومحمد أحمد حسب الله، وهاشم الشاذلي. البحر المحيط، ٣٩٧/٤ لأبي حيان محمد بن يوسف الأندلسي: ط١؛ بيروت: دار الكتب العلمية: ١٤١٣هـ. دراسة وتحقيق وتعليق: عادل أحمد عبد الموجود، وعليّ محمد معوض.

(٤) التوقيف على مهمات التعاريف ٤٢/١، للمناوي: ط١؛ بيروت: دار الفكر: ١٤١٠هـ. تحقيق: محمد رضوان.

(٥) الحدود الأنبيقة ٦٩/١، لأبي يحيى زكريّا بن محمد الأنصاري: ط١؛ بيروت: دار الفكر المعاصر: ١٤١١هـ. تحقيق: د. مازن المعارك.

(٦) كشّاف اصطلاحات الفنون والعلوم ١١٩/١، لمحمد عليّ التهانوي: ط١؛ بيروت: مكتبة لبنان: ١٩٩٦م. تحقيق: د. عليّ دحروج.

من بين مسموعاته، أو الآخذ عن الراوي من بين محفوظاته. وكلّ واحد منهم مجتهد في اختياره" (١).

وأما الترجيح فهو في اللغة: مصدر رَجَّحَ (بالتضعيف)، ورَجَّحَ الشيء: قوّاه وفضّله على غيره، من رجح الميزان، يرجح (بالضمّ والفتح) رجحاناً أي: مال. (٢).
وعند الأصوليين هو: "تقوية أحد الطرفين على الآخر، فيعلم الأقوى، فيعمل به، ويُطرح الآخر. قاله الرازي (٣) (٤).

قال الشوكاني. رحمه الله. (٥) معلّقاً على ذلك: "والقصد منه: تصحيح الصحيح، وإبطال الباطل" (٦).

وعرّفه الآمدي (٧) بأنّه: "عبارة عن اقتران أحد الصالحين، للدلالة على المطلوب،

(١) علم القراءات؛ نشأته، أطواره، أثره في العلوم الشرعيّة ٣٠، ل. د. نبيل بن محمّد آل إسماعيل: ط١؛ الرياض: مكتبة التوبة: ١٤١٢هـ.

(٢) مختار الصحاح ٩٩، مادّة: (رجح)، لمحمّد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي: بيروت: مكتبة لبنان: ١٩٨٨م، والمعجم الوسيط: ٣٢٩/١. مصدر سابق.

(٣) هو فخر الدين أبو عبد الله محمّد بن عمر بن حسين الرازي، من كبار فقهاء الشافعيّة والمتكلّمين، له تصانيف كثيرة مشهورة منها التفسير الكبير (لم يتمّه)، مات سنة: ستّ، وست مائة. طبقات الشافعية الكبرى ٥/٣٣ ل الإمام العلامة تاج الدين بن علي بن عبد الكافي السبكي ط٢ هجر للطباعة والنشر والتوزيع ١٤١٣هـ. شذرات الذهب في أخبار من ذهب ٥/٢١، لأبي الفلاح عبد الحيّ بن العماد الحنبليّ: بيروت: دار الآفاق الجديدة.

(٤) المحصول في علم أصول الفقه ٥/٥٢٩، لمحمّد بن عمر بن الحسين الرازي: ط١؛ الرياض: جامعة الإمام محمّد بن سعود الإسلاميّة: ١٤٠٠هـ. تحقيق: طه جابر العلواني.

(٥) هو محمّد بن عليّ بن محمّد الشوكانيّ، فقيه مجتهد، من كبار علماء اليمن، كان يرى تحريم التقليد، له مصنّفات عديدة، من أشهرها: نيل الأوطار، وفتح القدير، مات سنة: خمسين ومئتين بعد الألف. أبجد العلوم: ص ٨٧٧، والأعلام للزركليّ (بيروت: دار العلم للملايين): ٦/٢٨٩. مصدر سابق.

(٦) إرشاد الفحول إلى تحقيق الحقّ من علم الأصول ٢٧٣، لمحمّد بن عليّ الشوكانيّ: دار المعرفة بيروت: ١٣٩٩هـ.

(٧) هو سيف الدين أبو الحسن عليّ بن أبي عليّ، الحنبليّ ثمّ الشافعيّ. صاحب "الإحكام" و"منتهى السؤل" في الأصول، وغيرهما، كان من أذكباء العالم، مات سنة: إحدى وثلاثين وستّ مئة. طبقات الشافعية الكبرى: ٥/١٢٩. المصدر السابق. وشذرات الذهب: ٥/١٣٤. المصدر السابق.

مع تعارضهما بما يوجب العمل به، وإهمال الآخر^(١).

وقال الجويني^(٢): "الترجيح تغليب بعض الأمارات على بعض، في سبيل الظن"^(٣).

وقيل: "إثبات مزية لأحد الدليلين على الآخر"^(٤).

فأصل استعمال الترجيح: في الحسيّات كالأجسام ونحوها، ثمّ استعمل في المعاني

على سبيل المجاز استعارة من رجحان الأجسام^(٥).

ومن خلال التعريفات السابقة للاختيار والترجيح، يظهر الفرق بينهما من وجوه عدّة:

أحدها: أنّ الاختيار اصطفاء وانتقاء من مجموع تتقارب فيه الوجوه والأوصاف .

وإنّ لم تتطابق ، فيكون لبعضها على بعض عند الناظر مزية، تستدعي اختياره

وتقديمه، مع بقاء الآخر محتملاً غير مطّرح.

أمّا الترجيح، فهو تغليب طرف على طرف إلى حدّ التضعيف والاطّراح، وهذا ما

يدلّ عليه لفظ (رَجَح) بالتضعيف.

ويقوي هذا الوجه، الوجه: الثاني: وهو أنّ أحداً ممّن عرّفوا الترجيح لم يعرفوه بأنّه

الاختيار، ممّا يدلّ على الفرق، وإن كان بعضهم قد عرّف الاختيار بأنّه ترجيح، فكّل

اختيار ترجيح، وليس كلّ ترجيح اختياراً.

(١) الإحكام في أصول الأحكام ٤/٣٢٠، لأبي الحسن عليّ بن أبي عليّ الأمدي: بيروت: دار الكتب العلميّة: ١٤٠٠هـ.

(٢) هو أبو المعالي عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن حيوية الجويني، برع في جميع العلوم والفنون، وجمع طرق المذهب الشافعيّ، وخاض في علم الكلام وبرز فيه، وفي أصول الفقه، مات سنة: ثمان وسبعين وأربع مئة. طبقات الشافعيّة الكبرى: ٣/٢٤٩، مصدر سابق. وشذرات الذهب: ٣/٣٥٨. مصدر سابق.

(٣) البرهان في أصول الفقه ٢/٧٤١، لأبي المعالي عبد الملك بن عبد الله الجويني: ط٤؛ المنصورة: دار الوفاء: ١٤١٨هـ. تحقيق: عبد العظيم ديب. والمنحول، لأبي حامد الغزالي ١/٤٢٦، ط٢؛ دمشق: دار الفكر: ١٤٠٠هـ. تحقيق: د. محمد حسن هيتو.

(٤) الحدود الأنيقة ١/٨٣، مصدر سابق. والتعريفات ٥٦، لعليّ بن محمد الجرجاني: ط١؛ بيروت: دار الكتب العلميّة: ١٤٠٣هـ. ، ومنتهى الوصول والأمل في علمي الأصول والجدل ٢٢٢، لأبي عمرو عثمان بن عمرو المعروف بابن الحاجب: ط١؛ بيروت: دار الكتب العلميّة: ١٤٠٥هـ.

(٥) شرح مختصر الروضة ٣/٦٧٧، ٦٧٨، لأبي الربيع سليمان بن عبد القوي الطوفي: ط٢؛ بيروت: مؤسّسة الرسالة، ١٤١٩هـ. تحقيق: د. عبد الله التركي.

الثالث: أنّ الترادف المحض غير موجود في اللغة عند جمع من أهل اللغة، نعم قد يكون اللفظان متفقين في الدلالة على معنى واحد، لكن يمتاز أحدهما على الآخر بزيادة في المعنى، بوجه من الوجوه، ومثال ذلك: لفظ السيف والصارم والمهتد، فلفظ السيف يدلّ عليه مجرّداً، ولفظ الصارم يدلّ على صفة الصرم وهي القطع، ولفظ المهتد يدلّ على النسبة إلى الهند^(١)، فكُلّ صارم ومهتد سيف، وليس كلّ سيف صارماً ومهتداً. ويشبه ذلك: الاختيار والترجيح.

هذا ما ظهر لي من الفرق بين الاختيار والترجيح، فالقول بعدم التفريق فيه تجوّز واضح، ومع ذلك يبقى الأمر كما قال أهل العلم: (لا مشاحة في الاصطلاح).

وأما أثر ذلك في الاختيار والترجيح في التفسير، فيظهر من وجوه عدّة:

أحدها: التفريق بين الأقوال الضعيفة والمرجوحة ممّا لا تحتمله الآية، وبين الأقوال المحتملة التي تتنوّع اختيارات المفسّرين فيها بحسب النظر والاجتهاد.

ويوضّح ذلك الوجه:

الثاني: وهو التأكيد على ما هو مقرّر في أصول التفسير من اختلاف التنوّع، واختلاف التضادّ^(٢). فالاختيار يدلّ على الأوّل، والترجيح يدلّ على الثاني.

ويشهد لهذين الوجهين، الوجه:

الثالث: وهو أنّ ذلك أدلّ على مراد أئمة التفسير وعباراتهم وصيغهم في ترجيح بعض الأقوال على بعض. والله تعالى أعلم.

(١) شرح مختصر الروضة للطوفي ٦٧٧/٣، ٦٧٨. مصدر سابق.

(٢) مجموع الفتاوى: ٣٣٣/١٣. مصدر سابق. فصول في أصول التفسير ٥٥، لمساعد الطيّار (الرياض: دار النشر الدوليّ).

المطلب الثاني: الفرق بين الاختيار والترجيح:

سبق التنبيه على أن بعض الباحثين يرى أنّ الاختيار والترجيح بمعنى واحد والذي اخترته في هذا البحث هو التفريق بينهما^(١)؛ لأن كل لفظ له دلالة في اللغة، كما أنّ ذلك يفيد في التمييز بين الترجيحات الواردة في كتب التفسير؛ فإنها ليست على مرتبة واحدة.

ومن خلال التعريفين السابقين للاختيار والترجيح، الّذين اعتمدتهما في هذه الدراسة يتضح أن بينهما فرقاً من وجهين:

أحدهما: أن الترجيح تقوية لأحد الأقوال؛ ليُعلم الأقوى؛ فيُعمل به، ويُطرح الآخر. بخلاف الاختيار؛ فإنه ميل إلى المختار، وليس فيه طرح للأقوال الأخرى.

ومما يؤيد هذا التفريق ما ذكره الأصوليون في مسائل الترجيح؛ فقد نص بعضهم على أنه إذا تحقق الترجيح وجب العمل بالراجح وإهمال الآخر.^(٢)

كما يؤيده أيضاً ما اتفق عليه الأصوليون من كون الجمع بين الدليلين أولى من الترجيح؛ لأن في الترجيح إسقاطاً لأحدهما.^(٣)

والثاني: أن الترجيح يكون بين الأقوال المقبولة وغير المقبولة، والصحيحة والضعيفة. وأما الاختيار فلا يكون إلا بين الأقوال المقبولة في تفسير الآية.

ويُبنى على هذا أن الاختلاف بين الأقوال في الترجيح يكون في الغالب من اختلاف التضاد، بخلاف الاختيار؛ فإن الاختلاف بين الأقوال فيه إنما يكون من اختلاف التنوع.

(١) انظر: ص ٤٠، من البحث.

(٢) تقرير ذلك في البحر المحيط ١٤٥/٨. في أصول الفقه ل بدر الدين محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي ت ٧٩٤ هـ ط دار الكتبي .

(٣) الجامع لأحكام القرآن ٣٠٥/١٠ . ل أبي عبد الله محمد بن أحمد القرطبي . دار الحديث . القاهرة ، ١ -

المطلب الثالث: متى يكون الاختيار؟

من المعلوم أن الاختيار إنما يكون بين الآراء والأوجه إذا تعددت واختلفت وهو مقصد هام جداً في علم التفسير خاصة، وفي عامة علوم الشريعة واللغة، ومما يجدر التنبيه عليه أنه لا بد من معرفة الإجماع وما اتفق عليه أهل العلم كإجماع الصحابة والتابعين أو إجماع أهل عصر معين^(١). وتظهر أهمية معرفة إجماعات المفسرين من الصحابة والتابعين ومن جاء بعدهم حتى لا يرجح فيما بينها وبين أقوال شاذة، وحتى لا يجترئ أحد على مخالفتها، فإذا وقع الإجماع في مسألة من مسائل التفسير، يجب قبوله والمصير إليه، ولا يحتاج إلى النظر إلى غيره؛ لأن الإجماع من أصح وأعلى أنواع التفسير الذي يجب حمل الآية عليه، يقول ابن قدامة^(٢): " يجب على المجتهد أن ينظر أول شيء إلى الإجماع فإن وجده لم يحتج النظر إلى ما سواه"^(٣).

ويجب على مريد التفسير قبول الإجماع سواء كان إجماعاً على تفسير لفظ أو إجماعاً على تفسير معنى، ففي الأول يتفق المفسرون على بيان معنى لفظ وتتفق عباراتهم على معنى ذلك اللفظ ويحكون فيه الإجماع ومن ذلك قول ابن أبي حاتم^(٤) في تفسير معنى الريب قال: " الريب الشك وليس في هذا الحرف اختلاف بين المفسرين"^(٥).

(١) قواعد الترجيح عند المفسرين ٤١/١، ل حسين بن علي الحري . رسالة ماجستير . بكلية أصول الدين . جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية . الرياض ١٤١٢هـ.

(٢) أبو محمد عبدالله بن أحمد بن قدامة المقدسي، مصنف المغني في المذهب الحنبلي، فقيه كبير، وقد كان إماماً في التفسير والحديث ومشكلاته، توفي سنة ٦٢٠هـ، أعلام النبلاء ١٦٥/٢٢، مصدر سابق. والبداية والنهاية ١١٧/١٣. مصدر سابق. والذيل على طبقات الحنابلة ١٣٣/٢، للحافظ أبي الفرج ابن رجب: بيروت: دار المعرفة.

(٣) نزهة خاطر العاطر شرح روضة الناظر ٣٩٤/٢ . ل عبد القادر بن أحمد بن مصطفى الدمشقي . مكتبة المعارف الرياض ، ٢ - ١٤٠٤هـ. و منهج الزجاج في اختياراته في التفسير من خلال كتابه : معاني القرآن وإعرابه ٤/١، رسالة ماجستير من جامعة الإمام محمد بن سعود " للباحث الطالب: عادل بن محمد بن عمر العُمري.

(٤) عبدالرحمن بن أبي حاتم بن إدريس الرازي، صاحب كتاب الجرح والتعديل، وهو من أجل الكتب وله التفسير الحافل الذي اشتمل على النقل الكامل، من كبار الصالحين، ولم يعرف له ذنب ولا جهالة، توفي سنة ٣٢٧هـ، انظر في ترجمته: البداية والنهاية ٢٠٢/١١، المصدر السابق. وطبقات الداودي، ٢٨٥. ط دار الكتب العلمية ، بيروت

(٥) تفسير ابن أبي حاتم ٣٤/١. تحقيق أسعد محمد الطيب ط المكتبة العصرية بصيدا ، لبنان .

ومن هذا أيضاً: اتفاق المفسرين على تفسير الذكر في قوله تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ﴾^(١)، قال ابن عطية^(٢): "الذكر: القرآن بإجماع"^(٣).

وفي قوله تعالى ﴿لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا﴾^(٤) حكى الماوردي^(٥) الإجماع بأن المعنى الرجعة^(٦)، وعند قوله تعالى ﴿أَزِفَتِ الْأَزْفَةُ﴾^(٧)، قال ابن عطية: "والأزفة عبارة عن يوم القيامة بإجماع المفسرين"^(٨).

والحاصل: أن الاختيار يقع عند وجود الاختلاف بين المفسرين أو بين الأوجه المحتملة في تفسير الآية، إذا لم يكن هناك اتفاق بين السلف في تفسير الآية وذلك بأن ينص أحد المفسرين على حكاية الإجماع كما سلف، أو باستقراء أقوال المفسرين واستنباط الإجماع من أقوالهم.

والاختلاف الواقع في التفسير نوعان:

الأول: اختلاف التنوع:

وهو حمل الآية على جميع ما قيل فيها إذا كانت المعاني صحيحة غير

(١) سورة فصلت: الآية ٤١.

(٢) ابن عطية: هو أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الملك بن عطية الغرناطي القاضي له التفسير المشهور المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ت: ٥٤١ هـ مترجم له في طبقات السيوطي ٦١/١ ل عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي المتوفى: ٩١١ هـ، تحقيق: علي محمد عمر ط ١ مكتبة وهبة - القاهرة ١٣٩٦ هـ.

(٣) تفسير ابن عطية (المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز) ١٩/٥، للقاضي أبي محمد عبدالحق بن غالب ابن عطية الأندلسي، ت: عبدالله الأنصاري و السيد عبدالعال السيد إبراهيم ط ٢: دار الكتاب الإسلامي، القاهرة .

(٤) سورة الطلاق: الآية ١

(٥) علي بن محمد بن حبيب القاضي أبو الحسن الماوردي، كان ثقة شافعيًا، قيل عنه: إنه كان معتزليًا، والصحيح أنه مؤول وليس معتزليًا، من تصانيفه: التفسير والأحكام السلطانية، توفي سنة ٤٥٠ هـ. طبقات المفسرين للسيوطي ٣، طبقات الداودي ١/٤٢٧، مصدر سابق.

(٦) تفسير النكت والعيون ٦/٣٠. لأبي الحسن علي بن محمد الماوردي، ط مؤسسة الكتب الثقافية ببيروت .

(٧) سورة النجم: الآية ٥٧.

(٨) المحرر الوجيز ٥/٢٠٩، المصدر السابق. ومنهج الزجاج في اختياراته في التفسير من خلال كتابه: معاني القرآن وإعرابه ٤/١، مصدر سابق.

متعارضة^(١)، ويقع اختلاف التنوع على عدة أوجه:

أولاً: أن يعبر المفسرون عن المعنى بألفاظ متقاربة^(٢)، كقوله تعالى ﴿وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ﴾^(٣)، فقد عبر المفسرون في تفسير معنى: لغوب، بعبارات متقاربة، قال ابن عباس^(٤) ومجاهد^(٥): نصب، وقال عبدالرحمن بن زيد^(٦): عناء، وقال سفيان^(٧): سامة^(٨).

ثانياً: التفسير بالمثال وذلك أن يعبر كل مفسر من الاسم العام ببعض أنواعه^(٩)، ومن ذلك ما ذكره الزجاج^(١٠) عند قوله تعالى ﴿وَلَنذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَى دُونَ

(١) فصول في أصول التفسير، ٥٧، مصدر سابق. ومنهج الزجاج في اختياراته في التفسير من خلال كتابه: معاني القرآن وإعرايه ٧/١.

(٢) مجموع الفتاوى ٣٤١/١٣، مصدر سابق. و فصول في أصول التفسير، ٦٢. المصدر السابق (٣) سورة ق الآية ٣٨.

(٤) عبد الله بن عباس بن عبد المطلب بن هاشم، بن عم رسول الله ﷺ، يلتقي نسبه بالنسب الطاهر الشريف في جده عبد المطلب ولد قبل الهجرة بثلاث سنوات على الرأي الراجح، وأخذ العلم عن رسول الله ثم لازم كبار الصحابة وأخذ عنهم، فصار علماً من أعلام التفسير، توفي سنة (٦٨هـ)، مناهج المفسرين القسم الأول التفسير في عصر الصحابة، مصطفى مسلم، ط١، (١٤١٥هـ)، دار المسلم للنشر والتوزيع - الرياض، ٤٩.

(٥) مجاهد بن جبر، ويكنى أبا الحجاج مولى قيس بن السائب المخزومي، يعتبر من أئمة التابعين، ومن أعلمهم بالتفسير، تلقى التفسير عن ابن عباس في مدرسة مكة، ولد سنة (٢١هـ)، وتوفي سنة (١٠٤هـ)، مشاهير علماء الأمصار وأعلام فقهاء الأقطار، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبَد، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي، ط١، (١٤١١ هـ - ١٩٩١ م)، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع - المنصورة، ت: مرزوق على إبراهيم، ١ / ١٣٣. الأعلام، للزركلي، ٢٧٨/٥، مصدر سابق.

(٦) هو: عبدالرحمن بن زيد بن أسلم العمري المدني، كان صاحب قرآن وتفسير، توفي سنة (١٨٢هـ) انظر ترجمته: أعلام النبلاء: ٣٤٩/٨، مصدر سابق. وطبقات المفسرين للداودي: ١١. مصدر سابق.

(٧) سفيان بن سعيد الثوري له تفسير اشتهر به، الفقيه الحافظ الحجة، روى عنه خلق لا يحصون، قال أحمد: لم يتقدمه في قلبي أحد، قال ابن المبارك: لا أعلم أعلم من سفيان، انظر في ترجمته: تهذيب التهذيب ٣٥٣/٢، للحافظ ابن حجر، ط٣ دار إحياء التراث ومؤسسة التاريخ العربي ببيروت، ١٤١٣هـ. وطبقات الداودي ١/١٩٣. المصدر السابق.

(٨) أقوالهم بالأسانيد في تفسير الطبري ١٧٩/٢٦. جامع البيان عن تأويل آي القرآن. للطبري، نشر مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر، الطبعة الثالثة ١٣٨٨هـ.

(٩) مجموع الفتاوى ١١٦/٥، لابن تيمية جمع وترتيب عبد الرحمن بن قاسم وابنه محمد الطبعة الأولى ١٣٩٨هـ.

(١٠) إبراهيم بن السري بن سهل الزجاج، أبو إسحاق النحوي، اللغوي، المفسر، من مؤلفاته: معاني القرآن، الانشقاق، العروض، مختصر النحو، توفي ببغداد في جماد الآخرة سنة (٣١١هـ)، وقيل: سنة (٣١٦هـ)، وكان يخرط الزجاج ثم تركه، وانشغل بالأدب، ونسب إليه، انظر: طبقات المفسرين، الداودي، ٩/١-١٢، مصدر سابق، مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة حوادث الزمان، أبو محمد عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان الياضي، (د. ط) دار الكتاب الإسلامي - القاهرة (١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م)، ٢/٣٣٢.

العذاب الأكبر لعلهم يرجعون^(١)

قال: " وقد اختلفوا في تفسيرها فقول: ما يصيبهم من الجذب والخوف. . ، وقيل: العذاب الأدنى السباء والقتل^(٢)، وجملته أن كل ما يعذب به في الدنيا فهو من العذاب الأدنى، والعذاب الأكبر عذاب الآخرة"^(٣).

ولما ساق الطبري^(٤)، مثل هذه الأقوال، قال بعد ذلك: " وأولى الأقوال في ذلك أن العذاب الأدنى ما كان في الدنيا من بلاء أصابهم إما شدة من مجاعة أو قتل أو مصائب يصابون بها فكل ذلك من العذاب الأدنى"^(٥)، فالطبري والزجاج^(٦) هنا ذكرا أنواعاً للعذاب الأدنى.

ثالثاً: التعبير عن اللفظ ببعض صفاته، وذلك أن يعبر كل مفسر عن المعنى بوصف غير وصف صاحبه، يقول ابن تيمية^(٧): " فإن من عادة السلف أن يذكروا

(١) سورة السجدة الآية ٢١

(٢) كثير من المفسرين عبر عن معنى " العذاب الأدنى " بمثل هذه العبارات كقول بعضهم: إن المعنى مصائب الدنيا في الأحوال والأنفس، وممن عبر بهذا ابن عباس وأبو العالية والضحاك والحسن وغيرهم، وعبر بعضهم بأنه القتل، وهذا مروى عن ابن مسعود والحسن بن علي، وقال مجاهد: هو القتل والجوع لقريش في الدنيا، وعبر بعضهم بأن المعنى إصابتهم بالسنين، وهذا مروى عن النخعي، وقال عبدالرحمن بن زيد: هو عذاب الدنيا، انظر أقوالهم في: تفسير الطبري ١٠٨/٢١، ١٠٩، ١١٠. مصدر سابق.

(٣) معاني القرآن وإعرابه ٢٠٨/٤.

(٤) محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الطبري، الإمام أبو جعفر، صاحب التفسير الكبير والتاريخ الشهير، كان إماماً في فنون كثيرة منها التفسير والحديث والفقه والتاريخ وغير ذلك، كان ثقة في نقله، وتاريخه أصح التواريخ وأثبتها، ولد في أمل طبرستان سنة (٢٢٤هـ)، واستوطن بغداد، وجمع الكثير من العلم، من تصانيفه العظيمة جامع البيان في تأويل القرآن، وغيره من الكتب، توفي سنة (٣١٠هـ)، طبقات الحفاظ ١/٣١٠ - ٣١١، لعبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، ط١، (١٤٠٣م)، دار الكتب العلمية، بيروت، ، وتاريخ بغداد ٢/٥٤٨، لأحمد بن علي أبو بكر الخطيب البغدادي، ط١، (١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢ م)، دار الغرب الإسلامي - بيروت، ت: الدكتور بشار عواد معروف، وتذكرة الحفاظ للذهبي، ٢/٢٠١، ٢٠٢، مصدر سابق. وفيات الأعيان ٤/١٩١، لبين خلكان، مصدر سابق.

(٥) تفسير الطبري ١١٠/٢١، مصدر سابق.

(٦) انظر: ص ٤٧، من البحث.

(٧) هو: أحمد بن عبدالحليم بن عبد السلام الحرّاني، أبو العباس، المعروف بابن تيمية، الإمام الرباني، كان سيفاً مسلولاً على المخالفين، وإماماً قائماً ببيان الحق ونصرة الدين، صاحب تصانيف كثيرة، ولد سنة ٦٦١ هـ، ومات سنة ٧٢٨ هـ. انظر ترجمته مفصلة له بعنوان: العقود الدرية في مناقب شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، لابن عبد الهادي وطبقات علماء الحديث: للإمام أبي عبد الله محمد بن عبد الهادي الدمشقي ت: أكرم البوشي وإبراهيم الزبيق - ط١: مؤسسة الرسالة بيروت ١٤٠٩ هـ. له أيضاً ٤/٢٧٩ - ٢٩٦

بعض صفات المفسر من الأسماء لا ينافي ذلك ثبوت بقية الصفات للمسمى^(١)، ويمكن أن يمثل لذلك بما سبق في معنى الصراط المستقيم، فإن كل مفسر وصف اللفظ بصفة من صفاته تختلف عن الصفة الأخرى، وكله يؤول لشيء واحد.

رابعاً: أن يحتمل اللفظ أكثر من معنى، إما لأنه مشترك في اللغة، أو لأنه متواطئ^(٢)؛ أما المشترك في اللغة فكلفظ: (قسورة)، وهي تحتل معاني، فقد ذهب ابن عباس^(٣)، ومجاهد^(٤)، وعكرمة^(٥) وقتادة^(٦) أن قسورة بمعنى: الرامي أو الرماة، وجاء عن أبي هريرة^(٧)، وابن عباس في رواية، وزيد بن أسلم^(٨)، وابنه عبدالرحمن^(٩)، أن قسورة بمعنى الأسد، وروي عن قتادة، أنه قال: قسورة النبل^(١٠).

ومن ذلك أيضاً لفظ (عسس) حيث ذهب أكثر أهل التفسير أنه بمعنى أدبر، وذهب الحسن البصري^(١١) أنه بمعنى: أقبل^(١٢).

(١) مجموع الفتاوي ٣٩٠/٦، مصدر سابق.

(٢) المصدر السابق ٣٤٠/١٣. قواعد الترجيح عند المفسرين ٤٦/١، ٤٧، للشيخ حسين الحربي، فصول في أصول التفسير، ٦١، للشيخ مساعد الطيار.

(٣) انظر: ص ٤٧، من البحث.

(٤) انظر: ص ٤٧، من البحث.

(٥) أبو عبد الله مولى ابن عباس، أصله بربري، ثقة ثبت، عالم بالتفسير من الثالثة، توفي سنة (١٠٤هـ)، وقيل قبل ذلك، تهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني، ٢٣٤/٧-٢٣٥، مصدر سابق

(٦) قتادة بن دعامة بن قنادة بن عزيز، أبو الخطاب السدوسي البصري. ولد سنة (٦١هـ)، وتوفي (١١٧هـ)، تهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني، ٣٥١/٨-٣٥٦، مصدر سابق - الأعلام، للزركلي، ١٨٩/٥، مصدر سابق.

(٧) عبد الرحمن بن صخر أبو هريرة الدوسي، كان اسمه في الجاهلية عبد شمس بن صخر، فلم أسلم سمي عبد الرحمن، روى كثيراً من الأحاديث عن النبي ﷺ توفي سنة: (٥٨هـ)، سير السلف الصالحين، ١/ ٥٣٧، ل إسماعيل بن محمد بن الفضل بن علي القرشي الطليحي التيمي الأصبهاني، ط: دار الراجية للنشر والتوزيع، الرياض، ت: د. كرم بن حلمي بن فرحات بن أحمد.

(٨) هو: زيد بن أسلم العدوي العمري مولاهم، أبو أسامة، أو أبو عبد الله، فقيه مفسر، كانت له خلقة للعلم في مسجد النبي - صلى الله عليه وسلم - له كتاب في التفسير رواه عنه ولده عبد الرحمن، توفي سنة ١٣٦هـ. انظر: تهذيب التهذيب ٣/ ٣٩٥، المصدر السابق. وطبقات المفسرين للداوودي ١/ ١٨٢-١٨٣، مصدر سابق.

(٩) انظر: ص ٤٧، من البحث.

(١٠) أقوالهم في تفسير الطبري ١٦٨-٢٩٣، وما بعدها. مصدر سابق.

(١١) الحسن بن أبي الحسن يسار البصري أبو سعيد مولى الأنصار، من كبار التابعين وكان بحراً في العلم، وإماماً زاهداً وحافظاً، نشأ في المدينة ولد لسنتين بقيتا من خلافة عمر بن الخطاب، وتوفي سنة (١١٠هـ)، تهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني، ٢/ ٢٣١، مصدر سابق

(١٢) تفسير الطبري ٣/ ٧٧ وما بعدها، مصدر سابق. وتفسير ابن كثير ٤/ ٤٨٠، ط: دار الفكر، بيروت، ١٤٠١هـ.

وأما المتواطئ فالمراد به: أحد الشئيين أو أحد النوعين مع الاتفاق على الأصل كالخلاف الواقع في تفسير الفجر في قوله ﴿وَالْفَجْرِ﴾^(١)، حيث اتفق المفسرون على أنه الصبح لكنهم اختلفوا في تعيين ذلك الفجر فذهب علي^(٢)، وابن عباس^(٣) وعكرمة^(٤) وغيرهم: أنه فجر كل صبح^(٥)، وقال مسروق^(٦)، ومجاهد^(٧) ومحمد بن كعب القرظي^(٨): فجر يوم النحر خاصة^(٩)، وقال ابن عباس، في رواية، وقتادة^(١٠) أول فجر من أيام السنة^(١١)، وقيل غير ذلك.

الثاني: اختلاف التضاد:

ومعناه: الاختلاف في اللفظ والمعنى مع عدم احتمال المعنيين معاً للتضاد بينهما، فتحمل الآية على الأرجح منهما بدلالة السياق أو غيره^(١٢). وسيكون بحثي في هذه الأنواع من أنواع الاختلاف إن شاء الله تعالى.

(١) سورة الفجر الآية ١

(٢) علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف القرشي الهاشمي، أبو الحسن، ابن عم رسول الله، وصهره، أول الناس إسلاماً من الصبيان، ولد قبل البعثة بعشر سنين على الصحيح، وتربى في حجر النبي ﷺ، ولم يفارقه، وشهد معه المشاهد إلا غزوة تبوك، فقال له بسبب تأخيره له بالمدينة: (ألا ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى)، الإصابة في تمييز الصحابة، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني، الشافعي، ط١، (١٤١٢هـ)، دار الجيل - بيروت، ت: علي محمد البجاوي، ٥٦٤/٤، أسد الغابة في معرفة الصحابة، عز الدين بن الأثير أبي الحسن بن محمد الجذري، ط١، دار الكتب العلمية، (١٤١٥هـ - ١٩٩٤م)، ت: علي محمد معوض وعادل أحمد عبد الموجود، ٨٧/٤.

(٣) انظر: ص٤٧، من البحث.

(٤) انظر: ص٤٩، من البحث.

(٥) تفسير القرطبي ٣٨/٢٠. الجامع لأحكام القرآن. للقرطبي، ط دار الشعب بالقاهرة.

(٦) مسروق بن الأجدع بن مالك الهمداني الكوفي، من كبار التابعين، ومن المخضرمين الذين أسلموا في حياة النبي ﷺ توفي سنة ٦٢، وقيل غير ذلك، أعلام النبلاء ٦٣/٤. مصدر سابق.

(٧) انظر: ص٤٧، من البحث.

(٨) محمد بن كعب بن سليم القرظي، سكن الكوفة ثم المدينة، وحدث عن أبي هريرة وابن عباس وغيرهما، وكان قارئاً ومن أوعية العلم مات سنة ١٠٨هـ، سير أعلام النبلاء ٦٥/٥. المصدر السابق.

(٩) تفسير ابن أبي حاتم ٣٤٢٣/١٠، مصدر سابق. تفسير القرطبي ٣٩/٢٠. المصدر السابق.

(١٠) انظر: ص٤٩، من البحث.

(١١) تفسير القرطبي ٣٨/٢٠. مصدر سابق.

(١٢) تفسير الشيخ محمد بن عثيمين لسورتي الفاتحة والبقرة ٣٥/١ ط١، دار ابن الجوزي بالدمام، ١٤٢٣هـ.

المبحث الثاني: صيغ الاختيار وأساليبه عند الإمام النَّسْفِي،

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: التنصيصُ على القول المختار.

المطلب الثاني: التفسيرُ بقولٍ مع النص على ضعف غيره.

المطلب الثالث: التفسيرُ بالقولِ المختار وذكره بصيغة الجزم،

وذكر الأقوال الأخرى بصيغة التمرّيز.

المطلب الأول: التنصيصُ على القول المختار.

وتعد هذه الطريقة هي الأساس، والأشهر من بين طرق الترجيح عند المفسرين، وتعني هذه الصيغة النص على الصواب وما في معناه.

والتنصيص : مأخوذ من النص على الشيء وهو ما ازداد وضوحاً على الظاهر لمعنى في المتكلم وسوق الكلام لأجل ذلك المعنى ، فإذا قيل : أحسنوا إلى فلان الذي يفرح بفرحي ويغتم بغمي ، كان ذلك نصاً في بيان محبته، فهو الذي لا يحتمل إلا معنى واحداً، وقيل : ما لا يحتمل التأويل^(١) .

وعلى هذا فإن النص على الرأي المختار يراد به الاختيار والترجيح ولا يحتمل غير ذلك ، ولذا فقد جعلت هذا الأسلوب في مقدمة أساليب الاختيار عند النسفي. وهذا المبحث مرتبط بما ذكرته في التمهيد ، حيث إن كثيراً من صيغ الاختيار عند النسفي تدل على النص على الرأي المختار وما عداه فإنه مرجوح .

وسيكون الحديث عن النص على الرأي المختار دون ذكر التدليل والعلة :

ومعلوم في القواعد أن "التنصيص على الشيء لا يلزم منه النفي عما عداه"^(٢) .

وذكرها هنا مثال على أهميتها في التعامل مع أقوال السلف . وأما المثال على أهميتها

في فهم كلام الله - عز وجل - فهو قول الله تعالى : ﴿بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا

أَتَتْهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِّنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾^(٣) فتخصيص العرب الذين لم يأتهم نذير من

قبل الرسول - صلى الله عليه وسلم - بالذكر لا يلزم منه خروج من أتاهاهم النذير .

(١) التعريفات للرجزاني ، ص ٣٠٩ . ت، إبراهيم الأبياري ، ط١ دار الكتاب العربي بيروت ، ١٤٠٥ هـ .

(٢) ذكر هذه القاعدة ابن الحنبلي في كتابه : استخراج الجدل من القرآن الكريم ص١٢٩ لفظ " التنصيص بالذكر لا يدل على الاختصاص في الحكم" . و قواعد التفسير - جمعاً ودراسة ٢/٦٤٣-٦٤٤ : لخالد بن عثمان السبت ط١ دار ابن عقان المملكة العربية السعودية ، الخُبر ١٤١٧ هـ .

(٣) سورة السجدة الآية من ٣

ومن أمثلة ذلك - مما هو مقرر دراسته - عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ . . ﴾^(١) قال: **والظاهر** أنه أحسن ما يقتص في بابه كما يقال فلان أعلم الناس أي في فنه^(٢).

وعند تفسيره لقوله تعالى: ﴿إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ﴾^(٣) قال الامام النسفي: (قيل اللام بمعنى على كقوله: ﴿وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتِ﴾^(٤) **والصحيح** أنها على بابها لأن اللام للاختصاص والعامل مختص بجزء عمله ، حسنة كانت أو سيئة).^(٥)

وعند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ﴾^(٦) قال الإمام النسفي: (هو ابن إبراهيم في **الأصح**)^(٧)

(١) سورة يوسف الآية ٣

(٢) تفسير النسفي، ٢/ ٩٣، ٩٤، (مدارك التنزيل وحقائق التأويل) لـ أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي، حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي راجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستو ط ١ دار الكلم الطيب، بيروت، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م. انظر: ص ١٤٥، من البحث.

(٣) سورة الإسراء الآية ٧

(٤) سورة البقرة الآية ٢٨٦

(٥) تفسير النسفي، ٢/ ٢٥٥، المصدر السابق.

(٦) سورة مريم الآية ٥٤

(٧) تفسير النسفي ٣/ ٣٩، المصدر السابق.

المطلب الثاني: التفسير بقول مع النص على ضعف غيره

المراد بهذه الطريقة حصر القول - أو الأقوال - الراجح في ما عدا الأقوال المردودة فإذا قام الدليل على رد بعض الأقوال فالصواب منحصر في ما عداها فإن الاختيار كما يكون بالنص على صواب قول وصحته، يكون - أيضاً - برد بعض الأقوال الواردة في الآية المفسرة وإن لم ينص المفسر على اختياره وترجيحه .

وهذه الطريقة معتبرة معروفة عند العلماء . بل حكى الإمام ابن عبد البر رحمه الله^(١) . الإجماع على مضمونها حيث قال: (ولا خلاف - بين أهل العلم والنظر - أن المسألة إذا كان فيها وجهان فقام الدليل على بطلان الوجه الواحد منهما أن الحق في الوجه الآخر، وأنه مستغن عن قيام الدليل على صحته، بقيام الدليل على بطلان ضده)^(٢) وأما إذا أشار المفسر إلى ضعف الأقوال الأخرى بطريقة معينة لم يدع مجالاً للشك في أنه يختار ما اعتمده .

وهذا الأسلوب وإن ظهرت دلالاته على اختيار المفسر لما اعتمده إلا أنه ليس كغيره من الأساليب من حيث النص على الرأي المختار ، فهو أقل من الأساليب الأخرى من حيث قوة الاختيار والترجيح ، فالأقوال التي يشير المفسر إلى ضعفها ليست باطلة من كل وجه بل هي محتملة^(٣) .

(١) هو يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمري القرطبي المالكي، أبو عمر، من كبار حفاظ الحديث، مؤرخ أديب باحث، حافظ المغرب، ولد بقرطبة سنة ٣٦٨هـ، وتوفي بشاطبة سنة ٤٦٣هـ، من مصنفاته: الاستيعاب في تراجم الصحابة، وجامع بيان العلم وفضله. وفيات الأعيان ٦٦/٧ ترجمة رقم (٨٣٧) ، وسير أعلام النبلاء ١٥٣/١٨، مصدران سابقان

(٢) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد ٢٠ / ١٩٩، لـ أبي عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر . مكتبة عيسى الحلبي . القاهرة ، ١-١٣٩٨هـ

(٣) اختيارات ابن تيمية في التفسير: ١٠٠ ، ١٠١ ، مصدر سابق .

والحاصل : أن هذا الأسلوب ليس كغيره من الأساليب التي استخدمها النسفي في اختياراته من حيث القوة في اختيار قول من الأقوال ؛ لأن الأقوال التي أوردتها النسفي بصيغة التمريض ليست باطلة من كل وجه بل هي محتملة .

والمراد بهذه الطريقة :حصر القول الراجح بما عداه من الأقوال المردودة ,فإذا قام الدليل على رد بعض الأقوال ,فالصواب منحصر فيما عداها ,فإن الترجيح يكون بالنص على صواب قول ,وصحته ,ويكون برد بعض الأقوال الواردة في الآية المفسرة , وإن لم ينص المفسر على اختياره ,وترجيحه ,والأمثلة على ذلك :

في تفسيره لقوله تعالى: ﴿لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ﴾^(١) قال الإمام النسفي: (أعرض عنها فلم ينجع فيه حتى مثل له يعقوب عاضاً على أنملته وهو باطل ويدل على بطلانه قوله ﴿هِيَ زَوَدَتْنِي عَنْ نَفْسِي﴾ ولو كان ذلك منه أيضاً لما برأ نفسه من ذلك)^(٢).

وقال أيضاً في تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَتِ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً﴾^(٣) قال الإمام النسفي: (اللام لتأكيد النفي أي أن نفي الكافة عن أوطانهم لطلب العلم غير صحيح للإفضاء إلى المفسدة)^(٤)

(١) سورة يوسف الآية ٢٤

(٢) تفسير النسفي ١٠٤/٢، مصدر سابق.

(٣) سورة التوبة الآية ١٢٢

(٤) تفسير النسفي، ٧١٧/١، مصدر السابق.

المطلب الثالث: التفسير بالقول المختار وذكره بصيغة الجزم وذكر الأقوال الأخرى بصيغة التمريض

هذه الصيغة في الترجيح معروفة مستعملة عند العلماء ، فإن الاعتماد على قول ما أو حكايته بصيغة الجزم، وهي الألفاظ المبنية للفاعل، كقال، وروى، وذكر، دليل على أن المفسر يراه الصواب، وحكايته بصيغة التمريض، وهي الألفاظ المبنية للمفعول، كروي، وقيل، وذُكر، ونحوها، دليل على تضعيفه وعدم اعتماده.

وهذه الطريقة اصطلاح العلماء من أهل الحديث وغيرهم على العمل بها في التصحيح والتضعيف^(١)

اصطلاح العلماء على نقل ما يشك في صحته على صيغ يمكن التعبير بها عن ضعف قول من الأقوال، ومن تلك الصيغ : قيل، وروي، ونقل ونحوها وهي ما تسمى بصيغ التمريض^(٢).

وقد وجد مثل هذه الصيغ عند الإمام النسفي في كتابه، وخاصة في مواطن الاختلاف، وهذا الأسلوب الذي نحن بصدده؛ مبناه الاعتماد على قول ما في تفسير الآية، مما يدل دلالة ظاهرة على أن المفسر يراه هو الصواب أو الأصح، ويكون ما سواه رأياً مرجوحاً.

(١) "الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث ٨٦ لابن كثير ت أحمد بن محمد شاکر ، ط ١ دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٠٣ هـ . والنكت على كتاب ابن الصلاح ١ / ٣٢٦ ، ل أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ) ت ربيع بن هادي عمير المدخلي ط ١ عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م والتبصرة والتذكرة ١/٦٩، ل أبو الفضل زين الدين عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن بن أبي بكر بن إبراهيم العراقي (المتوفى: ٨٠٦هـ) ت عبد اللطيف الهميم - ماهر ياسين فحل ط ١ دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م. وتدريب الراوي ١/٩٠، في شرح تقريب النواوي ل عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ) ت أبو قتيبة نظر محمد الفاريابي ط دار طيبة. ومعجم مصطلحات الحديث ولطائف الإسناد ٤٤، ل د. محمد ضياء الرحمن الأعظمي، ط ١ أضواء السلف، الرياض، ١٤٢٠هـ. ومنهج النقد في علوم الحديث ٢٩٦ ، للدكتور نور الدين عتر، دار الفكر، دمشق، ط ٢ ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م.

(٢) النكت على كتاب الصلاح لابن حجر ١/٣٢٦. المصدر السابق.

من أمثلة ذلك في تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانُوا الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ

فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾^(١)

قوله: **وقيل:** إن رسول الله ﷺ كان إذا بعث بعثاً بعد غزوة تبوك بعد ما أنزل في المتخلفين من الآيات الشداد استبق المؤمنون عن آخرهم إلى النفير وانقطعوا جميعاً عن التفقه في الدين، فأمرُوا أن ينفر من كل فرقة منهم طائفة إلى الجهاد، ويبقى سائرهم يتفقهون حتى لا ينقطعوا عن التفقه الذي هو الجهاد الأكبر، إذ الجهاد بالحجاج أعظم أثراً من الجهاد بالنصال.^(٢)

وقال أيضاً في تفسيره لقوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ﴾^(٣) يرشد إليه ﴿قُلْ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يُهْدَى﴾ يقال هداه للحق وإلى الحق فجمع بين اللغتين ويقال هدى بنفسه بمعنى اهتدى كما يقال شرى بمعنى اشترى...، **وقيل** معناه أم من لا يهتدي من الأوثان إلى مكان فينتقل إليه إلا أن يهدي إلا أن يهدي إلا أن ينقل أو لا يهتدي، ولا يصح منه الاهتداء إلا أن ينقله الله من حاله إلى أن يجعله حياً ناطقاً فيهديه.^(٤)

وقال أيضاً في تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهٖ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهٖ...﴾^(٥). قال: وهم بها هم خطرة ولا صنع للعبد فيما يخطر بالقلب ولا مؤاخذه عليه ولو كان همه كهمها لما مدحه الله تعالى بأنه من عباده المخلصين.^(٦)

ثم ذكر الأقوال الأخرى بصيغة التضعيف (قيل).

(١) سورة التوبة الآية ١٢٢

(٢) تفسير النسفي ٧١٨/١، مصدر سابق.

(٣) سورة يونس الآية ٣٥

(٤) تفسير النسفي ٢١/٢-٢٢، المصدر السابق.

(٥) سورة يوسف الآية ٢٤

(٦) تفسير النسفي، ١٠٣/٢، المصدر السابق. انظر: ص ١٤٨، من البحث.

- المبحث الثالث: وجوه الاختيار عند الإمام النَّسْفِي، وفيه تسعة مطالب:
- المطلب الأول: الاختيار بالنظائر القرآنية
- المطلب الثاني: الترجيحُ بظاهر القرآن.
- المطلب الثالث: الترجيحُ بالسياق.
- المطلب الرابع: الاختيار بالقراءات
- المطلب الخامس: الاختيار بالحديث النبوي
- المطلب السادس: الاختيار بأسباب النزول
- المطلب السابع: الاختيار بأقوال السلف.
- المطلب الثامن: الاختيار بالعموم.
- المطلب التاسع: الاختيار باللغة والشعر.

المطلب الأول: الاختيار النظائر القرآنية

والنظائر جمع نظير، والنظير هو المثل، قال في اللسان: "النظير المثل، وقيل: المثل في كل شيء، وفلان نظيرك أي: مثلك؛ لأنه إذا نظر إليهما الناظر رأهما سواء. . . والجمع: النظائر في الكلام والأشياء كلها"^(١)

والمراد بالنظائر هنا: أن يفسر المفسر بعض آيات القرآن ببعض، فإن دل موضع من القرآن على المراد بموضع آخر حملناه عليه، ورجحنا ذلك القول على غيره من الأقوال^(٢).

والتفسير الذي تؤيده آيات قرآنية مقدم على غيره، ولهذه القاعدة أصل في التفسير النبوي، لأن النبي ﷺ استعملها في تفسيره لبعض الآيات وصحح فهم الصحابة ﷺ لآيات بمقتضى هذه القاعدة^(٣)

وتفسير القرآن بالقرآن أصح طرق التفسير وأشرفها، فما أجمل في مكان فإنه قد فسّر في مكان آخر وما اختصر في مكان فقد بسط في موضع آخر، ولا أحد أعلم بمعنى كلام الله من الله ﷻ^(٤).

وأمتة ذلك كثيرة؛ منها:

قوله تعالى: ﴿وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ﴾^(٥) قال النسفي: المراد به الجنس ولذا قال ﴿وَمِنْهَا جَائِرٌ﴾ والقصد مصدر بمعنى الفاعل وهو القاصد يقال سبيل قصد وقاصد أي مستقيم

(١) لسان العرب ٢١٩/٥، كلمة (نظر). مصدر سابق.

(٢) التسهيل لعلوم التنزيل ٩/٣. لمحمد بن أحمد بن جزي الكلبي: ط٢؛ بيروت: دار الكتاب العربي: ١٣٩٣هـ.

(٣) قواعد الترجيح ٣١٢/١، ٣١٣. مصدر سابق.

(٤) مقدمة في أصول التفسير لشيخ الإسلام ابن تيمية ٧٣، ط٣؛ بيروت، دار القرآن الكريم: ١٣٩٩هـ. ت، عدنان زرزور.

(٥) سورة النحل الآية ٩

كأنه يقصد الوجه الذي يؤمه السالك لا يعدل عنه، ومعناه أن هداية الطريق الموصل إلى الحق عليه كقوله: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ﴾^(١) وليس ذلك للوجوب، إذ لا يجب على الله شيء، ولكن يفعل ذلك تفضلاً، وقيل معناه وإلى الله، وقال الزجاج^(٢) معناه وعلى الله تبيين الطريق الواضح المستقيم، والدعاء إليه بالحجج، ومنها جائز، أي من السبيل مائل عن الاستقامة.^(٣)

ومثال آخر عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَمًا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ﴾^(٤) في سورة الأنعام يعني ﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَمًا كُلَّ ذِي ظُفْرٍ﴾^(٥) الآية ﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ﴾^(٦) بالتحريم ﴿وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾^(٧) فحرمانا عليهم عقوبة على معاصيهم^(٨).

(١) سورة الليل الآية ١٢.

(٢) انظر: ص ٤٧، من البحث.

(٣) تفسير النسفي، ٢/ ٢٠٥، مصدر سابق. انظر: ص ٢١٥، من البحث.

(٤) سورة النحل الآية ١١٨

(٥) سورة الأنعام الآية ١٤٦

(٦) سورة هود الآية ١٠١

(٧) سورة البقرة الآية ٥٧

(٨) تفسير النسفي ٢/ ٢٥٢، المصدر السابق.

المطلب الثاني: الترجيح بظاهر القرآن

الترجيح بالظاهر من وجوه الترجيح المعتمد عند المفسرين.

والظاهر: هو ما يسبق إلى الفهم منه عند الإطلاق معنى مع تجويز غيره،^(١) وإن شئت قلت: ما احتمل معنيين هو في أحدهما أظهر.^(٢)

حكم الظاهر: أن يصار إلى معناه الظاهر، ولا يجوز تركه إلا بتأويل^(٣).

والتأويل: صرف اللفظ عن الاحتمال الظاهر إلى احتمال مرجوح به، لاعتضاده بدليل يصير به أغلب على الظن من المعنى الذي دل عليه الظاهر. والدليل يكون قرينة أو ظاهراً آخر، أو قياساً راجحاً، ومهما تساوى الاحتمالان وجب المصير إلى الترجيح. فتكون القاعدة: (لا يجوز العدول عن ظاهر القرآن، إلا بدليل يجب الرجوع إليه)^(٤).

مثال ذلك: قال الإمام النسفي - رحمه الله - : ﴿إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا﴾^(٥) سحر فجن. وقال في موضع آخر: سحرت فخلوط عقلك. وقال في موضع ثالث: سحر فجن أو ذا سحر وهو الرئة عنوا أنه بشر لا ملك.^(٦)

فسرت الآية بأقوال ثلاثة أخرى ولم تكن موافقة لظاهر القرآن.

(١) روضة الناظر وجنة المناظر ٥٦٣/٢. في أصول الفقه على مذهب الإمام أحمد بن حنبل لـ أبو محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة الجماعلي المقدسي ثم الدمشقي الحنبلي، الشهير بابن قدامة المقدسي (المتوفى: ٦٢٠هـ) ط ٣ مؤسسة الريان للطباعة والنشر والتوزيع ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م

(٢) شرح الورقات ١٦٣، لـ أبو عبد الله، أحمد بن عمر بن مساعد الحازمي مصدر الكتاب: دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشيخ الحازمي <http://alHazme.net> والظاهر أيضاً ما دل على معنى واحتمل غيره احتمالاً مرجوحاً. قواعد التفسير ٦٧٢/٢. مصدر سابق.

(٣) قواعد التفسير ٦٧٢/٢ المصدر السابق.

(٤) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ٤٠/١. لـ محمد الأمين محمد المختار الجكني الشنقيطي، تحقيق، مكتب البحوث والدراسات ط: دار الفكر للطباعة والنشر بيروت عام ١٤١٥هـ ١٩٩٥م. قواعد الترجيح ١٣٧/١. مصدر سابق.

(٥) سورة الإسراء الآية ٤٧

(٦) تفسير النسفي، ٢ / ٢٦٠، ٢٨٠، ٥٢٧، مصدر سابق. انظر: المسألة السادسة والثلاثون من البحث.

المطلب الثالث: الترجيح بالسياق

إن النظر في سياق الآية من حيث سباقها ولحاقها يعين المفسر على القول الراجح، فعلى المفسر أن ينظر إلى الكلمة أو الجملة من الآية في سياق النص القرآني^(١). فدلالة السياق من أعظم القرائن الدالة على مراد المتكلم^(٢)، وحمل الآية على التفسير الذي يجعلها داخلة في معاني ما قبلها وما بعدها أولى وأحسن، لأنه أوفق للنظم، وأليق بالسياق، ما لم يرد دليل يمنع من هذا التفسير، أو يصحح غيره^(٣). قال ابن جزى رحمه الله: (يشهد بصحة القول سياق الكلام، ويدل عليه ما قبله أو ما بعده)^(٤). وروي عن مسلم ابن يسار^(٥) رحمه الله أنه قال: (إذا حدثت عن الله حديثاً، فقف حتى تنظر ما قبله وما بعده)^(٦).

-
- (١) فصول في أصول التفسير ١٠٤، مصدر سابق. بحوث في أصول التفسير ومناهجه، ١٤٠ ل. د. فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي ط ٣ مكتبة التوبة- الرياض - السعودية - ١٤١٦ هـ..
- (٢) البرهان في علوم القرآن ١٢٧/٢، ل بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، ط دار الفكر، بيروت، ١٤٠٨ هـ
- (٣) قواعد الترجيح ١٢٥/١. مصدر سابق.
- (٤) القاعدة السادسة من أوجه الترجيح في التسهيل لعلوم القرآن ١٩/١. مصدر سابق.
- (٥) مسلم بن يسار أبو عبدالله الفقيه البصري، تابعي ثقة كان إماماً فقيهاً فاضلاً ورعاً عابداً زاهداً ت ١٠٠ هـ. صفة الصفوة ٢٩٣/٣. ل جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي . ت : إبراهيم رمضان . دار الكتب العلمية ، ١٤٠٩ هـ . و تهذيب الأسماء ٩٣/٢، أبو زكريا محي الدين يحيى بن شرف بن خرام، دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى ١٩٩٦ م. و تهذيب التهذيب ٧٣/٤. مصدر سابق.
- (٦) أخرجه ابن أبي شيبة ٧ / ٢٣١ ل أبو بكر بن أبي شيبة، عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان بن خواستي العبسي (المتوفى: ٢٣٥ هـ) ت كمال يوسف الحوت ط ١ مكتبة الرشد - الرياض ١٤٠٩. وذكر أيضاً في حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٢ / ٢٩٢) المؤلف: أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (المتوفى: ٤٣٠ هـ) ط السعادة - بجوار محافظة مصر، ١٣٩٤ هـ - ١٩٧٤ م ثم صورتها عدة دور منها ١ - دار الكتاب العربي - بيروت ٢ - دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ٣ - دار الكتب العلمية - بيروت (طبعة ١٤٠٩ هـ بدون تحقيق)

مثال ذلك: قال الإمام النسفي عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَعْيسَى ابْنَ مَرْيَمَ ءَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمَّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾^(١) الجمهور على أن هذا السؤال يكون في يوم القيامة دليله سياق الآية وسبقها^{(٢)(٣)}.

(١) سورة المائدة الآية ١١٦.

(٢) تفسير النسفي ١ / ٤٨٦، مصدر سابق.

(٣) انظر: ص ١٨٤، من البحث.

المطلب الرابع: الاختيار بالقراءات

يقول العلامة محمد الشنقيطي^(١): (اعلم أولاً ; أن القراءتين إذا ظهر تعارضهما في آية واحدة لهما حكم الآيتين; كما هو معروف عند العلماء).^(٢)

وقال ابن تيمية^(٣) رحمه الله (وكل قراءة منها مع القراءة الأخرى بمنزلة تعدد الآية مع الآية يجب الإيمان بها كلها واتباع ما تضمنته من المعنى علماً وعملاً ولا يجوز ترك موجب إحداهما لأجل الأخرى ظناً أن ذلك تعارض)^(٤)

وإذا ثبتت القراءتان فلا نرجح إحداهما ترجيحاً يكاد يسقط الأخرى وإذا اختلف الإعرابان لم نفضل إعراباً على إعراب كما لا نقول بأن إحدى القراءتين أجود من الأخرى^(٥).

مثال ذلك: قال الإمام النسفي عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً﴾^(٦)

أي أهل قرية ﴿أَمْرًا مُتْرَفِهَا﴾ متعميها وجبارتها بالطاعة عن أبي عمرو^(٧) والزجاج^(٨)

(١) هو : محمد الأمين بن محمد المختار بن عبدالقادر الجكني الشنقيطي ، أحد كبار العلماء في القرن الماضي ، وصاحب المؤلفات النافعة ، وأشهر مؤلفاته : (أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن) الذي يعتبر من أفضل ما ألف في تفسير القرآن ، توفي سنة ١٣٩٣ هـ بمكة المكرمة . انظر ترجمته في : مقدمة تفسير أضواء البيان ، ومعجم المفسرين لعادل نويهض ٤٩٦/٢ .

(٢) أضواء البيان ١/٣٣٠ ، مصدر سابق .

(٣) انظر : ص ٤٨ ، من البحث .

(٤) (مجموع الفتاوى ١/٢٣٩ ، ط١ : مكتبة الرشد بيروت ١٤٢٦ هـ ٢٠٠٥ م . اعتنى بها محمد بن حسين القحطاني . النشر في القراءات العشر لمحمد بن محمد بن يوسف الجزري ، ت ٨٣٣ هـ ١/٥١ ، ٥٢ ، ت : علي الضباع ط : دار الكتب العلمية .

(٥) البرهان في علوم القرآن ١/٢٣٩ لبدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم المكتبة العصرية صيدا - بيروت ، ١٤٢٥ هـ ٢٠٠٥ م . والإتقان ١/ ١٠٩ ، والإتقان في علوم القرآن لجلال الدين السيوطي ت ٩١١ هـ ط ٤ : مكتبة مصطفى البابي الحلبي بمصر ١٣٩٨ هـ ١٩٧٨ م . قواعد التفسير ١/٩٧ . قواعد التفسير جمعاً ودراسة لخالد السبت دار ابن عفان ١٤٢٦ هـ ٢٠٠٥ م (٦) سورة الإسراء الآية ١٦

(٧) هو : أبو عمرو بن العلاء المازني المقرئ النحوي البصري الإمام ، مقرئ أهل البصرة ، اسمه زيّان على الأصح ، كان من أعلم الناس بالقرآن والعربية وأيام العرب والشعر وأيام الناس ، وهو أحد القراء السبعة ، مات سنة ١٥٤ هـ . معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار ١/ ١٠٠ - ١٠٥ ، للحافظ الذهبي : ط ١ ؛ مؤسسة الرسالة ، بيروت : ١٤٠٤ هـ . ت : بشّار عوّاد معروف ، وشعيب الأرنؤوط ، وصالح مهدي .

(٨) انظر : ص ٤٧ ، من البحث .

﴿فَفَسَقُوا فِيهَا﴾ أي خرجوا عن الأمر كقولك أمرته فعصى أو أمرنا كثرنا دليله قراءة
يعقوب^(١) أمرنا^(٢)^(٣)

(١) هو يعقوب بن إسحاق بن زيد بن عبد الله بن أبي إسحاق، أبو محمد الحضرمي مولاهم البصري، أحد القراء العشرة، توفي سنة ٢٠٥ هـ وله ثمان وثمانون سنة . سير أعلام النبلاء ١٠/١٦٩ ، وغاية النهاية ٢/٣٨٦ ، في طبقات القراء، لأبي الخير محمد بن الجزري: ط٣، بيروت: دار الكتب العلمية: ١٤٠٢ هـ. عني بنشره: برجستراسر.

(٢) تفسير النسفي، ٢/٢٤٩، مصدر سابق.

(٣) انظر: ص ٢٣٥، من البحث.

المطلب الخامس: الاختيار بالحديث

الرسول ﷺ أعلم الخلق بمعاني كلام الله، وقد كلفه الله تعالى ببيان معاني القرآن كما قال تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَنْفَكُرُونَ﴾^(١) فإذا ثبت حديثاً من كلام الرسول ﷺ في تفسير آية فلا يصار إلى غيره، وحسبك به، فهو نص في بيان كلام الله تعالى^(٢).

معنى ثبوت الحديث: أن يكون في درجة الاحتجاج به سواء كان في مرتبة الصحيح بنوعيه، أو في مرتبة الحسن بنوعيه.

وعليه فإن الحديث إذا ثبت وكان نصاً في تفسير الآية أو مبيناً موضحاً فإنه لا يجوز العدول عنه يقول محمد بن إدريس الشافعي^(٣): كل ما حكم به رسول الله ﷺ فهو مما فهمه من القرآن^(٤)، وقال الطبري^(٥): "إن مما أنزل الله على نبيه ﷺ ما لا يوصل إلى علم تأويله إلا ببيان رسول الله ﷺ، وذلك تأويل جميع ما فيه من وجوه أمره - واجبه ونديه وإرشاده - وصنوف نواهيته، ووظائف حقوقه وحدوده ومبالغ فرائضه، ومقادير اللازم بعض خلقه لبعض، وما أشبه ذلك من أحكام آيه التي لم يدرك علمها إلا ببيان رسول الله ﷺ أمته، وهذا وجه لا يجوز لأحد القول فيه إلا ببيان رسول الله ﷺ له تأويله بنص منه عليه، أو بدلالة قد نصبها دالة أمته على تأويله"^(٦).

فإذا كان الأمر كذلك فهل نفسر القرآن الكريم بكل ما سمعناه عن رسول الله ﷺ

(١) سورة النحل الآية ٤٤

(٢) قواعد الترجيح لحسين الحري: ١/١٩١.

(٣) انظر: ص ٣٠، من البحث.

(٤) مجموع الفتاوى ٣٦٣/١٣، مصدر سابق.

(٥) انظر: ص ٤٨ من البحث.

(٦) تفسير الطبري، ط/ شاكر ٧٤/١، مصدر سابق.

سواء كان صحيحاً أو ضعيفاً، أو يقتصر على ما صح؟ هذا ما سأوضحه من خلال هذا التقسيم:

١ - إذا كان الحديث موضوعاً أي: مختلفاً مصنوعاً على رسول الله ﷺ^(١)، أو كان حديثاً ضعيفاً شديداً الضعف كأن يكون في إسناده أو متنه نكارة، فإن هذا الحديث مردود مطلقاً، ولا يقبل تفسير للنبي ﷺ بهذه الطريقة، وهذا ما عناه الإمام أحمد بن حنبل^(٢) بقوله: " ثلاث ليس لها أصول: المغازي والملاحم والتفسير"^(٣).

قال المحققون من أصحابه: ومراده أن الغالب أنها ليس لها أسانيد صحاح متصلة وإلا فقد صح من ذلك كثير^(٤).

وحمله على الغالب هو الصحيح؛ لأن كتب السنة والتفسير كالصحيحين والموطأ وسنن الترمذي ومسنن الإمام أحمد بن حنبل، وتفسير الطبري، وتفسير ابن أبي حاتم^(٥) فيها الكثير من المروي في التفسير بسند صحيح^(٦).

ويقول الشيخ محمد عبد العظيم الزرقاني: التفسير بالمأثور نوعان:

أحدهما: ما توافرت الأدلة على صحته وقبوله، وهذا لا يليق بأحد رده.

ثانيهما: ما لم يصح وهذا يجب رده ولا يجوز قبوله، ولا الاشتغال به إلا

(١) قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث ١٥٠. لمحمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي

(المتوفى: ١٣٣٢هـ) ط دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان

(٢) هو: الإمام، أبو عبد الله، أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني المروزي ثم البغدادي، أحد الأئمة الأعلام، قال الشافعي عنه: خرجت من بغداد فما خلفت بها رجلاً أفضل ولا أعلم ولا أفقه ولا أتقى من أحمد بن حنبل. مناقبه كثيرة جداً. مات - رحمه الله - سنة ٢٤١ هـ. انظر ترجمة موسعة مهمة له في: سير أعلام النبلاء ١١/١٧٧ - ٣٥٨، وتهذيب التهذيب ١/٤٣ - ٤٤ مصدران سابقان.

(٣) الكامل في الضعفاء ١/٢١٢، لابن عدي، ت، عادل عبد الموجود، وعلي محمد معوض. ط دار الكتب العلمية، بيروت ١٤١٨هـ. والبرهان ٢/١٥٦، مصدر سابق.

(٤) البرهان ٢/١٥٦ المصدر السابق. منهج الزجاج في اختياراته في التفسير من خلال كتابه: معاني القرآن وإعرايه ١/٦٢، مصدر سابق.

(٥) انظر: ص ٤٥، من البحث.

(٦) الحديث الضعيف وحكم الاحتجاج به ٣١٢، للدكتور عبد الكريم الخضير، ط دار المسلم بالرياض ١٤١٧هـ.

لتمحيصه^(١).

٢ - أن يكون الحديث ضعيفاً لكنه ليس شديد الضعف فهذا مبني على مسألة:

حكم الاحتجاج بالحديث الضعيف في الأحكام والتفسير والفضائل، فإن بعض أهل

العلم قبلوا الحديث الضعيف في التفسير بشروط ثلاثة:

١ - أن يكون ضعفه غير شديد؛ لأن ما كان ضعفه شديداً فهو متروك عند كافة

العلماء.

٢ - أن لا يكون في الباب غيره فإذا وجد في الباب غيره من حديث صحيح أو

حسن فإنه يجب المصير إلى الحديث الثابت، وترك ما لا يصح^(٢).

٣ - أن لا يكون ثمة ما يعارضه فإن اعترض الحديث الضعيف مرجحات غيره

فإنه لا يجوز المصير إليه.

ومعنى هذا: أن الحديث الضعيف إذا انفرد وليس شديد الضعف، وليس في الباب

غيره، ولم يكن هناك ثمة معارض من وجوه الترجيح الأخرى فإن بعض أهل العلم قد

احتج به؛ يقول الإمام أحمد بن حنبل^(٣): "ضعيف الحديث خير من الرأي"، وقد

استحسن ابن تيمية^(٤) قول الإمام أحمد هذا^(٥).

(١) مناهل العرفان في علوم القرآن ٢/٢٠ ل محمد عبدالعظيم الزرقاني ط ١ دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ١٤٠٩ هـ.

(٢) الحديث الضعيف وحكم الاحتجاج به، د. عبد الكريم الخضير، ٢٥٠، وما بعدها. المصدر السابق.

(٣) انظر: ص ٦٧، من البحث.

(٤) انظر: ص ٤٨، من البحث.

(٥) مجموع الفتاوى ١٨/٥٢، مصدر سابق.

ويقول الطبري^(١) في معرض اختياره أحد الأقوال: " وقد روي عن رسول الله ﷺ

بتصحيح ما قلنا بما في إسناده نظر"^(٢).

ويقول ابن القيم^(٣) في معرض اختياره أحد الأقوال: " الوجه الثاني: أن هذا مروى

عن النبي ﷺ، ولو كان من الغرائب فإنه يصلح للترجيح"^(٤).

مثال ذلك: قال الإمام النسفي عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿السَّيِّئُونَ﴾^(٥)

الصائمون لقوله ﷺ " سياحة أمتي الصيام"^(٦)، أو طلبه العلم لأنهم يسيحيون في

الأرض يطلبونه في مظانه، أو السائرون في الأرض للاعتبار^{(٧)(٨)}

(١) انظر: ص ٤٨، من البحث.

(٢) تفسير الطبري ٢١٦/٦، مصدر سابق.

(٣) هو أبو عبد الله، شمس الدين، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد، الزرعي، ثم الدمشقي الحنبلي، الشهير بابن قيم الجوزية رحمه الله. اشتهر هذا الإمام بين أهل العلم بـ " ابن قيم الجوزية "؛ لأن والده كان قيماً على المدرسة الجوزية بدمشق مدة من الزمن فقليل له: " قيم الجوزية " وهو امام من أئمة الاسلام وعلم من اعلامها ولد ٦٩١هـ وتوفى سنة ٧٥١هـ رحمه الله، شذرات الذهب ١٦٨/٦، مصدر سابق.

(٤) تحفة المودود بأحكام المولود ١٧. لمحمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى:

٧٥١هـ) ت عبد القادر الأرنؤوط ط١ مكتبة دار البيان - دمشق ١٣٩١ - ١٩٧١

(٥) سورة التوبة: الآية ١١٢

(٦) انظر: ص ٧٨، من البحث.

(٧) تفسير النسفي ١ / ٧١٣، ٢ / ٢٢٢، مصدر سابق.

(٨) انظر: ص ٧٧، و ص ٢٢٠ من البحث.

المطلب السادس: الاختيار بأسباب النزول

سبب النزول: هو ما نزلت الآية أو الآيات متحدثة أو مبينة لحكمه أيام وقوعه^(١)

لقد قرر الأئمة الأعلام أن من أهم فوائد معرفة أسباب النزول، أنها تعين على

فهم الآية على وجه صحيح^(٢) فإذا تنازع العلماء في تفسير آية من كتاب الله

وتعددت أقوالهم فيه، فأولى الأقوال بتفسير الآية ما وافق سبب النزول الصحيح

الصريح في السببية، وقرروا أن القول الذي يؤيده سبب النزول مقدم على ما ليس

كذلك^(٣) إن معرفة أسباب النزول تزيل الإشكال عن كثير من الآيات، وتعين على

فهم الآية وتفسيرها، لذا نجد المفسرين اهتموا بها، فصنفوا فيها المصنفات،

وذكروها في تفاسيرهم.

(١) الاتقان في علوم القرآن ١/٩٤، مصدر سابق. ومناهل العرفان في علوم القرآن ١/٩٦، مصدر سابق.

(٢) مقدمة في أصول التفسير لابن تيمية ٤٧، مصدر سابق. والبرهان ٥٣، مصدر سابق.

(٣) قواعد الترجيح عند المفسرين ١/٢٤١، مصدر سابق.

مثال ذلك: قال الإمام النسفي عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَعَلَى الثَّلَاثَةِ﴾^(١) أي وتاب

على الثلاثة وهم: كعب بن مالك^(٢) ومرارة بن الربيع^(٣) وهلال بن أمية^(٤)، وهو

عطف على ﴿الَّذِينَ خَلَفُوا﴾ عن الغزو^(٦).

(١) سورة التوبة الآية ١١٨

(٢) كعب بن مالك: بن أبي كعب الخزرجي الأنصاري يكنى أبا عبد الله، وقيل: أبا عبد الرحمن، كان أحد شعراء رسول الله (- صلى الله عليه وسلم -)، شهد أحدا والمشاهد بعدها إلا تيوك، وهو أحد الثلاثة الذين خُلفوا، وذكرهم القرآن. مات (- رضي الله عنه -) سنة خمسين، وقيل: ثلاث وخمسين. معجم الصحابة ٣٧٤/٢، لعبد الباقي بن قانع أبو الحسين- تحقيق: صلاح بن سالم المصراي- مكتبة الغرباء الأثرية- المدينة المنورة- الطبعة الأولى- ١٤١٨ هـ. والاستيعاب في معرفة الأصحاب ١٣٢٢/٣، للإمام ابن عبد البر- تحقيق: علي محمد الجاوي- دار الجيل بيروت- الطبعة الأولى- ١٤١٢ هـ. الإصابة في تمييز الصحابة ٦١١/٥، مصدر سابق.

(٣) هو مرارة بن الربيع الأنصاري الأوسي من بني عمرو بن عوف شهد بدرًا وهو أحد الثلاثة الذين تيب عليهم. انظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب ١٣٨٢/٣، المصدر السابق. تهذيب الأسماء واللغات ٣٩٣/٢، للإمام العلامة الفقيه الحافظ أبي زكريا محي الدين بن شرف النووي المتوفى سنة (٦٧٦ هـ)- دار الكتب العلمية- بيروت- لبنان. والإصابة في تمييز الصحابة ٦٥/٦، المصدر السابق.

(٤) هلال بن أمية الأنصاري الواقفي شهد بدرًا وهو أحد الثلاثة الذين تخلفوا عن غزوة تبوك فنزل القرآن فيهم وعلى الثلاثة الذين خلفوا الآية وهو الذي قذف امرأته بشريك بن السمحاء، الوافي بالوفيات ٢٧ / ٢١٧، مصدر سابق. ومعجم الصحابة ٢٠٣/٣ المصدر السابق. والاستيعاب في معرفة الأصحاب ١٥٤٢/٤، المصدر السابق. والإصابة في تمييز الصحابة ٥٤٦/٦، المصدر السابق.

(٥) أسباب نزول القرآن ٢٥٨ لـ أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (المتوفى: ٤٦٨ هـ) ت: عصام بن عبد المحسن الحميدان ط٢: دار الإصلاح - الدمام - ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م. وأسباب النزول ٢٦٤، لـ أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (المتوفى: ٤٦٨ هـ) ت: كمال بسيوني زغلول ط١: دار الكتب العلمية - بيروت، ١٤١١ هـ

(٦) تفسير النسفي ١ / ٧١٥، مصدر سابق. انظر: ص ٨٦، من البحث.

المطلب السابع: الاختيار بأقوال السلف

السلف في اللغة^(١)

ما مضى وتقدم يُقال: سلف الشيء سلفاً: أي: مضى، والسلف: الجماعة المتقدمون، أو القوم المتقدمون في السير.

قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا ءَاسَفُونَا اُنْتَقَمْنَا مِنْهُم فَأَغْرَقْنَاهُمْ اَجْمَعِينَ ﴾ ﴿٥٥﴾ فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْآخِرِينَ ﴿١﴾، أي: جعلناهم سلفاً متقدمين عبرة لمن بعدهم. وهذا سلف من الناس، أي سلف، وهو ضد الخليف. والأمم السالفة هي الماضية.

وفي الاصطلاح:

إذا أُطلقَ السلف عند علماء الإعتقاد فإنما يقصدون الصحابة - رضوان الله عليهم -، وأعيان التابعين لهم بإحسان وأتباعهم، وأئمة الدين المشهود لهم بالإمامة والفضل^(٢) ومن المنفق عليه عند العلماء أن أقوال سلف الأمة من الصحابة والتابعين لهم بإحسان، وأئمة الأمة المشهود لهم بالإمامة في العلم والدين، من القرون الثلاثة الأولى المفضلة، مقدمة على قول غيرهم، وهي من وجوه الترجيح المعتمدة عند علماء الأمة إذ قرروا أن تفسير السلف وفهمهم لنصوص الوحي حجة على من بعدهم^(٤).

(١) معجم مفردات ألفاظ القرآن ٢٤٤، للراغب الأصفهاني - تحقيق: نديم مرعشلي - دار الفكر بيروت. ومعجم اللغة مادة "سلف" منها: والمحيط في اللغة ٨/٣٢٣، لصاحب إسماعيل بن عباد. ت، محمد حسن آل ياسين ط١ عالم الكتب ١٤١٤هـ. ولسان العرب ٩/١٥٨، لابن منظور. ط١ دار صادر بيروت.

(٢) سورة الزخرف الآيتان ٥٥، ٥٦.

(٣) لوامع الأنوار البهية ١/٢٠، لمحمد بن أحمد السفاريني، ط٣: المكتب الإسلامي بيروت ١٤١١هـ.

(٤) قواعد الترجيح عند المفسرين ١/٢٧١، لحسين بن علي الحربي، ط١: دار القاسم، ١٤١٧هـ.

مثال ذلك: قال الإمام النسفي عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾^(١) عن ابن عباس^(٢) رضي الله عنهما هي العصا واليد والجراد والقمل والضفادع والدم والحجر والبحر والطور الذي نتقه على بني إسرائيل وعن الحسن^(٣) الطوفان والسنون ونقص الثمرات مكان الحجر والبحر والطور^(٤).

وقال أيضاً، عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ﴾^(٥) الضميران مفعولان أي وإذ يبصركم إياهم ﴿إِذِ اتَّقَيْتُمْ﴾ وقت اللقاء ﴿فِي أَعْيُنِكُمْ﴾ هو نصب على الحال، وإنما قللهم في أعينهم تصديقاً لرؤيا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وليعاينوا ما أخبرهم به فيزداد يقينهم ويجدوا ويثبتوا.

قال ابن مسعود رضي الله عنه^(٦) : لقد قللوا في أعيننا حتى قلت لرجل إلى جنبي أتراهم سبعين؟ قال : أراهم مائة وكانوا ألفاً ﴿وَيَقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ﴾ حتى قال قائل منهم: إنما هم أكلة جزور.

قيل : قد قللهم في أعينهم قبل اللقاء ثم كثروهم فيما بعده ليجتروا عليه قلة مبالاة بهم ثم تفجأهم الكثرة فيبهتوا ويهابوا ، ويجوز أن يبصروا^(٧)

(١) سورة الإسراء الآية ١٠١.

(٢) انظر: ص ٤٨، من البحث.

(٣) انظر: ص ٥٠، من البحث.

(٤) تفسير النسفي، ٢/٢٨٠، مصدر سابق. انظر: ص ٢٧٨، من البحث

(٥) سورة الأنفال الآية ٤٤.

(٦) عبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب بن هذيل بن مدركة بن إياس بن مضر، يكنى بأبي عبد الرحمن، ويلقب بابن أم عبد، أسلم بمكة، وهاجر الهجرتين، وشهد بدرًا والمشاهد كلها، خادم رسول الله ﷺ كان يلبسه نعليه ويمشي معه وأمامه، تعمر ثلاثاً وستين سنة، وتوفي عام (٣٢هـ)، تهذيب التهذيب، الإمام الحافظ شيخ الإسلام شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، ط ١، (١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤م)، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ٦/٢٤.

(٧) تفسير النسفي، ٢/٩٤. المصدر السابق.

المطلب الثامن: الاختيار بالعموم

العام هو اللفظ المستغرق لجميع ما يصلح له بحسب وضع واحد^(١) ومن المعلوم أن أغلب ألفاظ القرآن تتسم بالعموم والشمول لا تخص واحداً دون آخر، أو فئة دون فئة، ولا وقتاً دون وقت، ولا حالاً دون حال، وهي مع ذلك يمكن أن تفسر، أو تخصص، أو تقيد، أو تبين، فإذا لم يثبت ذلك التفسير بالتخصيص أو التقيد لألفاظ الكتاب والسنة فإنها - أي الألفاظ - تبقى على عمومها، وتحمل عليه، وهذا مفهوم هذا الوجه من وجوه الترجيح المعتمدة، فهو حجة قوية ترجح بها الأقوال، وتؤيد بها الاختيارات، وقد اعتمد هذا الوجه العلماء حيث قال أحدهم: "اعلم أن القرآن إذا أتت اللفظة منه تعم ما تحتها حملت على ذلك من عمومها، حتى يأتي ما يخصها"^(٢) وقد قرروا أنه يجب حمل نصوص الوحي على العموم ما لم يرد نص بالتخصيص^(٣).

مثال ذلك: اختار الامام النسفي . رحمه الله . في معنى الشركاء في قوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ﴾^(٤) العموم في الأصنام وغيرها. وأن (هدى) يستعمل لازماً ومتعدياً^(٥).

(١) ارشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول ١/٤١٥، لمحمد بن علي بن محمد الشوكاني ١١٧٣-١٢٥٠، ت: محمد سعيد البدري أبو مصعب ط دار الفكر بيروت ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م. ومذكرة في أصول الفقه ٢٤٣، لمحمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (المتوفى: ١٣٩٣ هـ) ط: مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة ٢٠٠١ م. و الجامع لمسائل أصول الفقه وتطبيقاتها على المذهب الراجح ٢٤١، ل عبد الكريم بن علي بن محمد النملة ط: مكتبة الرشد - الرياض - المملكة العربية السعودية ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م

(٢) الإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه ١٠١، للإمام العلامة أبي محمد مكي بن أبي طالب القيسي - ت: الدكتور أحمد حسن فرحات، ط: ١: دار المنارة - جدة - ١٤٠٦ هـ .

(٣) قواعد الترجيح عند المفسرين ٢/٥٢٧، مصدر سابق.

(٤) سورة يونس الآية ٣٥

(٥) تفسير النسفي ٢/٢١-٢٢، مصدر سابق. انظر: ص ١٠٧، من البحث

المطلب التاسع: الاختيار باللغة والشعر

اللغة العربية هي لغة كتاب الله تعالى المبين، وهي لسان رسول رب العالمين ﷺ قال تعالى: ﴿وَأَنَّهُ لَنَزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١١٢﴾ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١١٣﴾ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿١١٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴿١١٥﴾﴾^(١)^(٢).

قال مجاهد رحمه الله^(٣) (لا يحل لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يتكلم في كتاب الله، إذا لم يكن عالماً بلغات العرب) ولقد كان الشعر ديوان العرب إذ فيه مخزون حضارتهم ولغتهم والسلف يعتمدون إلى تلك الأشعار العربية فيستعينون بها في التفسير^(٤) وكان ابن عباس^(٥) رضي الله عنهما يجلس بفناء الكعبة والناس يسألونه عن التفسير وهو يجيبهم بالشعر العربي الفصيح، وقد استشهد بنيف وتسعين بيتاً^(٦)

مثال ذلك: قال الإمام النسفي عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ﴾^(٧) ... وكل ما أظلك فهو سماء أو هو عبارة عن التأييد ونفي الانقطاع كقول العرب ما لاح كوكب وغير ذلك من كلمات التأييد^(٨).

(١) سورة الشعراء الآيات من ١٩٢-١٩٥.

(٢) الدراسات اللغوية والنحوية في مؤلفات شيخ الإسلام ابن تيمية وأثرها في استنباط الأحكام الشرعية ٣١. لهادي أحمد فرحات، ط١: دار البشائر الإسلامية، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.

(٣) انظر: ص٤٨، من البحث.

(٤) التفسير اللغوي للقرآن الكريم ٤٧-٥٦. لمساعد الطيار ط٢: دار ابن الجوزي ١٤٢٧هـ.

(٥) انظر: ص٤٧، من البحث.

(٦) الإتيان ١٥٨/٢-١٧٥، مصدر سابق. وإعجاز القرآن والبلاغة النبوية ٦١ لمصطفى صادق الرافعي ط: المكتبة العصرية صيدا بيروت، ١٤٢٣هـ ٢٠٠٢م.

(٧) سورة هود الآية ١٠٨

(٨) تفسير النسفي، ٨٥/٢، مصدر سابق. انظر: ص١٣٩، من البحث.

الفصل الثالث

اختيارات الإمام النَّسَفِيِّ

في تفسيره

من الجزء الحادي عشر

إلى الجزء الخامس عشر.

الفصل الثالث

المسألة الأولى

قول الله تعالى: ﴿التَّائِبُونَ الْعَمِدُونَ الْحَمْدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْأَمْرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّكَاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (١)

المسألة: معنى ﴿السَّائِحُونَ﴾ في الآية:

قال الإمام النسفي: ﴿السَّائِحُونَ﴾ الصائمون لقوله الطَّيِّبُ " سياحة أمتي الصيام" (٢)، أو طلبة العلم لأنهم يسبحون في الأرض يطلبونه في مظانه، أو السائرون في الأرض للاعتبار (٣)

الدراسة:

ذكر الامام النسفي ثلاثة أقوال في المراد بالسائحين، وهي حسب ترتيبه:

(١) سورة التوبة: الآية ١١٢

(٢) لم أفت للحديث على اثر في كتب الحديث بهذا اللفظ. وقد ذكره القرطبي ٢٤٥/٨، مصدر سابق. والسماعي في تفسيره ٣٥١/٢. تفسير القرآن لـ أبو المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار السمعاني (٤٢٦ هـ، ٤٨٩ هـ) ت ياسر بن إبراهيم و غنيم بن عباس بن غنيم ط دار الوطن السعودية، الرياض ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م. وذكر في الجامع لأحكام القرآن ٢٧٠/٨، مصدر سابق. ايضا في كتاب اللباب في علوم الكتاب ٢١٩/١. لـ أبو حفص عمر بن علي ابن عادل الدمشقي الحنبلي ط دار الكتب العلمية - بيروت لبنان - ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م. وذكر في هامش أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير ٤٢٦/٢. لـ جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر أبو بكر الجزائري ط مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ١٤٢٤ هـ/٢٠٠٣ م. ومفاتيح الغيب ١٦١/١٦. لـ الإمام العالم فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي ط دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م وتفسير النيسابوري ٥٣٦/٣. غرائب القرآن و رغائب الفرقان لـ نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري (المتوفى: ٨٥٠ هـ) ت الشيخ زكريا عميرات ط دار الكتب العلمية - بيروت ١٤١٦ هـ

(٣) تفسير النسفي ١ / ٧١٣، (مدارك التنزيل وحقائق التأويل) لـ أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي (المتوفى: ٧١٠ هـ) حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي راجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستو ط دار الكلم الطيب، بيروت، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م

القول الأول: الصائمون.

القول الثاني: طلاب العلم.

القول الثالث: السائرون في الأرض للاعتبار.

وهذه الأقوال مشهورة في كتب التفسير.

والقول الرابع: الذي نص عليه أهل التفسير هو: المهاجرون^(١).

وذكر ابن أبي حاتم^(٢) وجها خامسا، وهو أن السياحة قيام الليل، وصيام النهار^(٣). وقال ابن القيم^(٤) المجاهدون ورد معناه عن النبي ﷺ، عندما استأذنه رجل في السياحة، فقال: "سياحة أمتي الجهاد في سبيل الله"^(٥). والامام النسفي في كلامه السابق أراد أن يأتي بمعنى جامع مشترك بين الأقوال الواردة في بيان المراد بالسائحين، وقبل الحكم على ما قرره الامام النسفي، لا بد من استعراض الأقوال السابقة، وبيان منزلتها، ومن قال بها، وموقف أئمة التفسير منها:

(١) النكت والعيون للماوردي ٤٠٧/٢، مصدر سابق. وزاد المسير في علم التفسير لأبي الفرج ابن الجوزي ٣/٥٠٥-٥٠٦ ط٤ المكتب الإسلامي ١٤٠٧هـ.

(٢) انظر: ص٤٥، من البحث.

(٣) أخرج ابن أبي حاتم في تفسيره ١٨٩٠/٦، مصدر سابق. عن أبي فاختة مولى جعدة بن هبيرة، أن عثمان بن مظعون أراد أن ينظر أيستطيع السياحة. قال: كانوا يعدون السياحة قيام الليل وصيام النهار. الدر المنثور في التفسير بالمأثور ٥٤٨/٧. لـ جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي . دار الفكر . بيروت .

(٤) انظر: ص٦٩، من البحث.

(٥) أخرجه أبو داود في كتاب الجهاد من سننه - باب في النهي عن السياحة - رقم ٢٤٨٦، وابن أبي حاتم في تفسيره ١٨٨٩/٦، المصدر السابق. والمستدرك على الصحيحين ٧٣/٢. لـ أبي عبد الله الحاكم . ت : مصطفى عبد القادر عطا . دار الكتب العلمية . بيروت ، ١ - ١٤١١هـ. وقال: "صحيح الإسناد ولم يخرجاه"، ووافقه الذهبي. وحسنه محمد ناصر الدين الألباني في صحيح سنن أبي داود ٢١٧٢، ط المكتب الإسلامي ، ١ - ١٤٠٩هـ. التفسير الصحيح (موسوعة الصحيح المسبور في التفسير بالمأثور) ٤٨٩/٢ ، للأستاذ الدكتور حكمت بن بشير بن ياسين ط١ دار المآثر المدينة النبوية ١٤٢٠هـ.

فالقول الأول روي عن الرسول ﷺ^(١)، وثبت عن ابن مسعود^{(٢)(٣)}، وابن عباس^{(٤)(٥)}، وأبي هريرة^{(٦)(٧)}. وهو قول جماعة كثيرة من التابعين ومن بعدهم كالحسن^(٨)، ومجاهد^(٩)، وسعيد بن جبير^(١٠)، وعطاء^(١١)، وأبي عبدالرحمن السلمي^(١٢)، والضحاك بن مزاحم^(١٣)، وسفيان بن عيينة^{(١٤)(١٥)}، وغيرهم.

(١) أخرج ابن جرير في تفسيره ٥٠٣/١٤ مصدر سابق، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: "السائحون هم الصائمون" وزاد السيوطي في الدر المنثور ٥٤٧/٧، مصدر سابق. نسبته إلى أبي الشيخ، وابن مردويه، وابن النجار، وذكره ابن كثير في تفسيره ١٧١٣/٤ وقال: وهذا الموقوف أصح. وأخرج ابن جرير أيضا (٥٠٢/١٤) عن عبيد بن عمير، قال: سئل النبي ﷺ عن السائحين، فقال: "هم الصائمون". قال ابن كثير: وهذا مرسل جيد.

(٢) انظر: ص ٧٣، من البحث.

(٣) أخرج قوله ابن جرير ٥٠٣/١٤، مصدر السابق. وابن أبي حاتم ١٨٨٩/٦، مصدر سابق. وأورده علي بن أبي بكر الهيثمي في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (٣٥-٣٤/٧). ط دار الكتاب العربي. بيروت، ٣-١٤٠٢ هـ. وقال: (رواه الطبراني، وفيه عاصم بن بهدلة: وثقه جماعة، وضعفه آخرون، وبقيته رجاله رجال الصحيح.) وحسن إسناده الدكتور حكمت بن بشير في التفسير الصحيح (٤٨٩/٢) مصدر سابق.

(٤) انظر ص ٤٧، من البحث.

(٥) أخرجه ابن جرير ٥٠٣/١٤ من عدة طرق، مصدر سابق. والدر المنثور ٥٤٦/٧، مصدر سابق. والتفسير الصحيح ٤٨٩/٢ للدكتور حكمت بن بشير، المصدر السابق.

(٦) انظر: ص ٤٩، من البحث.

(٧) أخرج قوله ابن جرير ٥٠٣/١٤، المصدر السابق. وهو صحيح عنه كما في التفسير الصحيح ٤٨٩/٢ للدكتور حكمت بن بشير، المصدر السابق أيضاً.

(٨) انظر: ص ٥٠، من البحث.

(٩) انظر: ص ٤٧، من البحث.

(١٠) سعيد بن جبير الأسدي، بالولاء، الكوفي، أبو عبد الله: تابعي، كان أعلمهم على الإطلاق، وهو حبشي الأصل، من موالى بني والبة بن الحارث من بني أسد. أخذ العلم عن عبد الله بن عباس وابن عمر. ثم كان ابن عباس، إذا أتاه أهل الكوفة يستفتونه، قال: أتسألونني وفيكم ابن أم دهماء؟ ولد سنة (٤٥ هـ)، وتوفي سنة (٩٥ هـ)، الاعلام، الزركلي، ٩٣/٣، مصدر سابق.

(١١) أبو محمد عطاء بن أبي رباح بن أسلم بن صفوان، تابعي من أجلة الفقهاء، كان عبداً أسوداً، ولد بالجند في اليمن سنة (٢٧ هـ)، ونشأ بمكة، فكان مفتي أهلها ومحدثهم، توفي سنة (١١٤ هـ)، وفيات الأعيان، شمس الدين خلكان، ٢٦١/٣، مصدر سابق.

(١٢) هو: مقرئ الكوفة وعالمها، عبد الله بن حبيب بن ربيعة الكوفي، قرأ على عثمان وعلي وابن مسعود، وسمع منهم ومن غيرهم من الصحابة، تصدر للإقراء في خلافة عثمان إلى أن مات في سنة ٧٣ هـ. طبقات علماء الحديث ١٠٧/١، مصدر سابق، وسير أعلام النبلاء ٢٦٧/٤ - ٢٧٢، مصدر سابق.

(١٣) الضحاك بن مزاحم البلخي الخراساني، أبو القاسم، مفسر، كان يؤدب الأطفال، محدث حدث عن ابن عباس أبي سعيد الخدري وانس بن مالك وغيرهم، توفي سنة (١٠٥ هـ)، تهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني، ٣٩٧/٤، مصدر سابق.

(١٤) سفيان بن عيينة، أبو محمد، مولى بني هلال، الكوفي، محدث الحرم المكي، من الموالى، ولد بالكوفة سنة: (١٠٧ هـ)، وسكن مكة وتوفي بهاسنة: (١٩٨ هـ)، كان حافظاً ثقة، واسع العلم كبير القدر، قال الشافعي: لولا مالك وسفيان لذهب علم الحجاز، له (الجامع) في الحديث، وكتاب في (التفسير)، التاريخ الكبير، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله (د. ط) دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد - الدكن، ت: محمد عبد المعيد خان، ٩٤ / ٤.

(١٥) ذكرت أقوالهم في تفسير ابن جرير ٥٠٣/١٤ - ٥٠٥. مصدر سابق.

ونص الزجاج^(١) على أنه قول أهل التفسير واللغة جميعاً^(٢)، كما نص الواحدي^(٣) على أنه قول عامة المفسرين.^(٤)

والقول الثاني مروى عن عكرمة^(٥).^(٦)

والقول الثالث: ذكره الرازي^(٧) فقال بعد ذكره للرأي الأول والثاني والقول الثالث:

أنهم السائرون في الأرض، وهم المهاجرون في سبيل الله. وقد نص على أن القول الأول هو قول عامة المفسرين، وذكر ثلاثة وجوه تبين سبب إطلاق هذا اللفظ على الصائمين.

وختم هذه الأقوال بقوله: (وتقريره أنه تعالى حث المؤمنين في الآية الأولى على الجهاد، ثم ذكر هذه الآية في بيان صفات المجاهدين؛ فينبغي أن يكونوا موصوفين بمجموع هذه الصفات.^(٨)

(١) انظر: ص ٤٧، من البحث.

(٢) معاني القرآن وإعرابه ٤٧٢/٢. للزجاج أبي إسحاق إبراهيم بن السري - شرح وتعليق: دكتور عبد الجليل عبده شلبي ط ١ دار الحديث - القاهرة - ١٤١٤ هـ .

(٣) أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي بن متويه الواحدي المتوي صاحب التفاسير المشهورة؛ كان أستاذاً عصره في النحو والتفسير، وأجمع الناس على حسنها، من مصنفاته: " البسيط " في تفسير القرآن الكريم، و" الوسيط " و" الوجيز" وغيرها، وتوفي سنة: (٤٦٨هـ)، وفيات الأعيان، ابن خلكان، ٣/ ٣٠٤، مصدر سابق.

(٤) الوسيط في تفسير القرآن المجيد ٥٢٧/٢، لأبي الحسن علي بن أحمد الواحدي، ت عادل عبد الموجود وزملائه، ط ١ دار الكتب العلمية، ١٤١٥ هـ .

(٥) انظر: ص ٤٩، من البحث.

(٦) أخرج ابن أبي حاتم في تفسيره ١٨٩٠/٦ عن عمر بن نافع، قال: سمعت عكرمة وسئل عن قوله: ﴿الْمَسْكِينُ﴾ قال: طلبه العلم. وعمر بن نافع متكلم فيه، قال عنه ابن معين: "ليس بشيء"، وذكره الساجي وابن الجارود في الضعفاء. انظر ترجمته في ميزان الاعتدال في نقد الرجال ٢/٢٧٢، لـ أبي عبد الله محمد بن أحمد الذهبي . دار المعرفة . بيروت ، ١-١٤٠٦ هـ .

(٧) انظر: ص ٤١، من البحث.

(٨) التفسير الكبير (مفاتيح الغيب) ١٦١/١٦-١٦٢ . للفخر الرازي ط ١ دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤١١ هـ .

وواقفه القرطبي^(١) في قبول كل الأقوال التي يدل عليها اللفظ، فقال - بعد أن ذكر الأقوال الأربعة، والقول الذي استحسنته ابن عطية^(٢) - : (قلت: لفظ " س ي ح " يدل على صحة هذه الأقوال؛ فإن السياحة أصلها الذهاب على وجه الأرض كما يسبح الماء؛ فالصائم مستمر على الطاعة في ترك ما يتركه من الطعام وغيره، فهو بمنزلة السائح، والمتفكرون تجول قلوبهم فيما ذكروا.^(٣) واكتفى أبو حيان^(٤) بذكر الأقوال التي قيلت في تفسير السائحين، ولم يبين موقفه من هذه الأقوال.^(٥)

وتوسع ابن كثير^(٦) في بيان المراد بالسائحين، وأفرد لذلك مبحثاً مستقلاً عند تفسيره لآية التوبة، وافتتح هذا المبحث بقوله: (بيان أن المراد بالسياحة الصيام)، وذكر الآثار الدالة على ذلك. ثم قال: (وهذا أصح الأقوال وأشهرها). ثم نبه على أنه قد جاء

(١) محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الإمام العلامة أبو عبد الله، الأنصاري الخزرجي القرطبي أمام متقن متبحر في العلم له تصانيف مفيدة تدل على كثرة اطلاعه ووفور فضله توفي سنة (٦٧١هـ)، الوافي بالوفيات ٨٧/٢، لصلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي . ت : أحمد الأرنؤوط . ط دار إحياء التراث العربي . بيروت ، ١ - ١٤٢٠هـ .

(٢) انظر: ص ٤٦، من البحث.

(٣) الجامع لأحكام القرآن ٢٦٩/٨ - ٢٧٠، مصدر سابق.

(٤) أبو حيان الأندلسي هو: محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان، الإمام أثير الدين الأندلسي الغرناطي، النفزي، نسبة إلى نفزة قبيلة من الدير، نحوي، عصره ولغويّ ومفسره ومحدثه ومقرئه ومؤرخه وأديبه. ولد بمطخشارس، مدينة من حاضرة غرناطة، سنة أربع وخمسين وستمئة هـ، وأخذ القراءات عن أبي جعفر بن الطباع، والعربية عن أبي الحسن الأبيدي وجماعة. من تصانيفه: البحر المحيط في التفسير، ومختصره النهر؛ التنزيل والتكميل في شرح التسهيل، توفي سنة خمسة وأربعين وسبعمائة. البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، ٢٧٩/٢ . ل محمد بن علي الشوكاني . ت : حسين بن عبد الله العمري. ط دار الفكر . دمشق ، ١ - ١٤١٩هـ . ومعجم محدثي الذهبى ١٧٩/١، ل شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبى، (٦٧٣هـ - ٧٤٨هـ) ت: د روية عبد الرحمن السويفى، ط: دار الكتب العلمية، بيروت لبنان ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م، ومعجم المؤلفين ١٣٠/١٢، مصدر سابق. طبقات المفسرين، ٢٨٧/٢، مصدر سابق.

(٥) البحر المحيط ٥١١/٥، مصدر سابق.

(٦) إسماعيل بن عمر بن كثير بن ضو بن درع القرشي البصري ثم الدمشقي، أبو الفداء، عماد الدين، ولد في قرية من أعمال بصرى الشام، وتوفي بدمشق سنة (٧٧٤هـ)، الأعلام، للزركلي ١/٣٢٠، مصدر سابق.

ما يدل على تفسير السياحة بغير ذلك، وذكر الأقوال الثلاثة الأخرى. وختم كلامه بقوله: (وليس المراد من السياحة ما قد يفهمه بعض من يتعبد بمجرد السياحة في الأرض، والتفرد في شواهد الجبال والكهوف والبراري؛ فإن هذا ليس بمشروع إلا في أيام الفتن والزلازل في الدين).^(١)

ولم تخرج أقوال المفسرين عن هذه الأقوال - في الغالب -، وهذا بيان لرأي بعض أئمتهم:

اقتصر ابن جرير^(٢) على قول الصحابة رضي الله عنهم، وجمهور السلف في تفسير ﴿السَّيْحُوتِ﴾، وهو أن المراد بهم: الصائمون.^(٣)

وبدأ ابن عطية^(٤) تفسيره للسائحين بهذا القول، ثم نقل أن بعض الناس أنه قال: ﴿السَّيْحُوتِ﴾ هم الجائلون بأفكارهم في قدرة الله وملكوته"، ثم علق عليه بقوله: (وهذا قول حسن. وهي من أفضل العبادات).^(٥)

(١) تفسير ابن كثير ٤/١٧١٢-١٧١٣. مصدر سابق.

(٢) محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الطبري، الإمام أبو جعفر، صاحب التفسير الكبير والتاريخ الشهير، كان إماماً في فنون كثيرة منها التفسير والحديث والفقه والتاريخ وغير ذلك، كان ثقة في نقله، وتاريخه أصح التواريخ وأثبتها، ولد في أمل طبرستان سنة (٢٢٤هـ)، واستوطن بغداد، وجمع الكثير من العلم، من تصانيفه العظيمة جامع البيان في تأويل القرآن، وغيره من الكتب، توفي سنة (٣١٠هـ)، طبقات الحفاظ، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، ط ١، (١٤٠٣م)، دار الكتب العلمية، بيروت، ٣١٠/١ - ٣١١، تاريخ بغداد، أحمد بن علي أبو بكر الخطيب البغدادي، ط ١، (١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢ م)، دار الغرب الإسلامي - بيروت، ت: الدكتور بشار عواد معروف، ٢/٥٤٨، تذكرة الحفاظ، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي، ط ١، (١٤١٩هـ - ١٩٩٨م)، دار الكتب العلمية بيروت-لبنان، ٢/٢٠١، ٢٠٢، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان، (د. ط)، تاريخها (١٩٠٠)، دار صادر - بيروت، ت: إحسان عباس، ٤/١٩١.

(٣) جامع البيان ١٤/٥٠٢-٥٠٥. مصدر سابق.

(٤) انظر: ص ٤٦، من البحث.

(٥) المحرر الوجيز ٧/٥٥، مصدر سابق.

وفسر ابن عاشور^(١) هذا اللفظ من جهة دلالاته اللغوية، ولم يذكر شيئاً من الآثار، فقال: ﴿السَّيْحُوتُ﴾: مشتق من السياحة؛ وهي السير في الأرض. والمراد به سير خاص محمود شرعاً، وهو السفر الذي فيه قربة لله وامتنال لأمره، مثل سفر الهجرة من دار الكفر، أو السفر للحج، أو السفر للجهاد. وحمله هنا على السفر للجهاد أنسب بالمقام، وأشمل للمؤمنين المأمورين بالجهاد بخلاف الهجرة والحج^(٢). وقد رجح بعض متأخري المفسرين القول بأن المراد بالسياحة: السير، والذهاب في الأرض، والسفر لطاعة من الطاعات^(٣).

وبعد هذا العرض؛ يظهر تباين آراء المفسرين، واختلاف مواقفهم من هذه الأقوال. كما يظهر أن قول الامام النسفي الذي اختاره هو القول المأثور.

النتيجة:

عندما نتأمل الأقوال السابقة يتبين لنا أنها مقبولة من جهة احتمال اللفظ لها، وبعضها أكثر قوة من بعض من هذه الجهة. وأما من جهة الصناعة التفسيرية فلا شك أن القول الأول - وهو أن المراد بالسائحين: الصائمون - هو الأقوى، والأجدر

(١) هو: محمد الطاهر بن عاشور: رئيس المفتين المالكيين بتونس وشيخ جامع الزيتونة وفروعه بتونس. مولده سنة ستة وتسعون ومائتين وألف، ووفاته سنة ثلاثة وتسعون وثلاثمئة وألف، ودرسته بها. له مصنفات مطبوعة، من أشهرها: "مقاصد الشريعة الإسلامية" و "أصول النظام الاجتماعي في الإسلام" و "التحرير والتنوير" في تفسير القرآن، صدر منه عشرة أجزاء، و "الوقف وآثاره في الإسلام" و "أصول الانشاء والخطابة" و "موجز البلاغة" وغيرها. الأعلام ١٧٤/٦، مصدر سابق.

(٢) التحرير والتنوير ٤١/١١، للشيخ محمد الطاهر ابن عاشور ط: مكتبة ابن تيمية توزيع الدار التونسية للنشر ١٩٨٤م.

(٣) محاسن التأويل ٨/٣٣٥-٣٣٨، لمحمد جمال الدين القاسمي ط٣: دار الفكر - بيروت - ١٣٩٨ هـ؛ فقد ذكر أن حمل اللفظ على حقيقته اللغوية هو الحق في تأويل الآية، ثم نقل مقالة في تأييد هذا المعنى، ذكر أنه يجدر بالمحقق أن يقف عليها. كما رجح السعدي رحمه الله أن المراد بالسياحة: السفر في القربات، وذكر أن هذا هو الصحيح في تفسير الآية. تفسير السعدي (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) ٣٩٤: للشيخ عبدالرحمن بن ناصر السعدي - اعتنى به سعد بن فواز الصميل ط١: دار ابن الجوزي - الدمام - ١٤٢٥هـ.

بالتقديم؛ بل لو قيل إنه هو الصحيح المعتمد لم يكن ذلك بعيدا. وترجيح هذا القول يرجع إلى أسباب عدة، أهمها:

" أنه القول الثابت عن الصحابة رضي الله عنهم، وجمهور التابعين. ولا شك أن تفسير الصحابي مقدم على تفسير من دونه، وخاصة إذا لم ينقل عن غيره من الصحابة ما يخالفه. " أنه قول جمهور المفسرين، ونسبه الزجاج^(١) إلى أهل التفسير واللغة جميعا كما سبق. " أنه تفسير شرعي، والتفاسير الأخرى لغوية في الغالب؛ وقد تقرر أن الحقيقة الشرعية للألفاظ مقدمة على الحقيقة اللغوية في النصوص الشرعية. ولا شك أن الصحابة، وجمهور التابعين لم يعدلوا عن تفسير لفظ السائحين بحقيقته اللغوية - مع أنها أقرب لفهم السامع - إلى حقيقة شرعية خاصة إلا أن هذا المعنى الشرعي هو المعتمد عندهم. وقد نص ابن عباس^(٢) على أن "كل ما ذكر الله في القرآن السياحة، هم الصائمون".^(٣)

" أن هذا التفسير هو المناسب لقول الله وَلَا تُقَاتِلُوا الرِّجَالَهُمْ وَلَا أَوْلِيَاءَهُمْ بِالَّذِينَ يَأْتُواكُم بِالْحَقِّ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ؛ لأن أقرب وصف يصلح للنساء في الغالب هو: الصائمات. أما الأوصاف الأخرى كالجهاد، والسفر لطلب العلم، وغير ذلك فغير شائعة في حق النساء.

" أن وصف السائحين جاء في سياق أوصاف ثابتة مستقرة للذين يقاتلون في سبيل الله، فيقتلون، ويقتلون؛ فتفسيره بالمجاهدين تكرر لا حاجة إليه. كما أن تفسيره بالمهاجرين، أو بطلبة العلم غير مناسب لثبوت هذه الصفات للمجاهدين في سبيل الله؛ لأنهم ليسوا

(١) انظر: ص ٤٧، من البحث.

(٢) انظر ص ٤٧، من البحث.

(٣) أخرجه ابن جرير ٥٠٤/١٤ من طريق علي بن أبي طلحة. مصدر سابق.

(٤) سورة التحريم الآية ٥

جميعا مهاجرين، وليسوا جميعا ممن سافر لطلب علم. فتعين أن يكون المراد بهم: الصائمون.

تنبيهات وفوائد:

التببيه الأول: نوع الخلاف وثمرته:

الخلاف السابق في المراد بالسائحين خلاف تنوع، يرجع إلى أكثر من معنى يحتمله اللفظ؛ وترجيح أحدها يرجع إلى ثبوته عن السلف، ومناسبته لسياق الآية. وثمره هذا الخلاف تكثير أوصاف الممدوحين في الآية.

التببيه الثاني: سبب الخلاف:

الخلاف السابق يرجع إلى احتمال اللفظ لأكثر من معنى من جهة اللغة، كما أن الشرع استعمله استعمالا خاصا.

التببيه الثالث: هذا الموضوع مثال لتفسير اللفظ بالحقيقة الشرعية له، وتقديم هذه الحقيقة على اللغوية؛ لأن اللفظ جاء في نص شرعي.

والحقائق الشرعية تعرف بطرق، ومنها: استعمال الصحابة وعرفهم للألفاظ؛ إذ نزل الشرع بلغتهم وبعرفهم في الأصل. وهو ما يسمى: عرف زمن التشريع.^(١)

(١) انظر تفصيل ذلك في كتاب: الحقيقة الشرعية في تفسر القرآن العظيم والسنة النبوية ١٤-١٧، لمحمد بن عمر بن سالم بازمول ط١: دار الهجرة للنشر والتوزيع - الرياض - ١٤١٥ هـ .

المسألة الثانية

قول الله تعالى: ﴿وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلَفُوا حَتَّىٰ إِذَا صَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَصَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾^(١)

المسألة: معنى قوله تعالى: ﴿خَلَفُوا﴾ في الآية.

قال الإمام النسفي في تفسير الآية

﴿وَعَلَى الثَّلَاثَةِ﴾ أي وتاب على الثلاثة وهم: كعب بن مالك^(٢) ومرارة بن الربيع^(٣) وهلال بن أمية^{(٤)(٥)}، وهو عطف على ﴿النَّبِيِّ﴾ ﴿الَّذِينَ خَلَفُوا﴾ عن الغزو^(٦) وقد فسرها كعب بن مالك رضي الله عنه بغير ما ذكر الامام النسفي، وهو أنهم خلفوا من بين حلف لرسول الله ﷺ، واعتذر من المتخلفين، فخلف هؤلاء الثلاثة عنهم، وأرجأ أمرهم دونهم. وليس ذلك تخلفهم عن الغزو.

الدراسة:

في معنى قول الله ﷻ: ﴿وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلَفُوا﴾ قولان:

القول الأول: خلفوا عن غزوة تبوك، أي: تخلفوا عنها. وهو قول الإمام النسفي و نسب هذا القول إلى قتادة^{(٧)(٨)}.

(١) سورة التوبة الآية ١١٨

(٢) انظر: ص ٧١، من البحث.

(٣) انظر: ص ٧١، من البحث.

(٤) انظر: ص ٧١، من البحث.

(٥) أسباب نزول القرآن ٢٥٨ مصدر سابق. و أسباب النزول ٢٦٤. مصدر سابق.

(٦) تفسير النسفي ١ / ٧١٥، مصدر سابق.

(٧) انظر: ص ٤٩، من البحث.

(٨) نسبه إليه غير واحد من المفسرين، ومنهم ابن عطية في تفسيره ٧ / ٧٢، مصدر سابق. وابن الجوزي في زاد المسير ٣ / ٥١٣. مصدر سابق. وفي نسبة هذا القول إليه نظر؛ لأنه قد ثبت عنه القول الأول كما سبق، ولأن مصدر نسبة هذا القول إليه - فيما يظهر - الرواية التي أخرجه ابن جرير ١٤ / ٥٤٦ بلفظ: (حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلَفُوا﴾ . . . إلى قوله: ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ كعب بن مالك، وهلال بن أمية، ومرارة بن ربيعة تخلفوا في غزوة تبوك. . . . إلخ. وقوله هذا ليس تفسيراً لمعنى خلفوا، وإنما هو ذكر للقصة التي نزلت الآية فيها.

القول الثاني: "خلفوا": أخروا عن المنافقين فلم يقض فيهم بشيء، ولم يقبل النبي ﷺ عذرهم، وأرجأ أمرهم دون غيرهم من المتخلفين. وهذا القول ذكره كعب بن مالك^(١) رضي الله عنه - أحد هؤلاء الثلاثة -، وفسر به الآية^(٢).

ومعنى هذا القول مروى عن مجاهد^{(٣)(٤)}، وعكرمة^{(٥)(٦)}، والضحاك^{(٧)(٨)}، وقتادة^{(٩)(١٠)}، وغيرهم.

والقول المعتمد عن جمهور المفسرين هو الثاني، وقد تنوعت مسالكهم في اعتماده: فمنهم من اقتصر عليه، وفسر الآية به. وهذا مسلك ابن جرير^{(١١)(١٢)}، وابن كثير^{(١٣)(١٤)}.

ومنهم من ذكر القول الأول، وضعفه، كابن عطية^(١٥). وقد علل تضعيفه له بعلمتين: إحداهما: رد كعب بن مالك رضي الله عنه لهذا القول.

(١) انظر: ص ٧١، من البحث.

(٢) وقول كعب لفظه: (خلفنا أيها الثلاثة عن أمر أولئك الذين قبل رسول الله ﷺ توبتهم حين حلفوا له، فبايعهم واستغفر لهم، وأرجأ رسول الله ﷺ أمرنا حتى قضى الله فيه، فبذلك قال الله: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ وليس الذي ذكر الله مما خلفنا عن الغزو إنما هو تخليفه إيانا وإرجاؤه أمرنا عن حلف له واعتذر إليه، فقبل منهم.) وهو جزء من حديث كعب بن مالك الطويل في ذكر خبر تخلفه عن غزوة تبوك، وقد أخرجه البخاري بتمامه في كتاب المغازي - باب: حديث كعب بن مالك - رقم ٤٤١٨، ومسلم في صحيحه - كتاب التوبة - رقم ٢٧٦٩.

(٣) انظر: ص ٤٧، من البحث.

(٤) أخرج قوله ابن جرير ٥٤٥/١٤ من عدة طرق، مصدر سابق.

(٥) انظر: ص ٤٩، من البحث.

(٦) أخرج قوله ابن جرير ٥٤٣/١٤. المصدر السابق.

(٧) انظر: ص ٧٩، من البحث.

(٨) أخرجه عنه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٩٠٥/٦.

(٩) انظر: ص ٤٩، من البحث.

(١٠) أخرجه ابن جرير ٥٤٣/١٤ من طريق سعيد بن أبي عروبة عنه. وقد صحح هذا الطريق عن قتادة الحافظ ابن حجر في فتح الباري ٣٦٤/٦. ط: بيت الأفكار الدولية. وانظر التفسير الصحيح للدكتور حكمت بن بشير بن ياسين ٥٠/١. مصدر سابق.

(١١) انظر: ص ٨٢، من البحث.

(١٢) أخرج قوله ابن جرير ٥٤٥/١٤ من عدة طرق. مصدر سابق.

(١٣) انظر: ص ٨١، من البحث.

(١٤) تفسير القرآن العظيم ١٧٢٣/٤. مصدر سابق.

(١٥) انظر: ص ٤٦، من البحث.

الثانية: إن الله ﷻ جعل " إذا ضاقت " غاية للتخفيف؛ ولم يكن ذلك عن تخليفهم عن الغزو، وإنما ضاقت عليهم الأرض عن تخليفهم عن قبول العذر^(١) .

ومن المفسرين من ذكر القولين، وقصر الصحة على القول الثاني، كالقرطبي^(٢)؛ فقد قال تعليقا على هذا القول: (وهذا هو الصحيح؛ لما رواه مسلم^(٣) والبخاري^(٤) وغيرهما) ثم ذكر قول كعب بن مالك رضي الله عنه السابق ذكره^{(٥)(٦)} .

واهتم ابن عاشور^(٧) ببيان معنى قول الله ﷻ : ﴿وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلَفُوا﴾، ودلالته اللغوية، وذكر الأقوال التي يحتملها اللفظ، ثم علق على القول الثاني بأنه المناسب للغاية في قول الله ﷻ : ﴿حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ﴾، قال: (لأن تخيل ضيق الأرض عليهم، وضيق أنفسهم هو غاية لإرجاء أمرهم انتهى عندها التخفيف، وليس غاية لتخلفهم عن الغزو؛ لأن تخلفهم لا انتهاء له)^(٨) .

وأما الرازي^(٩)، وأبو حيان^(١٠) فقد اقتصرنا على ذكر الأقوال من غير ترجيح أو اختيار، مع تنبيه الأخير على رد كعب^(١١) للقول الأول^(١٢) .

(١) المحرر الوجيز ٧٢/٧. مصدر سابق.

(٢) انظر: ص ٨١، من البحث.

(٣) هو : مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري ، أبو الحسين ، تنقل في الأمصار لطلب الحديث ، ولما قدم البخاري نيسابور لازمه ونظر في علمه وحذا حذوه ، وقد خلف الإمام مسلم علما كثيرا ، توفي في مدينة نصر آباد قرب نيسابور سنة - ٢٦١ هـ . تذكرة الحفاظ : ٢ / ٥٨٨ ، ووفيات الأعيان : ٥ / ١٩٤ ، مصدران سابقان .

(٤) هو : الإمام ، سيد الحفاظ ، وشيخ المحدثين محمد بن إسماعيل بن إبراهيم ، أبو عبد الله البخاري ، صاحب الصحيح المشهور بصحيح البخاري ، الذي هو أصح كتاب حديث على الإطلاق ، قال ابن خزيمة في البخاري : ما رأيت تحت أديم السماء أعلم بحديث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ولا أحفظ له من البخاري . مناقبه وأخباره كثيرة جداً ، مات - رحمه الله - سنة ٢٥٦ هـ . تهذيب التهذيب ٣ / ٥٠٨ - ٥١١ ، مصدر سابق .

(٥) انظر: ص ٨٢، من البحث.

(٦) الجامع لأحكام القرآن ٨ / ٢٨١-٢٨٢. مصدر سابق.

(٧) انظر: ص ٨٣، من البحث.

(٨) التحرير والتنوير ١١ / ٥٢. مصدر سابق.

(٩) انظر: ص ٤١، من البحث.

(١٠) انظر: ص ٨١، من البحث.

(١١) انظر: ص ٨٠، من البحث.

(١٢) التفسير الكبير ١٦ / ١٧٢، مصدر سابق. والبحر المحيط ٥ / ٥١٩، مصدر سابق. وقد اقتصر أبو حيان في النهر الماد من البحر المحيط - ت الدكتور عمر الأسعد ط: دار الجيل - بيروت - ١٤١٦ هـ. ٣ / ١٣٦ على القول الثاني.

وإذا كانت حجج القول الثاني المعتمد ظاهرة بينة، وقد وردت في سياق العرض السابق لموقف المفسرين من القولين الواردين في معنى الآية؛ فإن القول الأول له ما يؤيده من القرائن:

منها: أنه مستند إلى قراءة شاذة، وهي قراءة من قرأ: ﴿خَلَفُوا﴾ - بفتح الخاء واللام خفيفة -؛ فقد أخرج ابن أبي حاتم^(١) عن عكرمة بن خالد المخزومي^(٢) أنه كان يقرؤها:

﴿وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلَفُوا﴾ بالنصب، أي: بعد محمد ﷺ.^(٣)

ومنها: احتمال اللفظ له بدليل نفي كعب بن مالك رضي الله عنه للمعنى الذي دل عليه هذا القول، وإثبات معنى القول الأول. ولو لم يكن اللفظ محتملا له لما كان لقول كعب رضي الله عنه فائدة.

وصنيع المفسرين في توجيه معنى الآية على القول الأول يدل على احتمال اللفظ له. وممن بين ذلك الرازي، وابن عاشور^(٤).

قال الرازي^(٥): (واختلفوا في السبب الذي لأجله وصفوا بكونهم مخلفين، وذكروا وجوها: أحدها: أنه ليس المراد أن هؤلاء أمروا بالتخلف، أو حصل الرضا من الرسول عليه الصلاة والسلام بذلك، بل هو كقولك لصاحبك: " أين خلفت فلانا؟ " فيقول: " بموضع كذا "؛ لا يريد به أنه أمره بالتخلف، بل لعله نهاه عنه، وإنما يريد أنه تخلف عنه. . .)^(٦).

(١) انظر: ص ٤٥، من البحث.

(٢) هو: عكرمة بن خالد بن العاص بن هشام المخزومي، ثقة، روى له أصحاب الكتب الستة إلا ابن ماجه. تهذيب التهذيب ٢٥٨/٧-٢٥٩، مصدر سابق.

(٣) تفسير ابن أبي حاتم ١٩٠٥/٦. وقرأ بقراءة عكرمة هذه زر بن حبيش، ورويت عن أبي عمرو كما في المحتسب لابن جني ٣٠٥/١

(٤) انظر: ص ٨٣، من البحث.

(٥) انظر: ص ٤١، من البحث.

(٦) التفسير الكبير ١٧٢/١٦، مصدر سابق.

وقال ابن عاشور^(١): (فمعنى ﴿خُلِفُوا﴾ خلفهم مخلف، أي تركهم وراءه. وهم لم يخلفهم أحد، وإنما تخلفوا بفعل أنفسهم. فيجوز أن يكون ﴿خُلِفُوا﴾ بمعنى: خلفوا أنفسهم على طريقة التجريد^(٢) . . .)^(٣).

ويحتمل أن يكون الذي خلفهم: الكسل، وتزيين الشيطان، وتسويفه؛ وجائز أن يقال لمن خلفه أمر معنوي: خلف. ومن ذلك قول الله ﷻ: ﴿فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلْفَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ﴾^(٤) (أي: أخرجهم عن سفر الجهاد نفاقهم وكسلهم).^(٥)

ثم إن هذا القول هو السبب الذي أدى إلى القول الثاني؛ فهو المقدمة، والقول الأول هو النتيجة.

النتيجة:

إذا تأملنا القولين ابتداءً؛ ظهر لنا أنهما قولان محتملان، ولا تعارض بينهما، والقول الثاني كالمقدمة للأول.

(١) انظر: ص ٨٣، من البحث.

(٢) التجريد: أن تعتقد أن في الشيء من نفسه معنى آخر، كأنه مباين له، فتخرج ذلك إلى ألفاظه بما اعتقدت ذلك، كقولهم: "لئن لقيت زيدا لتلقين معه الأسد، ولئن سألته لتسألن منه البحر"؛ فظاهر هذا أن فيه من نفسه أسدا وبحرا، وهو عينه هو الأسد والبحر، لا أن هناك شيئا منفصلا عنه، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَكَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْتِلَافِ أَلْيَلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ آل عمران: ١٩٠ فظاهر هذا أن في العالم من نفسه آيات؛ وهو عينه ونفسه تلك الآيات. (انتهى بنصه من البرهان في علوم القرآن للزركشي ٤٩٥/٣، مصدر سابق.

(٣) التحرير والتنوير ٥٢/١١، مصدر سابق.

(٤) سورة التوبة الآية ٨١

(٥) تفسير غريب القرآن العظيم ٣٢٥، لأبي عبدالله محمد بن أبي بكر الرازي - ت: الدكتور حسين ألمالي - مديرية النشر والطباعة - أنقرة - ١٩٩٧م.

ولما ثبت قول كعب بن مالك^(١) رضي الله عنه في تفسير الآية؛ فأثبت القول الأول، ونفى أن يكون القول الثاني هو المراد بالآية؛ صار قوله هذا حجة بينة تقصر معنى الآية على أحد المعنيين، فتعين المصير إليه.

تنبيهات وفوائد:

التنبيه الأول: نوع الخلاف وثمرته:

الخلاف بين القولين السابقين في معنى: ﴿خَلْفُوا﴾ خلاف تنوع، يرجع إلى معنيين متباينين، واللفظ محتمل لهما. وقد رجح أحدهما على الآخر بقريضة منفصلة، وهي تفسير الصحابي.

وثمرته: أحد القولين كالمقدمة للقول الآخر. فسبب إرجاء هؤلاء الثلاثة، وعدم قبول عذرهم هو تخلفهم عن غزوة تبوك.

التنبيه الثاني: سبب الخلاف:

سبب الخلاف هنا هو احتمال اللفظ للمعنيين.

التنبيه الثالث: من قواعد التفسير المقررة: أن اللفظ إذا احتتمل أكثر من معنى، حمل عليها جميعا، ولا يقصر على أحدها إلا بحجة يجب التسليم لها. والحجة التي حمل اللفظ على أحد معنييه بها في هذا المثال هي قول الصحابي الذي نزلت الآية في شأنه.

وقد قرر الشاطبي في الموافقات أن قول الصحابي يقيد بعض المطلقات، ويخصص بعض العمومات إذا لم ينقل عن صحابي آخر خلاف قوله.^(٢)

(١) انظر: ص ٧١، من البحث.

(٢) الموافقات في أصول الشريعة، ١٢٨/٤، لـ أبي إسحاق إبراهيم بن موسى الشاطبي . ت : محمد عبد الله دراز، دار الكتب العلمية . بيروت ، ١ - ١٤١١ هـ.

المسألة الثالثة:

قول الله تعالى ﴿وَمَا كَانُوا الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾^(١)

المسألة: المراد بالنفير في الآية.

اللام لتأكيد النفي أي أن نفير الكافة عن أوطانهم لطلب العلم غير صحيح للإفضاء إلى المفسدة ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ﴾ فحين لم يكن نفير الكافة فهلا نفر ﴿مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ﴾ أي من كل جماعة كثيرة جماعة قليلة منهم يكفونهم النفير ﴿لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ﴾ ليتكفوا الفقاها فيه ويتجشمو المشاق في تحصيلها ﴿وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ﴾ وليجعلوا مرمى همتهم في التفقه إنذار قومهم وإرشادهم ﴿إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ﴾ دون الأغراض الخسيسة من التصدر والتروؤس والتشبه بالظلمة في المراكب والملابس ﴿لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ ما يجب اجتنابه.

وقيل: إن رسول الله ﷺ كان إذا بعث بعثاً بعد غزوة تبوك بعد ما أنزل في المتخلفين من الآيات الشداد استبق المؤمنون عن آخرهم إلى النفير وانقطعوا جميعاً عن التفقه في الدين، فأمروا أن ينفر من كل فرقة منهم طائفة إلى الجهاد، ويبقى سائرهم يتفقهون حتى لا ينقطعوا عن التفقه الذي هو الجهاد الأكبر، إذ الجهاد بالحجاج أعظم أثراً من الجهاد بالنصال^(٢).

(١) سورة التوبة الآية ١٢٢

(٢) (النصل) نصل السهم والسيف والسكين والرمح والجمع (نصول) و (نصال) مختار الصحاح، ص: ٣١٢

والضمير في ﴿لَيَنْفَقَهُنَّ﴾ للفرق الباقية بعد الطوائف النافرة من بينهم ﴿وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ﴾ ولينذر الفرق الباقية قومهم النافرين إذا رجعوا إليهم بما حصلوا في أيام غيبتهم من العلوم.

وعلى الأول الضمير للطائفة النافرة إلى المدينة لتتفقه ﴿لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾^(١)

ذكر الامام النسفي رحمه الله في تفسير النفير في الآية المذكورة قولين وقد اختار الأول لكونه ضعف الآخر وذكره بصيغة التمریض (قيل)

القول الاول: أن المعنى فهلا نفر من كل فرقة طائفة تتفقه وتندر القاعدة؛ فيكون المعنى في طلب العلم.

القول الثاني: أن المعنى فلولا نفر من كل فرقة طائفة تجاهد؛ لتتفقه القاعدة، وتندر النافرة للجهاد إذا رجعوا إليهم، ويخبرونهم بما نزل بعدهم من الوحي.

والقول الأول: قول الشافعي^{(٢)(٣)}، وجماعة من المفسرين. واحتجوا به على قبول خبر الواحد؛ لأن الطائفة لا يجب أن تكون عدد التواتر.

والقول الثاني: قول الأكثرين، وهو الصحيح كما قال الامام ابن القيم^(٤)؛ لأن النفير إنما هو الخروج للجهاد كما قال النبي ﷺ: " وإذا استتفرتم فانفروا"^(٥). وأيضاً؛ فإن المؤمنين عام في المقيمين مع النبي ﷺ والغائبين عنه، والمقيمون مرادون ولا بد؛ فإنهم سادات المؤمنين، فكيف لا يتناولهم اللفظ؟ وعلى قول أولئك يكون المؤمنون خاصاً

(١) تفسير النسفي ٧١٨/١، مصدر سابق.

(٢) انظر: ص ٣٠، من البحث.

(٣) انظر قوله في كتابه: الرسالة ص ٣٦٥-٣٦٩، ل محمد بن إدريس الشافعي . ت : أحمد محمد شاكر . دار الكتب العلمية - بيروت ، ١ - ١٩٣٩ م . وأحكام القرآن للبيهقي ٣٤/٢-٣٥ . للشافعي جمع البيهقي - تعليق عبدالغني عبدالخالق - دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤١٢ هـ.

(٤) انظر: ص ٦٩، من البحث.

(٥) أخرجه البخاري في عدة مواضع من صحيحه: أحدها في كتاب الجهاد والسير - باب: فضل الجهاد والسير - رقم ٢٧٨٣.

بالغائبين عنه فقط، والمعنى وما كان المؤمنون لينفروا إليه كلهم، فلولا نفر إليه من كل فرقة منهم طائفة. وهذا خلاف ظاهر لفظ المؤمنين، وإخراج للفظ النفير عن مفهومه في القرآن والسنة.^(١)

وقال ابن القيم^(٢) في موضع آخر: وأصح القولين: أنه ينفر منهم طائفة من السرايا والبعوث، وتعد طائفة تتفقه في الدين، فتتذر القاعدة الطائفة النافرة إذا رجعت إليهم، وتخبرهم بما نزل بعدهم من الحلال والحرام والأحكام؛ لوجوه:
أحدها: أن الآية إنما هي في سياق النفير في الجهاد، وتوبيخ القاعدين عنه.

الثاني: أن النفير إنما يكون في الغزو، ولا يقال لمن سافر في طلب العلم: إنه نفر ولا استنفر، ولا يقال للسفر فيه: نفير.

الثالث: أن الآية تكون قد اشتملت على بيان حكم النافرين والقاعدين، وعلى بيان اشتراكهم في الجهاد والعلم؛ فالنافرون أهل الجهاد، والقاعدون أهل التفقه، والدين إنما يتم بالجهاد والعلم؛ فإذا اشتغلت طائفة بالجهاد، وطائفة بالتفقه في الدين، ثم يعلم أهل الفقه المجاهدين إذا رجعوا إليهم حصلت المصلحة بالعلم والجهاد. وهذا الأليق بالآية، والأكمل لمعناها.

وأما إذا جعل النفير فيها نفيرا لطلب العلم لم يكن فيها تعرض للجهاد، مع إخراج النفير عن موضوعه.

والذي أوجب لهم دعوى أن النفير في طلب العلم: أنهم رأوا الضمير إنما يعود على المذكور القريب؛ فالمنذرون هم النافرون، وهم المتفقهون.

(١) إعلام الموقعين عن رب العالمين ٣/٥٦٥، ت مشهور بن حسن آل سلمان ط١: دار ابن الجوزي الدمام: ١٤٢٣هـ. و بدائع التفسير الجامع لتفسير الإمام ابن قيم الجوزية ٢/٣٨٥-٣٨٦: جمعه ووثق نصوصه وخرج أحاديثه: يسرى السيد محمد ط١: دار ابن الجوزي - الدمام - المملكة العربية السعودية ١٤١٤ هـ. وقريب منه في مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة ١/٢٣٧، ل ابن قيم الجوزية. ت: محمود حسن ربيع. مكتبة حميدو. مصر، ٣ - ١٣٩٩هـ.

(٢) انظر: ص ٦٩، من البحث.

وجواب هذا: أن الضمير إنما يرجع إلى الأقرب عند سلامته من معارض يقتضي الأبعد؛ وقد بينا أن السياق يقتضي أن القاعد هو المتفقه المنذر للنافر الراجع.^(١)
الدراسة:

هذه الآية الكريمة من الآيات التي تعددت أقوال المفسرين في بيانها، وتتنوع آراؤهم في تفسيرها، واختلفت مسالكهم في الموازنة بين الأقوال الماثورة في تأويلها.

وقد ذكر الامام النسفي للمفسرين قولين في المراد بهذه الآية:

القول الأول: أن المعنى فهلا نفر من كل فرقة طائفة تتفقه وتتذر القاعدة؛ فيكون المعنى في طلب العلم ورجح هذا القول.

القول الثاني: أن المعنى: فلولا نفر من كل فرقة طائفة تجاهد؛ لتتفقه القاعدة، وتتذر النافرة للجهاد إذا رجعوا إليهم، ويخبرونهم بما نزل بعدهم من الوحي.

وهذان القولان هما الأشهر في تفسير الآية، وفي معناها أقوال أخرى ستأتي عند عرض أقوال المفسرين في تأويل الآية:

ذكر ابن جرير^(٢) رحمه الله عدة أقوال في بيان معنى الآية، مبنية على آثار في سبب نزولها. وقد ذكر أربعة أقوال، وهي باختصار:

الأول: الآية نزلت في نفر كان من قوم كانوا بالبادية بعثهم رسول الله ﷺ يعلمون

الناس الإسلام، فلما نزل قوله: ﴿ مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا

عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﴾^(٣) انصرفوا عن البادية إلى النبي ﷺ خشية أن يكونوا ممن تخلف عنه

(١) بدائع الفوائد ٤/١٦٣٦ - ١٦٣٧ ل ابن قيم الجوزية ت: علي بن محمد العمران ط: دار عالم الفوائد - مكة المكرمة - ١٤٢٥ هـ. وبدائع التفسير ٢/٣٨٧-٣٨٨. مصدر سابق.

(٢) انظر: ص ٨٢، من البحث.

(٣) سورة التوبة الآية ١٢٠

وممن عني بالآية؛ فأنزل الله في ذلك عذرهم بقوله: ﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَآفَّةً﴾^(١) وكره انصراف جميعهم من البادية إلى المدينة.

الثاني: معنى ذلك: وما كان المؤمنون لينفروا جميعا إلى عدوهم ويتركوا نبيهم ﷺ وحده.

الثالث: بل معنى ذلك: ما هؤلاء الذين نفروا بمؤمنين، ولو كانوا مؤمنين لم ينفر جميعهم، ولكنهم منافقون؛ ولو كانوا صادقين أنهم مؤمنون لنفر بعض ليتفقه في الدين ولينذر قومه إذا رجع إليهم.

الرابع: وقال آخرون: إنما هذا تكذيب من الله لمنافقين أزروا بأعراب المسلمين وعذروهم في تخلفهم خلاف رسول الله ﷺ، وهم ممن قد عذره الله بالتخلف.

وقد أسند كل قول إلى قائله من الصحابة أو التابعين، ثم قال بعد ذلك: (واختلف الذين قالوا عني بذلك النهي عن نفر الجميع في السرية، وترك النبي عليه الصلاة والسلام وحده في المعنيين بقوله: ﴿لِيَنفَقَهُوْا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ﴾: فقال بعضهم: عني به الجماعة المتخلفة مع رسول الله ﷺ، وقالوا: معنى الكلام: فهلا نفر من كل فرقة طائفة للجهاد ليتفقه المتخلفون في الدين، ولينذروا قومهم الذين نفروا في السرية إذا رجعوا إليهم من غزوهم. . . .

وقال آخرون منهم: بل معنى ذلك: لتتفقه الطائفة النافرة دون المتخلفة، وتحذر النافرة المتخلفة. . . .)، وقد أسند كل قول إلى قائله أيضا، ثم قال مرجحا: (وأولى الأقوال في تأويل ذلك بالصواب أن يقال: تأويله: وما كان المؤمنون لينفروا جميعا ويتركوا رسول الله ﷺ وحده. . . .

(١) أسباب النزول ت زغلول ٢٦٩، مصدر سابق.

وأما قوله: ﴿لَيَنْفَقَهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ﴾؛ فإن أولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: ليتفقه الطائفة النافرة بما تعاین من نصر الله أهل دينه وأصحاب رسوله على أهل عداوته والكفر به، فيفقه بذلك من معاينته حقيقة علم أمر الإسلام وظهوره على الأديان من لم يكن فقهه، ولينذروا قومهم فيحذروهم أن ينزل بهم من بأس الله مثل الذي نزل بمن شاهدوا وعاینوا ممن ظفر بهم المسلمون من أهل الشرك إذا هم رجعوا إليهم من غزوهم. . . لعل قومهم إذا هم حذروهم ما عاینوا من ذلك يحذرون، فيؤمنون بالله ورسوله، حذرا أن ينزل بهم ما نزل بالذين أخبروا خبرهم). ثم علل ترجيحه لهذا القول بقوله: (وإنما قلنا ذلك أولى الأقوال بالصواب. . . لأن النفر قد بينا فيما مضى أنه إذا كان مطلقا بغير صلة بشيء أن الأغلب من استعمال العرب إياه في الجهاد والغزو؛ فإذا كان ذلك هو الأغلب من المعاني فيه، وكان جل ثناؤه قال: ﴿ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ ﴾ علم أن قوله: ﴿ لَيَنْفَقَهُوا ﴾ إنما هو شرط للنفر لا لغيره، إذ كان يليه دون غيره من الكلام. وأنكر أن يكون التفقه للمتخلفين لاستحالاته، قال: (وذلك أن نفر الطائفة النافرة لو كان سببا لتفقه المتخلفة، وجب أن يكون مقامها معهم سببا لجهلهم وترك التفقه؛ وقد علمنا أن مقامهم لو أقاموا ولم ينفروا لم يكن سببا لمنعهم من التفقه. . . ولو كانت إحداهما جائز أن توصف بإنذار الأخرى، لكان أحقهما بأن يوصف به الطائفة النافرة؛ لأنها قد عاينت من قدرة الله، ونصرة المؤمنين على أهل الكفر به ما لم تعاین المقيمة، ولكن ذلك إن شاء الله كما قلنا من أنها تنذر من حيها وقبيلتها ومن لم يؤمن بالله إذا رجعت إليه أن ينزل به ما أنزل بمن عاينته ممن أظفر الله به المؤمنين من نظرائه من أهل الشرك).^(١)

(١) جامع البيان ١٤/٥٦٥-٥٧٤، مصدر سابق.

فهذا حاصل ما أورده الإمام ابن جرير^(١) في تأويل هذه الآية، وقد حرصت على ذكر أكثر ما قال لأهميته؛ ولأن رأيه لا يتضح إلا بذلك.

وذكر ابن عطية^(٢) الأقوال التي ذكرها ابن جرير، ولم يذكر ما يدل على ترجيح له أو اختيار، ونبه في سياق ذكره للأقوال إلى أن الجمهور على أن التفقه إنما هو بمشاهدة رسول الله ﷺ وصحبته؛ فهو حاصل من الفرقة الباقية لا النافرة. ثم أشار إلى ابن جرير خالف ذلك، ورجح أن التفقه من الفرقة النافرة، وقواه. قال ابن عطية: (والآخر أيضا قوي).

ومما نبه عليه ابن عطية كذلك: أن حمل الآية على النفير للغزو، والجهاد - على اختلاف الروايات في ذلك - يجعلها متصلة بما قبلها من الآيات، منتظمة معها في بيان أحكام الجهاد، والتخلف عن الغزو مع رسول الله ﷺ.^(٣)

وجاء الرازي^(٤)، فرتب هذه الأقوال، وبين أن الآية لا تخلو من احتمالين:

إما أن تكون من آيات الجهاد، وهي على هذا مرتبطة بما قبلها من الآيات.

وإما أن تكون كلاما مستأنفا، لا تعلق له بالجهاد.

وعلى كل من الاحتمالين يكون في معنى الآية عدة أقوال. وكلامه يدل على أن هذه الأقوال كلها محتملة، ولم يذكر شيئا يدل على ترجيحه لأحد الأقوال، أو اختياره له.

ومما نبه عليه في سياق عرضه للأقوال المحتملة في تفسير الآية: أنه لا بد في الآية من إضمار على القول بأن التفقه يكون من الطائفة الباقية، وتقدير الكلام: فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة، وأقامت طائفة ليتفقه المقيمون في الدين، ولينذروا قومهم -

(١) انظر: ص ٨٢، من البحث.

(٢) انظر: ص ٤٦، من البحث.

(٣) المحرر الوجيز ٧/٧٨-٨٠. مصدر سابق.

(٤) انظر: ص ٤١، من البحث.

يعني النافرين إلى الغزو - إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون معاصي الله تعالى عند ذلك التعلم.^(١)

واختار القرطبي^(٢) قول من جعل الضمير في: ﴿لِيَنْفَقَهُوْا﴾، و ﴿وَلِيُنذِرُوا﴾ راجعا إلى الفئة الباقية، وحكم عليه بأنه أبين من القول الذي اختاره ابن جرير^(٣). ولم يتوسع كثيرا في عرض الأقوال التي ذكرها من قبله.^(٤)

واستظهر أبو حيان^(٥) أن الآية إنما جاءت للحض على طلب العلم، فقال بعد ذكره للأقوال التي تحتملها الآية: (والذي يظهر أن هذه الآية إنما جاءت للحض على طلب العلم والتفقه في دين الله، وأنه لا يمكن أن يرحل المؤمنون كلهم في ذلك فتعري بلادهم منهم ويستولي عليها وعلى ذراريهم أعداؤهم. . . ؛ أي: فهلا نفر من كل جماعة كثيرة جماعة قليلة منهم فكفوهم النفير، وقام كل بمصلحة: هذه بحفظ بلادهم، وقتال أعدائهم، وهذه لتعلم العلم وإفادتها المقيمين إذا رجعوا إليهم).

ثم بين مناسبة هذه الآية لما قبلها بقوله: (ومناسبة هذه الآية لما قبلها أن كلا النفيرين هو في سبيل الله، وإحياء دينه: هذا بالعلم، وهذا بالقتال).

وكان قد نص في سياق عرضه للأقوال على أن الظاهر عود الضمير في قول الله ﷻ: ﴿لِيَنْفَقَهُوْا﴾ على الطائفة النافرة.^(٦)

واكتفى ابن كثير^(٧) بسرد ما نقل في تفسير الآية من الروايات، مع بعض التعليقات، ولم يذكر ما يدل على موقفه من هذه الروايات.^(٨)

(١) التفسير الكبير ١٦/١٧٩-١٨٠. مصدر سابق.

(٢) انظر: ص ٨١، من البحث.

(٣) انظر: ص ٨٢، من البحث.

(٤) الجامع لأحكام القرآن ٨/٢٩٤-٢٩٥. مصدر سابق.

(٥) انظر: ص ٨١، من البحث.

(٦) انظر البحر المحيط ٥/٥٢٥-٥٢٦، مصدر سابق.

(٧) انظر: ص ٨١، من البحث.

(٨) تفسير القرآن العظيم ٤/١٧٢٥-١٧٢٧، مصدر سابق.

وبدا ابن عاشور^(١) تفسيره للآية بما يدل على أنها تحض على النفر لطلب العلم، ثم ذكر أن النفر يحتمل أن يكون للجهاد في سبيل الله، ويحتمل أن يكون للتفقه في الدين، ثم قال: (وقد نقل عن أئمة المفسرين وأسباب النزول أقوال تجري على الاحتمالين. والاعتماد في مراجع الضمائر على قرائن الكلام على عادة العرب في الإيجاز والاعتماد على فطنة السامع؛ فإنهم أمة فطنة).^(٢)

وبعد؛ فظاهر من هذا العرض لأقوال المفسرين أن الآية محتملة لأقوال عدة، وأن هؤلاء المفسرين لم يتفقوا على ترجيح قول معين، والأكثر من ذلك أنهم ذكروا هذه الأقوال من غير ترجيح أو اختيار.

النتيجة:

الذي ظهر لي أنه لا مانع من قبول كل قول احتمله لفظ الآية، وأنه لا يرد قول منها إلا بحجة بيينة. ومع ذلك فبعض الأقوال أظهر من بعض، وقد يكون أحدها هو المراد أصلاً، والبقية تدخل في معنى الآية تبعاً. فالآية تنزل على أكثر من حال كما دلت على ذلك الروايات الواردة في تفسيرها عن السلف.

ومن أظهر الأقوال التي تحتملها الآية القول الذي استظهره أبو حيان^(٣) - وهو القول الأول من الأقوال التي ذكرها ابن جرير^(٤) -؛ لأن الآية عليه تكون على ظاهرها، ولا تحتاج إلى إضمار محذوف.^(٥)

كما أن للقول الذي اختاره ابن جرير حظاً من القبول، ولكن لا يقبل قوله في رد القول الآخر، وإنكار أن يكون الضمير عائداً على الفرقة الباقية.

(١) انظر: ص ٨٣، من البحث.

(٢) انظر التحرير والتنوير ١١/٥٨-٦٠، مصدر سابق.

(٣) انظر: ص ٨١، من البحث.

(٤) انظر: ص ٨٢، من البحث.

(٥) وقد نص ابن الجوزي على أن هذا القول أشبه الأقوال بظاهر الآية كما في زاد المسير ٣/٥١٧، مصدر سابق.

تنبيهات وفوائد:

التنبيه الأول: نوع الخلاف وثمرته:

الخلاف السابق يرجع على عدة أقوال متباينة لا تعارض بينها؛ فهو خلاف تنوع. وثمره الخلاف: توسيع معنى الآية، لتشمل أحوال متعددة.

التنبيه الثاني: سبب الخلاف:

من أسباب الخلاف بين المفسرين في هذه الآية:

" الاختلاف في مرجع الضمير.

" احتمال لفظ الآية لعدة أقوال.

" الاختلاف في صلة الآية بما قبلها، وهل هي في سياق موضوع الآيات السابقة أم مستأنفة لبيان حكم جديد؟.

التنبيه الثالث: هذه الآية من الأمثلة التي تدل على ثراء المعنى في القرآن الكريم؛ حيث تدل الآية بلفظها المختصر على معان عديدة، وأحكام متنوعة.^(١)

التنبيه الرابع: هذه الآية من الآيات التي أشكل فهمها على بعض المفسرين، فهي تضاف إلى أمثلة ما أشكل تفسيره من الآيات.

(١) للتوسع في هذا الموضوع راجع كتاب: ثراء المعنى في القرآن الكريم للدكتور محمد خليل جيجك، ط: ١: دار السلام - القاهرة - ١٤١٩هـ.

المسألة الرابعة

قَالَ تَعَالَى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ﴾^(١)

المسألة: المراد من قوله تعالى: ﴿مِّنْ أَنْفُسِكُمْ﴾

فسر الامام النسفي هذه الآية بقوله: ﴿مِّنْ أَنْفُسِكُمْ﴾ من جنسكم ومن نسبكم عربي قرشي مثلكم^(٢).

وفي هذه الآية قولين:

أحدهما: أن الخطاب للعرب.

والثاني: أن الخطاب لجميع الناس.

وقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية^(٣). رحمه الله القولين في الآية.

ثم قال . رحمه الله .: " والتحقق: أنه خاطب به أولاً العرب، بل خاطب به أولاً قريش، ثم العرب، ثم سائر الناس من أهل الكتاب والأميين غير العرب"^(٤).

واحتج بما يلي:

١. أن الكاف في هذه الآية كاف الخطاب. فهو خطاب لمن جاءه الرسول، وبلغه القرآن الذي جاء به. فكل من بلغه القرآن فهو مخاطب بهذه الآية من جميع الأمم. ومعنى قوله: ﴿مِّنْ أَنْفُسِكُمْ﴾ أي: هو من أنفسهم من الإنس ليس من الملائكة، فإنه لو كان من الملائكة لم يطبقوا الأخذ عنه.

(١) سورة التوبة الآية ١٢٨

(٢) تفسير النسفي ٧١٩/١، مصدر سابق.

(٣) انظر: ص ٤٨، من البحث.

(٤) تفسير آيات أشكلت على كثير من العلماء ١ / ٢٣٦. ل أحمد بن عبد الحلیم بن تيمية . ت : عبد العزيز محمد الخليفة. ط: مكتبة الرشد . الرياض ، ١ - ١٤١٧ هـ . ومجموع الفتاوى: ١٦ / ١٨٩ ، ١٩٢ ، مصدر سابق. والردّ على المنطقيين ٥٤٠ . ل ابن تيمية : ط ٤ ؛ لاهور: إدارة ترجمان السنّة: ١٩٨٢ م.

٢. أنه قد ورد في القرآن ما يشهد لذلك، وهو قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٢﴾ وَأَخْرَجَ مِنْهُمْ لِمَا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٣﴾﴾^(١) مما يبين أنه عام في العرب وغيرهم^(٢).
 ٣. أن سورة براءة من آخر القرآن نزولاً، وقد نزلت بعد دعوة الروم والفرس والقبط، فناسب ذلك القول بالعموم^(٣).

الدراسة:

وافق شيخ الإسلام ابن تيمية^(٤). رحمه الله فيما ذهب إليه: الزجاج^(٥)، والنحاس^(٦)، وأبو حيان^(٧).

ووافق الامام النسفي عامة المفسرين: وهو أن الخطاب للعرب خاصة. ونسبه ابن عطية^(٨) للجمهور^(٩).

وهو مروى عن ابن عباس^(١٠)، وعائشة^(١١). ﷺ^(١٢)^(١٣)^(١٤). واحتجوا بما يلي:

-
- (١) سورة الجمعة الآيتان ٢-٣
 (٢) تفسير آيات أشكلت: ١/ ٢٣٧، ٢٣٨. مصدر سابق.
 (٣) الرد على المنطقيين: ص ٥٤٠. مصدر سابق.
 (٤) انظر: ص ٤٨، من البحث.
 (٥) انظر: ص ٤٧، من البحث.
 (٦) معاني القرآن وإعرابه ١/ ٤٨٧، و ٢/ ٤٧٧. للزجاج، ت: د. عبد الجليل شلبي، ط ٢: دار الحديث، القاهرة، ١٤١٨هـ.
 (٧) النحاس: أحمد بن محمد بن إسماعيل، أبو جعفر المصري النحوي، المعروف بالنحاس، العلامة، إمام العربية، من كتبه: إعراب القرآن، ومعاني القرآن، والناسخ والمنسوخ، مات سنة ٣٣٨ هـ. سير أعلام النبلاء ١٥/ ٤٠١، ٤٠٢.
 (٨) معاني القرآن ٣/ ٢٧١، للنحاس، ت: محمد علي الصابوني، ط ١: جامعة أم القرى، ١٤٠٨هـ.
 (٩) البحر المحيط: ٥/ ١٢٠. مصدر سابق. واختاره من المتأخرين: عبد الرحمن بن ناصر السعدي، في تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ٣/ ٣١٩، الرياض: الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية. ت: محمد زهري النجار.
 (١٠) انظر: ص ٤٦، من البحث.
 (١١) المحرر الوجيز: ٧/ ٨٨. مصدر سابق.
 (١٢) انظر ص ٤٧، من البحث.
 (١٣) بنت الإمام الصديق الأكبر خليفة رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أبي بكر عبد الله بن أبي قحافة عثمان بن عامر القرشية التيمية المكية النبوية أم المؤمنين زوجة النبي -صلى الله عليه وسلم- أفضه نساء الأمة على الإطلاق. وأمها هي أم رومان بنت عامر. هاجر بعائشة أبواها وتزوجها نبي الله قبل مهاجره بعد وفاة الصديقة خديجة بنت خويلد ودخل بها في شوال سنة ٢ هـ وهي ابنة تسع. سير أعلام النبلاء ط الحديث ٣/ ٤٢٦.
 (١٤) الدر المنثور: ٤/ ٣٢٧. مصدر سابق.

١. قوله تعالى على لسان إبراهيم . ﷺ : ﴿ رَبَّنَا وَأَبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ ﴾^(١)

٢. قول جعفر بن أبي طالب . رضي الله عنه . للنجاشي^(٢) : " إن الله بعث فينا رسولا منا نعرف نسبه وصفته، ومدخله ومخرجه، وصدقه وأمانته. . " الحديث^(٣).

النتيجة:

الراجع: ما اختاره شيخ الإسلام ابن تيمية^(٤) . رحمه الله . ومن وافقه، وذلك لوجوه: أحدها: أنه هو المتوافق مع آيات القرآن الأخرى، كقوله تعالى: ﴿ لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ ﴾^(٥) ولفظ المؤمنين في هذه الآية عام في العرب وغيرهم.

الثاني: أنه هو المتوافق مع ختام الآية نفسها، فإنه ختمها بقوله: ﴿ . . . بِالْمُؤْمِنِينَ رِءُوفًا رَحِيمًا ﴾، وهذا عام في العرب وغيرهم.

الثالث: أنه هو المتوافق مع عالمية الإسلام، وعموم بعثته ﷺ للناس كافة.

الرابع: أن هذا القول لا ينافي دخول العرب في الخطاب دخولا أوليا، فهو شامل للأول.

(١) سورة البقرة الآية ١٢٩

(٢) هو ملك الحبشة في وقته، واسمه أصحمة بن بجرى، وكان ممن حسن إسلامه ولم يهاجر، وليس له رؤية. مات في حياة النبي . ﷺ . فصلى عليه صلاة الغائب. سير أعلام النبلاء: ١ / ٤٢٨ . والإصابة: ١ / ١١٧ مصدران سابقان.

(٣) الحديث بطوله أخرجه أحمد في المسند: ١ / ٤٦١، برقم: ٤٤٠١ بلفظ: " إن الله ﷻ بعث إلينا رسوله. . ". وحسن إسناده ابن حجر في الفتح ٧/١٨٩، و أحمد شاکر في تعليقه على المسند ٦/١٥٨. وقد ذكره ابن كثير في البداية والنهاية ٤/١٧٣، ١٧٤، مصادر سابقة. وقال بعد سياقه: " وهذا إسناد جيد قوي وسياقه حسن . " ، ثم ذكر روايات عدة لهذا الحديث، وفي بعضها: " فبعث الله إلينا نبيا من أنفسنا، نعرف وفاءه وصدقه وأمانته. . ".

(٤) انظر: ص ٤٨، من البحث.

(٥) سورة آل عمران الآية ١٦٤

المسألة الخامسة

الكلام على قوله تعالى ﴿ وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ غُضْرَهُ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَا إِلَى ضُرِّ مَسَّهُ كَذَلِكَ زِينٌ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾^(١)

المسألة: معنى ﴿الْإِنْسَانَ﴾ في الآية:

الدراسة:

قال الإمام النسفي . رحمه الله .: أن المراد بالإنسان في هذه الآية (الإنسان): الكافر^(٢) و وافقه فيما ذهب إليه: الواحدي^(٣)، وابن الجوزي^(٤)، وحثتهم: أن السورة مكية، وأن المسلمين آنذاك لم يكن عددهم يتجاوز الثمانين رجلا مع أهلهم. وذهب ابن عطية^(٥)، والقرطبي^(٦)، وأبو حيان^(٧)، وابن تيمية^(٨)، إلى أن المراد بالإنسان في هذه الآية وأمثالها: الجنس أي جنس الإنسان.

الاختيار والترجيح:

(١) سورة يونس الآية ١٢ .

(٢) تفسير النسفي، ٢/ ٩، مصدر سابق. ومن المتأخرين: السيوطي في تفسير الجلالين ١/٢٦٧، لجلال الدين محمد بن أحمد المحلي، وجلال الدين السيوطي: ط١: القاهرة: دار الحديث. و محمد الطاهر ابن عاشور في التحرير والتنوير ١١/٣٢. ط: الدار التونسية للنشر ، ١٩٨٤ م .

(٣) انظر: ص ٨٠، من البحث.

(٤) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ١/٤٩١، للواحدي، ت: صفوان داوودي، ط١: دار القلم ، دمشق، ١٤١٥ .

(٥) أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي بن عبيد الله البكري، ابن الجوزي البغدادي، الحنبلي الواعظ، صاحب التصانيف المشهورة في أنواع العلوم، مات سنة سبع وتسعين وخمس مئة. سير أعلام النبلاء: ٢١/٣٦٥، مصدر سابق. وطبقات المفسرين: ١/٦١، مصدر سابق.

(٦) زاد المسير في علم التفسير ٦١٨، لأبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي ، ط١: دار الفكر، ١٤٠٧ هـ .

(٧) انظر: ص ٤٦، من البحث.

(٨) المحرر الوجيز: ٧/ ١١٦، مصدر سابق.

(٩) انظر: ص ٨١، من البحث.

(١٠) الجامع لأحكام القرآن: ٨/ ٣١٧. مصدر سابق.

(١١) انظر: ص ٨١، من البحث.

(١٢) البحر المحيظ: ٥/ ١٣٣، مصدر سابق. واختاره من المتأخرين: أبو السعود: ٤/١٢٦، في إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، ط٢: دار إحياء التراث العربي ببيروت، ١٤١١. والشوكاني: ٢/٤٨٨، في فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، ت: سيد إبراهيم، ط١: دار الحديث، ١٤١٣ هـ. والسعدي: ٣/٣٣٢، مصدر سابق.

(١٣) انظر: ص ٤٨، من البحث.

(١٤) مجموع الفتاوى: ١٠/ ١٠٥، ١٠٦ . مصدر سابق.

والراجح والله أعلم: القول الثاني أي أن المراد بالإنسان الجنس، للأسباب الآتية:
أولاً: من يسمع ما ذهب إليه الإمام النسفي ومن وافقه يظن أنه ليس لمن يظهر الإسلام في هذا الذم والوعيد نصيب، بل يذهب وهمه إلى ما كان مظهراً من العرب، أو إلى من يعرفهم من مظهري الكفر، كاليهود والنصارى ومشركي الترك والهند، ونحو ذلك. فلا ينتفع بهذه الآيات التي أنزلها الله ليهتدي بها عباده، فيقال: أولاً: المظهرون للإسلام فيهم مؤمن ومنافق. والمنافقون كثيرون في كل زمان، والمنافقون في الدرك الأسفل من النار.

ويقال ثانياً: الإنسان قد يكون عنده شعبة من نفاق وكفر، وإن كان معه إيمان، كما قال النبي ﷺ في الحديث المتفق عليه: " أربع من كن فيه كان منافقا خالصا. ومن كانت فيه خصلة منهن، كان فيه خصلة من النفاق حتى يدعها: إذا حدث كذب، وإذا أوتمن خان، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر " (١)، فأخبر أن من كانت فيه خصلة منهن، كانت فيه خصلة من النفاق ". " إذا عرف هذا، علم أن كل عبد ينتفع بما ذكر الله في الإيمان من مدح شعب الإيمان، وذم شعب الكفر " (٢).

ثالثاً: إن الله ﷻ في آيات مشابهة استثنى من لفظ الإنسان ما يدل على دخول غير الكافر فيه، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا ۝١١ إِذَامَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا ۝٢٠ وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا ۝٢١ إِلَّا الْمُصَلِّينَ ۝٢٢﴾ (٣)، وقوله: ﴿وَالْعَصْرِ ۝١ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصُوا بِالحَقِّ وَتَوَّصُوا بِالصَّبْرِ ۝٣﴾ (٤)، إلى غير ذلك من الآيات.

(١) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان، باب علامة المنافق: ١ / ٢١، برقم: ٣٤، ومسلم في كتاب الإيمان أيضا، باب بيان

خصال المنافق: ص ٢٨، برقم: ٥٨

(٢) مجموع الفتاوى: ١٠ / ١٠٥، ١٠٦. (باختصار يسير). المصدر السابق.

(٣) سورة المعارج الآيات ١٩، ٢٠، ٢١، ٢٢

(٤) سورة العصر

المسألة السادسة

الكلام على قوله تعالى ﴿قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ قُلِ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يَهْدِيَهَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾^(١)

المسألة: معنى (الشركاء) في الآية:
الدراسة:

اختار الامام النسفي . رحمه الله . في معنى الشركاء في هذه الآية: العموم في الأصنام وغيرها. وأن (هدى) يستعمل لازماً ومتعدياً. فقال عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ﴾ يرشد إليه ﴿قُلِ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يَهْدِي﴾ يقال هداه للحق وإلى الحق فجمع بين اللغتين ويقال هدى بنفسه بمعنى اهتدى كما يقال شرى بمعنى اشترى. فهل من شركائكم الذين جعلتم أنداد الله أحد يهدي إلى الحق مثل هداية الله ثم قال أفمن يهدي إلى الحق أحق بالاتباع أم الذي لا يهدي أي لا يهدى بنفسه أو لا يهدي غيره إلا أن يهديه الله، وقيل معناه أم من لا يهتدي من الأوثان إلى مكان فينتقل إليه إلا أن يهدي إلا أن يهدي إلى أن ينقل أو لا يهتدي، ولا يصح منه الاهتداء إلا أن ينقله الله من حاله إلى أن يجعله حياً ناطقاً فيهديه.^(٢)

وافق الإمام النسفي فيما ذهب إليه: الطبري^(٣)، والبيضاوي^(٤).

(١) سورة يونس الآية ٣٥

(٢) تفسير النسفي ٢/٢١-٢٢، مصدر سابق.

(٣) انظر: ص ٤٨، من البحث.

(٤) جامع البيان: ٦/ ٥٦٠. مصدر سابق.

(٥) أبو الخير عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي الشافعي القاضي ناصر الدين، كان إماماً مبرزاً صالحاً متعبداً، ولي القضاء بشيراز، له كتاب أنوار التنزيل في التفسير، وهو مختصر لكشاف الزمخشري، مات سنة: خمس وثمانين وست مئة. السير: ٢٠/ ١٨٢، مصدر سابق. وطبقات المفسرين ١/ ٢٥٤. مصدر سابق.

(٦) أنوار التنزيل وأسرار التأويل: ٣/ ١٩٧، للبيضاوي، ط: دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٨هـ. واختاره من المتأخرين: برهان الدين البقاعي ٣/ ٤٤١، في نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ، مصور عن الطبعة الأولى ١٣٨٩، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، الهند. والشوكاني: ٢/ ٥٠٦، مصدر سابق.

واختار طائفة من المفسرين القول الثاني الذي ذكره بصيغة التضعيف (قيل) وهو: قصر المعنى على الأوثان. وممن اختار ذلك: الواحدي^(١)، والبغوي^(٣)، وابن الجوزي^(٥)، والقرطبي^(٧)، وهو مروى عن مجاهد^(٩)،^(١٠).

قال البغوي . رحمه الله .: " فإن قيل: كيف قال: ﴿إِلَّا أَنْ يُهْدَى﴾ والصنم لا يتصور أن يهتدي ولا أن يهدى قيل: معنى الهداية في حق الصنم: الانتقال. أي أنها لا تنتقل من مكان إلى مكان إلا أن تحمل وتنتقل، فتبين به عجز الأصنام. وجواب آخر: وهو أن ذكر الهداية على وجه المجاز. وذلك أن المشركين لما اتخذوا الأصنام آلهة، وأنزلوها منزلة من يسمع ويعقل؛ عبر عنها بما يعبر عن علم ويعقل، ووصفت بوصف من يعقل" ^(١١).

وكره ذلك ابن عطية^(١٢)، وذكر أن فيه تجوزا كثيرا^(١٣).

والراجح: ما اختاره الإمام النسفي . رحمه الله .، وذلك لوجهين:

(١) انظر: ص ٨٠، من البحث.

(٢) الوجيز: ١/ ٤٩٧، مصدر سابق.

(٣) البغوي هو: الشيخ الإمام، العلامة القدوة الحافظ، محيي السنة أبو محمد الحسين بن مسعود بن الفراء، البغوي الشافعي، المفسر المحدث، صاحب التصانيف النافعة كشرح السنة، ومعالم التنزيل والمصابيح وغيرها، وقد بورك له فيها، ورزق فيها القبول، كان زاهداً قانعاً باليسير، توفي سنة ٥١٦ هـ بمرور. السير ٤٣٩/١٩ - ٤٤٣، مصدر سابق.

(٤) معالم التنزيل ٤/ ١٣٣، للبغوي، ط ٣: دار المعرفة، ١٤١٣ هـ .:

(٥) انظر: ص ١٠٥، من البحث.

(٦) تذكرة الأريب في تفسير الغريب ١/ ٢٣٥، لابن الجوزي: ط ١؛ الرياض: مكتبة المعارف: ١٤٠٧ هـ. ت: علي البواب.

(٧) انظر: ص ٨١، من البحث.

(٨) الجامع لأحكام القرآن: ٨/ ٣٤١. مصدر سابق. ومن المتأخرين: ابن كثير: ٢/ ٤١٧، والسعدي: ٣/ ٣٥١، وابن عاشور: ٧٧/١١. مصادر سابقة

(٩) انظر: ص ٤٧، من البحث.

(١٠) تفسير مجاهد ١/ ٢٩٤، لمجاهد بن جبر، ط: المنشورات العلمية. بيروت: ت: عبد الرحمن الطاهر .:

(١١) معالم التنزيل: ٤/ ١٣٣. مصدر سابق.

(١٢) انظر: ص ٤٦، من البحث.

(١٣) المحرر الوجيز: ٧/ ١٤٧. مصدر سابق.

أحدهما: دلالة السياق، فإنه قال: ﴿قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ﴾ ولفظ الشركاء في القرآن ليس مقصوراً على الأصنام، بل يدخل فيه غيرهم من الآلهة المدعاة، كما قال تعالى: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ . . .﴾^(١)، وقال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ زَيْنٌ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتَلَ أَوْلَادِهِمْ شُرَكَاؤُهُمْ﴾^(٢) إلى غير ذلك من الآيات.

الثاني: أن قصر المعنى على الأصنام يفضي إلى القول بالمجاز، والواجب حمل ألفاظ القرآن على الحقيقة^(٣).

والله تعالى أعلم.

(١) سورة الأنعام الآية ١٠٠

(٢) سورة الأنعام الآية ١٣٧

(٣) قواعد الترجيح عند المفسرين: ٢ / ٣٨٧. مصدر سابق.

المسألة السابعة

الكلام على قوله تعالى: ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلِيفْرِحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾^(١).

المسألة: معنى ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَرَحْمَتِهِ﴾ في الآية:

اختار الامام النسفي . رحمه الله . أن المراد بفضل الله ورحمته: القرآن والإسلام.^(٢).

الدراسة، والترجيح:

حاصل الأقوال في هذه الآية ثمانية^(٣):

الأول: أن فضل الله: القرآن، ورحمته: الإسلام. وهو الذي اختاره الامام النسفي.

وهو مروى عن ابن عباس^(٤). رضي الله عنهما، والضحاك^(٥)، وزيد بن أسلم^(٦).

الثاني: أن فضل الله: الإسلام، ورحمته: القرآن. وهو مروى عن ابن عباس أيضا،

وقتادة^(٧)، والحسن^(٨). الثالث: أن فضل الله: القرآن، ورحمته: أن جعلهم من أهل

القرآن. وهو قريب من الأول.

الرابع: أن فضل الله ورحمته: القرآن. وهو مروى عن مجاهد^(٩).

الخامس: أن فضل الله: العلم، ورحمته: محمد. وهو مروى عن ابن عباس^(١٠).

(١) سورة يونس الآية ٥٨

(٢) تفسير النسفي ٢/٢٨، مصدر سابق.

(٣) زاد المسير: ص ٦٢٩، مصدر سابق. وجامع البيان: ٦/ ٥٦٩. مصدر سابق.

(٤) انظر ص ٤٧، من البحث.

(٥) انظر: ص ٧٩، من البحث.

(٦) انظر: ص ٤٩، من البحث.

(٧) انظر: ص ٤٩، من البحث.

(٨) انظر: ص ٤٩، من البحث.

(٩) انظر: ص ٤٧، من البحث.

(١٠) انظر: ص ٤٧، من البحث.

السادس: أن فضل الله: الإسلام، ورحمته: تزيينه في القلوب. وهو مروى عن ابن عمر^(١). رضي الله عنهما ..

السابع: أن فضل الله: القرآن، ورحمته: السنة.

الثامن: أن فضل الله: التوفيق، ورحمته: العصمة.

وقد وافق الامام النسفي في اختياره: الزمخشري^(٢)^(٣)، وابن تيمية^(٤)^(٥). لكنه قال: الإيمان بدل الإسلام. وذكروا في ذلك حديث أبي بن كعب^(٦). رضي الله عنه . أن رسول الله ﷺ تلا: ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ...﴾ . فقال: " بكتاب الله والإسلام "^(٧). واختار القول الثاني: ابن قتيبة^(٨)^(٩)، والطبري^(١٠)^(١١)، والواحدي^(١٢)^(١٣)، وابن الجوزي^(١٤)^(١٥).

(١) هو : عبد الله بن عمر بن الخطاب بن نفيل القرشي العدوي، أبو عبد الرحمن المكي، ثم المدني ، أسلم وهو صغير، وشهد الخندق، وما بعدها، وهو ممن بايع تحت الشجرة. روى عن النبي ﷺ علماً كثيراً، توفي في ذي الحجة سنة- ٧٣هـ. أسد الغابة: ٢٢٧/٣، مصدر سابق. وسير أعلام النبلاء: ٢٠٣/٣. مصدر سابق.

(٢) هو: محمود بن عمر بن محمد الخوارزمي الزمخشري المعتزلي، من أئمة اللغة والتفسير، من مؤلفاته: التفسير المشهور الكشاف، وأساس البلاغة وغيرها، توفي عام ٥٣٨هـ . طبقات المفسرين ٣١٤/٢، مصدر سابق. والأعلام ١٧٨/٧. مصدر سابق.

(٣) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيوب الأقاويل في وجوه التأويل ١٩٤/٢، لأبي القاسم محمود الزمخشري، دار المعرفة. (٤) انظر: ص ٤٨، من البحث.

(٥) مجموع الفتاوى: ١٦ / ٤٩، مصدر سابق. دقائق التفسير ٦ / ٣، الجامع لتفسير الإمام ابن تيمية، جمع وتحقيق: محمد السيد ط: دار القبة للثقافة الإسلامية، جدة، ١٤٠٦هـ . واختاره من المتأخرين: السعدي: ٣ / ٣٦٤. مصدر سابق.

(٦) هو: الصحابي الجليل أبي بن كعب بن قيس بن عبيد الأنصاري النجاري ، أبو المنذر ، سيّد القراء، كان من أصحاب العقبة الثانية، وشهد بدرًا والمشاهد كلها. توفي سنة ٣٠هـ . الاستيعاب: ١ / ٢٧، مصدر سابق.

(٧) أخرجه سعيد بن منصور في سننه: ٥ / ٣١٣، برقم: ١٠٦٢، والحاكم في مستدركه: ٢ / ٢٦٣، برقم: ٢٩٤٦، وقال: " وهذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه "

(٨) هو عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدِّيَنُورِي، أبو محمد، من أئمة اللغة، ومن المصنفين المكثرين، ولد ببغداد سنة ٢١٣هـ، وتوفي بها سنة ٢٧٦هـ، من مؤلفاته: تأويل مختلف الحديث، وأدب الكاتب. سير أعلام النبلاء ١٣ / ٢٩٦، والأعلام، مصدران سابقان .

(٩) زاد المسير: ٦٢٩، مصدر سابق.

(١٠) انظر: ص ٤٨، من البحث.

(١١) جامع البيان: ٦ / ٥٦٨، مصدر سابق.

(١٢) انظر: ص ٨٠، من البحث.

(١٣) الوجيز: ١ / ٥٠٢، مصدر سابق.

(١٤) انظر: ص ١٠٥، من البحث.

(١٥) تذكرة الأريب: ١ / ٢٣٧، مصدر سابق.

واختار القول الرابع: الزجاج^(١)، والبيضاوي^(٣) (٤).

ولم أر . حسب اطلاعي . من اختار الأقوال الأخرى .

واختار طائفة من المفسرين: العموم، وأن ما ذكر من الأقوال إنما هو تمثيلات .
وممن ذهب إلى ذلك: ابن عطية^(٥)، فإنه قال . بعد أن ذكر الأقوال: " ولا وجه عندي
لشيء من هذا التخصيص، إلا أن يستند منه شيء إلى النبي ﷺ، وإنما الذي يقتضيه
اللفظ، ويلزم منه: أن الفضل هو هداية الله إلى دينه، والتوفيق إلى اتباع شريعته .
والرحمة هي عفوه، وسكنى جنته التي جعلها جزاء على التشريع بالإسلام، والإيمان به
." (٦)

وتابعه أبو حيان^(٧) . رحمه الله . فقال: " وهذه تخصيصات تحتاج إلى دلائل .
وينبغي أن يعتقد أنها تمثيلات، لأن^(٨) الفضل والرحمة أريد بهما تعيين ما ذكر،
وحصرهما فيه " (٩) .

والقول الأول الذي اختاره الإمام النسفي هو القول المختار، لوجهين:

أحدهما: أنه ورد مرفوعاً إلى النبي ﷺ كما في حديث أبي السابق^(١٠) .

الثاني: أنه الأوفق لسياق الآيات وموضوع السورة . فإن الله ﷻ افتتح هذه السورة

بذكر الكتاب: ﴿الرَّ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ﴾ (١) ، وعقب ذلك بتبشير المؤمنين:

(١) انظر: ص ٤٧، من البحث .

(٢) معاني القرآن: ٣ / ٢٥، مصدر سابق .

(٣) انظر: ص ١٠٧، من البحث .

(٤) أنوار التنزيل: ٣ / ٢٠٤، مصدر سابق .

(٥) انظر: ص ٤٦، من البحث .

(٦) المحرر الوجيز: ٧ / ١٦٨، مصدر سابق .

(٧) انظر: ص ٨١، من البحث .

(٨) هكذا! ولعله خطأ مطبعي . والصواب: (لا أن) إذ لا يستقيم المعنى إلا بذلك

(٩) البحر المحيط: ٥ / ١٦٩، مصدر سابق . واختار هذا القول من المتأخرين: الشوكاني: ٢ / ٥١٦، مصدر سابق .

(١٠) انظر: ص ١١١، من البحث .

(١١) سورة يونس: الآية ١

﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾^(١). ثم ختم السورة بمثل ذلك: ﴿وَأْمُرْ أَنْ
أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾^(٢) ﴿١٠٤﴾ ﴿وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ . .﴾^(٣)

وأما السياق: فإن الله ذكر قبل هذه الآية: القرآن والإيمان، فقال: "﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ
جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾"^(٤)

ويلاحظ سبب اختيار الإمام النسفي . رحمه الله، فإنه قال: الإسلام. ولم يقل:
الإيمان، لأنه ذكر في السورة في أكثر من موضع، وهذا ما دعاه إلى ترجيح لفظ
الإسلام. وكذا الحديث، شاهد على ذلك، والله تعالى أعلم.

(١) سورة يونس الآية ٢

(٢) سورة يونس الآية ١٠٤

(٣) سورة يونس الآية ١٠٩

(٤) سورة يونس الآية ٥٧

المسألة الثامنة

الكلام على قوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيْنَةٍ مِّن رَّبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ وَمِن قَبْلِهِ كُتِبَ
مُوسَىٰ إِمَامًا وَرَحْمَةً أُولَٰئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَن يَكْفُرْ بِهِ مِّن الْأَحْزَابِ فَآلَتَارُ مَوْعِدُهُ﴾^(١).
الكلام على المسائل الآتية في الآية:

المسألة الأولى: المقصود ب (من) في قوله: ﴿أَفَمَنْ كَانَ﴾.

المسألة الثانية: المراد بالبينة

المسألة الثالثة: معنى ﴿يتلوه﴾.

المسألة الرابعة: مرجع الضمير في قوله ﴿يتلوه﴾.

المسألة الخامسة: المراد بالشاهد في قوله: ﴿وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ﴾.

المسألة السادسة: مرجع الضمير في قوله ﴿شَاهِدٌ مِّنْهُ﴾.

المسألة السابعة: مرجع الضمير في قوله ﴿وَمِن قَبْلِهِ﴾.

المسألة الثامنة: مرجع الضمير في قوله ﴿أُولَٰئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾، وقوله: ﴿وَمَن
يَكْفُرْ بِهِ﴾.

المسألة التاسعة: المراد ب ﴿الْأَحْزَابِ﴾.

المسألة الأولى: المقصود ب (من) في قوله ﴿أَفَمَنْ﴾:

اختار الإمام النسفي رحمه الله . أن قوله ﴿أَفَمَنْ﴾ " من آمن من اليهود كعبد الله
بن سلام وغيره"^(٢).

حاصل الأقوال في هذه المسألة ثلاثة:

(١) سورة هود الآية ١٧

(٢) تفسير النسفي، ٢ / ٥١، مصدر سابق. ومن المتأخرين: ابن عاشور: ١١ / ٢٢٤، مصدر سابق. وجوز أيضا
أن يكون المقصود النصراني فقط، فإنهم كانوا منتشرين في العرب، ويعرف أهل مكة كثيرا منهم، وهم الذين عرفوا
أحقية الإسلام مثل ورقة بن نوفل، ودحية الكلبي. ولم أر حسب اطلاعي . من قال بذلك.

أحدها: أن المراد من آمن من أهل الكتاب، كعبد الله بن سلام رضي الله عنه، وغيره. وهو الذي اختاره الامام النسفي رحمه الله. و وافق اختياره: الزمخشري^{(١)(٢)}.

الثاني: أن المراد المؤمنين. وهو القول الراجح والله اعلم.

الثالث: أن المراد به النبي ﷺ.

وممن اختار القول الثاني: ابن عطية^{(٣)(٤)}، والبيضاوي^{(٥)(٦)}، وأبو حيان^{(٧)(٨)}.

واختار القول الثالث: الطبري^{(٩)(١٠)}، والواحي^{(١١)(١٢)}، والكرماني^{(١٣)(١٤)}،

والبغوي^{(١٥)(١٦)}، وابن الجوزي^{(١٧)(١٨)}.

-
- (١) انظر: ص ١١١، من البحث.
(٢) الكشف: ٢ / ٢١١، مصدر سابق.
(٣) انظر: ص ٤٦، من البحث.
(٤) المحرر الوجيز: ٧ / ٢٥٩. مصدر سابق.
(٥) انظر: ص ١٠٧، من البحث.
(٦) أنوار التنزيل: ٣ / ٢٢٧. مصدر سابق.
(٧) انظر: ص ٨١، من البحث.
(٨) البحر المحيط: ٥ / ٢١٢. مصدر سابق. واختار هذا القول من المتأخرين: ابن كثير: ٢ / ٤٤٠، مصدر سابق. والبقاعي: ٣ / ٥١٣، في نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، مصور عن الطبعة الأولى ١٣٨٩، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، الهند. والسعدي: ٣ / ٤١١. مصدر سابق.
(٩) انظر: ص ٤٨، من البحث.
(١٠) جامع البيان: ٧ / ١٩، مصدر سابق.
(١١) انظر: ص ٨٠، من البحث.
(١٢) الوجيز: ١ / ٥١٦، مصدر سابق.
(١٣) هو تاج القراء: محمّد بن حمزة الكرماني، كان عجباً في الفهم ودقّة الاستنباط، له كتاب غرائب التفسير، والبرهان في توجيه متشابه القرآن. مات سنة خمس مئة. معجم الأدباء، ١٩ / ١٢٥، لأبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي: ط ٣؛ بيروت: دار الفكر: ١٤٠٠هـ. وكشف الظنون / ١ / ١٣١. مصدر سابق.
(١٤) غرائب التفسير: ١ / ٥٠٠، وعجائب التأويل، لمحمود بن حمزة الكرماني: ط ١؛ جدّة: دار القبلة. بيروت: مؤسّسة علوم القرآن: ١٤٠٨هـ. تحقيق: شمران سركال.
(١٥) انظر: ص ١٠٨، من البحث.
(١٦) معالم التنزيل: ٤ / ١٦٧. مصدر سابق.
(١٧) انظر: ص ١٠٥، من البحث.
(١٨) تذكرة الأريب / ١ / ٢٤٦. مصدر سابق.

الدراسة، والترجيح:

وأصح هذه الأقوال: القول الثاني، وهو شامل للقولين الآخرين، للأسباب التالية:

١. قوله تعالى بعد ذلك في الآية نفسها: ﴿أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾، فإنه يدل على أن قوله ﴿أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيْنَةٍ مِّن رَّبِّهِ﴾ يتناول المؤمنين كما يتناول الرسول ﷺ، لأن ﴿أُولَئِكَ﴾ إشارة إلى جماعة، ولم يقدم قبل هذا ما يصلح أن يكون مشاراً إليه إلا (من) (١).

٢. أن لفظ (من) أبلغ صيغ العموم، لا سيما إذا كان شرطاً أو استفهاماً كقوله تعالى: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ (٢) (٣).

٣. أنه على فرض أن المقصود هو النبي ﷺ، فإن الخطاب قد يكون لفظه له، ومعناه عام، كقوله تعالى: ﴿فَإِنْ كُنْتَ فِي شكٍّ مِّمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَأُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ﴾ (٤)، وقوله: ﴿لَنْ أَسْرُكَتَ لِيَحْبِطَنَّ عَمَلُكَ﴾ (٥)، ونحو ذلك. وذلك أن الأصل فيما خوطب به النبي ﷺ في كل ما أمر به ونهي عنه وأبىح له، سار في حق أمته كمشاركة أمته له في الأحكام وغيرها، حتى يقوم دليل على التخصيص. فما ثبت في حقه من الأحكام، ثبت في حق الأمة إذا لم يخصص. هذا مذهب السلف والفقهاء. ودلائل ذلك كثيرة كقوله: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا﴾ (٦). ولما أباح له

(١) مجموع الفتاوى ١٥ / ٧٤، ٨٣، مصدر سابق.

(٢) سورة الزلزلة الآية ٧

(٣) مجموع الفتاوى ١٥ / ٨٢، المصدر السابق.

(٤) سورة يونس الآية ٩٤

(٥) سورة الزمر الآية ٦٥

(٦) سورة الأحزاب الآية ٣٧

الموهوبة قال: ﴿خَالِصَةً لِّكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾^(١). فإذا كان هذا مع كون الصيغة خاصة؛ فكيف تجعل الصيغة العامة له وللمؤمنين مختصة به؟^(٢).

وأما من قال. . إنه محمد ﷺ كما قال طائفة من السلف، فقد يريدون بذلك التمثيل لا التخصيص. فإن المفسرين كثيرا ما يريدون ذلك، ومحمد هو أول من كان على بينة من ربه، وتلاه شاهد منه. وكذلك الأنبياء. وهو أفضلهم وإمامهم. والمؤمنون تبع له، وبه صاروا على بينة من ربهم^(٣).

وهو يشمل القول الأول الذي اختاره الامام النسفي ومن وافقه والله أعلم.

المسألة الثانية: المراد بالبينة في قوله: ﴿أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ . . .﴾:

اختار الامام النسفي . رحمه الله . أن المراد بالبينة: البرهان.

قال . رحمه الله :: ﴿عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ﴾ أي على برهان من الله وبيان أن دين

الإسلام حق وهو دليل العقل^(٤) "

الدراسة، والترجيح:

تتوعد اختيارات المفسرين في معنى البينة، فذهب الطبري^(٥)، والواحدي^(٦)،

والكرماني^(٩)، وابن الجوزي^(١١)، إلى أنها القرآن.

(١) سورة الأحزاب الآية ٥٠

(٢) مجموع الفتاوى: ١٥ / ٨١، ٨٢، مصدر سابق.

(٣) مجموع الفتاوى: ١٥ / ٦٤، المصدر السابق.

(٤) تفسير النسفي ٢ / ٥١، مصدر سابق.

(٥) انظر: ص ٤٨، من البحث.

(٦) جامع البيان: ٧ / ١٩، مصدر سابق.

(٧) انظر: ص ٨٠، من البحث.

(٨) الوجيز: ١ / ٥١٦، مصدر سابق.

(٩) انظر: ص ١١٥، من البحث.

(١٠) غرائب التفسير: ١ / ٥٠٠، مصدر سابق.

(١١) انظر: ص ١٠٥، من البحث.

(١٢) تذكرة الأريب: ١ / ٢٤٦، مصدر سابق.

واختار الزمخشري^(١)، والنسفي^(٢) أنها الحجة والبرهان.

واختار ابن تيمية^(٤) أنها أي البينة الإيمان ولم أر حسب اطلاعي . من وافقه في

تفسير البينة بالإيمان.

وقد أجاب رحمه الله . عن قال: إن المراد بالبينة: القرآن. وبين ضعف هذا القول

من وجهين:

أحدهما: أنه لو كان المراد القرآن، لما احتاج أن يقول: ﴿وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ﴾.

لأن البينة إذا كانت هي القرآن، وهو من الله، فقد علم أنه نزل به جبريل على محمد،

وكلاهما بلغه وقرأه. فقولهم: ويتلوه جبريل، أو محمد، تكرير لا فائدة فيه، ولا نظير له

في القرآن.

الثاني: أن المعنى على قولهم: (أفمن كان على القرآن . .). وليس لذلك أيضا

نظير في القرآن، فإن القرآن كلام الله واحد، لا يكون عليه. وإذا كان المراد: على

الإيمان بالقرآن والعمل به، فهذا الذي ذكرناه: أن البينة هي الإيمان بما جاء به

الرسول. . " (٥).

وأما من قال إن البينة هي البرهان، أو الفطرة؛ فالإيمان أعظم برهان، وهو

مقتضى الفطرة السليمة.

(١) انظر: ص ١١١ ، من البحث.

(٢) الكشف: ٢ / ٢١١ . مصدر سابق.

(٣) تفسير النسفي ٢ / ٥١ . ومن المتأخرين: البقاعي: ٣ / ٥١٣ ، والسعدي: ٣ / ٤١١ . واختار ابن كثير: (٢ /

٤٤٠) أنها: الفطرة. وشذ ابن عاشور فذكر أن المراد بالبينة: حجة مجيء الرسول ﷺ . المبشر به في التوراة

والإنجيل. وذلك بناء على ما ذهب إليه من أن المراد بقوله تعالى: (أفمن كان) : النصرى خاصة، أو النصرى

واليهود ممن عرف أحقية الإسلام قبل ظهوره. التحرير والتنوير ١١ / ٢٢٤ ، مصادر سابقة.

(٤) انظر: ص ٤٨ ، من البحث.

(٥) مجموع الفتاوى: ١٥ / ٦٥ ، ٦٦ ، مصدر سابق.

قال الراغب^(١) . رحمه الله . في المفردات^(٢) : " البينة: الدلالة الواضحة، عقلية كانت أو محسوسة. وسمي الشاهدان بينة لقوله ﷺ: " البينة على المدعي، واليمين على من أنكر"^(٣)، وقال سبحانه: ﴿ أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ . . . ﴾ . وقوله: (عقلية) أي: لا تدرك بالحس. وهذا لا يعارض ما سبق من تفسير البينة بالإيمان، فإن الإيمان لا يتحقق إلا بالدلائل الواضحة عقلية وحسية. وهذا هو السر في تأييد الأنبياء بالمعجزات والآيات البينات.

المسألة الثالثة: معنى قوله: ﴿ وَيَتْلُوهُ ﴾:

اختار الامام النسفي . رحمه الله . أن معنى ﴿ وَيَتْلُوهُ ﴾: يتبعه. وليس المعنى: يقرأه كما ذهب إلى ذلك بعض المفسرين.

قال . رحمه الله .: " ﴿ وَيَتْلُوهُ ﴾: ويتبع ذلك البرهان.

الدراسة، والترجيح:

وافق الامام النسفي في اختياره: الواحدي^(٤)، والبغوي^(٥)، والزمخشري^(٦)، والبيضاوي^(٧)، وابن تيمية^(٨).

(١) هو: العلامة الماهر، المحقق الباهر، المشهور بالراغب الأصفهاني. وذكره صاحب طبقات المفسرين فيمن اسمه المفضل، فقال: المفضل بن محمد الأصبهاني، أبو القاسم الراغب. كان من الحكماء العلماء ، من مصنفاته: كتاب مفردات القرآن، تفسير القرآن. توفي سنة ٥٠٢ هـ. سير أعلام النبلاء ١٨/١٢٠ - ١٢١، وطبقات المفسرين للداودي ٢/٣٢٩، والأعلام للزركلي ٢/٢٥٥، مصدران سابقان.

(٢) المفردات في غريب القرآن ٤٥، ٤٦، للراغب الأصفهاني: ط١؛ بيروت: دار المعرفة: ١٤١٨ هـ.

(٣) أخرجه الترمذي في كتاب الأحكام، باب ما جاء في أن البينة على المدعي واليمين على من أنكر: ص ٤١٢، برقم: ١٣٤، بلفظ الباب. وذكر أن في إسناده مقالا. وضعفه ابن حجر في التلخيص: ٤/ ٢٢٩، وصححه الألباني كما في صحيح سنن الترمذي: ٢/ ٣٨. وأخرجه الدار قطني باللفظ الذي أورده الراغب، بسند واه. إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل ٨/ ٢٦٧، لمحمد ناصر الدين الألباني: ط١؛ بيروت: المكتب الإسلامي: ١٣٩٩ هـ.

(٤) انظر: ص ٨٠، من البحث.

(٥) الوجيز: ١/ ٥١٦، مصدر سابق.

(٦) انظر: ص ١٠٨، من البحث.

(٧) معالم التنزيل: ٤/ ١٦٧، مصدر سابق.

(٨) انظر: ص ١١١، من البحث.

(٩) الكشف: ٢/ ٢١١، مصدر سابق.

(١٠) انظر: ص ١٠٧، من البحث.

(١١) أنوار التنزيل: ٣/ ٢٢٧، مصدر سابق.

(١٢) انظر: ص ٤٨، من البحث.

(١٣) مجموع الفتاوى: ١٥/ ٧٠. واختاره من المتأخرين: البقاعي: ٣/ ٥١٣، وأبو السعود: ٤/ ١٩٥، والسعدي: مصادر سابقة.

واختار القول الثاني: الطبري^(١)، والكرماني^(٣)، وابن عطية^(٥)، وابن الجوزي^(٧)، بناء على اختيارهم الأول: أن البينة هي القرآن. وقد سبق بيان ضعف هذا القول، فيكون الراجح في معنى التلاوة هنا: الاتباع.

المسألة الرابعة: مرجع الضمير في قوله: ﴿وَيَتْلُوهُ﴾:

رجح الامام النسفي . رحمه الله . عود الضمير إلى البينة.

قال . رحمه الله: " ﴿وَيَتْلُوهُ﴾: ويتبع ذلك البرهان"^(٩).

وقد ذكر عن ابن الجوزي أنه ذكر في (هاء) يتلوه قولين: أحدهما أنها ترجع إلى النبي ﷺ. والثاني أنها ترجع إلى القرآن. ثم عقب على ذلك بقوله: "والتحقيق أنها ترجع إلى (من) أو ترجع إلى البينة". وإذا رجع الضمير إلى (من) فإن جعل مختصا بالنبي ﷺ وهو القول الذي تقدم بيان فساده . عاد الضمير إلى البينة. وإن كان (من) تتناول كل من كان على بينة من ربه من المؤمنين . ورسول الله أولى المؤمنين . تتناول الجميع"^(١٠).

الدراسة، والترجيح:

أكثر المفسرين اختاروا عود الضمير إلى البينة^(١١).

واختار البغوي^(١٢). رحمه الله . القول الثاني، وهو عود الضمير إلى النبي ﷺ^(١٣).

(١) انظر: ص ٤٨، من البحث.

(٢) جامع البيان: ١٩ / ٧، مصدر سابق.

(٣) انظر: ص ١١٥، من البحث.

(٤) غرائب التفسير: ١ / ٥٠٠، مصدر سابق.

(٥) انظر: ص ٤٦، من البحث.

(٦) المحرر الوجيز: ٧ / ٢٥٩، مصدر سابق.

(٧) انظر: ص ١٠٥، من البحث.

(٨) تذكرة الأريب: ١ / ٢٤٦. مصدر سابق. ومن المتأخرين: ابن كثير: ٢ / ٤٤٠. مصدر سابق.

(٩) تفسير النسفي، ٢ / ٥١، مصدر سابق.

(١٠) مجموع الفتاوى: ١٥ / ٩٠. (باختصار يسير). مصدر سابق.

(١١) غرائب التفسير: ١ / ٥٠٠، المصدر السابق. والكشاف: ٢ / ٢١١، والمحرر الوجيز: ٧ / ٢٦١، وتذكرة الأريب: ١ / ٢٤٦،

وأنوار التنزيل: ٣ / ٢٢٧، ونظم الدرر: ٣ / ٥١٣، وفتح القدير: ٢ / ٥٥٤، وتيسير الكريم الرحمن: ٤ / ١٦٧، مصادر سابقة

(١٢) انظر: ص ١٠٨، من البحث.

(١٣) معالم التنزيل: ٤ / ١٦٧، مصدر سابق.

وما ذهب إليه الامام النسفي . رحمه الله تعالى . هو القول الراجح والله أعلم .
وأما من قال إنه عائد إلى النبي ﷺ؛ فقد سبق بيان ضعف هذا القول في المسألة الأولى.

المسألة الخامسة: المراد بالشاهد في قوله: ﴿ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ ﴾:

اختار الامام النسفي . رحمه الله . أن المراد بالشاهد: القرآن .

قال . رحمه الله . في بيان هذا المعنى: " ﴿ شَاهِدٌ ﴾ يشهد بصحته وهو القرآن^(١) .

الدراسة، والترجيح:

حاصل الأقوال في معنى الشاهد تسعة^(٢):

أحدها: أنه القرآن . وهو الذي اختاره الإمام النسفي . رحمه الله ..

الثاني: أنه جبريل . عليه السلام .. وهو مروى عن ابن عباس^(٣) . رضي الله عنهما .،

وسعيد بن جبير^(٤)، ومجاهد^(٥)، وعكرمة^(٦)، وغيرهم .

الثالث: أنه لسان رسول الله ﷺ الذي كان يتلو القرآن . وهو مروى عن علي بن

أبي طالب . رضي الله عنه .^(٧)، والحسن^(٨)، وقتادة^(٩) .

الرابع: أنه رسول الله ﷺ . وهو مروى عن الحسين بن علي^(١٠)

الخامس: أنه علي بن أبي طالب . رضي الله عنه .. رواه جماعة عنه .

(١) تفسير النسفي، ٥١ / ٢، مصدر سابق.

(٢) زاد المسير، ٦٤٦، وقد جعل الأقوال ثمانية، فإنه جعل القرآن ونظمه وإعجازه قولاً واحداً، والصواب أنهما قولان؛ القرآن قول، والنظم والإعجاز قول آخر .

(٣) انظر: ص ٤٧، من البحث.

(٤) انظر: ص ٧٩، من البحث.

(٥) انظر: ص ٤٧، من البحث.

(٦) انظر: ص ٤٩، من البحث.

(٧) انظر: ص ٥٠، من البحث.

(٨) انظر: ص ٥٠، من البحث.

(٩) انظر: ص ٤٩، من البحث.

(١٠) هو: الحسين بن علي بن أبي طالب الهاشمي، أبو محمد، سبط رسول الله ﷺ وأحد سيدي شباب أهل الجنة. وقتل في يوم عاشوراء سنة ٦١ هـ. الجرح والتعديل ٥٥ / ٣، لأبي محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي: ط ١؛ بيروت: دار إحياء التراث العربي: ١٣٧١ هـ وتهذيب التهذيب ٣٤٥ / ٢، مصدر سابق.

السادس: أنه ملك يحفظه ويسدده. روي عن مجاهد^(١).

السابع: أنه الإنجيل.

الثامن: أنه نظم القرآن وإعجازه.

التاسع: أنه صورة رسول الله ﷺ ووجهه ومخايله، لأن كل عاقل نظر إليه علم أنه رسول الله.

وقد وافق الامام النسفي في اختياره: الزمخشري^(٢)^(٣)، وابن تيمية^(٤)^(٥)، وأبو حيان^(٦)^(٧).

واختار القول الثاني: الطبري^(٨)^(٩)، والواحدي^(١٠)^(١١)، والكرمانى^(١٢)^(١٣)، وابن الجوزي^(١٤)^(١٥).

واختار السادس: الفراء^(٦)^(١٦)، والقرطبي^(١٧)^(١٨).

ولم أر من المفسرين . حسب اطلاعي . من اختار واحدا من الأقوال الأخرى^(٩).

(١) انظر: ص ٤٧، من البحث.

(٢) انظر: ص ١١١، من البحث.

(٣) الكشف: ٢/ ٢١١، مصدر سابق.

(٤) انظر: ص ٤٨، من البحث.

(٥) مجموع الفتاوى: ١٣/ ٦٩، مصدر سابق.

(٦) انظر: ص ٨١، من البحث.

(٧) البحر المحيط: ٥/ ٢١٢. واختاره من المتأخرين: ابن كثير: ٢/ ٤٤٠، والبقاعي: ٣/ ٥١٣، مصادر سابقة.

(٨) انظر: ص ٤٨، من البحث.

(٩) جامع البيان: ٧/ ١٩، مصدر سابق.

(١٠) انظر: ص ٨٠، من البحث.

(١١) الوجيز: ١/ ٥١٦، مصدر سابق.

(١٢) انظر: ص ١١٥، من البحث.

(١٣) غرائب التفسير: ١/ ٥٠٠، مصدر سابق.

(١٤) انظر: ص ١٠٥، من البحث.

(١٥) تذكرة الأريب: ١/ ٢٤٦، مصدر سابق.

(١٦) هو: يحيى بن زياد بن عبد الله الديلمي، أبو زكريا، المعروف بالفراء، إمام أهل الكوفة في النحو، من مؤلفاته: معاني القرآن، والمقصود والممدود، توفي سنة ٢٠٧ هـ. طبقات المفسرين للداودي ٢/ ٣٦٧-٣٦٨، والموسوعة الميسرة في تراجم أئمة التفسير والإقراء والنحو واللغة ٣/ ٢٨٨٨-٢٨٨٩. لجماعة من الباحثين - من إصدارات مجلة الحكمة ١٤٢٤ هـ.

(١٧) انظر: ص ٨١، من البحث.

(١٨) الجامع لأحكام القرآن: ٩/ ١٧، مصدر سابق.

(١٩) اختار السعدي . رحمه الله . قولاً عاشراً، وهو أن المراد بالشاهد: الفطرة المستقيمة والعقل الصحيح. ولم أر من اختاره غيره. تيسير الكريم الرحمن: ٣/ ٤١١، مصدر سابق.

وأرجح هذه الأقوال كلها: أنه القرآن، وهو الذي اختاره الإمام النسفي، رحمه الله. فيكون المعنى: أفمن كان على بينة من ربه من الإيمان والهدى والنور في قلب المؤمن، ويتلو ذلك شاهد من الله يشهد بصحة إيمان المؤمن وهو القرآن، كما قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ . . ﴾^(١). وقد تولى شيخ الاسلام ابن تيمية^(٢) . رحمه الله . الإجابة عن الأقوال الأخرى بما ملخصه:

١. من قال إنه جبريل . ﷺ . فإن جبريل لم يقل شيئاً من تلقاء نفسه، وإنما هو مبلغ للقرآن، فلا يصح أن يسمى شاهداً.
٢. أن تسمية جبريل . ﷺ . شاهداً لا نظير له في القرآن. وكذلك تسمية لسان الرسول شاهداً، وتسمية علي شاهداً، لا يوجد مثل ذلك في الكتاب والسنة. بخلاف شهادة الله، فإن الله أخبر بشهادته لرسوله في غير موضع. وسمى ما أنزله شهادة منه في قوله: ﴿ . . وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ . . ﴾^(٣)، فدل على أن كلام الله الذي أنزله، وأخبر فيه بما أخبر، شهادة منه^(٤).

٣. وكذلك قول من قال إن الشاهد هو محمد، فهو كقول من قال: هو جبريل. فإن كلاهما بلغ القرآن. وشهادتهما بما شهد به القرآن من جهة إيمانها به، لا من جهة كونها مرسلين منه، فإن الإرسال به يتضمن شهادتهما أن الله قاله. وقد يرسل غير رسول بشيء، فيشهد الرسول أن هذا كلام المرسل، وإن لم يكن المرسل صادقاً ولا حكيماً، ولكن علم أن جبريل ومحمداً يعلمان أن الله صادق وحكيم، فهما يشهدان بما شهد الله به، وكذلك الملائكة والمؤمنون يشهدون بأن ما قاله الله فهو حق، وأن الله

(١) سورة الشورى الآية ٥٢

(٢) انظر: ص ٤٨، من البحث.

(٣) سورة البقرة الآية ١٤٠

(٤) مجموع الفتاوى: ١٥ / ٦٦، مصدر سابق.

صَادِقٌ وَحَكِيمٌ، وَلَا يَخْبِرُ إِلَّا بِصَدَقٍ، وَلَا يَأْمُرُ إِلَّا بِعَدْلٍ ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا﴾^(١). وبهذا يتبين أن شهادة جبريل ومحمد هي شهادة القرآن، وشهادة القرآن هي شهادة الله تعالى. والقرآن شاهد من الله، وهذا الشاهد يوافق ويتبع ذلك الذي على بينة من ربه. فإن البينة والبصيرة والنور والهدى الذي عليه النبي ﷺ والمؤمنون، قد شهد القرآن المنزل من الله بأن ذلك حق^(٢).

٤. قول من قال: إن الشاهد من نفس المذكور، وفسره بلسانه، أو بعلي بن أبي طالب، ضعيف. لأن كون شاهد الإنسان منه لا يقتضي أن يكون الشاهد صادقاً، فإنه مثل شهادة الإنسان لنفسه، بخلاف ما إذا كان الشاهد من الله، فإن الله يكون هو الشاهد، وكفى بالله شهيداً^(٣).

٥. من قال إنه علي . كطائفة من جهال الشيعة . ظنوا أن علياً هو الشاهد منه. أي: من النبي ﷺ، كما قال له: " أنت مني، وأنا منك "^(٤). وهذا قاله لغيره أيضاً، فقد ثبت في الصحيحين أنه قال: " الأشعريون "^(٥) هم مني، وأنا منهم "^(٦)، وقال عن

(١) سورة الانعام الآية ١١٥

(٢) مجموع الفتاوى: ١٥ / ٦٨ . ٧٠ . (باختصار وتصرف يسير). مصدر سابق.

(٣) مجموع الفتاوى: ١٥ / ٨٤ . ٨٦ . (باختصار وتصرف). المصدر السابق.

(٤) جزء من حديث طويل أخرجه البخاري في كتاب الصلح، باب كيف يكتب: هذا ما صالح فلان بن فلان وفلان ابن فلان. . : ٢ / ٩٥٩، ٩٦٠، برقم: ٢٥٥٢.

(٥) كان هؤلاء الأشعريون من خيار الصحابة. تلخيص كتاب الاستغاثة ٣٩١/١ لابن كثير.

(٦) أخرجه البخاري في كتاب الشركة، باب الشركة في الطعام. . : ٢ / ٨٨٠، برقم: ٢٣٥٤، ومسلم في فضائل الصحابة، باب من فضائل الأشعريين: ص٦٤١، برقم: ٢٥٠٠. وقد ذكره ابن تيمية بالمعنى، ولفظه في الصحيحين: " إن الأشعريين إذا أرملوا في الغزو، أو قل طعام عيالهم بالمدينة، جمعوا ما كان عندهم في ثوب واحد، ثم اقتسموه بينهم في إناء واحد بالسوية، فهم مني، وأنا منهم ". ومعنى أرملوا: فني زادهم وقل طعامهم. كأنهم لصقوا بالرمل من القلة.

جليبيب^(١): " هذا مني، وأنا منه "^(٢). وكل مؤمن هو من النبي ﷺ كما قال الخليل: ﴿ .
 . فَمَنْ تَعَنَى فَإِنَّهُ مِنِّي . . ﴾^(٣)

وأما ما رووه عن علي^(٤) نفسه أنه قال: " ما من قريش أحد إلا نزلت فيه آية "،
قيل: فما أنزل فيك؟ قال: " ﴿ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ ﴾ "، فهو كذب. وقد رووا عن علي ما
يعارض ذلك، فقد روى ابن أبي حاتم^(٥) . عن محمد بن علي . يعني ابن الحنفية^(٦) .
قال: قلت لأبي: يا أبة: ﴿ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ ﴾ إن الناس يقولون إنك أنت هو؟ قال:
"وددت أنني أنا هو، ولكن لسانه " . .

قال ابن تيمية^(٧): " وقد تقدم عن الحسين^(٨) ابنه أن الشاهد منه هو محمد ﷺ .
وإنما تكلم علماء أهل البيت في أنه محمد ردا على من قال من الجهلة إنه علي . فإن
هذه السورة نزلت بمكة، وعلي كان إذ ذاك صغيرا لم يبلغ، وكان ممن اتبع الرسول .
ولو كان ابن رسول الله ليس ابن عمه، لم تكن شهادته تنفع، لا عند المسلمين، ولا عند

(١) صحابي جليل اشتهر باسمه الأول، ولا يعرف له نسب، وله ذكر في حديث أنس، في تزويجه بالأنصارية،
وكانت فيه دمامة وقصر، فكان الأنصاري وامرأته كرها ذلك، فسمعت ابنتهما بما أراد رسول الله ﷺ . من ذلك
فرضيت به وسلمت، فدعا لها، ثم قتل عنها جليبيب، فلم يكن في الأنصار أيم أنفق منها. (ينظر: الإصابة مع
الاستيعاب: ١ / ٢٤٤ ، ٢٥٩) .

(٢) أخرجه مسلم في حديث له قصة، في كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل جليبيب: ٦٣٣، برقم: ٢٤٧٢ .

(٣) سورة إبراهيم الآية ٣٦

(٤) انظر: ص ٥٠، من البحث.

(٥) انظر: ص ٤٥، من البحث.

(٦) هو التابعي الجليل محمد بن علي بن أبي طالب القرشي الهاشمي، أبو عبد الله، أخو الحسن والحسين . رأى
عمر وروى عنه، وعن أبيه . حدث عنه بنوه عبد الله والحسن وإبراهيم وعون، مات سنة إحدى وثمانين . سير أعلام
النبلاء: ٤ / ١١٠، وطبقات ابن سعد: ٥ / ٩١، مصدران سابقان .

(٧) انظر: ص ٤٨، من البحث.

(٨) انظر: ص ١٢٢، من البحث.

الكفار، بل مثل هذه الشهادة فيها تهمة القرابة. . وعلي إنما فضيلته باتباعه للرسول، فإذا قدح في الأصل بطل الفرع" (١).

هذا ملخص ما أجاب به شيخ الإسلام ابن تيمية . رحمه الله ..
ويضاف إلى ذلك: الجواب عن قال إن الشاهد هو الإنجيل، فهذا القول بعيد لوجهين:

أحدهما: أن قوله تعالى: ﴿ أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ يَتِيمَةٍ مِّن رَّبِّهِ ﴾ (٢) المراد به باتفاق: إما محمد. وإما محمد ومن اتبعه من المؤمنين. وإما من آمن من أهل الكتاب. والإنجيل إنما نزل قبل ذلك، فلا يستقيم مع قوله ﴿ وَيَتْلُوهُ ﴾.

الثاني: أن تخصيص كتاب موسى . ﷺ . بالذكر، يدل على عدم إرادة الإنجيل فيما تقدم، لاتفاق الملتين على أنه من عند الله تعالى، بخلاف الإنجيل فإن اليهود مخالفون فيه، فاقتصر على الاستشهاد بما تقوم به الحجة على الفريقين (٣).

المسألة السادسة: مرجع الضمير في قوله: ﴿ شَاهِدٌ مِّنْهُ ﴾:

اختار النسفي . رحمه الله . عود الضمير في قوله ﴿ مِّنْهُ ﴾ إلى الله ﷻ .
قال . رحمه الله .: " ﴿ مِّنْهُ ﴾ من الله (٤)

الدراسة، والترجيح:

حاصل الأقوال في ذلك ثلاثة (٥):

أحدها: أنه عائد إلى الله تعالى . وهو الذي اختاره النسفي .

(١) مجموع الفتاوى: ١٥ / ٨٤ . ٨٦ . (باختصار وتصرف)، مصدر سابق.

(٢) سورة هود الآية ١٧ و سورة محمد الآية ١٤

(٣) المحرر الوجيز: ٧ / ٢٦٠، مصدر سابق. و روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ١٢ / ٢٨، لشهاب الدين محمود الألوسي ، دار إحياء التراث العربي ، الطبعة الرابعة ، ١٤٠٥ هـ .

(٤) تفسير النسفي، ٢ / ٥١ . مصدر سابق.

(٥) زاد المسير: ص ٦٤٦، مصدر سابق.

الثاني: أنه عائد إلى النبي ﷺ.

الثالث: أنه عائد إلى البيئنة.

واختلاف المفسرين في هذه المسألة، مترتب على اختلافهم في المسألة التي قبلها وهي الاختلاف في معنى الشاهد. فمن قال إنه جبريل، أو محمد، أو ملك يحفظه، أو الإنجيل، أعاد الضمير إلى الله ﷻ. ومن قال إنه لسان الرسول، أو صورته، أو مخايله، أو علي، أعاد الضمير إلى النبي ﷺ. ومن قال إنه نظم القرآن وإعجازه، أعاد الضمير إلى القرآن.

وقد سبق أن القول الراجح في معنى الشاهد أنه القرآن، فيكون الضمير هنا عائدا إلى الله تعالى.

المسألة السابعة: مرجع الضمير في قوله: ﴿وَمَنْ قَبْلَهُ﴾:

اختار النسفي . رحمه الله . أن الضمير في قوله ﴿وَمَنْ قَبْلَهُ﴾ عائد إلى الشاهد الذي هو القرآن. خلافا لمن قال إنه عائد إلى البيئنة:

قال . رحمه الله .: " ﴿وَمَنْ قَبْلَهُ﴾ ومن قبل القرآن^(١).

الدراسة، والترجيح:

وافق النسفي في اختياره: الكرمانى^(٢)^(٣)، والزمخشري^(٤)^(٥)، وأبو حيان^(٦)^(٧).

(١) تفسير النسفي، ٢/ ٥١، المصدر السابق.

(٢) انظر: ص ١١٥، من البحث.

(٣) غرائب التفسير: ١/ ٥٠١، مصدر سابق.

(٤) انظر: ص ١١١، من البحث.

(٥) الكشف: ٢/ ٢١١، مصدر سابق.

(٦) انظر: ص ٨١، من البحث.

(٧) البحر المحيط: ٥/ ٢١٢. واختاره من المتأخرين: ابن كثير: ٢/ ٤٤٠، والبقاعي: ٣/ ٥١٣، والشوكاني: /

٥٥٤، والألوسي: ١٢/ ٢٨، مصادر سابقة.

واختار القول الثاني . وهو عود الضمير إلى البينة :. الطبري^(١)^(٢)، والواحد^(٣)^(٤)،
وابن عطية^(٥)^(٦)، وابن الجوزي^(٧)^(٨).

والراجح هو الأول لوجهين:

أحدهما: أنه الموافق لآيات القرآن ..

الثاني: أن الأصل عود الضمير إلى أقرب مذكور كما هو مقرر في قواعد
التفسير^(٩).

المسألة الثامنة: مرجع الضمير في قوله: ﴿أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾، وقوله: ﴿وَمَنْ
يَكْفُرْ بِهِ﴾.

اختار الإمام النسفي . رحمه الله . أن الضمير في (به) يعود إلى الشاهد وهو
القرآن.

قال . رحمه الله :. " ﴿يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ بالقرآن"^(١٠).

وقال أيضا: " ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ﴾، بالقرآن".

الدراسة، والترجيح:

حاصل الأقوال في ذلك ثلاثة^(١١):

(١) انظر: ص ٤٨، من البحث.

(٢) جامع البيان: ١٩ / ٧، مصدر سابق.

(٣) انظر: ص ٨٠، من البحث.

(٤) الوجيز: ١ / ٥١٦، مصدر سابق.

(٥) انظر: ص ٤٦، من البحث.

(٦) المحرر الوجيز: ٧ / ٢٦١، مصدر سابق.

(٧) انظر: ص ١٠٥، من البحث.

(٨) تذكرة الأريب: ١ / ٢٤٦. مصدر سابق.

(٩) قواعد الترجيح عند المفسرين: ٢ / ٦٢١، مصدر سابق.

(١٠) تفسير النسفي، ٢ / ٥٢، مصدر سابق.

(١١) زاد المسير ٦٤٧. مصدر سابق.

أحدها: أنه عائد إلى التوراة.

الثاني: أنه عائد إلى القرآن، وهو الذي اختاره النسفي.

الثالث: أنه عائد إلى محمد ﷺ.

وقد اختار أكثر المفسرين القول الذي اختاره النسفي، وهو عود الضمير إلى القرآن^(١).

واقصر بعض المفسرين على ذكر الأقوال أو بعضها دون اختيار^(٢).

والراجع: عوده إلى القرآن لدلالة السياق عليه. ولذا اختاره أكثر المفسرين. وأما القولان الآخران فلم يخترهما أحد.

المسألة التاسعة: المراد بالأحزاب في قوله: ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ، مِنَ الْأَحْزَابِ﴾:

اختار: الامام النسفي رحمه الله أن المراد بالأحزاب في الآية قريش وحلفائها .

قال . رحمه الله .: ﴿الْأَحْزَابِ﴾ يعني أهل مكة ومن ضامهم من المتحزبين على رسول الله ﷺ^(٣).

الدراسة، والترجيح:

حاصل الأقوال في معنى الأحزاب أربعة^(٤):

أحدها: جميع الملل. وهو مروى عن سعيد بن جبير^(٥).

الثاني: اليهود والنصارى. وهو مروى عن قتادة^(٦).

(١) جامع البيان: ٢٠ / ٧، والكشاف: ٢ / ٢١١، وأنوار التنزيل: ٣ / ٢٢٧، وتفسير النسفي: ٢ / ١٤٩، وتفسير القرآن العظيم: ٢ / ٤٤٠، ونظم الدرر: ٣ / ٥١٣، وتيسير الكريم الرحمن: ٣ / ٤١٢، والتحرير والتنوير: ١١ / ٢٢٥، مصادر سابقة.

(٢) معالم التنزيل: ٤ / ١٦٧، والجامع لأحكام القرآن: ٩ / ١٧، والبحر المحيط: ٥ / ٢١٢، مصادر سابقة.

(٣) تفسير النسفي، ٢ / ٥٢، مصدر سابق.

(٤) زاد المسير، ٦٤٧، مصدر سابق.

(٥) انظر: ص ٧٩، من البحث.

(٦) انظر: ص ٤٩، من البحث.

الثالث: قريش وحلفاؤها. وهو مروى عن السدي^(١) والنسفي.

الرابع: بنو أمية وبنو المغيرة بن عبد الله المخزومي. روي عن مقاتل^(٢).

أكثر المفسرين اختاروا القول الأول.

واختار القول الثالث طائفة من المفسرين منهم:

الزمخشري^(٣)، والبيضاوي^(٤).

ولم أر من المفسرين من اختار القولين الآخرين.

وأرجح هذه الأقوال: هو القول الثالث الذي أختاره النسفي . رحمه الله .، وذلك لوجوه:

أحدها: أن السورة مكية، ولم تكن قريش قد تحزبت بعد. وإنما المراد أحزاب الكفر من سائر الملل.

الثاني: أن الله ﷻ قد ذكر بعد ذلك في السورة نفسها أحزاب الكفر في الأزمنة الغابرة، بدءاً من قوم نوح. وفي ذلك تحذير للأحزاب اللاحقة من سائر الملل.

الثالث: أن الأصل إبقاء المطلق على إطلاقه، ما لم يرد ما يقيد، ولم يرد ما يقيد هذا المطلق^(٥).

(١) هو : إسماعيل بن عبدالرحمن بن أبي كريمة ، الإمام المفسر ، أبو محمد ، الحجازي ، ثم الكوفي ، من علماء الجرح والتعديل من وثقه ، ومنهم من جعله صادق الحديث ، إلا أنه كان من أعلم الناس بالتفسير ، مات سنة ١٢٧ هـ ، وأما السدي الصغير فهو محمد بن مروان الكوفي ، أحد المتروكين ، سير أعلام النبلاء ٢٦٤/٥ ، ٢٦٥ ، مصدر سابق.

(٢) مقاتل هو : ابن سليمان بن كثير الأزدي الخراساني ، المفسر ، وهو متروك الحديث ، مع أنه كان من أوعية العلم بجرأ في التفسير ، توفي سنة نيف وخمسين ومائة . طبقات المفسرين للداودي ٢/٣٣٠ - ٣٣١ . مصدر سابق.

(٣) انظر: ص ١١١ ، من البحث.

(٤) الكشف: ٢ / ٢١١ ، مصدر سابق.

(٥) انظر: ص ١٠٧ ، من البحث.

(٦) أنوار التنزيل: ٣ / ٢٢٧ ، مصدر سابق.

(٧) قواعد التفسير: ٢ / ٦٢١ ، وقواعد الترجيح عند المفسرين: ٢ / ٥٥٥ ، مصدران سابقان.

المسألة التاسعة

الكلام على قول الله تعالى: ﴿إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ
بِنَاصِيئِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾^(١)

المسألة: المراد بقول الله ﷻ: ﴿عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾.

الدراسة:

قال الإمام النسفي: ﴿إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ إن ربي على الحق لا يعدل عنه أو
إن ربي يدل على صراط مستقيم^(٢).

وقال أبو إسحاق: أخبر أنه وإن كانت قدرته تتألم بما يشاء، فهو لا يشاء إلا
العدل^(٣).

وقال ابن الأنباري^(٤): لما قال: ﴿إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيئِهَا﴾ كان في معنى: لا تخرج
عن قبضته؛ فإنه قاهر بعظيم سلطانه كل دابة، فأتبع ذلك قوله: ﴿إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ
مُسْتَقِيمٍ﴾، أي: أنه على الحق. قال: وهذا نحو كلام العرب إذ وصفوا رجلاً بحسن
السيرة والعدل والإنصاف، قالوا: "فلان على طريقه حسنة"، وليس ثم طريق.

وذكر في معنى الآية أقوال أخرى هي من لوازم هذا المعنى وآثاره، كقول بعضهم:
إن ربي يدل على صراط مستقيم. فدلالته على الصراط من موجبات كونه في نفسه
على صراط مستقيم؛ فإن تلك الدلالة والتعريف من تمام رحمته وإحسانه وعدله
وحكمته.

(١) سورة هود الآية ٥٦

(٢) تفسير النسفي، ٢/٦٨، مصدر سابق.

(٣) معاني القرآن وإعرابه للزجاج ٣/٥٨، مصدر سابق.

(٤) وابن الأنباري هو: الإمام اللغوي محمد بن القاسم بن محمد بن بشار بن الحسين بن بيان بن سماعة، أبو بكر، ولد سنة ٢٧١ هـ، كان صدوقاً دينياً، من مؤلفاته: الوقف والابتداء، وكتاب المشكل، توفي سنة ٣٢٨ هـ. تاريخ بغداد ٣/١٨١، وسير أعلام النبلاء ١٥/٢٧٤.

وقال بعضهم: معناه: لا يخفى عليه مشتبته ولا يعدل عنه هارب.

وقال بعضهم: المعنى: لا مسلك لأحد ولا طريق له إلا عليه، كقوله: ﴿إِنَّ رَبَّكَ

لِبِالْمِرْصَادِ﴾^(١).

وهذا المعنى حق، ولكن كونه هو المراد بالآية ليس بالبين؛ فإن الناس كلهم لا يسلكون الصراط المستقيم حتى يقال: إنهم يصلون بسلوكه إليه. ولما أراد سبحانه هذا المعنى قال: ﴿إِنَّا مَرْجِعُهُمْ﴾^(٢)، ﴿إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ﴾^(٣)، ﴿إِنَّ رَبَّكَ لِبِالْمِرْصَادِ﴾^(٤)، ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنْتَهَىٰ﴾^(٥).

وأما وصفه سبحانه بأنه على صراط مستقيم فهو كونه يقول الحق، ويفعل الصواب؛ فكلماته صدق وعدل، وفعله كله صواب وخير، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل، فلا يقول إلا ما يحمد عليه لكونه حقا وعدلا وصدقا وحكمة في نفسه. وهذا معروف في كلام العرب. قال جرير^(٦) يمدح عمر بن عبد العزيز^(٧):

أمير المؤمنين على صراط إذا اعوج الموارد مستقيم^{(٨)(٩)}.

وقال في موضع آخر: (فقوله: ﴿مَّا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا﴾ نظير قوله ﷺ:

"ناصيتي بيدك"^(١٠)، وقوله: ﴿إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ نظير قوله: "عدل في

(١) سورة الفجر الآية ١٤

(٢) سورة لقمان من الآية ٢٣

(٣) سورة الغاشية الآية ٢٥

(٤) سورة الفجر الآية ١٤

(٥) سورة النجم الآية ٤٢

(٦) جرير بن عطية بن حذيفة الخطفي بن بدر الكلبى البريوعى، أبو حزره، من تميم، أشعر أهل عصره، ولد ومات في اليمامة، وعاش عمره كله يناضل شعراء زمنه ويساجلهم فلم يثبت أمامه غير الفردق والأخطل، كان عفيفاً، وهو من أغزل الناس شعراً. دواوين الشعر العربي على مر العصور ١ / ٧٨، موقع أدب.

(٧) هو: عمر بن عبدالعزيز بن مروان بن الحكم القرشي، أبو حفص، أمير المؤمنين، الإمام الحافظ، المجتهد، الزاهد، خامس الخلفاء الراشدين، توفي سنة (١٠١هـ). السير للذهبي، ١١٤/٥، مصدر سابق.

(٨) ديوان جرير ٢١٨/١ شرح محمد بن حبيب، من قصيدة يمدح بها هشام بن عبد الملك، وليس عمر بن عبدالعزيز.

(٩) شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل ٢/٥٦٣-٥٦٤، ل ابن قيم الجوزية ط: دار المعرفة . بيروت، ١-١٣٩٨هـ. وقريب من هذا في المصدر نفسه ٢٨١/١-٢٨٢. وبدائع التفسير ٢/٤٣٢-٤٣٣. مصدر سابق.

(١٠) جزء من حديث رواه الإمام أحمد في مسنده ٦/٢٤٦-٢٤٧ - رقم ٣٧١٢ [طبعة مؤسسة الرسالة بإشراف الدكتور عبدالله التركي]. والحديث مختلف في ثبوته، وانظر تفصيل ذلك في حاشية المسند ٦/٢٤٧-٢٥٠، ففيه تحقيق موسع، وخلصته أن إسناد هذا الحديث ضعيف، وله شواهد قد يرتقي بها إلى الحسن. وحسنه الحافظ ابن حجر في أمالي الأذكار، كما في التعليق على كتاب الأذكار المنتخبة من كلام سيد الأبرار ١٦٦، لأبي زكريا يحيى بن شرف النووي: ت: بشير محمد عيون. ط: ٦: دار القلم: بيروت ١٤٠٣هـ.

قضائك^(١)، فالأول ملكه، والثاني حمده، وهو سبحانه له الملك وله الحمد. وكونه سبحانه على صراط مستقيم يقتضي أنه لا يقول إلا الحق، ولا يأمر إلا بالعدل، ولا يفعل إلا ما هو مصلحة ورحمة وحكمة وعدل؛ فهو على الحق في أقواله وأفعاله؛ فلا يقضي على العبد بما يكون ظالماً له به، ولا يأخذه بغير ذنبه، ولا ينقصه من حسناته شيئاً، ولا يحمل عليه من سيئات غيره التي لم يعملها ولم يتسبب إليها شيئاً، ولا يؤاخذ أحداً بذنب غيره، ولا يفعل قط ما لا يحمد عليه، ويثني به عليه، ويكون له فيه العواقب الحميدة، والغايات المطلوبة؛ فإن كونه على صراط مستقيم يأبى ذلك كله.

قال محمد بن جرير الطبري^(٢) (٣): ﴿إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ يقول: إن ربي على طريق الحق، يجازي المحسن من خلقه بإحسانه، والمسيء بإساءته، لا يظلم أحداً منهم شيئاً، ولا يقبل منهم إلا الإسلام له، والإيمان به. (٤) ثم حكى عن مجاهد^(٥) من طريق عبدالله بن أبي نجيح^(٦) عنه: ﴿إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ قال: الحق. (٧) وكذلك رواه ابن جريج^(٨) عنه.

وقالت فرقة: هي مثل قوله: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لِبِالْمِرْصَادِ﴾. وهذا اختلاف عبارة؛ فإن كونه بالمرصاد هو مجازة المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته.

وقالت فرقة: في الكلام حذف، تقديره: إن ربي يحتكم على صراط مستقيم ويحضكم عليه. وهؤلاء إن أرادوا أن هذا معنى الآية التي أريد بها فليس كما زعموا، ولا دليل على هذا المقدر، وقد فرق سبحانه بين كونه أمراً بالعدل، وبين كونه على صراط

(١) جزء من الحديث الذي سبق تخريجه في التعليق السابق.

(٢) انظر: ص ٤٨، من البحث.

(٣) انظر: ص ٧٦، من البحث.

(٤) جامع البيان ٣٦٤/١٥، مصدر سابق.

(٥) انظر: ص ٤٧، من البحث.

(٦) هو: عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي نَجِيحٍ، واسمُهُ يَسَارُ النَّقْفِيُّ، أَبُو يَسَارِ الْمَكِّيِّ، من التابعين، إمام، ثقة، مفسر. روى عن إبراهيم الأحنسي، ومجاهد بن جبر. وروى عنه: إبراهيم بن نافع المكي، وورقاء بن عمر الشكري، روى له الجماعة. وتوفي سنة- ١٣١هـ. تهذيب الكمال، ١٥/١٠، لـ أبي الحجاج يوسف المزني. مؤسسة الرسالة. بيروت، ١-١٤١٨هـ.

(٧) أخرجه ابن جرير ٣٦٤/١٥، وسنده صحيح كما في التفسير الصحيح للدكتور حكمت بن بشير ٥٧/٣، مصدر سابق.

(٨) هو عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج الأموي مولاهم، كان من علماء مكة ومحدثهم، وهو أول من صنف الكتب بالحجاز، ولد سنة ٨٠هـ، وتوفي ١٥٩هـ. انظر: سير أعلام النبلاء ٣٢٥/٦، وتهذيب التهذيب ٤٠٢/٦، مصدر سابق.

مستقيم. وإن أرادوا أن حثه على الصراط المستقيم من جملة كونه على صراط مستقيم فقد أصابوا.

وقالت فرقة أخرى: معنى كونه على صراط مستقيم: أن مرد العباد والأمور كلها إلى الله لا يفوته شيء منها. وهؤلاء إن أرادوا أن هذا معنى الآية فليس كذلك. وإن أرادوا أن هذا من لوازم كونه على صراط مستقيم، ومن مقتضاه وموجبه فهو حق. وقالت فرقة أخرى: معناه كل شيء تحت قدرته وقهره وفي ملكه وقبضته. وهذا وإن كان حقا فليس هو معنى الآية، وقد فرق العلامة بين قوله: ﴿مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا﴾، وبين قوله: ﴿إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾؛ فهما معنيان مستقلان.

فالقول قول مجاهد^(١)، وهو قول أئمة التفسير، ولا تحتل العربية غيره إلا على استكراه، وقد قال تعالى: ﴿مَنْ يَشَأِ اللَّهُ يُضِلَّهُ وَمَنْ يَشَأِ يُجْعَلْهُ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾^(٢).

وإذا كان سبحانه هو الذي جعل رسله وأتباعهم على الصراط المستقيم في أقوالهم وأفعالهم فهو سبحانه أحق بأن يكون على صراط مستقيم في قوله وفعله، وإن كان صراط الرسل وأتباعهم هو موافقة أمره، فصراطه الذي هو سبحانه عليه هو ما يقتضيه حمده وكماله ومجده من قول الحق وفعله، وبالله التوفيق^(٣).

وقال في موضع آخر: (وأما آية هود فصريحة لا تحتل إلا معنى واحدا، وهو أن الله سبحانه على صراط مستقيم. وهو سبحانه أحق من كان على صراط مستقيم؛ فإن أقواله كلها صدق ورشد وهدى وعدل وحكمة ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا﴾^(٤)، وأفعاله كلها مصالح وحكم، ورحمة وعدل وخير^(٥)).

(١) انظر: ص ٤٧، من البحث.

(٢) سورة الأنعام من الآية ٣٩

(٣) إعلام الموقعين ٢/٢٨٥-٢٨٧، مصدر سابق. وبدائع التفسير ٢/٤٣٤-٤٣٥، مصدر سابق.

(٤) سورة الأنعام: من الآية ١١٥

(٥) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين . ل ابن قيم الجوزية . ت : محمد حامد الفقي . دار الكتاب العربي . بيروت - ١٣٩٢ هـ . ٦٨/١ ، وبدائع التفسير ١/١٢٧ ، المصدر السابق .

ما أوردناه في تفسير قول الله ﷻ في الآية: ﴿إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ يعد دراسة وافية، لا حاجة بعدها إلى إضافة.

وقال ابن عطية^(١) في تفسير هذه الجملة: (يريد أن أفعال الله ﷻ هي في غاية الإحكام، وقوله الصدق، ووعدته الحق؛ فجاءت الاستقامة في كل ما ينضاف إليه ﷻ. فعبر عن ذلك بقوله: ﴿إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ على تقدير مضاف^(٢)).

وما ذكره لا يتعارض مع ما قرره النسفي وغيره، فكون الله على الحق يقتضي ما ذكره ابن عطية هنا؛ فلا حاجة إلى تقدير مضاف، مع إمكان الاستغناء عنه. وذكر الرازي^(٣) وجوها ثلاثة وهي:

الوجه الأول: أن الله تعالى لا يظلم العباد، ولا يفعل بهم إلا ما هو الحق والعدل والصواب. وهذا الوجه هو ما ذكره ابن جرير^(٤)، إلا أنه أورده بعبارة أخرى. الثاني: أن قول الله تعالى هنا: ﴿إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ بمعنى قوله ﷻ: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لِبِالْمِرْصَادِ﴾. وقد ذكرناه قبل قليل.

الوجه الثالث الذي ذكره الرازي: أن يكون المراد: ﴿إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾، أي: بحث، أو يحملكم بالدعاء إليه والرازي لم يبين موقفه من هذه الوجوه الثلاثة.^(٥)

(١) انظر: ص ٤٦، من البحث.

(٢) المحرر الوجيز ٣٢٤/٧، مصدر سابق.

(٣) انظر: ص ٤١، من البحث.

(٤) انظر: ص ٨٢، من البحث.

(٥) التفسير الكبير ١٢/١٨، مصدر سابق.

ونقل القرطبي^(١) قول النحاس^(٢): (والمعنى: أن الله جل ثناؤه وإن كان يقدر على كل شيء؛ فإنه لا يأخذهم إلا بالحق)^(٣)، ثم قال: (وقيل: معناه لا خلل في تدبيره، ولا تفاوت في خلقه سبحانه)^(٤).

ولم يذكر ابن كثير^(٥) تفسيراً لهذه الجملة من الآية، واكتفى بذكرها في سياق تفسيره للجملة التي قبلها. قال رحمه الله: (وقوله: ﴿إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ أَخِذُ بِنَاصِيَتِهَا﴾^(٦)، أي: تحت قهره وسلطانه، وهو الحاكم العادل الذي لا يجور في حكمه؛ فإنه على صراط مستقيم.)^(٧) وأما ابن عاشور^(٨)، فقد فسر الآية بتفسير قريب من التفسير الذي ذكره ابن عطية^(٩)، فقال: (وجملة: ﴿إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ تعليل لجملة ﴿إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ﴾، أي: توكلت عليه لأنه أهل لتوكلي عليه، لأنه متصف بإجراء أفعاله على طريق العدل، والتأييد لرسله. . . . والصرط المستقيم مستعار للفعل الجاري على مقتضى العدل والحكمة؛ لأن العدل يشبه بالاستقامة والسواء.)^(١٠)

الاختيار والترجيح:

قول الله تعالى هنا: ﴿إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ يعني: أنه تعالى على الحق كما قال مجاهد^(١١). وهذا ما قرره الامام النسفي.

(١) انظر: ص ٨١، من البحث.

(٢) انظر: ص ١٠٣، من البحث.

(٣) معاني القرآن للنحاس ٣/٣٥٩، مصدر سابق.

(٤) الجامع لأحكام القرآن ٩/٥٣، مصدر سابق.

(٥) انظر: ص ٨١، من البحث.

(٦) سورة هود الآية ٥٦

(٧) تفسير القرآن العظيم ٤/١٧٩٧، مصدر سابق.

(٨) انظر: ص ٨٣، من البحث.

(٩) انظر: ص ٤٦، من البحث.

(١٠) التحرير والتنوير ١٢/١٠١، مصدر سابق.

(١١) انظر: ص ٤٧، من البحث.

المسألة العاشرة

الكلام على قوله تعالى: ﴿ . وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتَابِعٍ ﴾^(١).

المسألة: معنى التتابيع في الآية.

ذكر في معنى التتابيع قولين:

أحدها: أنه التخسير، والإهلاك كقوله تعالى: ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴾^(٢). وهو

الذي اختاره الإمام النسفي. رحمه الله^(٣).

الثاني: أنه الشر، أي: ما زادوهم إلا شرا.

الدراسة، والترجيح:

أكثر المفسرين اختاروا . القول الأول، وهو التخسير وقد فصلوه عن التدمير

والإهلاك^(٤). قال النحاس^(٥). رحمه الله: " وكذلك هو عند أهل اللغة "

وممن وافق النسفي وأضاف إليه الإهلاك والتدمير الطبري^(٦) وابن عطية^(٧).

واختار القول الثاني ابن تيمية^(٩) وهو مروى عن ابن زيد^(١٠). رحمه الله^(١١).

(١) سورة هود الآية ١٠١

(٢) سورة المسد الآية ١

(٣) تفسير النسفي، ٨٣/٢، مصدر سابق.

(٤) معاني القرآن للنحاس: ٣/٣٧٩، والمفردات: ص ٧٩، والكشاف: ٢/٢٣٤، والمحزر الوجيز: ٧/٣٩٤، وتذكرة

الأريب: ١/٢٥٥، والجلالين: ١/٢٩٩، والتحرير والتنوير: ١١/٣٢٧، مصادر سابقة.

(٥) انظر: ص ١٠٣، من البحث.

(٦) انظر: ص ٤٨، من البحث.

(٧) انظر: ص ٤٦، من البحث.

(٨) جامع البيان: ٧/١١١، والوجيز: ١/٥٣٣، مصدران سابقان.

(٩) انظر: ص ٤٨، من البحث.

(١٠) انظر: ص ٤٧، من البحث.

(١١) مجموع الفتاوى: ١٥/٢٧٥، مصدر سابق.

وذكر أبو حيان^(١) المعاني المذكورة وقسمها إلى ثلاثة، وقال: " وهذه كلها أقوال متقاربة"^(٢).

ولم أر . حسب اطلاعي . من اختار القول الثاني منفردا . غير ابن تيمية . سوى ما روي عن ابن زيد^(٣).

وهذه الأقوال كما قال أبو حيان . رحمه الله . كلها متقاربة، فالتخسير من صورته: الإهلاك والتدمير، ولا شك أن ذلك شر، لأنه ناتج عن التكذيب والظلم، كما قال تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْفُرَى إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ﴾^(٤). وعلى الضد من ذلك قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْفُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾^(٥). فيكون هذا من اختلاف التنوع.

(١) انظر: ص ٨١، من البحث.

(٢) البحر المحيط: ٢٦٠/٥، مصدر سابق.

(٣) الدر المنثور: ٤٧٣/٤، وعزاه إلى أبي الشيخ، مصدر سابق.

(٤) سورة القصص الآية ٥٩.

(٥) سورة هود الآية ١١٧.

المسألة الحادية عشر

الكلام على قوله تعالى ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا ففِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ﴾^(١)

المسألة: الكلام على قوله تعالى: ﴿مَا دَامَتِ﴾:

قال الإمام النسفي رحمه الله: في تفسير قوله تعالى ﴿مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ﴾ في موضع النصب أي مدة دوام السموات والأرض والمراد سموات الآخرة وأرضها وهي دائمة مخلوقة للأبد والدليل على أن لها سموات وأرضاً قوله يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتِ وَقِيلَ مَا دَامَ ففوق وتحت ولأنه لا بد لأهل الآخرة مما يقلهم ويظلمهم إما سماء أو عرش وكل ما أظلك فهو سماء أو هو عبارة عن التأييد ونفي الانقطاع كقول العرب ما لاح كوكب وغير ذلك من كلمات التأييد^(٢)

الدراسة، والترجيح:

حاصل الأقوال في معنى هذه الآية اثنان هما^(٣):

الأول: أن المراد سماء الجنة، وأرض الجنة. كما قال النسفي واستدل القائلون بذلك بما ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: " إذا سألتم الله الجنة فاسألوه الفردوس، فإنه أعلى الجنة، وأوسط الجنة، وسقفه عرش الرحمن "^(٤). فكل ما علا فإنه يسمى في اللغة سماء، كما يسمى السحاب سماء، والسقف سماء.

(١) سورة هود الآية ١٠٨

(٢) تفسير النسفي، ٨٥/٢، مصدر سابق.

(٣) زاد المسير: ص ٦٧٢، مصدر سابق.

(٤) جزء من حديث أخرجه البخاري في كتاب التوحيد، باب: ﴿وكان عرشه على الماء﴾ [هود: ٧]: ٢٦٩٨/٦، برقم: ٦٩٨٧. ولفظه: ". فإذا سألتم الله، فسلوه الفردوس، فإنه أوسط الجنة، وأعلى الجنة. وفوقه عرش الرحمن ". ووجه الشيخ فعزاه إلى الصحيحين، ولم يخرج مسلم.

الثاني: أن المراد سماء الدنيا المعروفة، وأرضها المعروفة. وذكر ابن تيمية^(١). أن هذا لا ينافي قوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِّلِ لِلْكُتُبِ . . .﴾^(٢)، وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالرَّهْلِ﴾^(٣)، " فإن السموات وإن طويت، وكانت كالمهل، واستحالت عن صورتها، فإن ذلك لا يوجب عدمها وفسادها، بل أصلها باق بتحويلها من حال إلى حال، كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَبْدُلُ الْأَرْضَ عَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ . . .﴾^(٤)، وإذا بدلت فإنه لا يزال سماء دائمة، وأرض دائمة"^(٥).

وقد وافق الامام النسفي فيما ذهب إليه . وهو أن المراد مطلق التأبيد:
الطبري^{(٦)(٧)}، والواحدي^{(٨)(٩)}، وابن الجوزي^{(١٠)(١١)}، والبيضاوي^{(١٢)(١٣)}.

قال الطبري . رحمه الله: " ويعني بقوله: ﴿ . . . مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ . . .﴾: أبدأ. وذلك أن العرب إذا أرادت أن تصف الشيء بالدوام أبدا قالت: " هذا دائم دوام السموات والأرض "، بمعنى أنه دائم أبدا، وكذلك يقولون: " هو باق ما اختلف الليل والنهار "،

(١) انظر: ص ٤٨، من البحث.

(٢) سورة الأنبياء الآية ١٠٤

(٣) سورة المعارج الآية ٨

(٤) سورة ابراهيم الآية ٤٨

(٥) مجموع الفتاوى: ١٠٩/١٥، ١١٠، مصدر سابق.

(٦) انظر: ص ٤٨، من البحث.

(٧) جامع البيان: ٧ / ١١٤، مصدر سابق.

(٨) انظر: ص ٨٠، من البحث.

(٩) الوجيز: ١ / ٥٣٤، مصدر سابق.

(١٠) انظر: ص ١٠٥، من البحث.

(١١) تذكرة الأريب: ١ / ٢٥٦، مصدر سابق.

(١٢) انظر: ص ١٠٧، من البحث.

(١٣) أنوار التنزيل: ٣ / ٢٦٢. ومن المتأخرين: البقاعي: ٣ / ٥٨٠، والسعدي: ٣ / ٤٦١. مصادر سابقة.

و " ما لألآت العفر^(١) بأذناها"، يعنون بذلك كله: (أبدا)، فخطبهم الله جل ثناؤه . بما يتعارفون به بينهم^(٢).

وأنكر البيضاوي^(٣) القول الثاني، فقال: " وقيل: المراد سماوات الآخرة وأرضها، وبدل عليه قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ تَبْدُلُ الْأَرْضَ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ . . ﴾، وأن أهل الآخرة لا بد لهم من مظل ومقل. . وفيه نظر، لأنه تشبيه بما لا يعرف أكثر الخلق وجوده ودوامه، ومن عرفه فإنما يعرفه بما يدل على دوام الثواب والعقاب، فلا يجدي له التشبيه^(٤).

واختار القول الثاني: البغوي^(٥)، والزمخشري^(٦)، وابن عطية^(٧)، والقُرطبي^(٨)، وأبو حيان^(٩).

وهذا القول الثاني هو الراجح لما ذكره من الأدلة، ويضاف إلى ذلك:

(١) العفر جمع أعفر، وهو الطبي. قال ابن منظور: " والعفر من الطباء: التي تغلو بياضها حمرة. قصر الأعناق. وهي أضعف الطباء عدوا. لسان العرب: ٤ / ٣٠٠٩، مادة: عفر . سمط اللآلىء، للوزير أبي عبيد البكري الأونبي: بيروت: دار الكتب العلميّة. ت: عبد العزيز الميمني. الذيل على طبقات الحنابلة ٢ / ٥، للحافظ ابن رجب الحنبلي ، دار المعرفة، بيروت، ومعجم الأمثال العربية القديمة لعفيف عبد الرحمن، الرياض: دار العلوم : ٢ / ٨٦٧.

(٢) جامع البيان: ٧ / ١١٤، مصدر سابق.

(٣) انظر: ص ١٠٧، من البحث.

(٤) أنوار التنزيل: ٣ / ٢٦٢، ٢٦٣، مصدر سابق.

(٥) انظر: ص ١٠٨، من البحث.

(٦) معالم التنزيل: ٥ / ٢٠٠، مصدر سابق.

(٧) انظر: ص ١١١، من البحث.

(٨) الكشاف: ٢ / ٢٣٥، مصدر سابق.

(٩) انظر: ص ٤٦، من البحث.

(١٠) المحرر الوجيز: ٧ / ٤٠١، مصدر سابق.

(١١) انظر: ص ٨١، من البحث.

(١٢) الجامع لأحكام القرآن: ٩ / ٩٩، مصدر سابق.

(١٣) انظر: ص ٨١، من البحث.

(١٤) البحر المحيط: ٥ / ٢٦٢. واختاره من المتأخرين: ابن كثير: ٢ / ٤٦٠، وأبو السعود: ٤ / ٢٤١، والشوكاني: ٢ / ٥٩٥، وابن عاشور: ١١ / ٣٣١، مصادر سابقة.

١. أن السورة مكية، والخطاب فيها للمشركين بالدرجة الأولى، وهم لا يعرفون غير هذه السماوات والأرض.

٢. أن الألف واللام في السماوات والأرض للعهد، ولم يعهد الناس غير السماوات والأرض المعروفة، ولو أراد الله سماوات وأرضا أخرى لبيّن ذلك.

وأما ما احتج به أصحاب القول الأول من حديث: " إذا سألت الله فسلوه الفردوس الأعلى. . . " ففيه تكلف ظاهر، لأن الله تعالى قال: (السماوات)، ولو كان المراد العرش لقال: (السماء)، لأن العرش واحد، ليس فوقه شيء إلا الله ﷻ.

وقد ذكر الكرمانى^(١). رحمه الله . قولاً غريباً، وهو أن (ما) في هذه الآية نافية، أي: لا تدوم السماوات والأرض^(٢). وهو قول في غاية الغرابة والبعد، لذا لم يذكره أحد من المفسرين. والغريب أن الكرمانى لم يجعله من الغريب، مع شدة غرابته.

(١) انظر: ص ١١٥، من البحث.

(٢) غرائب التفسير: ١/٥٢٠، مصدر سابق.

المسألة الثانية عشر

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً ۗ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَنْ رَّحِمَ

رَبُّكَ ۗ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ . . . ﴿١﴾

المسألة: الكلام على اللام في قوله تعالى ﴿وَلِذَلِكَ﴾

اختار الامام النسفي . رحمه الله . أن اللام في قوله ﴿وَلِذَلِكَ﴾ للعاقبة والصبورية وليست لام التعليل^(١).

وقد ضعف بعض المفسرين هذا، لأن لام العاقبة إنما تجيء في حق من لا يكون عالما بعواقب الأمور ومصايرها، فيفعل الفعل الذي له عاقبة لا يعلمها، كآل فرعون، فأما من يكون عالما بعواقب الأفعال ومصايرها، فلا يتصور منه أن يفعل فعلا له عاقبة لا يعلم عاقبته، وإذا علم أن فعله له عاقبة، فلا يقصد بفعله ما يعلم أنه لا يكون، فإن ذلك تمن وليس بإرادة. وأما اللام فهي اللام المعروفة، وهي لام كي، ولام التعليل التي إذا حذف انتصب المصدر المجرور بها على المفعول له، وتسمى العلة الغائية، وهي متقدمة في العلم والإرادة، متأخرة في الوجود والحصول. وهذه العلة هي المراد المطلوب المقصود من الفعل^(٢).

الدراسة، والترجيح:

هذه الآية من المشكل كما قال النحاس رحمه الله^(٤)^(٥)، لذا اضطربت فيها أقوال

كثير من المفسرين اضطرابا كبيرا، وإن مما زاد الأمر إشكالا قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ

(١) سورة هود الآيتان ١١٨، ١١٩.

(٢) تفسير النسفي، ٢/ ٩١، مصدر سابق.

(٣) دقائق التفسير: ٢/ ٥٢٧، ٥٢٨، مصدر سابق.

(٤) انظر: ص ١٠٣، من البحث.

(٥) معاني القرآن: ٣/ ٣٨٨، مصدر سابق.

أَلْحَنَ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿١﴾ حيث إن ظاهر هاتين الآيتين التعارض. وقد حمل ذلك بعض المفسرين على التفريق بين اللامين في الآيتين، فجعلوا اللام في الأولى للعاقبة والصورورة، وممن اختار ذلك: الإمام النسفي^(٢)، وأبو حيان^(٣)، وجوزه الكرمانى^(٤)، وابن عطية^(٥).

والراجح أنها ليست لام العاقبة والصورورة، لأن الله ﷻ علق الأمر في أول الآية بالمشيئة فقال: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً . . ﴾، فدل ذلك على أن الله أراد هذا الاختلاف لما يترتب عليه من ظهور الحق ووضوحه، وامتحان أهله. وهذا لا يتعارض مع قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ لأن الإرادة . كما قال ابن تيمية^(٦). في كتاب الله على نوعين^(٧):

أحدهما: الإرادة الكونية، وهي المستلزمة لوقوع المراد وإن لم يحبه الله كما يقال: (ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن). وهذه الإرادة هي مدلول اللام في قوله ﴿وَلَذَلِكَ خَلَقَهُمْ﴾.

-
- (١) سورة الذاريات الآية ٥٦
(٢) تفسير النسفي، ٩١/٢، مصدر سابق.
(٣) انظر: ص ٨١، من البحث.
(٤) البحر المحيط: ٥ / ٢٧٣، مصدر سابق.
(٥) انظر: ص ١١٥، من البحث.
(٦) غرائب التفسير: ١ / ٥٢٣، مصدر سابق.
(٧) انظر: ص ٤٦، من البحث.
(٨) المحرر الوجيز: ٧ / ٤٢٥، مصدر سابق.
(٩) انظر: ص ٤٨، من البحث.
(١٠) دقائق التفسير: ٢ / ٥٢٨، ٥٢٩، مصدر سابق.

والثاني: الإرادة الدينية الشرعية، وهي محبة المراد ورضاه، ومحبة أهله والرضا عنهم. وهذه الإرادة لا تستلزم وقوع المراد، وهي مدلول اللام في قوله: ﴿لِيَعْبُدُونَ﴾ وبهذا يزول الإشكال، والله تعالى أعلم.

المسألة الثالثة عشر

قوله تعالى: ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ . . ﴾^(١).

المسألة: محل قوله ﴿ أَحْسَنَ الْقَصَصِ ﴾ من الإعراب.

ذكر الإمام النسفي . رحمه الله . قولين في قوله تعالى: ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ ﴾ أحدها: نبين لك أحسن البيان، والفاصل الذي يأتي بالقصة على حقيقتها عن الزجاج،^(٢) والثاني: وقيل القصص يكون مصدراً بمعنى الاقتصاص، تقول قص الحديث يقصه قصصاً، ويكون فعلاً بمعنى مفعول، كالنفض والحسب فعلى الأول معناه، نحن نقص عليك أحسن الاقتصاص ﴿بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ﴾ أي بإيحائنا إليك هذه السورة، على أن يكون أحسن منصوباً نصب المصدر لإضافته إليه، والمخصوص محذوف، لأن بما أوحينا إليك هذا القرآن مغم عنده، والمراد بأحسن الاقتصاص، أنه اقتص على أبداع طريقة وأعجب أسلوب، فإنك لا ترى اقتصاصه في كتب الأولين مقارياً لاقتصاصه في القرآن، وإن أريد بالقصص المقصوص، فمعناه نحن نقص عليك أحسن ما يقص من الأحاديث، وإنما كان أحسن لما يتضمن من العبر والحكم والعجائب التي ليست في غيره، والظاهر أنه أحسن ما يقتص في بابه، كما يقال فلان أعلم الناس، أي في فنه واشتقاق القصص من قص أثره إذا تبعه؛ لأن الذي يقص الحديث يتبع ما حفظ منه شيئاً فشيئاً^(٣).

الدراسة، والترجيح:

وافق الامام النسفي . رحمه الله . في اختياره:

(١) سورة يوسف الآية ٣

(٢) انظر: ص ٤٧، من البحث.

(٣) تفسير النسفي، ٢/ ٩٣، ٩٤، مصدر سابق.

الواحد^(١)^(٢)، والبغوي^(٣)^(٤) والزمخشري^(٥)^(٦)، وأبو حيان^(٧)^(٨).
واختار القول الثاني: الكرمانى^(٩)^(١٠)، والعكبرى^(١١)^(١٢)، والقرطبي^(١٣)^(١٤).
واقترع بعض المفسرين على ذكر القولين دون اختيار^(١٥).
والراجع . والله تعالى أعلم . ما اختاره الامام النسفي . رحمه الله بدلالة قوله تعالى
في آخر السورة نفسها: ﴿ لَقَدْ كَانَتْ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ . . ﴾^(١٦)، والمراد
بالقصص هنا: الخبر والنبأ، فقد ختمت السورة بما بدئت به، وهذا هو الغالب في سور
القرآن كما هو مقرر في علم المناسبات من علوم القرآن^(١٧) . والله تعالى أعلم .

-
- (١) انظر: ص ٨٠، من البحث.
(٢) الوجيز: ١ / ٥٣٨، مصدر سابق.
(٣) انظر: ص ١٠٨، من البحث.
(٤) معالم التنزيل: ٤ / ٢١١، مصدر سابق.
(٥) انظر: ص ١١١، من البحث.
(٦) الكشف: ٢ / ٢٤٠، مصدر سابق.
(٧) انظر: ص ٨١، من البحث.
(٨) البحر المحيط: ٥ / ٢٧٩، مصدر سابق.
(٩) انظر: ص ١١٥، من البحث.
(١٠) غرائب التفسير: ١ / ٥٢٦، مصدر سابق.
(١١) هو: عبدالله بن الحسين بن عبدالله العكبرى، أبو البقاء، النحوي، الحنبلي، المقرئ، الفقيه، المفسر، الفرضي، اللغوي، كان ديناً ثقة، توفي سنة (٦١٦هـ). البداية والنهاية لابن كثير: ١٣ / ٨٥. وشذرات الذهب لابن العماد: ٥ / ٦٧. مصدران سابقان.
(١٢) التبيان في إعراب القرآن ٢٠٨، لأبي البقاء محبّ الدين عبد الله بن الحسين العكبرى. ط: بيت الأفكار الدولية. عمان
(١٣) انظر: ص ٨١، من البحث.
(١٤) الجامع لأحكام القرآن: ٩ / ١١٩. ومن المتأخرين: أبو السعود: ٤ / ٢٥٠، ٢٥١. مصدران سابقان.
(١٥) أنوار التنزيل: ٣ / ٢٧٢، ونظم الدرر: ٤ / ٥، وفتح القدير: ٣ / ٦، مصادر سابقة.
(١٦) سورة يوسف الآية ١١١
(١٧) الإتيان في علوم القرآن: ٢ / ١٤٢، مصدر سابق. و دراسات في التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ٩٦، د. زاهر بن عوّاض الألمعي: ط ١؛ ١٤٠٥. ومباحث في التفسير الموضوعي ٧٤ لمصطفى مسلم ط: دار القلم دمشق.

المسألة الرابعة عشر

الكلام على قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهٖ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهٖء . . .﴾^(١).

المسألة: معنى ﴿وَهَمَّ بِهَا﴾ في الآية.

اختار الامام النسفي، أن المراد بالهم في قوله: ﴿وَهَمَّ بِهَا﴾: هم الخطرات لا هم الإصرار. قال . رحمه الله: ﴿وَهَمَّ بِهَا﴾ هم الطباع مع الامتناع قاله الحسن^(٢) وقال الشيخ أبو منصور رحمه الله^(٣) وهم بها هم خطرة ولا صنع للعبد فيما يخطر بالقلب ولا مؤاخذة عليه ولو كان همه كهمها لما مدحه الله تعالى بأنه من عباده المخلصين^(٤).

ثم ذكر الأقوال الأخرى بصيغة التضعيف (قيل).

الدراسة، والترجيح:

اختلف المفسرون في معنى الهم الذي هم به يوسف عليه السلام على ثلاثة أقوال؛ طرفين ووسط. فالطرف الأول قالوا إنه هم المعصية والإصرار عليها لولا المانع، حتى ذكروا أنه حل سراويله، وجلس منها مجلس الخائن. . ولم يمنعه من الوقوع في الفاحشة إلا ما رآه من البرهان. وممن اختار هذا القول: ابن قتيبة^{(٥)(٦)}، والطبري^{(٧)(٨)}، والنحاس^{(٩)(١٠)}، والواحدي^{(١١)(١٢)}، والبغوي^{(١٣)(١٤)}، وابن عطية^{(١٥)(١٦)}.

(١) سورة يوسف الآية ٢٤

(٢) انظر: ص ٥٠، من البحث.

(٣) انظر: ص ٢٧، من البحث.

(٤) تفسير النسفي، ١٠٣/٢، مصدر سابق.

(٥) انظر: ص ١١١، من البحث.

(٦) تأويل مختلف الحديث، ٦٨، لأبي محمد عبد الله بن مسلم ابن قتيبة: مصر: مكتبة الكليات الأزهرية. صححه وضبطه: محمد زهري النجار.

(٧) انظر: ص ٤٨، من البحث.

(٨) جامع البيان: ١٨١/٧، مصدر سابق.

(٩) انظر: ص ١٠٣، من البحث.

(١٠) معاني القرآن: ٤١١/٣، مصدر سابق.

(١١) انظر: ص ٨٠، من البحث.

(١٢) الوجيز: ٥٤٣/١، مصدر سابق.

(١٣) انظر: ص ١٠٨، من البحث.

(١٤) معالم التنزيل: ٢٢٨/٤، مصدر سابق.

(١٥) انظر: ص ٤٦، من البحث.

(١٦) المحرر الوجيز: ٤٧٧/٧. ومن المتأخرين: السيوطي في الجلالين: ٣٠٦/١، مصدران سابقان.

ومما احتجوا به:

١. أن هذا القول هو قول متقدمي الأمة، وهم أعلم بالله ممن جاء بعدهم^(١).
 ٢. أن يوسف . عليه السلام . لم يثبت أنه كان نبيا وقت هذه النازلة، وإذا كان ذلك كذلك، جاز عليه الهم الذي هو إرادة المعصية، واستصحاب خاطر الرديء الذي يعد خطيئة^(٢).
 ٣. أنه لا يجوز في اللغة أن تقول: " هممت بفلان، وهم بي "، وأنت تريد اختلاف الهمين، كأن تهمة أنت باهانتها، ويهم هو بإكرامك، وإنما يجوز هذا إذا اتفق الهمان^(٣).
- والطرف الثاني قالوا: إن يوسف . عليه السلام . لم يقع منه هم أصلا. وممن اختار ذلك: الرازي^(٤)، وأبو حيان^(٥).

قال أبو حيان . رحمه الله . موضحا هذا القول: " طول المفسرون في تفسير هذين الهمين، ونسب بعضهم ليوسف ما لا يجوز نسبه لآحاد الفساق. والذي اختاره أن يوسف . عليه السلام . لم يقع منه هم بها البتة، بل هو منفي بوجود رؤية البرهان، كما تقول: لقد قارفت لولا أن عصمك الله. ولا تقول إن جواب لولا متقدم عليها، وإن كان لا يقوم دليل على امتناع ذلك، بل صريح أدوات الشرط العاملة مختلف في جواز تقديم أجوبتها عليها. وقد ذهب إلى ذلك الكوفيون، ومن أعلام البصريين: أبو زيد الأنصاري^(٦)، وأبو

(١) معالم التنزيل: ٢٢٨/٤، المصدر السابق.

(٢) المحرر الوجيز: ٤٧٧/٧، المصدر السابق.

(٣) تأويل مختلف الحديث: ٦٧، مصدر سابق.

(٤) انظر: ص ٤١، من البحث.

(٥) التفسير الكبير: ٤٣٩ / ٦، مصدر سابق.

(٦) انظر: ص ٨١، من البحث.

(٧) البحر المحيط: ٢٩٤/٥، ٢٩٥. ومن المتأخرين: أبي حفص عمر بن أبي الحسن المعروف بابن الملقن: ١٧٧، في تفسير غريب القرآن، ط ١؛ بيروت: عالم الكتب: ١٤٠٨ هـ. ت: سمير طه مجذوب. ، والبقاعي: ٣٠/٤، وابن عاشور: ٤٧/١٢.

(٨) هو الإمام النحوي سعيد بن أوس بن ثابت بن بشير بن صاحب رسول الله . ﷺ . أبي زيد الأنصاري، البصري. حدث عن: سليمان التيمي، وأبو عمرو بن العلاء. وحدث عنه: أبو عبيد القاسم، وأبو حاتم الرازي. قيل: كان أبو زيد يحفظ ثلثي اللغة، مات سنة خمس عشرة ومئتين. غاية النهاية في طبقات القراء: ٣٠٥/١، لأبي الخير محمد بن الجزري: ط ٣؛ بيروت: دار الكتب العلمية: ١٤٠٢ هـ. وسير أعلام النبلاء: ٤٩٤/٩، مصدر سابق.

العباس المبرد^(١)، بل نقول إن جواب (لولا) محذوف لدلالة ما قبله عليه، كما يقول جمهور البصريين في قول العرب: (أنت ظالم إن فعلت)، فيقدرونه: (إن فعلت فأنت ظالم). ولا يدل قوله: (أنت ظالم) على ثبوت الظلم، بل هو مثبت على تقدير وجود الفعل، وكذلك هنا التقدير: لولا أن رأى برهان ربه لهم بها. فكان موجدا لهم على تقدير رؤية البرهان، لكنه وجد رؤية البرهان، فانتفى بهم " .

وقد أجاب ابن تيمية^(٢) . عن قال إن هذا القول يرده لسان العرب، وأقوال السلف بقوله: " وأما قولهم: يرده لسان العرب، فليس كما ذكر، وقد استدل من ذهب إلى جواز ذلك بوجوده في لسان العرب: قال الله تعالى: ﴿ . إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَنْ رَبَّنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾^(٣) . فقوله: ﴿ إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِي ﴾ إما أن يتخرج على أنه الجواب على ما ذهب إليه ذلك القائل، وإما أن يتخرج على ما ذهبنا إليه من أنه دليل على الجواب، والتقدير: لولا أن ربطنا على قلبها لكادت تبدي به .

وأما أقوال السلف، فنعتقد أنه لا يصح عن أحد منهم شيء من ذلك، فضلا عن المقطوع لهم بالعصمة. والذي روي عن السلف لا يساعد عليه كلام العرب، لأنهم قدروا جواب (لولا) محذوفا، ولا يدل عليه دليل، لأنهم لم يقدرُوا لهم بها، ولا يدل كلام العرب إلا على أن يكون المحذوف من معنى ما قبل الشرط، لأن ما قبل الشرط دليل عليه ولا يحذف الشيء لغير دليل عليه، وقد طهرنا كتابنا هذا عن نقل ما في كتب

(١) هو إمام النحو: محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الأزدي البصري، صاحب " الكامل "، أخذ عن: أبي عثمان المازني، وأبي حاتم السجستاني، وعنه: أبو بكر الخرائطي، ونفطويه. كان آية في النحو، مات سنة: ست وثمانين ومئتين. طبقات النحويين واللغويين، ١٠١، لأبي بكر محمد بن الحسن الزبيدي: ط ٢؛ القاهرة: دار المعارف. ت: محمد أبو الفضل إبراهيم. ، وسير أعلام النبلاء: ٥٧٦/١٣، مصدر سابق.

(٢) انظر: ص ٤٨، من البحث.

(٣) سورة القصص الآية ١٠

التفسير مما لا يليق ذكره، واقتصرنا على ما دل عليه لسان العرب، ومساق الآيات التي في هذه السورة، مما يدل على العصمة، وبراءة يوسف عليه السلام من كل ما يشين^{(١)(٢)} وأما الذين سلكوا مسلك التوسط، فإنهم جعلوا هم يوسف هم خطرات لا هم إصرار، كما يخطر بقلب الرجل الصالح وهو صائم شرب الماء البارد، فيدفع ذلك باحتساب الأجر وما أعده الله للصائمين.

وهذا القول هو الذي اختاره الإمام النسفي . رحمه الله . وهو اختيار: الجصاص^{(٣)(٤)} ، والزمخشري^{(٥)(٦)} ، وابن العربي^{(٧)(٨)} ، وابن الجوزي^{(٩)(١٠)} ، والقرطبي^{(١١)(١٢)} ، والبيضاوي^{(١٣)(١٤)} .

(١) البحر المحيط: ٣٩٥/٥، مصدر سابق.

(٢) مجموع الفتاوى: ٢٩٦/١٠، ٢٩٧، والفتاوى الكبرى: ٣٣٩/٢. مصدران سابقان.

(٣) هو : الإمام العلامة المفتي المجتهد ، عالم العراق ، أبو بكر ، أحمد بن علي الرازي الحنفي ، صاحب التصانيف ، سكن بغداد ، وإليه انتهت رئاسة الحنفية ، ودُعي إلى القضاء فامتنع ، كان يميل إلى الاعتزال ، وفي تواليفه ما يدل على ذلك في رؤية الله وغيرها ، توفي سنة ٣٧٠ هـ . سير أعلام النبلاء ١٦/٣٤٠ - ٣٤١ ، ومعجم المفسرين لعادل نويهض ٤٨/١ ، مصدران سابقان.

(٤) أحكام القرآن ١٧٠/٣ ، لأبي بكر أحمد بن علي الرازي الجصاص - ضبط نصه - وخرج آياته : عبدالسلام محمد علي شاهين . ط: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان - توزيع : مكتبة دار الباز - مكة المكرمة - ١٤١٥ هـ .

(٥) انظر: ص ١١١ ، من البحث.

(٦) الكشف: ٢٤٩/٢ ، مصدر سابق.

(٧) هو : محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن أحمد ، الإمام أبو بكر بن العربي المعافري الأندلسي الإشبيلي ، الحافظ ، ختام علماء الأندلس ، وآخر أئمتها وحفاظها ، أحد الأعلام ، وله مصنفات كثيرة حسنة مفيدة منها : أحكام القرآن ، وعارضة الأهودي على كتاب الترمذي والقواصم والعواصم وغيرها كثير . توفي سنة ٥٤٣ هـ . طبقات المفسرين للداوودي ١٦٧/٢ - ١٧١ ، مصدر سابق.

(٨) أحكام القرآن ١٠٨٢/٣ ، لأبي بكر محمد بن عبد الله بن العربي ، ت: علي البجاوي، ط: دار الجيل ، بيروت.

(٩) انظر: ص ١٠٥ ، من البحث.

(١٠) زاد المسير: ٦٩٠ ، مصدر سابق.

(١١) انظر: ص ٨١ ، من البحث.

(١٢) الجامع لأحكام القرآن: ١٦٧/٩ ، مصدر سابق.

(١٣) انظر: ص ١٠٧ ، من البحث.

(١٤) أنوار التنزيل: ٢٨٢/٣ . مصدر سابق. ومن المتأخرين: أبو السعود: ٢٦٦/٤ ، مصدر سابق. وعبد الرحمن السعدي في قصص الأنبياء في القرآن الكريم وما فيها من العبر ١١٣ ، ط: دار روضة الناظر: ١٤١٥ هـ.

وقد أجاب القرطبي . رحمه الله . عن قول من قال إن يوسف عند هذه النازلة لم يكن نبيا بأن قوله تعالى في أول السورة: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾^(١) يدل على أنه كان نبيا، وإذا كان نبيا فلم يبق إلا أن يكون الهم الذي هم به ما يخطر في النفس ولا يثبت في الصدر، وهو الذي رفع الله فيه المؤاخذه عن الخلق، إذ لا قدرة للمكلف على دفعه^(٢).

وهذا القول هو أعدل الأقوال الثلاثة، وهو الأليق بحال يوسف . عليه السلام .، والأوفق لسياق الآية، فإن الله أثبت الهم من يوسف، لكنه هم عارض تقتضيه الطبيعة البشرية، ويؤجر المسلم على دفعه^(٣).

وأما ما روي عن بعض السلف من حل السراويل، وجلوسه منها مجلس الخاتن . . فإن ذلك لم ينقل بإسناد صحيح عن المعصوم عليه السلام، وهو متلقى عن أهل الكتاب .، وهو مخالف للطبيعة والمنطق، فإن من المعلوم طبعاً أن المواقعة الاختيارية من الطرفين لا تكون، بل لا تطيب إلا بعد مقدمات من لمس وتقبيل ومعاينة ونحو ذلك، ومحال أن يكون شيء من ذلك قد وقع من يوسف . عليه السلام . وقد برأه الله عز وجل من ذلك بقوله: ﴿كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾^(٤) فالسوء هو الشهوة ومقدمات الفاحشة في قول بعض المفسرين، والفحشاء الزنى^(٥)، فكيف يقال إنه جلس منها مجلس الخاتن!؟.

وأما الذين قالوا إن الهم لم يقع من يوسف أصلاً، وجعلوا قوله تعالى: ﴿وَهُمْ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ﴾ مثل قوله ﴿إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَنْ رَبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا﴾،

(١) سورة يوسف الآية ١٥

(٢) الجامع لأحكام القرآن: ١٧٠/٩، مصدر سابق.

(٣) المصدر السابق ١٦٨/٩.

(٤) سورة يوسف الآية ٢٤

(٥) الجامع لأحكام القرآن: ١٧٠/٩، المصدر السابق.

فذلك غير مسلم، ففي الآية الثانية جاء الفعل مضارعا مسبوqa بـ (كاد)، بخلاف الآية الأولى؛ فإن الفعل جاء فيها ماضيا مسبوqa بـ (قد) التي تفيد تحقق الفعل. ومع ذلك فإن قوله تعالى ﴿إِنْ كَادَتْ لَتُبْدَى بِهِ﴾ يدل على أنها قد همت بالإبداء، لكنها لم تفعل، بسبب ربط الله على قلبها، فالممتنع هو الإبداء، وليس الهم الذي يدل عليه لفظ (كاد).

ولذا؛ قد أنكر هذا القول بعض المفسرين وأئمة اللغة^(١)، وقالوا إن تقديم جواب لولا عليها شاذ مستكره، لا يوجد في فصيح كلام العرب، إلا ما ورد في بعض أشعارهم على سبيل الاضطرار، ومثل هذا لا يحمل عليه كتاب الله النازل بالفصاحة، كما هو مقرر في قواعد التفسير^(٢).

وثمرة الخلاف هنا: كل قول من الأقوال يترتب عليه لوازم؛ فالقول الذي اعتمده ابن جرير^(٣) يترتب عليه اتهام يوسف عليه السلام بالوقوع في الذنب، واقتراف المعصية. والقول الذي رجحه النسفي يلزم منه أن هم يوسف عليه السلام ليس ذنبا ولا خطيئة. ولهذا الخلاف أثر على مسألة: عصمة الأنبياء من الذنوب والكبائر. ثم إنه يترتب على هذا الخلاف أثر في القراءة، وهو كيفية الوقف والابتداء في الآية. وقد نبه ابن عاشور^(٤) على هذا الأثر^(٥).

تنبيه: تنازع هذا المثال أكثر من قاعدة تفسيرية:

القاعدة الأولى: تفسير السلف للقرآن وفهمهم له حجة على من بعدهم^(٦).

(١) ممن أنكر ذلك من المفسرين: البيضاوي في كتابه أنوار التنزيل: ٢٨٢/٣، مصدر سابق. ومن أئمة اللغة: محمد بن القاسم الأنباري في كتابه الأضداد ٤١١، ط: المكتبة العصرية ببيروت: ١٤٠٧ هـ. ت: محمد أبو الفضل إبراهيم.

(٢) قواعد الترجيح عند المفسرين: ٣٦٩/٢، مصدر سابق.

(٣) انظر: ص ٨٢، من البحث.

(٤) انظر: ص ٨٣، من البحث.

(٥) كذلك المكتفى في الوقف والابتداء للداني ٣٢٥-٣٢٦. وفي منار الهدى للأشموني ١٩٢-١٩٣ تفصيل حسن لأنواع الوقف في الآية بناء على كل قول.

(٦) هذه القاعدة في كتاب قواعد التفسير للدكتور خالد السبت ٢٠٦/١-٢٠٧. وقد ذكر هذه الآية مثلا لهذه القاعدة.

القاعدة الثانية: القول الذي يعظم مقام النبوة، ولا ينسب إليها ما لا يليق بها أولى بتفسير الآية.^(١)

فابن جرير ومن وافقه اعتمدوا القاعدة الأولى، ورجحوا بها، وغيرهم من المفسرين اعتمدوا القاعدة الثانية ورجحوا بها.

ولذلك صارت هذه الآية من الآيات التي أشكل فهمها.

وما نقل من روايات في تفسير هذه الآية معدود من جملة الإسرائيليات المردودة في كتب التفسير.^(٢)

(١) قواعد الترجيح للدكتور حسين الحربي ١/٣٢٨-٣٣٦. وقد ذكر هذه الآية من الأمثلة على القاعدة.
(٢) كتاب الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير للدكتور محمد بن محمد أبو شهبه ٢٢٠-٢٢٩.

المسألة الخامسة عشر

الكلام على قوله تعالى: ﴿قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلَّا نَبَأُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ﴾ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا ذَلِكَ مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴿١﴾.

المسألة: الكلام على معنى الآية: ﴿قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلَّا نَبَأُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ﴾

قال الامام النسفي رحمه الله: ﴿قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلَّا نَبَأُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ﴾ أي لبيان ماهيته وكيفيته لأن ذلك يشبه تفسير المشكل ﴿قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا﴾ لما استعبراه ووصفاه بالإحسان افترض ذلك فوصل به وصف نفسه بما هو فوق علم العلماء وهو الإخبار بالغيب وأنه ينبئهما بما يحمل إليهما من الطعام في السجن قبل أن يأتيهما ويصفه لهما ويقول اليوم يأتيكما طعام من صفته كيت وكيت فيكون كذلك وجعل ذلك تخلصاً إلى أن يذكر لهما التوحيد ويعرض عليهما الإيمان ويزينه لهما ويقبح إليهما الشرك وفيه أن العالم إذا جهلت منزلته في العلم فوصف نفسه بما هو بصدده وغرضه أن يقتبس منه لم يكن من باب التزكية ﴿ذَلِكَ﴾ إشارة لهما إلى التأويل أي ذلك التأويل والإخبار بالمغيبات ﴿مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي﴾ وأوحى به إلي ولم أقله عن تكهن وتتجم^(٢)

أن المعنى في هذه الآية: لا يأتيكما طعام ترزقانه في الرؤيا إلا نبتكما بتأويله قبل أن يأتيكما في اليقظة. قبل أن يأتيكما الطعام.

وقال بعضهم: ﴿لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ﴾: تطعمانه، وتأكلانه، ﴿إِلَّا نَبَأُكُمَا

بِتَأْوِيلِهِ﴾: بتفسيره، وألوانه، أي طعام أكلتم؟ ، وكم أكلتم؟ ، ومتى أكلتم؟. فقالوا: هذا

(١) سورة يوسف الآية ٣٧

(٢) تفسير النسفي، ١١٠/٢، مصدر سابق.

فعل العرافين والكهنة! فقال: ما أنا بكاهن، وإنما ذلك العلم مما يعلمني ربي. وهذا القول ليس بشيء" (١).

الدراسة، والترجيح:

حاصل الأقوال في معنى هذه الآية: قولان:

وقد وافق الامام النسفي رحمه الله فيما ذهب إليه:

الجصاص^{(٣)(٢)}، والزمخشري^{(٤)(٥)}، والبيضاوي^{(٦)(٧)}، وأبو حيان^{(٨)(٩)}.

واختار القول الثاني: الطبري^{(١٠)(١١)}، والواحدي^{(١٢)(١٣)}، وابن عطية^{(١٤)(١٥)} وابن

تيمية^{(١٦)(١٧)}.

(١) مجموع الفتاوى: ٣٦٥/١٧ مصدر سابق.

(٢) انظر: ص ١٥١، من البحث.

(٣) أحكام القرآن ١٧٣/٣، لأبي بكر أحمد بن علي الرازي الجصاص: بيروت: دار الكتاب العربي: ١٣٣٥هـ.

(٤) انظر: ص ١١١، من البحث.

(٥) الكشف: ٢٥٦/٢، مصدر سابق.

(٦) انظر: ص ١٠٧، من البحث.

(٧) أنوار التنزيل: ٢٨٧/٣، ٢٨٨، مصدر سابق.

(٨) انظر: ص ٨١، من البحث.

(٩) البحر المحيط: ٣٠٨/٥. ومن المتأخرين: البقاعي: ٣٩/٤، وأبو السعود: ٢٧٦/٤، والشوكاني: ٣٣/٣،

والسعدي: ٢٥/٤، وابن عاشور: ٦١/١٢. إلا إن هذين الأخيرين اختارا أن الضمير في قوله: (بتأويله) يعود إلى

ما عاد إليه ضمير (بتأويله) في قوله: ﴿نبئنا بتأويله﴾ في الآية التي قبلها. مصادر سابقة.

(١٠) انظر: ص ٤٨، من البحث.

(١١) جامع البيان: ٢١٥/٧، مصدر سابق.

(١٢) انظر: ص ٨٠، من البحث.

(١٣) الوجيز: ٥٤٦/١، مصدر سابق.

(١٤) انظر: ص ٤٦، من البحث.

(١٥) المحرر الوجيز: ٥٠٩/٧. واختاره من المتأخرين: ابن كثير: ٤٧٨/٢، والسيوطي في الجلالين: ٣٠٩/١،

مصادر سابقة.

(١٦) انظر: ص ٤٨، من البحث.

(١٧) مجموع الفتاوى ٣٦٥/١٧. و: ١١٢/١٥، ١١٣. مصدر سابق.

وأُنكر ابن عطية . رحمه الله . القول الأول، وذكر أن اللفظ لا يقتضيه، ولا الإسناد ينهض به.

واقترع بعض المفسرين على ذكر القولين دون اختيار أو ترجيح.

والراجع: القول الثاني للأسباب التالية:

أولاً: أن سياق الآيات يدل على أن تأويل الطعام لم يكن في اليقظة، إذ ليس فيه أنه أخبرهما بما يرزقانه في اليقظة، فكيف يقول قولاً عاماً: ﴿إِلَّا نَبَأُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ﴾، وهذا الإخبار العام لا يقدر عليه إلا الله. والأنبياء يخبرون ببعض ذلك، لا يخبرون بكل هذا.

ثانياً: أن صفة الطعام وقدره ليس تأويلاً له.

ثالثاً: أن الله ﷻ قد أخبر أنه قد علمه تأويل الرؤيا، كما قال يعقوب . عليه السلام .:

﴿وَكَذَلِكَ يَجْنِبُكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ . . .﴾^(١)، وقال يوسف . عليه السلام .: ﴿رَبِّ قَدْ

ءَاتَيْتَنِي مِنَ الْمَلِكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ . . .﴾^(٢)، وقال: ﴿. . . هَذَا تَأْوِيلُ رُءْيَايَ مِنْ قَبْلُ .

. . .﴾^(٣)، ولما رأى الملك الرؤيا، قال له الذي اذكر بعد أمة: ﴿. . . أُمَّةٌ أَنَا أَنْبِئُكُمْ

بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ﴾^(٤)، والملك قال: ﴿. . . يَتَأْتِيهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُءْيَايَ إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ﴾^(٥)

قَالُوا أَضْغَثٌ أَحْلَمٌ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَمِ بِعَالِمِينَ﴾^(٥) فهذا لفظ التأويل في مواضع

متعددة، كلها بمعنى واحد^(٦).

(١) سورة يوسف الآية ٦ .

(٢) سورة يوسف الآية ١٠١ .

(٣) سورة يوسف الآية ١٠٠ .

(٤) سورة يوسف الآية ٤٥ .

(٥) سورة يوسف الآيتان ٤٣، ٤٤ .

(٦) مجموع الفتاوى: ٣٦٥/١٧، ٣٦٦ . (بتصرف) . مصدر سابق.

ويمكن أن يضاف إليها وجه آخر يدل عليه السياق، وهو أن الفتيين إنما سألاه أن
ينبئهما عن تأويل رؤياهما: ﴿نَبَأْتُكُمَا تَأْوِيلَهُ﴾، فجاء الجواب مطابقا لما سألاه عنه:
﴿إِلَّا نَبَأْتُكُمَا تَأْوِيلَهُ﴾، فدل على أن التأويل الثاني هو من جنس الأول، وأن المراد ما
يأتيهما من الطعام في المنام، لا في اليقظة.

المسألة السادسة عشر

قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ ﴿٥٢﴾ وَمَا أُبْرِئُ نَفْسِي إِنَّ
النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي . . ﴾^(١).

المسألة: الكلام على قوله تعالى ﴿لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ﴾.

قال الإمام النسفي رحمه الله: في تفسير هذه الآية (فقال يوسف ﴿ذَلِكَ﴾ أي امتناعي
من الخروج والتثبت لظهور البراءة ﴿لِيَعْلَمَ﴾ العزيز ﴿أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ﴾ بظهور الغيب
في حرمة وبالغيب حال من الفاعل أو المفعول على معنى وأنا غائب عنه أو وهو
غائب عني أو ليعلم الملك أنني لم أخن العزيز ﴿وَأَنَّ اللَّهَ﴾ أي وليعلم أن الله ﴿لَا يَهْدِي
كَيْدَ الْخَائِنِينَ﴾ لا يسدده وكأنه تعريض بامرأته في خيانتها أمانة زوجها^(٢).

الدراسة، والترجيح:

في المسألة قولان:

الأول: أن قائل ذلك ﴿لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ﴾ هو يوسف عليه السلام.

الثاني: أن القائل امرأة العزيز.

اختار القول الأول أكثر المفسرين، من المتقدمين والمتأخرين.

(١) سورة يوسف الآية ٥٢، ٥٣.

(٢) تفسير النسفي، ٢/ ١١٧، مصدر سابق.

واحتجوا بما يلي:

أحدها: أن هذا مثل قوله تعالى: ﴿ قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٩﴾ يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ . ﴾، ثم قال: ﴿ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴾^(١)، وهو من كلام فرعون يخاطبهم ويستشيرهم الثاني: أن هذا من تقديم القرآن وتأخيرها، فيكون قوله: ﴿ ذَلِكَ لِيَعْلَمَ ﴾ متصلا بقوله: ﴿ . . . فَسَأَلَهُ مَا بَالَ النِّسْوَةِ الَّتِي قَطَعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ ﴾، فيكون التقدير: فلما رجع الرسول إلى يوسف، فأخبره بشهادتهن ببراءته، قال: ﴿ ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ . . . ﴾^(٢).

قال النحاس^(٣) بعد أن ذكر هذين الوجهين: " والتأويلان حسنان "^(٤).

الثالث: أن ما في هذا القول من الحكم التي لا يعرفها أهل ذلك الزمان؛ دليل على أنه من كلام يوسف . ﷺ^(٥).

الثاني: أن القائل امرأة العزيز.

وقال بهذا القول: الكرمانى^(٦)^(٧)، وأبو حيان^(٨)^(٩) وابن تيمية^(١٠)^(١١).

(١) سورة الأعراف الآيتان ١٠٩، ١١٠

(٢) الكشف: ٢/٢٦٢، ومعالم التنزيل: ٤/٢٤٩، ونظم الدرر: ٤/٥٨، مصادر سابقة.

(٣) انظر: ص ١٠٣، من البحث.

(٤) معاني القرآن: ٣/٤٣٨، مصدر سابق.

(٥) نظم الدرر: ٤/٥٨، مصدر سابق.

(٦) انظر: ص ١١٥، من البحث.

(٧) غرائب التفسير: ١/٥٤١، مصدر سابق.

(٨) انظر: ص ٨١، من البحث.

(٩) البحر المحيط: ٥/٣١٦. وممن ذهب إليه من المتأخرين: ابن كثير: ٢/٤٨١، والسعدي: ٤/٣٨، وابن عاشور: ١٢/٧٨، مصادر سابقة.

(١٠) انظر: ص ٤٨، من البحث.

(١١) مجموع الفتاوى: ١٠/٢٩٨، مصدر سابق.

قال أبو حيان . رحمه الله .: " ومن ذهب إلى أن قوله: ﴿ذَلِكَ لِيَعْلَمَ﴾ إلى آخره، من كلام يوسف، يحتاج إلى تكلف ربط بينه وبين ما قبله. ولا دليل يدل على أنه من كلام يوسف".

وقال: ابن تيمية^(١) رحمه الله. فقول القائل: إن قوله ﴿ذَلِكَ﴾ من قول يوسف، مع أنه لم يتقدم منه قول ولا عمل، لا يصح بحال^(٢).

واحتج بما يلي:

١. إنه لم يتقدم من يوسف كلام يشير به إليه، ولا تقدم ذكر عفاfe واعتصامه.
 ٢. أنه على القول بأن يوسف هو القائل؛ يكون المعنى: إن عفتي عن الفاحشة كان ليعلم العزيز أنني لم أخنه!. وهو إنما تركها خوفاً من الله، ورجاء ثوابه، ولعلمه بأن الله يراه. لا لأجل مجرد علم مخلوق.
 ٣. أن هذا لا يليق أن يذكر عن يوسف، لأنه قد ظهرت براءته، وحصل مطلوبه، فلا يحتاج أن يقول هذا القول لتحصيل ذلك.
- والراجع:** ما ذهب إليه أبو حيان^(٣). رحمه الله. ومن وافقه، وعليه تدل قواعد الترجيح المعتبرة، ومنها:

١. لا يجوز العدول عن ظاهر القرآن إلا بدليل، ولا دليل.
٢. القول الذي يعظم مقام النبوة أولى.
٣. توحيد الضمائر في السياق الواحد أولى من تفريقها.

(١) انظر: ص ٤٨، من البحث.

(٢) مجموع الفتاوى: ١٥/١٤٠، مصدر سابق.

(٣) انظر: ص ٨١، من البحث.

٤. الحذف خلاف الأصل.

٥. إعادة الضمير إلى مذكور، أولى من إعادته إلى مقدر.

وأما ما ذكره أصحاب القول الثاني من الوجوه الدالة على أن القائل هو يوسف . عليه السلام ، ففيها تكلف واضح لمن تأملها، ويمكن أن يجاب عنه بما يلي:
أولاً: قوله تعالى: ﴿فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾ لا يسلم أنه من قول فرعون، بل هو من قول الملائكة بعضهم لبعض على وجه التشاور. وفرعون منهم.

ثانياً: قولهم: إن هذا من تقديم القرآن وتأخيره. . فيه بعد ظاهر، وتكلف لا مسوغ له. والأصل إجراء الكلام على ترتيبه واتساقه، كما هو مقرر في قواعد التفسير^(١)، فيكون هذا القول امتداداً لما قبله من كلام امرأة العزيز.

ثالثاً: قولهم: إن في هذا القول من الحكم التي لا يعرفها أهل ذلك الزمان. . ، تعليل عليل، فإن الله ﷻ إنما يذكر من القصص ما فيه الحكم والمواعظ، ومن ذلك ما قصه الله علينا من خبر ملكة سبأ، وما ذكره عنها من رجاحة العقل، وحسن المنطق والتدبير، مع كفرها بالله، وعبادتها للشمس من دون الله. وامرأة العزيز لم يذكر الله عنها ولا عن قومها كفراً ولا شركاً، بل ظاهر القصة يدل على إيمانهم بالله، ومن ذلك قول العزيز لامراته: ﴿. . . وَأَسْتَغْفِرِي لِدُنْيِكِ إِنَّكِ كُنْتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ﴾^(٢)، لكنه إيمان ضعيف بسبب ما هم فيه من الترف والنعيم، ويحتمل أن يكونوا مقرين بالرب، مع إشراكهم بالله ﷻ، فليس بمستغرب أن يصدر من امرأة العزيز مثل هذا القول، والله تعالى أعلم.

(١) قواعد الترجيح عند المفسرين: ٤٥١/٢. ونص القاعدة: (القول بالترتيب مقدم على القول بالتقديم والتأخير).

(٢) سورة يوسف الآية ٢٩

المسألة السابعة عشر

قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ ءَاوَىٰ إِلَيْهِ أَخَاهُ قَالَ إِنِّي أَنَا أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ

بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾^(١).

المسألة: معنى ﴿إِنِّي أَنَا أَخُوكَ﴾ في الآية.

قال الإمام النسفي رحمه الله عند تفسير قول الله تعالى: ﴿وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ

ءَاوَىٰ إِلَيْهِ أَخَاهُ﴾ قال: ضم إليه بنيامين وروي أنهم قالوا له هذا أخونا قد جئناك به فقال لهم أحسنتم فأنزلهم وأكرمهم ثم أضافهم وأجلس كل اثنين منهم على مائدة فبقي بنيامين وحده فبكى وقال لو كان أخي يوسف حياً لأجلسني معه فقال يوسف بقي أخوك وحيداً فأجلسه معه على مائدته وجعل يؤاكله وقال له أتحب أن أكون أخاك بدل أخيك الهالك قال ومن يجد أخا مثلك ولكن لم يلدك يعقوب ولا راحيل فبكى يوسف وعانقه ثم ﴿قَالَ﴾ له ﴿إِنِّي أَنَا أَخُوكَ﴾ يوسف ﴿فَلَا تَبْتَئِسْ﴾ فلا تحزن ﴿بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ بنا فيما مضى فإن الله قد أحسن إلينا وجمعنا على خير ولا تعلمهم بما أعلمتك. وروي أنه قال له فأنا لا أفارقك قال لقد علمت اغتنام والدي بي فإن حبستك ازداد غمه ولا سبيل إلى ذلك إلا أن أنسبك إلى ما لا يحمد قال لا أبالي فافعل ما بدالك قال فإني أدس صاعي في رحلك ثم أنادي عليك بأنك سرقته ليتهيأ لي ردك بعد تسريحك معهم فقال افعل^(٢).

(١) سورة يوسف الآية ٦٩

(٢) تفسير النسفي، ٢/ ١٢٤، ١٢٥، مصدر سابق.

المسألة: الكلام على قوله تعالى: ﴿أَنَا أَخُوكَ﴾ هل المراد بقول الله ﷻ حكاية عن يوسف عليه السلام: ﴿إِنِّي أَنَا أَخُوكَ﴾ أي: أخوك يوسف حقيقة؟ أو أن المراد: إني في مقام أخيك المفقود، ولم يصرح له بأنه يوسف؟ قولان للمفسرين، والراجح الأول منهما. ومن قال القول الثاني: إنه وضع السقاية في رحل أخيه والأخ لا يشعر، هذا خلاف المفهوم من القرآن، وخلاف ما عليه الأكثرون، وفيه ترويع لمن لم يستوجب الترويع. وأما على القول الأول فقد قال كعب وغيره: لما قال له: إني أنا أخوك، قال: فأنا لا أفارقك، قال يوسف: فقد علمت اغتنام والدي بي، فإذا حبستك ازداد غمه، ولا يمكنني هذا إلا بعد أن أشهرك بأمر فظيع وأنسبك إلى ما لا يحتمل، قال: لا أبالي، فافعل ما بدا لك فإني لا أفارقك، قال: فإني أدس صواعي هذا في رحلك، ثم أنادي عليك بالسرقة ليتهياً لي ردك بعد، قال: فافعل.^(١)

وعلى هذا؛ فهذا التصرف إنما كان بإذن الأخ ورضاه.^(٢)

الدراسة والترجيح:

اعتمد الامام النسفي رحمه الله ما عليه أكثر أهل التفسير، وهو أن المراد بقول الله ﷻ حكاية عن يوسف عليه السلام - : ﴿إِنِّي أَنَا أَخُوكَ﴾: أنا أخوك يوسف حقيقة. وما قرره الامام النسفي رحمه الله هنا قرره أكثر أئمة التفسير، وهم في ذلك على قسمين:

القسم الأول: اقتصر على القول المعتمد، ولم يذكر القول الآخر. ومن هؤلاء:

القرطبي^{(٣)(٤)}، وابن كثير^{(٥)(٦)}، وابن عاشور^{(٧)(٨)}.

(١) ذكر قول كعب هذا البيهقي في معالم التنزيل ٢٦٠/٤ بدون أسناد، مصدر سابق.

(٢) إعلام الموقعين ١٤٩/٥-١٥٠، وبدائع التفسير ٤٥٥/٢-٤٥٦، مصدران سابقان.

(٣) انظر: ص ٨١، من البحث.

(٤) الجامع لأحكام القرآن ٢٢٩/٩، مصدر سابق.

(٥) انظر: ص ٨١، من البحث.

(٦) تفسير القرآن العظيم ١٨٥١/٤، مصدر سابق.

(٧) انظر: ص ٨٣، من البحث.

(٨) التحرير والتنوير ٢٦/١٣، مصدر سابق.

القسم الثاني: ذكروا القولين، ورجحوا القول المعتمد. ومن هؤلاء: الرازي^(١)^(٢)، وأبو حيان^(٣)^(٤). قال الرازي: (والصحيح ما عليه سائر المفسرين من أنه أراد تعريف النسب؛ لأن ذلك أقوى في إزالة الوحشة وحصول الأنا، ولأن الأصل في الكلام الحقيقة، فلا وجه لصرفه عنها إلى المجاز من غير ضرورة.)^(٥) وبقي قسم ثالث، ذكر القولين، ولم يبين موقفه منهما. ومن أهل هذا القسم ابن جرير^(٦)، وابن عطية^(٧).

فابن جرير لم يصرح بهذا الخلاف، واقتصر على ذكر الآثار في تفسير الآية، وبعضها فسر الآية بالقول المعتمد، وأحدها فسر الآية بالقول الآخر، وهو من قول وهب بن منبه. ولم يعلق ابن جرير على هذه الآثار^(٨).

وذكر ابن عطية القولين، ولم يذكر ترجيحاً أو اختياراً^(٩).

لا إشكال في رجحان ما عليه أكثر المفسرين، وهو الذي اعتمده الامام النسفي.

كما أن ضعف القول الآخر بين. فيوسف عليه السلام قال: ﴿إِنِّي أَنَا أَخُوكَ﴾ بهذا الأسلوب المؤكد بعدة مؤكدات، فهو لا يحتمل إلا الحقيقة، وأنه أراد أنه أخوه نسبا.

ثمرة الخلاف: يترتب على هذا الخلاف أثر من جهة تصرف يوسف مع أخيه عندما وضع السقاية في رحله. فعلى القول المعتمد يكون يوسف عليه السلام قد وطن أخاه

(١) انظر: ص ٤١، من البحث.

(٢) التفسير الكبير ١٨/١٤٢، مصدر سابق.

(٣) انظر: ص ٨١، من البحث.

(٤) البحر المحيط ٦/٣٠١، مصدر سابق.

(٥) التفسير الكبير ١٨/١٤٢، مصدر سابق.

(٦) انظر: ص ٨٢، من البحث.

(٧) انظر: ص ٤٦، من البحث.

(٨) جامع البيان ١٦/١٦٩-١٧٠، مصدر سابق.

(٩) المحرر الوجيز ٨/٢٤-٢٥، مصدر سابق.

على عدم الإبتئاس بالحيلة التي فعلها في أخذه منهم. وعلى القول الآخر يكون يوسف قد وضع السقاية في رحل أخيه، وهو لا يشعر بذلك. وفي هذا نوع من الإخافة والتعدي عليه.

سبب الخلاف: لا أعلم سببا لهذا الخلاف إلا ما دلت عليه الرواية التي نقل فيها القول الثاني، وهذا لفظها: (عن عبد الصمد بن معقل قال: سمعت وهب بن منبه يقول - وسئل عن قول يوسف: ﴿وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ ءَاوَىٰ إِلَيْهِ أَخَاهُ قَالَ إِنِّي أَنَا أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ كيف أجابه حين أخذ بالصواع، وقد كان أخبره أنه أخوه وأنتم تزعمون أنه لم يزل منتكرا لهم يكايدهم حتى رجعوا؟ - فقال: إنه لم يعترف له بالنسبة، ولكنه قال: "أنا أخوك" مكان أخيك الهالك، فلا تبتئس بما كانوا يعملون يقول: لا يحزنك مكانه^(١).

و قول وهب بن منبه هذا يعد من غريب التفاسير^(٢). وهو قول شاذ مردود.

(١) أخرج هذه الرواية الطبري في تفسيره ١٧٠/١٦، مصدر سابق.

(٢) غرائب التفسير وعجائب التأويل للكرماني ٥٤٥/١، مصدر سابق.

المسألة الثامنة عشر

قوله تعالى: ﴿ . . إِنَّكُمْ لَسَّرِقُونَ ﴾^(١).

المسألة: الكلام على قوله تعالى ﴿ إِنَّكُمْ لَسَّرِقُونَ ﴾ قال الامام النسفي رحمه الله:

﴿ إِنَّكُمْ لَسَّرِقُونَ ﴾ كناية عن سرقتهم إياه من أبيه^(٢).

وقد ذكر المفسرون في تسميتهم سارقين وجهين:

أحدهما: أنه من باب المعارض، وأن يوسف نوى بذلك أنهم سرقوه من أبيه حيث

غيبوه عنه بالحيلة التي احتالوها عليه، وخانوه فيه. والخائن يسمى سارقاً، وهو من

الكلام المشهور، حتى الخونة من ذوي الديوان يسمون لصوصاً.

الثاني: أن المنادي هو الذي قال ذلك من غير أمر يوسف . ﷺ .، وذلك أن يوسف

أمر بعض أصحابه أن يجعل الصاع في رحل أخيه، ثم قال بعض الموكلين بالصيغان

. وقد فقدوه، ولم يدروا من أخذه منهم :: ﴿ أَيَّتْهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَّرِقُونَ ﴾ على ظن منهم

أنهم كذلك، ولم يأمرهم يوسف بذلك^(٣).

(١) سورة يوسف الآية ٧٠.

(٢) تفسير النسفي، ٢ / ١٢٥، مصدر سابق.

(٣) الفتاوى الكبرى: ٣ / ٢١١، مصدر سابق.

الدراسة، والترجيح:

وافق الامام النسفي رحمه الله في اختياره: الزجاج^(١)^(٢)، وابن العربي^(٣)^(٤)، وابن الجوزي^(٥)^(٦)، وابن تيمية^(٧)^(٨).

واختار الثاني: الجصاص^(٩)^(١٠).

واقترع بعض المفسرين على ذكر الأوجه دون اختيار^(١١). وبعضهم لم يتطرق لهذه المسألة أصلاً.

والراجح هو الوجه الأول الذي اختاره النسفي، وذلك لوجوه:

أحدها: أنه نسب التجهيز إلى يوسف، وكذلك جعل السقاية في رحل أخيه، مما يدل على خفاء الأمر على المأمور، وذلك أمضى لكيد يوسف . العلامة .. بينما في موضع

(١) انظر: ص ٤٧، من البحث.

(٢) إعراب القرآن ١/ ٣٥٣، لـ الزجاج: ت: إبراهيم الأبياري ط٣؛ دار الكتب العلميّة: بيروت، ١٤٠٦هـ.

(٣) انظر: ص ١٥١، من البحث.

(٤) أحكام القرآن: ٣/ ١٠٩٥. وقد جعل الأوجه ثلاثة: الوجهين اللذين ذكرهما الشيخ، ووجهها ثالثاً ذكر أنه التحقيق، وهو أن هذا كان حيلة لاجتماع شمله بأخيه، وفصله عنهم. وهو لا يتعارض مع الأول، بل هو داخل فيه.

(٥) انظر: ص ١٠٥، من البحث.

(٦) تذكرة الأريب: ١/ ٢٦٥، مصدر سابق.

(٧) انظر: ص ٤٨، من البحث.

(٨) مجموع الفتاوى: ١٦/ ٤٥١. واختاره أيضاً من المتأخرين: الثعالبي: ٢/ ٢٤٨، وأبو السعود: ٤/ ٢٩٤، والألوسي: ١٣/ ٢٤، مصادر سابقة.

(٩) انظر: ص ١٥١، من البحث.

(١٠) أحكام القرآن: ٣/ ١٧٤. ومن المتأخرين: الشوكاني: ٣/ ٥٠، والسعدي: ٤/ ٤٦، مصادر سابقة.

(١١) معاني القرآن للنحاس: ٣/ ٤٤٤، ومعالم التنزيل: ٤/ ٦٢٠، وأنوار التنزيل: ٣/ ٣٠٠، ونظم الدرر: ٤/ ٧٧، مصادر سابقة.

آخر أمر فتيانته بالتجهيز، كما في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ لِفَتْيَانِهِ اجْعَلُوا بِضَعْتَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ...﴾^(١).

الثاني: سؤاله إخوته عن الجزاء، لعلمه أن جزاء السارق في سنة آل يعقوب أن يسلم السارق بسرقة إلى المسروق منه، فيسترقه سنة^(٢)، وذلك من كيدِه . العلية .. فإن قيل: فكيف علم يوسف بهذا، وهو قد فارق أهله منذ الصغر؟.

فالجواب: أن يكون علم ذلك بالوحي، أو يكون أخوه قد أخبره بذلك، ليتم لهما ما أرادا. الثالث: أنه نسب استخراج الوعاء من رحل أخيه، إليه . العلية . إتماما لكيدِه الخفي حتى عن حاشيته، ولو شاع الأمر بين الحاشية لأوشك أن يظهر ويشتهر، ولم يتحقق ليوسف ما أراد. والله تعالى أعلم.

(١) سورة يوسف الآية ٦٢ .

(٢) معالم التنزيل: ٢٦١/٤، مصدر سابق.

المسألة التاسعة عشر

قوله تعالى: ﴿ . . . تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴾^(١).

المسألة: هل سأل يوسف عليه السلام ربه الوفاة على الاسلام؟ أم سأله الموت ولقاءه؟

قال الامام النسفي رحمه الله في تفسير الآية: ﴿ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا ﴾ طلب الوفاة على حال الإسلام كقول يعقوب لولده ﴿ فَلَا تَمُوتَنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾^(٢) وعن الضحاك^(٣) مخلصاً وعن التستري^(٤) مسلماً إليك أمري وفي عصمة الأنبياء إنما دعا به يوسف ليقتدي به قومه ومن بعده ممن ليس بمأمون العاقبة لأن ظواهر الأنبياء لنظر الأمم إليهم.

رجح الامام النسفي . رحمه الله . أن يوسف . عليه السلام . لم يسأل الموت، وإنما سأل الوفاة . حين يموت . على الإسلام.^(٥)

في المسألة قولان: الأول: أن يوسف عليه السلام لم يسأل الله الموت ولم يتمنه وإنما سأل الله إذا مات أن يميته على الإسلام: " وهو الصحيح من القولين، فسأل الصفة لا

(١) سورة يوسف الآية ١٠١ .

(٢) سورة البقرة الآية ١٣٢ .

(٣) انظر: ص ٧٩، من البحث.

(٤) هو سهل بن عبد الله بن يونس التستري الزاهد ، أبو محمد ، ولد سنة ٢٠٠ هـ ، من مؤلفاته : التفسير ، ورقائق المحبين ، توفي سنة ٢٨٣ هـ . انظر : حلية الأولياء ١٠/١٨٩ ترجمة رقم (٥٤٦) ، والسير ١٣/٣٣٠ .

(٥) تفسير النسفي ، ٢/ ١٣٦ ، مصدر سابق.

الموصوف، كما أمر الله بذلك^(١)، وأمر به خليفه إبراهيم وإسرائيل^(٢). وهكذا قال غير واحد من العلماء، منهم النسفي وابن عقيل، وغيره^(٣).

والثاني: أن يوسف . عليه السلام . لما عدد في هذه الآية نعم الله عندها تشوق إلى ربه، ولقاء المؤمنين من صالحى سلفه، ورأى أن الدنيا كلها قليلة، فتمنى الموت.

الدراسة، والترجيح:

وافق الإمام النسفي رحمه الله في ترجيحه: النحاس^{(٤)(٥)}، والواحدى^{(٦)(٧)}، وابن عطية^{(٨)(٩)}، وابن الجوزى^{(١٠)(١١)}، والقرطبي^{(١٢)(١٣)}، وأبو حيان^{(١٤)(١٥)} وابن تيمية^{(١٦)(١٧)}.

قال ابن عطية . رحمه الله .: " وذكر كثير من المفسرين أن يوسف . عليه السلام . لما عدد في هذه الآية نعم الله عند تشوقه إلى ربه، ولقاء الجلة من صالحى سلفه وغيرهم من

(١) يريد قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

(٢) يريد قوله تعالى: ﴿ وَوَصَّيْنَا إِبْرَاهِيمَ بِبَنِيهِ وَيَعْقُوبَ بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمْ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ [البقرة: ١٣٢].

(٣) مجموع الفتاوى: ٣٧٠/٨، ومجموعة الرسائل الكبرى: ١٥٥/٢، مصدران سابقان.

(٤) انظر: ص ١٠٣، من البحث.

(٥) الناسخ والمنسوخ في كتاب الله عزوجل واختلاف العلماء في ذلك ١/٥٣٣، لأبى جعفر أحمد بن محمد ابن إسماعيل النحاس - دراسة وتحقيق: الدكتور سليمان بن إبراهيم اللحام ط١: مؤسسة الرسالة بيروت ١٤١٢ هـ .

(٦) انظر: ص ٨٠، من البحث.

(٧) الوجيز: ١/٥٦١، مصدر سابق.

(٨) انظر: ص ٤٦، من البحث.

(٩) المحرر الوجيز: ٨/٨٦، مصدر سابق.

(١٠) انظر: ص ١٠٥، من البحث.

(١١) زاد المسير: ٧٢١، مصدر سابق.

(١٢) انظر: ص ٨١، من البحث.

(١٣) الجامع لأحكام القرآن: ٩/٢٦٩. وقد استبعد القول الآخر، لكنه استترك وقال: " إلا أن يكون جائزا في شرعه "، مصدر سابق.

(١٤) انظر: ص ٨١، من البحث.

(١٥) البحر المحيط: ٥/٣٤٣، مصدر سابق.

(١٦) انظر: ص ٤٨، من البحث.

(١٧) مجموع الفتاوى: ٣٧٠/٨، ومجموعة الرسائل الكبرى: ١٥٥/٢. واختاره من المتأخرين أيضاً: الثعالبي: ٢/٢٥٩، والشوكاني: ٣/٦٨، والسعدي: ٤/٦٠، وابن عاشور: ١٢/١٢١، مصادر سابقة.

المؤمنين، ورأى أن الدنيا كلها قليلة، فتمنى الموت في قوله: ﴿ . تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴾ . وقال ابن عباس^(١) . رضي الله عنهما :: (لم يتمن الموت نبي غير يوسف) . ثم ذكر . رحمه الله . تأويلا آخر، قال: " . وهو الأقوى عندي . أنه ليس في الآية تمنى الموت، وإنما عدد يوسف . عليه السلام . نعم الله عنده، ثم دعا أن يتم عليه النعم في باقي عمره، أي: توفني إذا حان أجلي على الإسلام، واجعل لحاقي بال صالحين . وإنما تمنى الموافاة على الإسلام لا الموت"^(٢) .

واختار القول الثاني: الطبري^(٣)^(٤) ، والبغوي^(٥)^(٦) ، والبيضاوي^(٧)^(٨) . وجوزه الزمخشري^(٩)^(١٠) .
وحجتهم:

١ . أن الله لما جمع شمله، وأوصل إليه أبويه وأهله، اشتاق إلى ربه، فقال هذه المقالة^(١١) .

٢ . أن هذا مثل قول مريم . عليها السلام :: ﴿ . يَلَيْتَنِي مَتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسِيًّا ﴾ .

(١) انظر ص ٤٧، من البحث.

(٢) المحرر الوجيز: ٨٦/٨، ٨٧، مصدر سابق.

(٣) انظر: ص ٤٨، من البحث.

(٤) جامع البيان: ٣٠٨/٧، مصدر سابق.

(٥) انظر: ص ١٠٨، من البحث.

(٦) معالم التنزيل: ٢٨١/٤، مصدر سابق.

(٧) انظر: ص ١٠٧، من البحث.

(٨) أنوار التنزيل: ٣١٠/٣، مصدر سابق.

(٩) انظر: ص ١١١، من البحث.

(١٠) الكشف: ٢٧٦/٢ . ومن المتأخرين: ابن كثير: ٤٩٢/٢، مصدران سابقان.

(١١) معالم التنزيل: ٢٨٢/٤، مصدر سابق.

مَنْسِيًّا ﴿١﴾ وقوله ﷺ في الدعاء المشهور: "وإذا أردت فتنة قوم، فتوفني غير مفتون." (٢).

والراجح والله أعلم هو القول الأول، لما ذكره ابن تيمية (٣)، وابن عطية (٤). رحمهما الله. ويضاف إلى ذلك وجهان آخران:

أحدهما: أن يوسف . ﷺ . لم يتمن الموت وهو في خضم الفتنة ولججها، وأي فتنة . بعد الشرك بالله . أعظم من فتنة النساء، وأن يرمى الإنسان في عرضه، وقد صح عنه ﷺ أنه قال: " ما تركت بعدي فتنة أضر على الرجال من النساء" (٥)، أولما زالت عنه الفتنة، واستقرت أحواله، راح يتمنى الموت!.

وبهذا يجاب عن احتجاجهم بما حكاه الله عن مريم . عليها السلام .، فإنها إنما قالت ذلك في عز بلائها وفتنتها. وكذلك قوله ﷺ: " وإذا أردت فتنة قوم . " (٦).

الثاني: أن يوسف . ﷺ . لما قال قولته هذه كان قد طعن في السن، وأحس بدنو أجله، فالموت آت قريب لا محالة، سأله أم لم يسأله. ولو قال ذلك في عز شبابه، لاحتمل أنه أراد سؤال الموت، والله تعالى أعلم.

(١) سورة مريم الآية ٢٣

(٢) جزء من حديث أخرجه الترمذي في كتاب التفسير، باب: ومن سورة ص: ٨٩٨، برقم: ٣٢٤٩، وقال: " هذا حديث حسن صحيح ". وأخرجه أحمد بلفظ مقارب: ١/٤٦٠، برقم: ٣٤٨٣. وصححه أحمد شاكر في تعليقه على المسند: ١٨٦/٥.

(٣) انظر: ص ٤٨، من البحث.

(٤) انظر: ص ٤٦، من البحث.

(٥) أخرجه البخاري في كتاب النكاح، باب ما يتقى من شؤم المرأة: ١٩٥٩/٥، برقم: ٤٨٠٨، ومسلم في كتاب الرقاق، باب: أكثر أهل الجنة الفقراء، وأكثر أهل النار النساء، وبيان الفتنة بالنساء: ٦٩٣، برقم: ٢٧٤٠.

(٦) انظر: ص ١٧١، من البحث.

المسألة العشرون

قوله تعالى: ﴿ . . . إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴾^(١).

المسألة: معنى ﴿وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾.

قال الامام النسفي رحمه الله في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ﴾ إنما أنت رجل أرسلت منذراً مخوفاً لهم من سوء العاقبة وناصحاً كغيرك من الرسل.

وما عليك إلا الإتيان ما يصح به أنك رسول منذر وصحة ذلك حاصلة بأي آية كانت والآيات كلها سواء في حصول صحة الدعوى بها^(٢).

الدراسة، والترجيح:

حاصل الأقوال في هذه الآية سبعة^(٣):

أحدها: أن المراد بالهادي هو الله ﷻ. وهو مروى عن ابن عباس^(٤)، وسعيد ابن جبير^(٥)، ومجاهد^(٦)، والضحاك^(٧)، والنخعي^(٨).

(١) سورة الرعد الآية ٧

(٢) تفسير النسفي ، ٢ / ١٤٣ ، ١٤٤ ، مصدر سابق.

(٣) جامع البيان: ٣٤٢-٣٤٤ ، وزاد المسير: ٧٢٦ ، مصدران سابقان.

(٤) انظر ص ٤٧ ، من البحث.

(٥) انظر: ص ٧٩ ، من البحث.

(٦) انظر: ص ٤٧ ، من البحث.

(٧) انظر: ص ٧٩ ، من البحث.

(٨) هو : إبراهيم النَّخَعِي ، أبو عمران بن يزيد بن قيس بن الأسود الكوفي ، فقيه العراق ، دخل على عائشة وهو صبي ، قال الأعمش : كان إبراهيم صرفياً في الحديث ، وكان يتوقى الشهرة ، مات كهلاً آخر سنة - ٩٥ هـ . طبقات علماء الحديث، ١/١٤٥ ، مصدر سابق.

الثاني: أن الهادي هو النبي، أي: لكل قوم نبي يهديهم. وهو مروى عن الحسن^(١)، وعطاء^(٢)، وقتادة^(٣)، وابن زيد^(٤). وهو الذي اختاره الامام النسفي.

الثالث: أنه الداعي، وهو مروى عن ابن عباس^(٥) أيضا. وهو في معنى الذي قبله.

الرابع: أنه رسول الله ﷺ. قاله عكرمة^(٦).

الخامس: أنه العمل. قاله أبو العالية^(٧).

السادس: أنه القائد إلى الخير أو إلى الشر. وهو مروى عن ابن عباس أيضا.

السابع: أنه علي ﷺ.

وقد وافق النسفي في ما ذهب إليه: ابن قتيبة^(٨)، والنحاس^(١٠)، والواحدي^(١٣)، والبغوي^(٤)، وابن الجوزي^(١٥).

(١) انظر: ص ٥٠، من البحث.

(٢) انظر: ص ٧٩، من البحث.

(٣) انظر: ص ٤٩، من البحث.

(٤) انظر: ص ٤٧، من البحث.

(٥) انظر ص ٤٧، من البحث.

(٦) انظر: ص ٤٩، من البحث.

(٧) هو: رفيع بن مهران، أبو العالية الزياحي البصري، الإمام المقرئ الحافظ المفسر، كان مولى لامرأة من بني رياح من بني تميم، أدرك زمان النبي - صلى الله عليه وسلم - وهو شاب وأسلم في خلافة أبي بكر، قال ابن أبي داود: وليس أحد بعد الصحابة أعلم بالقرآن من أبي العالية، مات في سؤال سنة - ٩٠ هـ. سير أعلام النبلاء: ٤/٢٠٧، مصدر سابق.

(٨) انظر: ص ١١١، من البحث.

(٩) تأويل مشكل القرآن ٤٤٣، لـ أبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة. المكتبة العلمية. المدينة المنورة، ٣-١٤٠١ هـ.

(١٠) انظر: ص ١٠٣، من البحث.

(١١) معاني القرآن: ١/٦٦، و ٣/٤٧٣، مصدر سابق.

(١٢) انظر: ص ٨٠، من البحث.

(١٣) الوجيز: ١/٥٦٦، مصدر سابق.

(١٤) معالم التنزيل: ٤/٢٩٦. مصدر سابق.

(١٥) انظر: ص ١٠٥، من البحث.

(١٦) تذكرة الأريب: ١/٢٧١. واختاره من المتأخرين ابن تيمية، في منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة والقدرية ٤/٣٩، ط: دار الكتب العلمية، بيروت. الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ٢/٩٩، ١٠٠، لشيخ الإسلام: ط ٢؛ الرياض: دار العاصمة: ١٤١٩ هـ. ت: د. علي بن حسن، ود. عبد العزيز العسكر، ود. حمد الحمدان. و البقاعي: ٤/١٢٨، والسيوطي: ١/٣٢٢، والألوسي: ١٣/١٠٧، والسعدي: ٤/٩٢، وابن عاشور: ١٢/١٤٩، والشنقيطي: ٣/٨٠.

قال النحاس^(١) . رحمه الله .: " والذي يذهب إليه جماعة من أهل اللغة من المعنى: أنهم لما اقترحوا الآيات، أعلم الله . جل وعز . أن لكل قوم نبيا يهديهم ويبين لهم، وليس عليه أن يأتيهم من الآيات بما يقترحون ."

واختار القول الرابع . وهو أن الهادي محمد ﷺ .: الجصاص^(٢)، وابن عطية^(٣) .

قال ابن عطية^(٤) . رحمه الله .: " كأنه قال: إنما أنت منذر وهاد لكل قوم . فيكون هذا المعنى يجري مع قوله عليه الصلاة والسلام: " بعثت إلى الأحمر والأسود "^(٥) ولم أر أحدا من المفسرين . حسب اطلاعي . اختار واحدا من الأقوال الأخرى^(٦)، لكن بعضهم جعل هذه الأقوال كلها محتملة، كالطبري^(٧) . رحمه الله .^(٨) .

وبعضهم جوز اثنين منها:

(١) انظر: ص ١٠٣، من البحث.

(٢) انظر: ص ١٥١، من البحث.

(٣) أحكام القرآن: ٣/١٨٠، مصدر سابق.

(٤) انظر: ص ٤٦، من البحث.

(٥) المحرر الوجيز: ٨/١٢٧، مصدر سابق.

(٦) انظر: ص ٤٦، من البحث.

(٧) الحديث بطوله أخرجه مسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة: ١٢٧، برقم: ٥٢١، عن جابر بن عبد الله. ولفظ الشاهد: " وبعثت إلى كل أحمر وأسود ."

(٨) اختار ابن المطهر وغيره من الرافضة القول الأخير، وهو أن الهادي علي . ﷺ .، وجعل هذه الآية من البراهين على أحقية علي بالإمامة، محتجا بحديث موضوع في تفسير هذه الآية. وقد رد عليه ابن تيمية، ردا شافيا وافيا. منهاج السنة النبوية: ٤/٣٨، ٣٩ وينظر من كتبهم: الكافي ١/١٩٢، لأبي جعفر محمد بن يعقوب بن إسحاق الكليني: ط: طهران. وبحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار ٢/٢٧٩، لمحمد باقر محمد تقي المجلسي: طهران: دار الكتب الإسلامية.

(٩) انظر: ص ٤٨، من البحث.

(١٠) جامع البيان: ٧/٣٤٤، مصدر سابق.

إمّا القول الأول والثالث، كما ذهب إلى ذلك الزمخشري^(١)، والقرطبي^(٣)، والبيضاوي^(٥).

وإمّا الثاني والثالث، كما ذهب إلى ذلك مكي بن أبي طالب، فإنه قال: " ﴿وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾: هاد: ابتداء. وما قبله خبر، وهو ﴿وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾: واللام متعلقة بالاستقرار أو الثبات. ويجوز أن يكون ﴿هَادٍ﴾: عطف على ﴿مُنذِرٌ﴾: فنكون اللام متعلقة بمنذر أو بهاد. تقديره: فإنما أنت منذر وهاد لكل قوم"^(٧).

وأرجح هذه الأقوال: القول الذي اختاره الإمام النسفي ومن وافقه، وذلك من وجوه:

أحدها: أنه هو الذي دل عليه سياق الآيات كما ذكر النحاس^(٨) عن جماعة من أهل اللغة.

الثاني: أنه هو الذي يدل عليه لفظ الآية وتركيبها، فإن من المعلوم أنه ﷺ كما أنه هاد لكل قوم . على تفسيرهم . فإنه أيضا منذر لهم جميعا. ولو كان هذا هو المعنى المراد، لقال: إنما أنت لكل قوم منذر وهاد. فلم فرق بين النذارة والهداية، وحكهما واحداً؟. وبهذا يجاب على من قال إن الهادي محمد.

(١) انظر: ص ١١١، من البحث.

(٢) الكشف: ٢٨٠/٢، مصدر سابق.

(٣) انظر: ص ٨١، من البحث.

(٤) الجامع لأحكام القرآن: ٢٨٥/٩، مصدر سابق.

(٥) انظر: ص ١٠٧، من البحث.

(٦) أنوار التنزيل: ٣١٩/٣، مصدر سابق.

(٧) مشكل إعراب القرآن، ١/٣٩٧. ل مكي بن أبي طالب القيسي . ت: ياسين محمد السواس ط: دار المأمون للتراث . دمشق ، ٢ - ١٤٢١ هـ.

(٨) انظر: ص ١٠٣، من البحث.

الثالث: أن الله لما ذكر الأنبياء في القرآن جعل لكل نبي قوما، فذكر قوم نوح، وقوم موسى، وقوم لوط، وقوم صالح، وقوم هود، وقوم محمد، كما قال تعالى: ﴿ . إذا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ﴾^(١)، ولو كان المراد بالهادي محمداً أو غيره لقال: . إنما أنت منذر ولقومك هاد). فلما ذكر (كل) . وهي من ألفاظ العموم .، ونكر لفظ (قوم) و (هاد)، دل على أن المراد عموم الأقبام السابقة واللاحقة، وتعدد الأقبام والهداة. ويدل عليه الوجه:

الرابع: أنه قد ورد في القرآن نظير هذا المعنى، وهو قوله تعالى: ﴿وإن من أمة إلا خلا فيها نذير﴾^(٢) وأما حديث: " بعثت إلى كل أحمر وأسود "^(٣)، فالمراد عموم بعثته ﷺ لجميع الناس من العرب وغيرهم دون الأمم السابقة.

(١) سورة الزخرف الآية ٥٧.

(٢) سورة فاطر الآية ٢٤.

(٣) انظر: ص ١٧٥، من البحث.

المسألة الحادية والعشرون

قول الله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾^(١).

المسألة: ما المراد بذكر الله الذي تطمئن به القلوب؟

قال الامام النسفي رحمه الله في تفسير الآية ﴿وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ﴾ تسكن ﴿بِذِكْرِ اللَّهِ﴾ على الدوام أو بالقرآن أو بوعده ﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ بسبب ذكره تطمئن قلوب المؤمنين^(٢)

اختار الامام النسفي رحمه الله أن المراد بذكر الله الذي تطمئن به القلوب هو حمله على العموم ويدخل فيه كلام الله ﷻ، الذي هو القرآن، دخولاً أولاً وكذا قال بوعده وقد قرر ذلك في تفسير هذه الآية:

(قول الله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ . . وفي ذكر الله هاهنا قولان:

أحدهما: أن المراد بذكر الله هنا الحلف واليمين؛ إذا حلف المؤمن على شيء سكنت قلوب المؤمنين إليه واطمأنت. ويروى هذا عن ابن عباس رضي الله عنهما^{(٣)(٤)}.

(١) سورة الرعد الآية ٢٨

(٢) تفسير النسفي، ٢/ ١٥٤، مصدر سابق.

(٣) انظر ص ٤٧، من البحث.

(٤) عزاه إليه البغوي في معالم التنزيل للبغوي ٣١٥/٤ بدون إسناد. مصدر سابق.

والقول الثاني: ومنهم من قال: بل هو ذكر العبد ربه بينه وبينه، يسكن إليه قلبه ويطمئن. ومنهم من خصه بالقرآن، وهو ذكره الذي أنزله على رسوله، به طمأنينة قلوب المؤمنين؛ فإن القلب لا يطمئن إلا بالإيمان واليقين، ولا سبيل إلى حصول الإيمان واليقين إلا من القرآن؛ فإن سكون القلب وطمأنينته من يقينه، واضطرابه وقلقه من شكه، والقرآن هو المحصل لليقين، الدافع للشكوك والظنون والأوهام، فلا تطمئن قلوب المؤمنين إلا به. وهذا القول هو المختار.

وأما تأويل من تأوله على الحلف ففي غاية البعد عن المقصود؛ فإن ذكر الله بالحلف يجري على لسان الصادق والكاذب، والبر والفاجر، والمؤمنون تطمئن قلوبهم إلى الصادق ولو لم يحلف، ولا تطمئن قلوبهم إلى من يرتابون فيه ولو حلف^(١)

الدراسة، والترجيح:

الأقوال المأثورة في تفسير " ذكر الله " هنا ترجع إلى القولين السابقين. وأما موقف أئمة التفسير، فيظهر من خلال هذا العرض:

لم يشر ابن جرير^(٢) إلى وقوع خلاف في تفسير الذكر هنا، كما أنه لم يبين المراد به واقتصر على ذكر بعض الآثار في تفسير الآية، وليس فيها كذلك نص صريح في بيان المراد بذكر الله ﷻ^(٣).

وكذلك ابن عطية^{(٤)(٥)}، وابن كثير^{(٦)(٧)}؛ غير أنهما لم يذكرنا شيئاً من الآثار في تفسير الآية.

(١) مدارج السالكين ٣/٤٠٨-٤١٠، وبدائع التفسير ٢/٤٩٧-٤٩٨. (بتصرف) مصدران سابقان.

(٢) انظر: ص ٨٢، من البحث.

(٣) جامع البيان ١٦/٤٣٢، مصدر سابق.

(٤) انظر: ص ٤٦، من البحث.

(٥) المحرر الوجيز ٨/١٦٦، مصدر سابق.

(٦) انظر: ص ٨١، من البحث.

(٧) تفسير القرآن العظيم ٤/١٨٩٤، مصدر سابق.

وما أورده الرازي^(١) في تفسير الآية يدل على أنه يرى أن المراد بـ"ذكر الله" هنا:

القرآن؛ فقد بدأ تفسيره للآية بقوله: (قال ابن عباس^(٢): يريد إذا سمعوا القرآن خشعت قلوبهم واطمأننت.) ولم يذكر بعد ذلك ما يدل على تفسير الذكر بغير هذا القول^(٣).

وأما القرطبي^{(٤)(٥)}، وأبو حيان^{(٦)(٧)}؛ فذكرا عدة احتمالات في المراد بذكر الله الذي تطمئن به القلوب، ومنها القولان المذكوران، ولم يذكرنا ترجيحاً أو اختياراً. وسياق كلامهما يدل على جواز تفسير الآية بهذين القولين.

وذكر ابن عاشور^(٨) هذين القولين كوجهين جائزين، وحكم على القول الذي اختاره النسفي بأنه المناسب لقول الله ﷻ حكاية عن الكفار: ﴿ . لَوْلَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ آيَةً مِنْ رَبِّهِ إِئْمَانًا ﴾^{(٩)(١٠)}.

وممن حكم على الأقوال المنقولة في تفسير هذه الآية: الألوسي^(١١)؛ فقد قال في تفسيره: ("بذكر الله": أي: بكلامه المعجز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من

(١) انظر: ص ٤١، من البحث.

(٢) انظر ص ٤٧، من البحث.

(٣) التفسير الكبير ١٩/٣٩-٤٠، مصدر سابق.

(٤) انظر: ص ٨١، من البحث.

(٥) الجامع لأحكام القرآن ٩/٣١٥، مصدر سابق.

(٦) انظر: ص ٨١، من البحث.

(٧) البحر المحيط ٦/٣٨٥، مصدر سابق.

(٨) انظر: ص ٨٣، من البحث.

(٩) سورة الرعد الآية ٢٧

(١٠) التحرير والتنوير ١٣/١٣٧، مصدر سابق.

(١١) هو: محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي البغدادي، أبو الثناء، شهاب الدين، مفسر محدث أديب. من

مؤلفاته: روح المعاني في التفسير - وهو من التفاسير الكبيرة الجامعة - ، ودقائق التفسير. توفي سنة ١٢٧٠هـ.

الأعلام ٧/١٧٦، مصدر سابق.

خلفه، وهو المروى عن مقاتل^(١)^(٢). وإطلاق الذكر على ذلك شائع في الذكر، ومنه قوله تعالى: ﴿وَهَذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ﴾^(٣)، و ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾^(٤) ثم ذكر وجوها أخرى، منها:

الوجه الثاني: في الكلام مضاف مقدر، أي: لتطمئن قلوبهم بذكر رحمته تعالى ومغفرته بعد القلق والاضطراب من خشيته. وهذا مناسب للإجابة إليه تعالى.

والوجه الثالث: المراد بذكر الله: ذكر دلائله سبحانه الدالة على وحدانيته، والمؤدية إلى الاطمئنان عن قلق الشك والتردد. وهذا مناسب لذكر الكفر، ووقوعه في مقابله. ثم قال: (والوجه الأول أشد ملاءمة للنظم، لاسيما لقوله تعالى: ﴿لَوْلَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهِ آيَةً مِّن رَّبِّهِ﴾^(٥)). (ومن الغريب ما نقل في تفسير الخازن^(٦)^(٧) أن هذا في الحلف بالله؛ وذلك أن المؤمن إذا حلف له بالله تعالى سكن قلبه. وروى نحو ذلك أبو الشيخ عن السدي^(٨)^(٩)؛ فإن الحمل عليه هنا مما لا يناسب المقام^(١٠)). والتعليل الذي نبه عليه

(١) انظر: ص ١٣٠، من البحث.

(٢) تفسير مقاتل بن سليمان ٣٧٧/٢ ت: الدكتور عبدالله شحاته ط١: دار إحياء التراث العربي، بيروت ١٤٢٣ هـ.

(٣) سورة الأنبياء الآية ٥٠.

(٤) سورة الحجر الآية ٩

(٥) سورة الرعد الآية ٢٧

(٦) هو: علي بن محمد بن إبراهيم الشيعي، خازن كتب المدرسة السميّساطية، اشتهر بالخازن لذلك. كان من أهل العلم، جمع وألف وحدّث ببعض مصنّفاته، ومنها: تفسيره المشهور: لباب التأويل في معاني التنزيل، ومقبول المنقول - جمع فيه أحاديث عشرة من كتب السنة في عشر مجلدات - توفي سنة ٦٤١ هـ. طبقات المفسرين للداودي ٤٣٦/١-٤٢٧، ومعجم المفسرين لنويهض ٣٧٩/١، مصدران سابقان.

(٧) هذا التفسير مذكور في تفسير معالم التنزيل للبعوي ٣١٥/٤، وعزاه لابن عباس بدون إسناد. وتفسير البغوي هو التفسير الذي اعتمده الخازن، واختصر تفسيره منه.

(٨) انظر: ص ١٣١، من البحث.

(٩) الدر المنثور للسيوطي ٤٣٥/٨، مصدر سابق.

(١٠) روح المعاني للآلوسي ١٣ / ١٤٩، مصدر سابق.

الآلوسي^(١) لاختيار القول الثاني، وهو أنه أشد ملاءمة للنظم؛ هو أقوى ما يدل على تقديم هذا القول، وقد نبه عليه أبو السعود^(٢) قبله^(٣)، وذكره ابن عاشور^(٤) أيضا.

وبيان هذا الوجه أن الآية التي قبل هذه الآية هي قول الله ﷻ: ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أُنَابَ﴾^(٥)، ثم قول الله تعالى بعدها بقليل: ﴿كَذَلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهَا أُمَمٌ لَتَتَلَوُنَّ عَلَيْهِمُ الَّذِينَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ..﴾^(٦)، ثم قول الله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كُفِّرَتْ بِهِ أَلْمُوتَى...﴾^(٧) فكل هذه الآيات نازلة في شأن القرآن الكريم، وفيها بيان عظمته، وشدة تأثيره؛ فتفسير " ذكر الله " الذي تطمئن به القلوب به أنسب للسياق، وأوفق للنظم الكريم.

لا يخفى أن لفظ " ذكر " مفرد مضاف إلى معرفة، وهو لفظ الجلالة " الله "؛ وقد تقرر في الأصول أن المفرد المضاف إلى معرفة من صيغ العموم؛ وعليه فقول الله ﷻ: ﴿الَّذِينَ يَدْعُونَ إِلَى الْفِتْنِ أُولَئِكَ يَحْمِلُونَ فِيهِمْ إِثْمَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَلَوْ أَنَّهُمْ فَمَعَرَتُوا فِي إِثْمِهِمْ لَمَسَّ عِظْمَهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا شَاقِينَ﴾^(٨) يحمل على عمومه، ويشمل كل أنواع الذكر. ولا وجه لتخصيص نوع منها، إلا بحجة يجب التسليم لها.

(١) انظر: ص ١٨١، من البحث.

(٢) هو: محمد بن محمد بن مصطفى العمادي الحنفي، فقيه، أصولي، مفسر، ولي القضاء في القسطنطينية وغيرها، ثم تولى الإفتاء، من مصنفاته: تفسيره: إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، وتهافت الأمجاد في الفقه الحنفي، توفي عام ٩٨٢هـ في القسطنطينية. الأعلام ٥٩/٧، ومعجم المفسرين لنويهض ٢/٦٢٥-٦٢٦، مصدران سابقان.

(٣) إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم ٢٠/٥، مصدر سابق.

(٤) انظر: ص ٨٣، من البحث.

(٥) سورة الرعد الآية ٢٧

(٦) سورة الرعد الآية ٣٠

(٧) سورة الرعد الآية ٣١

وإذا تقرر هذا؛ فذكر العبد لربه تعالى، وذكر الله الذي هو كلامه معنيان صحيحان في تفسير الآية، وقد يكون أحدهما أظهر في هذه الآية لاعتبار معين، وظهوره لا يعني رد القول الآخر.

والمتأمل للسياق الذي وردت فيه هذه الآية يظهر له بجلاء أن التفسير الذي اختاره النسفي وغيره هو أظهر الأقوال - كما سبق إيضاح ذلك قريبا -.

وأما القول الذي استبعده، الألوسي^(١)، و ابن القيم^(٢) وهو تفسير ذكر الله هنا بالحلف؛ فلا شك في ضعفه؛ لأنه - وإن كان داخلا في عموم اللفظ من جهة اللغة - بعيد من جهة المعنى كما أوضح ذلك الألوسي و ابن القيم في كلامهما السابق ذكره. ومن الوجوه التي ترد هذا القول أيضا: أنه لا يعرف في الشرع إطلاق "ذكر الله" على اليمين؛ فلا يقال لمن يطلب منه الحلف: اذكر الله.

وثمرت الخلاف: على القول بأن المراد بذكر الله الذي يطمئن به القلب: ذكر العبد لربه يكون الذكر مصدر أضيف إلى مفعوله، ويكون المراد بالطمأنينة: ما يحصل للقلب من الأنس بالله تعالى، والفرح بذكره وطاعته؛ (فإنه لا شيء ألد للقلوب، ولا أحلى من محبة خالقها والانس به ومعرفة، وعلى قدر معرفتها بالله ومحبتها له يكون ذكرها له)^(٣).

وعلى القول الذي اختاره الامام النسفي يكون الذكر مصدر أضيف إلى فاعله، (ويكون معنى طمأنينة القلب بذكر الله: أنها حين تعرف معاني القرآن وأحكامه تطمئن لها؛

(١) انظر: ص ١٨١، من البحث.

(٢) انظر: ص ٦٩، من البحث.

(٣) تيسير الكريم الرحمن للسعدي ٤٧٣، مصدر سابق.

فإنها تدل على الحق المبين المؤيد بالأدلة والبراهين، وبذلك تطمئن القلوب؛ فإنها لا تطمئن إلا باليقين والعلم، وذلك في كتاب الله مضمون على أتم الوجوه وأكملها^(١).

و تفسير ذكر الله في هذه الآية بالحلف به من الأقوال الضعيفة المردودة، وهذا يدل على أنه ليس كل ما صح لغة صح تفسيراً.

(١) تيسير الكريم الرحمن للسعدي ٤٧٣، مصدر سابق.

المسألة الثانية والعشرون

قول الله تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ^ط وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾^(١)

المسألة: الكلام على قوله تعالى: ﴿لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾.

قال الامام النسفي رحمه الله: ﴿لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ نعمة إلى نعمة فالشكر قيد الموجود وصيد المفقود وقيل إذا سمعت النعمة نعمة الشكر تأهبت للمزيد وقال ابن عباس^(٢) رضي الله عنهما لئن شكرتم بالجد في الطاعة لأزيدنكم بالجد في المثوبة.^(٣) وقال ابن المبارك: سمعت علي بن صالح^(٤) يقول في قوله تعالى: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾، قال: أي من طاعتي.^(٥)

والتحقيق أن الزيادة من النعم، وطاعته من أجل نعمه.^(٦)

الدراسة:

(١) سورة إبراهيم الآية ٧

(٢) انظر ص ٤٧، من البحث.

(٣) تفسير النسفي، ١٦٣/٢، مصدر سابق.

(٤) هو: علي بن صالح بن حي الهمداني، أبو محمد، ويقال: أبو الحسن الكوفي. أحد المحدثين الثقات، روى عن أبيه، وعن أبي إسحاق السبيعي، وروى عنه سفيان بن عيينة، ووكيع ابن الجراح. توفي سنة ١٥١هـ، وقيل: بعد ذلك. الجرح والتعديل ١٩٠/٦، وميزان الاعتدال ١٣٢/٣، مصدران سابقان.

(٥) أخرجه ابن جرير ٥٢٧/١٦ من طريقين. مصدر سابق.

(٦) عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين ٢٤٣-٢٤٤، ل ابن قيم الجوزية ط: دار الكتاب العربي . بيروت ، ٢ - ١٤٠٧هـ.

اختار الامام النسفي رحمه الله أن الزيادة التي وعد الله ﷻ بها من شكره هي الزيادة من النعم، والنعم يدخل فيها كل ما أنعم الله به على عباده، ومن أجلها: نعمة التوفيق لطاعته.

وقبل التعليق على كلام الامام النسفي؛ أذكر أقوال أئمة التفسير في هذه المسألة:

فسر ابن جرير^(١) الآية بقوله: (لئن شكرتم ربكم بطاعتكم إياه فيما أمركم ونهاكم لأزيدنكم في أياديه عندكم ونعمه عليكم على ما قد أعطاكم من النجاة من آل فرعون والخلص من عذابهم.)

ثم قال: (وقيل في ذلك قول غيره) وذكر قول علي بن صالح السابق، ورواه أيضا عن سفيان^(٢)، والحسن^(٣).

وقد تعقب ابن جرير هذا القول بقوله: (ولا وجه لهذا القول يفهم؛ لأنه لم يجر للطاعة في هذا الموضع ذكر، فيقال: إن شكرتموني عليها زدكم منها، وإنما جرى ذكر الخبر عن إنعام الله على قوم موسى بقوله: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾^(٤)، ثم أخبرهم أن الله أعلمهم إن شكروه على هذه النعمة زادهم؛ فالواجب في المفهوم أن يكون معنى الكلام: زادهم من نعمه، لا مما لم يجر له ذكر من الطاعة. إلا أن يكون أريد به: لئن شكرتم فأطعتموني بالشكر لأزيدنكم من أسباب الشكر ما يعينكم عليه، فيكون ذلك وجهاً).^(٥) ولم يرتض ابن عطية^(٦) حكم ابن جرير

(١) انظر: ص ٨٢، من البحث.

(٢) انظر: ص ٤٧، من البحث.

(٣) انظر: ص ٥٠، من البحث.

(٤) سورة إبراهيم الآية ٦

(٥) جامع البيان ٥٢٧/١٦، مصدر سابق.

(٦) انظر: ص ٤٦، من البحث.

السابق، حيث قال: (وحكى الطبري^(١) عن سفيان^(٢)، وعن الحسن^(٣) أنهما قالوا: معنى الآية لئن شكرتم لأزيدنكم من طاعتي. وضعفه الطبري، وليس كما قال، بل هو قوي حسن؛ فتأمل). وكان قد بين أنه لا مانع من حمل الزيادة على الزيادة من نعيم الدنيا والآخرة^(٤).

وفسر الرازي^(٥) الزيادة بالزيادة من النعم، ثم ذكر أنه يدخل فيها النعم الروحانية، والنعم الجسمانية^(٦).

وذكر القرطبي^(٧) ثلاثة أقوال في ذلك، وهي:

الأول: لئن شكرتم إنعامي لأزيدنكم من فضلي.

الثاني: لئن شكرتم نعمتي لأزيدنكم من طاعتي.

الثالث: لئن وحدتم وأطعتم لأزيدنكم من الثواب.

ثم قال: (والمعنى متقارب في هذه الأقوال)^(٨).

وكذلك أبو حيان^(٩)؛ ذكر هذه الأقوال الثلاثة، ثم قال: (ولم يبين محل الزيادة، فاحتمل أن يكون في الدنيا أو في الآخرة، أو فيهما)^(١٠).

(١) انظر: ص ٤٨، من البحث.

(٢) انظر: ص ٤٧، من البحث.

(٣) انظر: ص ٥٠، من البحث.

(٤) المحرر الوجيز ٢٠٥/٨، مصدر سابق.

(٥) انظر: ص ٤١، من البحث.

(٦) التفسير الكبير ٦٨/١٩، مصدر سابق.

(٧) انظر: ص ٨١، من البحث.

(٨) الجامع لأحكام القرآن ٣٤٣/٩، مصدر سابق.

(٩) انظر: ص ٨١، من البحث.

(١٠) البحر المحيط ٤١١/٦، مصدر سابق.

واقترع ابن كثير^(١) على تفسير ذلك بالزيادة من النعم، فقال: (لئن شكرتم نعمتي عليكم لأزيدنكم منها)^(٢).

وقصر ابن عاشور^(٣) تفسير الآية على ما دل عليه سياقها، وبين أن حذف مفعولي الفعلين يدل على العموم، فقال: (والشكر مؤذن بالنعمة. فالمراد: شكر نعمة الإنجاء من آل فرعون وغيرها؛ ولذلك حذف مفعول "شكرتم" ومفعول "لأزيدنكم" ليقدر عاما في الفعلين)^(٤).

وقد حكم الألوسي^(٥) على تفسير الزيادة بغير الزيادة من النعم: كالزيادة من الثواب، أو من الطاعة؛ بأنها خلاف الظاهر.^(٦)

النتيجة:

الخطب في هذه المسألة يسير، والمعنى متقارب بين الأقوال المذكورة في تفسير الزيادة والتحقيق فيها هو ما قرره الامام النسفي رحمه الله؛ فكلامه مختصر جامع لما نقل في تفسير هذا الموضوع من الأقوال.

سبب الخلاف - كما هو ظاهر - حذف متعلق الفعل "لأزيدنكم".

ومن أسباب الخلاف هنا أيضا: اختلافهم في حمل المعنى على العموم أو الخصوص.

و القاعدة في مثل هذا المثال: أن حذف المتعلق يفيد العموم النسبي.

(١) انظر: ص ٨١، من البحث.

(٢) تفسير القرآن العظيم ٤/١٩١٤، مصدر سابق.

(٣) انظر: ص ٨٣، من البحث.

(٤) التحرير والتنوير ١٣/١٩٣، مصدر سابق.

(٥) انظر: ص ١٨١، من البحث.

(٦) روح المعاني ١٣/١٩٠-١٩١، مصدر سابق.

المسألة الثالثة والعشرون

قول الله تعالى: ﴿مَنْ وَرَّأَيْهِ جَهَنَّمُ وَسُقِيَ مِنْ مَاءٍ صَدِيدٍ ﴿١٦﴾ يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ، وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِنْ وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ ﴿١٧﴾﴾^(١).

المسألة: معنى ﴿وَرَّأَيْهِ﴾ في الآية.

قال الامام النسفي في تفسير هذه الآية: ﴿مَنْ وَرَّأَيْهِ﴾ من بين يديه ﴿جَهَنَّمُ﴾ وهذا وصف حاله وهو في الدنيا لأنه مرصد لجهنم فكأنها بين يديه وهو على شفيرها أو وصف حاله في الآخرة حيث يبعث ويوقف ﴿وَسُقِيَ﴾ معطوف على محذوف تقديره من ورائه جهنم يلقي فيها ما يلقي ويسقى^(٢).

الدراسة:

وافق الامام النسفي في اختياره ابن جرير^(٣)^(٤)، وابن كثير^(٥)^(٦) والشنقيطي^(٧)^(٨). وممن ذهب إلى هذا القول من أهل اللغة: أبو عبيدة^(٩)^(١٠)، والزجاج^(١١)^(١٢)،

(١) سورة إبراهيم الآيتان ١٦، ١٧

(٢) تفسير النسفي، ١٦٧/٢، مصدر سابق.

(٣) انظر: ص ٨٢، من البحث.

(٤) جامع البيان ١٦/٥٤٦-٥٤٧، مصدر سابق.

(٥) انظر: ص ٨١، من البحث.

(٦) تفسير القرآن العظيم ٤/١٩١٧، مصدر سابق.

(٧) انظر: ص ٦٤، من البحث.

(٨) أضواء البيان للشنقيطي ٣/٩٦-٩٧. و تفسير الشعراوي، ١٢/٧٤٦٤ ل محمد متولي الشعراوي (المتوفى: ١٤١٨ هـ) ط: مطابع أخبار اليوم ١٩٩٧ م

(٩) أبو عبيدة معمر بن المثنى البصري اللغوي العلامة الأخبار ، صاحب التصانيف ، روى عن هشام ابن عروة وأبي عمرو بن العلاء ، وكان أحد أوعية العلم ، مات سنة ٢١٠ هـ وقيل : ٢١١ هـ . العبر في خبر من غير . ٢٨٢/١ ، ل شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي .

ت: صلاح الدين المنجد، ط: دائرة المطبوعات والنشر . الكويت ، ٢- ١٩٨٤ م. وتهذيب التهذيب ٤/١٢٦ ، ١٢٧ ، مصدر سابق.

(١٠) مجاز القرآن ١/٣٣٧، ل أبي عبيدة معمر بن المثنى. ت: محمد فؤاد سزكين، ط: مكتبة الخانجي . القاهرة، ٢- ١٣٩٠ هـ.

(١١) انظر: ص ٤٧، من البحث.

(١٢) معاني القرآن وإعرابه ٣/١٥٦-١٥٧، مصدر سابق.

والنحاس^(١)^(٢)، وابن الأنباري^(٣)^(٤) على اختلاف بينهم: هل هذا اللفظ من الأضداد أم لا؟؛ فالزجاج^(٥)، والنحاس^(٦) ينفيان كون هذا اللفظ من الأضداد، ويقولان: هو من توارى واستتر. غير أن أكثر أهل اللغة على أن وراء من الأضداد.^(٧)

وممن ذهب إلى القول الثاني الثعلبي^(٨)^(٩) وابن جزي^(١٠) وابن عطية^(١١)^(١٢).

وأما الرازي^(١٣)^(١٤)، وأبو حيان^(١٥)^(١٦)؛ فاقصرا هنا على ذكر الأقوال في هذه المسألة، ولم يذكرنا ترجيحاً أو اختياراً لأي من هذه الأقوال. وقد بين أبو حيان رأيه في هذه

(١) انظر: ص ١٠٣، من البحث.

(٢) معاني القرآن ٥٢٢/٣، مصدر سابق.

(٣) انظر: ص ١٣١، من البحث.

(٤) كتاب الأضداد للأنباري ٦٨، مصدر سابق.

(٥) انظر: ص ٤٧، من البحث.

(٦) انظر: ص ١٠٣، من البحث.

(٧) نقله أبو حيان في البحر المحيط ٢١٤/٧ عن أبي علي الفارسي، مصدر سابق.

(٨) هو أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أبو إسحاق، مفسر له اشتغال بالتاريخ، من مؤلفاته: الكشف والبيان في تفسير القرآن، وعرائس المجالس في قصص الأنبياء، توفي سنة ٤٢٧ هـ. وفيات الأعيان ٧٩/١ ترجمة رقم (٣١)، وطبقات المفسرين للداوودي ٦٥/١ ترجمة رقم (٥٩)، مصدران سابقان.

(٩) تفسير الثعلبي: الكشف والبيان في تفسير القرآن ٣١٠/٥. ل أبي إسحاق أحمد الثعلبي. ت: سيد كسروي حسن، ط: دار الكتب العلمية. بيروت، ١-١٤٢٥ هـ.

(١٠) لتسهيل لعلوم التنزيل ١/٤١٠، مصدر سابق.

(١١) انظر: ص ٤٦، من البحث.

(١٢) المحرر الوجيز ٣/٣٣٠، مصدر سابق.

(١٣) انظر: ص ٤١، من البحث.

(١٤) التفسير الكبير ٨١/١٩، مصدر سابق.

(١٥) انظر: ص ٨١، من البحث.

(١٦) البحر المحيط ٦/٤١٨-٤١٩، مصدر سابق.

المسألة عند تفسيره لقول الله ﷻ: ﴿وَكَانَ وِرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا﴾^(١)، وقرر هناك أنه لا خلاف عند أهل اللغة أن وراء يجوز بمعنى قدام.^(٢)

واستحسن القرطبي^(٣) قول من قال: (واشتقاقها مما تواری واستتر، فجهنم تواری ولا تظهر، فصارت من وراء لأنها لا ترى)، ولم يعلق على القولين بما يدل على موقفه منهما.^(٤)

وتميز ابن عاشور^(٥) عن سبقه، وذكر أن استعمال " وراء " هنا من باب الاستعارة، فقال: (والوراء: مستعمل في معنى ما ينتظره ويحل به من بعد، فاستعير لذلك بجامع الغفلة عن الحصول، كالشيء الذي يكون من وراء المرء لا يشعر به لأنه لا يراه. . .
وأما إطلاق الوراء على معنى " من بعد "؛ فاستعمال آخر قريب من هذا، وليس عينه)^(٦).

النتيجة:

لم يتبين لي في هذه المسألة ما القول الراجح، والذي أستطيع قوله هنا: إن الخلاف في المراد بـ " وراء " مبني على نوعها؛ فهي في الأصل ظرف مكان، وبعضهم جزم بأنها لا تكون إلا كذلك^(٧). وعلى هذا فقول من فسرها بـ " أمام " متجه وإن جاز استعمالها

(١) سورة الكهف الآية ٧٩

(٢) البحر المحيط ٧/٢١٣-٢١٤، مصدر سابق.

(٣) انظر: ص ٨١، من البحث.

(٤) الجامع لأحكام القرآن ٩/٣٥٠-٣٥١، مصدر سابق.

(٥) انظر: ص ٨٣، من البحث.

(٦) التحرير والتنوير ١٣/٢١٠، مصدر سابق.

(٧) جزم بهذا السمين الحلبي في كتابه: عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ ٤/٣٥٠: ت: الدكتور محمد

التونجي ط١: عالم الكتب ١٤١٤ هـ .

ظرف زمان، فهي على بابها، وقول ابن القيم^(١) وجيه. وإن كان استعمالها هنا من باب الاستعارة، فالقول قول ابن عاشور^(٢).

قد يبدو الخلاف بين الأقوال في هذه المسألة من اختلاف التضاد بادي الأمر؛ غير أنه عند التأمل فيها يظهر أنه من اختلاف التنوع؛ لأن الجهة منفكة بين هذه الأقوال.

وثمرة الخلاف: يترتب على هذا الخلاف مسألة لغوية، وهي هل كلمة " وراء " من الأضداد أم لا؟. وقد سبق التنبيه على أن أكثر أهل اللغة على أنها من الأضداد.

سبب الخلاف هنا هو اختلافهم في كون اللفظ من المشترك اللفظي.^(٣)

(١) انظر: ص ٦٩، من البحث.

(٢) انظر: ص ٨٣، من البحث.

(٣) كتاب: أسباب اختلاف المفسرين ٧٨-٨٢، للدكتور محمد بن عبدالرحمن الشايع، ط١: مكتبة العبيكان ١٤١٦هـ.

. وقد ذكر من الأمثلة كلمة "وراء" ومثل لها بآية الكهف: ﴿وَكَانَ وِرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا﴾ (الكهف: من

الآية ٧٩)

المسألة الرابعة والعشرون

قول الله تعالى: ﴿ وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴾ (١١) كَذَلِكَ نَسَلُّكُمْ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ ﴿١٢﴾ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ، وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ ﴿١﴾

المسألة: الكلام على قوله تعالى ﴿ نَسَلُّكُمْ ﴾.

قال الامام النسفي رحمه الله: في تفسير قوله تعالى ﴿ كَذَلِكَ نَسَلُّكُمْ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ ﴾ أي كما سلطنا الكفر أو الاستهزاء في شيع الأولين نسلكه أي الكفر أو الاستهزاء في قلوب المجرمين من أمتك من اختار ذلك يقال سلكت الخيط في الإبرة وأسلكته إذا أدخلته فيها^(٢).

الدراسة:

واختلف المفسرين في مفسر الضمير في قوله: ﴿ كَذَلِكَ نَسَلُّكُمْ ﴾ فقال ابن عباس^(٣):

سلطنا الشرك^(٤). وهو قول الحسن^(٥)^(٦).

وقال الزجاج^(٧) وغيره: هو الضلال^(٨).

(١) سورة الحجر الآيات ١١، ١٢، ١٣.

(٢) تفسير النسفي، ١٨٥/٢، مصدر سابق.

(٣) انظر ص ٤٧، من البحث.

(٤) زاد المسير ٣٨٥/٤، مصدر سابق.

(٥) انظر: ص ٥٠، من البحث.

(٦) ثبت عن الحسن من عدة طرق، منها ما أخرجه أبو داود في سننه - كتاب السنة - باب: لزوم السنة - ص ٥٠٥، وقد

أخرج ابن جرير في تفسيره ٢١/١٤ بعض هذه الطرق.

(٧) انظر: ص ٤٧، من البحث.

(٨) معاني القرآن وإعرابه للزجاج ١٧٤/٣، مصدر سابق.

وقال الربيع: يعني الاستهزاء^(١).

وقال الفراء^(٢): التكذيب^(٣).

وهذه الأقوال ترجع إلى شيء واحد، والتكذيب والاستهزاء والشرك كل ذلك فعلهم حقيقة؛ وقد أخبر أنه سبحانه هو الذي سلكه في قلوبهم.

قال ابن القيم^(٤) وعندي في هذا الأقوال شيء؛ فإن الظاهر أن الضمير في قوله: ﴿لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ هو الضمير في قوله: ﴿سَلَكُهُ﴾، فلا يصح أن يكون المعنى: لا يؤمنون بالشرك والتكذيب والاستهزاء؛ فلا تصح تلك الأقوال إلا باختلاف مفسر الضميرين، والظاهر اتحادهم؛ فالذي لا يؤمنون به هو الذي سلكه في قلوبهم، وهو القرآن. فإن قيل: فما معنى سلكه إياهم في قلوبهم وهم ينكرونه؟

قيل: سلكه في قلوبهم بهذه الحال، أي: سلكناه غير مؤمنين به، فدخل في قلوبهم مكذبا به، كما دخل في قلوب المؤمنين مصدقا به. وهذا مراد من قال: إن الذي سلكه في قلوبهم هو التكذيب والضلال، ولكن فسر الآية بالمعنى؛ فإنه إذا دخل في قلوبهم مكذبين به، فقد دخل التكذيب والضلال في قلوبهم.

فإن قيل: ما معنى إدخاله في قلوبهم وهم لا يؤمنون؟

قيل: لتقوم عليهم بذلك حجة الله؛ فدخل في قلوبهم، وعلموا أنه حق، وكذبوا به؛ فلم يدخل في قلوبهم دخول مصدق به مؤمن به مرضي به. وتكذيبهم به بعد دخوله في

(١) لم أجد هذا القول عن الربيع.

(٢) انظر: ص ١٢٢، من البحث.

(٣) معاني القرآن للفراء ٨٥/٢، مصدر سابق.

(٤) انظر: ص ٦٩، من البحث.

قلوبهم أعظم كفرا من تكذيبهم به قيل أن يدخل في قلوبهم؛ فإن المكذب بالحق بعد معرفته له شر من المكذب به ولم يعرفه. فتأمله فإنه من فقه التفسير، والله الموفق للصواب^(١).

ترجع الأقوال في المسألة إلى قولين:

الأول: أنه يرجع إلى فعل هؤلاء المجرمين، وهو الشرك، أو الضلال، أو التكذيب، أو الاستهزاء. وهذه الألفاظ متقاربة المعنى، وبينها تلازم وارتباط.

والثاني: أنه يرجع إلى القرآن الكريم.

وأقوال المفسرين لم تخرج عن هذين القولين، وهذا آوان بيانها:

اقتصر ابن جرير^(٢)^(٣)، وابن كثير^(٤)^(٥) والنسفي على القول الأول. وذكر ابن جرير أن الضمير في قوله ﷻ: ﴿لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ يعود على الذكر الذي أنزله الله تعالى.

وفي المقابل؛ اقتصر ابن عاشور^(٦) على القول الثاني، وذكر أن الضميرين في: ﴿نَسَلْكُهُ﴾، و ﴿لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ عائدان إلى الذكر في قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾^(٧)^(٨).

(١) شفاء العليل ٢٢٢/١، ويداغ التفسير ٢١/٣-٢٢، مصدران سابقان.

(٢) انظر: ص ٨٢، من البحث.

(٣) جامع البيان ٢٠/١٤-٢١ [طبعة دار هجر بإشراف الدكتور عبدالله التركي].

(٤) انظر: ص ٨١، من البحث.

(٥) تفسير القرآن العظيم ١٩٥١/٤، مصدر سابق.

(٦) انظر: ص ٨١، من البحث.

(٧) سورة الحجر الآية ٩

(٨) التحرير والتنوير ٢٥/١٤، مصدر سابق.

وأما ابن عطية^(١)، والرازي^(٢)، والقرطبي^(٣)، وأبو حيان^(٤)؛ فقد ذكروا القولين، وتتوعدت مواقفهم منهما:

فابن عطية ذكر القولين كاحتمالين، وبدأ بالقول الأول، وذهب إلى أن الضمير المجرور في: ﴿لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ يعود على ما يعود عليه الضمير في: ﴿نَسَلَكُهُ﴾، وتكون الباء للسببية؛ أي: لا يؤمنون بسبب شركهم واستهزائهم. قال: (ويحتمل أن يكون الضمير في ﴿نَسَلَكُهُ﴾ عائدا على الاستهزاء والشرك والضمير في ﴿بِهِ﴾ يعود على القرآن؛ فيختلف على هذا عود الضميرين. (وختم ذلك بقوله: (والمعنى في ذلك كله ينظر بعضه إلى بعض)^(٥)).

وأطال الرازي^(٦) الكلام في هذه المسألة، ودخل بها في نزاعات مع المعتزلة، وجعل القول الأول حجة لأصحابه على أن الله يخلق الضلال في قلوب العباد؛ لأن المعنى: كذلك نسلك الباطل والضلال في قلوب المجرمين.

ثم ذكر أن المعتزلة فسروا الآية بالقول الثاني لتقرير مذهبهم^(٧)، وأنهم قالوا: (لم يجر للضلال والكفر ذكر فيما قبل هذا اللفظ، فلا يمكن أن يكون الضمير عائدا إليه).

(١) انظر: ص ٤٦، من البحث.

(٢) انظر: ص ٤١، من البحث.

(٣) انظر: ص ٨١، من البحث.

(٤) انظر: ص ٨١، من البحث.

(٥) انظر: ص ٨١، من البحث.

(٦) المحرر الوجيز ٢٨٦/٨-٢٨٧، مصدر سابق.

(٧) انظر: ص ٤١، من البحث.

(٨) الغريب أن ابن المنير في تعليقه على الكشاف لم يذكر ما ذكر الرازي هنا، بل علق على تفسير الزمخشري - الذي فسر الآية بالقول الثاني - تعليق الموافق، وزاده تقريرا وإيضاحا. الكشاف ٣١١/٢ مع حاشية ابن المنير عليه.

ثم توسع في ذكر حجج الفريقين، وأتى بما لا حاجة لذكره هنا. وحاصل ما ذكره من الوجوه لترجيح القول الأول أربعة:

الوجه الأول: أنه التفسير المأثور عن قدماء المفسرين، مثل ابن عباس^(١) وغيره، بينما لم ينقل القول الثاني عن أحد من السلف.

الثاني: أن قوله: ﴿كَذَلِكَ نَسْأَلُكَ﴾ مذكور بحرف النون، والمراد منه إظهار نهاية التعظيم والجلالة؛ ومثل هذا التعظيم إنما يحسن ذكره إذا فعل فعلا يظهر له أثر قوي كامل بحيث صار المنازع والمدافع له مغلوبا مقهورا. وهذا لا يكون ولا يحسن إلا على القول الأول.

الثالث: أنه لو كان المراد ما ذكره لوجب أن يقال: " كذلك نسلكه في قلوب المجرمين ولا يؤمنون به "، أي: ومع هذا السعي العظيم في تحصيل إيمانهم لا يؤمنون. وإذا لم تذكر الواو علمنا أن قوله: ﴿لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ كالتفسير والبيان لقوله: ﴿نَسْأَلُكَ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ﴾ وهذا إنما يصح إذا كان المراد أنا نسلك الكفر والضلال في قلوبهم.

الوجه الرابع: أن قوله: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ﴾^(٢) بعيد، وقوله: ﴿يَسْتَهْزِئُونَ﴾ قريب، وعود الضمير إلى أقرب المذكورات هو الواجب.^(٣)

ومما نبه عليه القرطبي^(٤): القول الأول هو الذي عليه أكثر أهل التفسير، وهو ألزم حجة على المعتزلة.^(٥)

(١) انظر ص ٤٧، من البحث.

(٢) سورة الحجر الآية ٩

(٣) التفسير الكبير ١٩/١٢٩-١٣١، مصدر سابق.

(٤) انظر: ص ٨١، من البحث.

(٥) الجامع لأحكام القرآن ٧/١٠، مصدر سابق.

وقال أبو حيان^(١) - بعد نقله لما أورده كل من الزمخشري^(٢)، وابن عطية^(٣) في تفسيرهما للآية-: (والذي يظهر عوده على الاستهزاء المفهوم من قوله: ﴿يَسْتَهْزِئُونَ﴾، والباء في ﴿بِهِ﴾ للسبب)^(٤).

وخالف السمين الحلبي^(٥) وأبو حيان؛ وقرر أن الظاهر عود الضمير على الذكر^(٦).

وبعد؛ فأكثر المفسرين على القول الأول، وهو ما نص عليه النحاس^(٧) بقوله - بعد أن ذكر هذا القول -: (وهذا القول هو الذي عليه أهل التفسير وأهل اللغة إلا من شذ منهم؛ فإن بعضهم قال المعنى كذلك نسلك القرآن. . .)^(٨)

النتيجة:

الذي ظهر لي رجحانه في هذه المسألة هو القول الأول؛ لأنه المروي عن السلف، وهو قول أكثر المفسرين. ولأن القول الثاني لا يتفق مع ما ذكره الله ﷻ في آيات كثيرة من الطبع على قلوب المجرمين، وجعل الأكنة على قلوبهم، وصرفهم عن القرآن بسبب كفرهم وطغيانهم.

(١) انظر: ص ٨١، من البحث.

(٢) انظر: ص ١١١، من البحث.

(٣) انظر: ص ٤٦، من البحث.

(٤) البحر المحيط ٤٦٩/٦، مصدر سابق.

(٥) والسمين الحلبي هو: أحمد بن يوسف بن محمد، شهاب الدين أبو العباس، المقرئ النحوي الشافعي، قرأ النحو على أبي حيان، وصنّف تصانيف حسنة، أشهرها: "الدر المصون في علوم الكتاب المكنون" في إعراب القرآن، و"عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ" في بيان معاني مفردات القرآن. توفي سنة ٧٥٦هـ. طبقات المفسرين للداوودي ١/١٠١-١٠٢، مصدر سابق.

(٦) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون ١٤٧/٧، لأحمد بن يوسف السمين الحلبي، ت: أحمد الخراط، ط: ١: دار القلم، دمشق، ١٤١٣هـ.

(٧) انظر: ص ١٠٣، من البحث.

(٨) معاني القرآن ١٢/٤، مصدر سابق.

وفي الوجوه التي ذكرها الرازي^(١) كفاية، وهي تدل على رجحان هذا القول.

الخلاف السابق في مرجع الضمير من اختلاف التنوع، وهو يرجع إلى قولين لا تعارض بينهما، واللفظ محتمل لهما.

وثمره الخلاف: تكثير معاني الآية.

للخلاف في هذه المسألة سببان رئيسان:

السبب الأول: اختلاف المفسرين تعيين في مرجع الضمير.

السبب الثاني: اختلافهم في اعتبار السياق.

تتبيه: من أبرز أسباب ثراء المعنى في القرآن تعدد مرجع الضمير.^(٢)

(١) انظر: ص ٤١، من البحث.

(٢) تفصيل ذلك في كتاب ثراء المعنى في القرآن الكريم للدكتور محمد خليل جيجك ص ٨٠-٨٥، مصدر سابق.

المسألة الخامسة والعشرون

الكلام على قوله تعالى ﴿ قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ ﴾ (٤١) إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴿١﴾

المسألة: الكلام على معنى ﴿صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ﴾

قال الامام النسفي في تفسير قوله تعالى: ﴿ قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ ﴾ (٤١) إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴿١﴾ أي هذا طريق حق عليّ أن أراعيه وهو أن لا يكون لك سلطان على عبادي إلا من اختار اتباعك منهم لغوايته^(٢).

اختار الامام النسفي رحمه الله . في تفسير هذه الآية قول أن هذا طريق حق علي أن أراعيه، وهو ألا يكون لك سلطان على عبادي إلا من اختار اتباعك منهم لغوايته .

الدراسة، والترجيح:

حاصل أقوال المفسرين في معنى هذه الآية أربعة:

أحدها: أن هذا طريق حق علي أن أراعيه، وهو ألا يكون لك سلطان على عبادي إلا من اختار اتباعك منهم لغوايته. وهو الذي اختاره الامام النسفي ومن وافقه.

الثاني: قول مجاهد^(٣) وهو أن الحق يرجع إليه، وعليه طريقه. قال: شيخ الاسلام ابن تيمية^(٤) . رحمه الله . بعد أن ذكر أقوال بعض المفسرين: " قلت: القول الصواب هو

(١) سورة الحجر الآية ٤١، ٤٢

(٢) تفسير النسفي، ٢ / ١٩٠، مصدر سابق.

(٣) انظر: ص ٤٧، من البحث.

(٤) انظر: ص ٤٨، من البحث.

قول أئمة السلف؛ قول مجاهد ونحوه. فإنهم أعلم بمعاني القرآن، لا سيما مجاهد، فإنه قال: عرضت المصحف على ابن عباس^(١) من فاتحته إلى خاتمته، أوقفه عند كل آية، وأسأله عنها. وقال الثوري: إذا جاءك التفسير عن مجاهد فحسبك به. والأئمة كالشافعي^(٢)، وأحمد^(٣)، والبخاري^(٤) ونحوهم، يعتمدون على تفسيره. والبخاري في صحيحه أكثر ما ينقله من التفسير ينقله عنه. وما ذكروه عن مجاهد ثابت عنه، رواه الناس، كابن أبي حاتم^(٥) وغيره. . عن ابن أبي نجیح^(٦)، عن مجاهد^(٧) في قوله: ﴿صِرَاطٌ عَلَىٰ مُسْتَقِيمٍ﴾: الحق يرجع إلى الله، وعليه طريقه، لا يعرج على شيء^(٨).

الثالث: أن ذلك خارج مخرج الوعيد، والمعنى: هذا طريق علي جوازه، لأنني بالمرصاد أجازي كلا بعمله، فهو كقوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لِبِأَلْمِرْصَادِ﴾^(٩)، وبه قال الكسائي . رحمه الله.
الرابع: أن هذا صراط علي استقامته. وبه قال الأخفش^(١٠).

وقد وافق الامام النسفي في اختياره: الزمخشري^(١١)^(١٢). وتبعه البيضاوي^(١٣)^(١٤).

(١) انظر: ص ٤٧، من البحث.

(٢) انظر: ص ٣٠، من البحث.

(٣) انظر: ص ٦٧، من البحث.

(٤) انظر: ص ٨٨، من البحث.

(٥) انظر: ص ٤٥، من البحث.

(٦) انظر: ص ١٣٣، من البحث.

(٧) انظر: ص ٤٧، من البحث.

(٨) مجموع الفتاوى: ٢٠١/١٥. (باختصار يسير). مصدر سابق.

(٩) سورة الفجر الآية ١٤

(١٠) هو: سعيد بن مسعدة المجاشعي بالولاء، البلخي، ثم البصري، أبو الحسن، الأخفش الأوسط، نحوي عالم باللغة والأدب، من مؤلفاته: معاني القرآن، والاشتقاق، توفي سنة ٢١٥هـ. بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ١/٥٩٠، ل عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي. دار الفكر. بيروت، ٢-١٩٧٩م . ترجمة رقم (١٢٤٤) ، والأعلام ٣/١٠١، مصدر سابق.

(١١) انظر: ص ١١١، من البحث.

(١٢) الكشف: ٣١٤/٢، مصدر سابق.

(١٣) انظر: ص ١٠٧، من البحث.

(١٤) أنوار التنزيل: ٣/٣٧١. ومن المتأخرين: أبو السعود: ٧٩/٥، مصدران سابقان.

واختار القول الثاني: ابن تيمية^(١) وابن الجوزي^(٢)، وأبو حيان^(٣).

واختار القول الثالث . وهو أن ذلك خارج مخرج الوعيد .: الطبري^(٤)، والواحدي^(٥)،
وابن عطية^(٦).

ولم أر من اختار القول الرابع.

واقصر بعض المفسرين على ذكر الأقوال أو بعضها دون اختيار أو ترجيح^(٧). وقد
ذكر ابن تيمية . رحمه الله . أن القول الثالث أضعف الأقوال، وذلك من وجوه عدة:

أحدها: أنه قول لم ينقل عن أحد من علماء التفسير، لا في هذه الآية ولا في نظيرها.
وإنما قاله الكسائي لما أشكل عليه معنى الآية الذي فهمه السلف، ودل عليه السياق
والنظائر .

الثاني: أن كلام العرب لا يدل على هذا القول، فإن الرجل وإن كان يقول لمن يتهدده
ويتوعده: (علي طريقك)؛ فإنه لا يقول: إن طريقك مستقيم.

(١) انظر: ص ٤٨، من البحث.

(٢) انظر: ص ١٠٥، من البحث.

(٣) تذكرة الأريب: ٢٨٤/١، مصدر سابق.

(٤) انظر: ص ٨١، من البحث.

(٥) البحر المحيط: ٤٤١/٥ . واختاره من المتأخرين: السعدي: ١٦٦/٤، مصدران سابقان.

(٦) انظر: ص ٤٨، من البحث.

(٧) جامع البيان: ٥١٦/٧، مصدر سابق.

(٨) انظر: ص ٨٠، من البحث.

(٩) الوجيز: ٥٩٢/١، مصدر سابق.

(١٠) انظر: ص ٤٦، من البحث.

(١١) المحرر الوجيز: ٣١٤/٨، ٣١٥ . ومن المتأخرين: ابن كثير: ٥٥١/٢، والبقاعي: ٢٢٣/٤، مصادر سابقة.

(١٢) معاني القرآن للنحاس: ٢٦/٤، ٢٧، ومعالم التنزيل: ٣٨٤/٤، والجامع لأحكام القرآن: ٢٨/٩، مصادر سابقة.

الثالث: أن الوعيد إنما يكون للمسيء، لا يكون للمخلصين. فكيف يكون قوله هذا إشارة إلى انقسام الناس إلى غاو ومخلص، وطريق هؤلاء غير طريق هؤلاء؟. هؤلاء سلكوا الطريق المستقيم التي تدل على الله. وهؤلاء سلكوا السبيل الجائرة. الرابع: أنه إنما يقول لغيره في التهديد: (طريقك علي) من لا يقدر عليه في الحال، لكن ذاك يمر بنفسه عليه وهو متمكن منه، كما كان أهل المدينة يتوعدون أهل مكة بأن طريقكم علينا، لما هددوهم بأنكم آويتم محمدا وأصحابه. . ومثل هذا المعنى لا يقال في حق الله تعالى، فإن الله قادر على العباد حيث كانوا. . وإذا كانت العرب تقول ما ذكره: (طريقك في هذا الأمر على فلان) أي: إليه يصير أمرك، فهذا يطابق تفسير مجاهد^(١) وغيره من السلف^(٢).

والراجع: ما اختاره شيخ الاسلام ابن تيمية^(٣). رحمه الله . ومن وافقه.

وأما الأقوال الأخرى، فالقول الثالث أجاب عنه ابن تيمية بما يشفي ويكفي. وأما القول الذي اختاره النسفي ومن وافقه، فهو ضعيف لأنه لو كان المعنى ما ذكروه، لقال: هذا صراط علي استقامته، ونحو ذلك. فلما قال: (مستقيم) دل على أن المراد ما ذكره مجاهد وغيره، أن طريق الحق على الله، أي: إليه. لا يعرج على شيء. ويمثل هذا يجاب عن القول الرابع. والله تعالى أعلم.

(١) انظر: ص ٤٧، من البحث.

(٢) مجموع الفتاوى: ٢٠٤/١٥-٢٠٦. (باختصار وتصرف يسير)، مصدر سابق.

(٣) انظر: ص ٤٨، من البحث.

المسألة السادسة والعشرين

قوله تعالى: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾^(١).

المسألة: الكلام على ﴿عِبَادِي﴾.

اختار الامام النسفي أن المراد بالعباد: العموم، والاستثناء متصل. والكلام كالنقير لقله: ﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلِصِينَ﴾. فقال في تفسيره الآية ﴿قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ﴾^(٢) إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴿أي هذا طريق حق علي أن أراعيه وهو أن لا يكون لك سلطان على عبادي إلا من اختار اتباعك منهم لغوايته^(٣)

الدراسة، والترجيح:

حاصل الأقوال في هذه الآية ثلاثة^(٣):

أحدها: أن المراد بالعباد: العموم، والاستثناء متصل. والكلام كالنقير لقله: ﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلِصِينَ﴾. وهو الذي اختاره الإمام النسفي رحمه الله.

الثاني: أن الاستثناء منقطع على تقدير إرادة الجنس، ويكون الكلام تكديبا لإبليس فيما أوهم أن له سلطانا على من ليس بمخلص من العباد، فإن منتهى قدرته أن يغرهم،

(١) سورة الحجر الآية ٤٢

(٢) تفسير النسفي، ٢/ ١٩٠، مصدر سابق.

(٣) روح المعاني: ٥١/١٤، ٥٢، مصدر سابق.

ولا يقدر على جبرهم على اتباعه، كما قال: ﴿وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِّنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي...﴾^(١).

الثالث: أن الإضافة ﴿عِبَادِي﴾ للعهد، والاستثناء منقطع.

وقد وافق النسفي رحمه الله: الزمخشري^(٢)^(٣)، والقرطبي^(٤)^(٥).

واختار القول الثاني: الطبري^(٦)^(٧)، وابن الجوزي^(٨)^(٩).

واختار القول الثالث: ابن تيمية^(١٠)^(١١) و ابن عطية^(١٢)^(١٣)، وأبو حيان^(١٤)^(١٥).

والراجع: القول الثاني، وهو إرادة الجنس. وذلك لوجهين:

-
- (١) سورة ابراهيم الآية ٢٢.
 - (٢) انظر: ص ١١١، من البحث.
 - (٣) الكشف: ٣١٤/٢، مصدر سابق.
 - (٤) انظر: ص ٨١، من البحث.
 - (٥) الجامع لأحكام القرآن: ٢٩/١٠، مصدر سابق.
 - (٦) انظر: ص ٤٨، من البحث.
 - (٧) جامع البيان: ٥١٧/٧، مصدر سابق.
 - (٨) انظر: ص ١٠٥، من البحث.
 - (٩) تذكرة الأريب: ٢٨٤/١. ومن المتأخرين: ابن عاشور: ٤٣/١٣، مصدران سابقان.
 - (١٠) انظر: ص ٤٨، من البحث.
 - (١١) جامع المسائل: ٢١٥/١. ومجموع الفتاوى: ٤٣/١، مصدران سابقان.
 - (١٢) انظر: ص ٤٦، من البحث.
 - (١٣) المحرر الوجيز: ٣١٥/٨، مصدر سابق.
 - (١٤) انظر: ص ٨١، من البحث.
 - (١٥) البحر المحيط: ٤٤٢/٥. واختاره من المتأخرين: ابن كثير: ٥٥١/٢، والسعدي: ١٦٦/٤، مصادر سابقة.

أحدهما: أنه لو أراد العهد لكان تكررًا لا معنى له، فإن الشيطان قد أقر بأنه غير قادر على إغواء المخلصين من عباد الله، فلا حاجة إلى تقرير ذلك.

الثاني: الآية التي احتج بها ابن تيمية^(١)، وهي قوله تعالى: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَنٌ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا﴾^(٢). وهي حجة عليه، لأن سياق الآيات قبلها ليس فيه ما يدل على أن المراد عباد الله المؤمنين، بل ظاهره إرادة الجنس، فإنه قال: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا﴾^(٣) قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنِ أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لِأُحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا﴾^(٤) قَالَ أَذْهَبَ فَمَنْ يَبْعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاءُكُمْ جَزَاءً مَوْفُورًا﴾^(٥) وَأَسْتَفْزِرُّ مِنْ أَسْطَعَتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبَ عَلَيْهِمْ بِخِيَلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكُهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعَدَّهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا﴾^(٦) إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَنٌ...﴾^(٧).

وأما قوله في الآية الأخرى: ﴿إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ...﴾^(٨)، فقد جاء بيان معنى سلطانه في الآية التي استدلت بها أصحاب الثاني، وهي قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي...﴾^(٩). والله تعالى أعلم.

(١) انظر: ص ٤٨، من البحث.

(٢) سورة الإسراء الآية ٦٥

(٣) سورة الإسراء من ٦١ إلى ٦٥.

(٤) سورة النحل الآية ٩٩.

(٥) سورة إبراهيم ٢٢.

المسألة السابعة والعشرون

قوله تعالى: ﴿وَأَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾^(١)

المسألة: المراد باليقين في الآية.

اختار الامام النسفي رحمه الله . أن المراد باليقين في الآية الموت فقال: في تفسيرها

﴿وَأَعْبُدْ رَبَّكَ﴾ ودم على عبادة ربك ﴿حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ أي الموت يعني ما دمت حيا

فاشتغل بالعبادة وكان رسول الله ﷺ إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة.^(٢)

الدراسة، والترجيح:

حاصل الأقوال في هذه الآية ثلاثة:

الأول: الموت.

الثاني: حصول المعرفة المسقط للعبادة.

والقول الثالث أن المراد باليقين: النصر على الكافرين الذي وعده . ﷺ.

أما القول الأول . وهو الذي اختاره الامام النسفي رحمه الله . فقد أجمع المفسرون على

ذكره وترجيحه^(٣) . ثم تباينوا بعد ذلك:

(١) سورة الحجر الآية ٩٩

(٢) تفسير النسفي، (٢/ ٢٠١)

(٣) سوى ابن عاشور من المتأخرين كما سيأتي قريبا . إن شاء الله تعالى . ذكر اختياره.

فمنهم من اقتصر على ذكره كالطبري^{(٢)(١)}، والنحاس^{(٤)(٣)} والواحدي^{(٦)(٥)}، والبغوي^{(٨)(٧)}،
والزمخشري^{(١٠)(٩)}، وابن العربي^{(١٢)(١١)}، وابن الجوزي^{(١٤)(١٣)}، والبيضاوي^{(١٦)(١٥)}.

ومنهم من أضاف إليه القول الثالث، إما على سبيل الإقرار كابن عطية^{(١٨)(١٧)}، وأبي
حيان^{(٢٠)(١٩)}. وإما على سبيل التضعيف والإنكار كالقرطبي^{(٢٢)(٢١)}، والكرماني^{(٢٤)(٢٣)}.

ومنهم من ذكر معه القول الثاني مشنعا له ومنكرا كابن كثير^(٢٥)، فإنه قال: " ويستدل
بها [أي الآية] على تخطئة من ذهب من الملاحدة إلى أن المراد باليقين: المعرفة.
فمتى وصل أحدهم إلى المعرفة، سقط عنه التكليف عندهم. وهذا كفر وضلال وجهل،

-
- (١) انظر: ص ٤٨، من البحث.
 - (٢) جامع البيان: ٥٥٤/٧، مصدر سابق.
 - (٣) انظر: ص ١٠٣، من البحث.
 - (٤) معاني القرآن: ٤٧/٤، مصدر سابق.
 - (٥) انظر: ص ٨٠، من البحث.
 - (٦) الوجيز: ٥٩٩/١، مصدر سابق.
 - (٧) انظر: ص ١٠٨، من البحث.
 - (٨) معالم التنزيل: ٣٩٧/٤، مصدر سابق.
 - (٩) انظر: ص ١١١، من البحث.
 - (١٠) الكشاف: ٣٢٠/٢، مصدر سابق.
 - (١١) انظر: ص ١٥١، من البحث.
 - (١٢) أحكام القرآن: ١١٣٩/٣، مصدر سابق.
 - (١٣) انظر: ص ١٠٥، من البحث.
 - (١٤) تذكرة الأريب: ٢٨٦/١، مصدر سابق.
 - (١٥) انظر: ص ١٠٧، من البحث.
 - (١٦) أنوار التنزيل: ٣٨٣/٣. ومن المتأخرين: ابن الملقن: ص ٢٠٣، والسيوطي: ٣٤٥/١، وأبو السعود: ٩٣/٥، والشوكاني:
١٧٣/٣، مصادر سابقة.
 - (١٧) انظر: ص ٤٦، من البحث.
 - (١٨) المحرر الوجيز: ٣٦٢/٨، مصدر سابق.
 - (١٩) انظر: ص ٨١، من البحث.
 - (٢٠) البحر المحيط: ٤٥٦/٥، مصدر سابق.
 - (٢١) انظر: ص ٨١، من البحث.
 - (٢٢) الجامع لأحكام القرآن: ٦٤/١٠، مصدر سابق.
 - (٢٣) انظر: ص ١١٥، من البحث.
 - (٢٤) غرائب التفسير: ٥٩٧/١. ومن المتأخرين: الألويسي: ٨٧/١٤، مصدران سابقان.
 - (٢٥) انظر: ص ٨١، من البحث.

فإن الأنبياء . عليهم السلام . كانوا هم وأصحابهم أعلم الناس بالله، وأعرفهم بحقوقه وصفاته وما يستحق من التعظيم، وكانوا مع هذا أعبد وأكثر الناس عبادة ومواظبة على فعل الخيرات إلى حين الوفاة، وإنما المراد باليقين هنا: الموت ^(١) . وابن تيمية ^(٢) فإنه قال: إن المراد باليقين في هذه الآية: الموت. وأنكر قول من قال إن المراد به: حصول المعرفة المسقط للعبادة، بل ذكر إجماع المسلمين على خطأ هذا المعنى. قال . رحمه الله . في معرض حديثه عن الملاحدة الباطنية: " ودخل في ذلك طائفة من ضلال المتصوفة؛ ظنوا أن غاية العبادات حصول المعرفة، فإذا حصلت سقطت العبادات. وقد يحتج بعضهم بقوله: ﴿وَأَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ ، ويزعمون أن اليقين هو المعرفة. وهذا خطأ بإجماع المسلمين . أهل التفسير وغيرهم ، فإن المسلمين متفقون على أن وجوب العبادات . كالصلوات الخمس ونحوها، وتحريم المحرمات كالفواحش والمظالم . لا يزال واجبا على كل أحد ما دام عقله حاضرا، ولو بلغ ما بلغ .

إلى أن قال: " فمن تأول قوله تعالى: ﴿وَأَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ على سقوط العبادة بحصول المعرفة، فإنه يستتاب، فإن تاب وإلا قتل. والمراد بالآية: اعبد ربك حتى تموت كما قال الحسن البصري ^(٣): (لم يجعل الله لعباده أجلا دون الموت). وقرأ الآية. واليقين هو ما يعانيه الميت، فيوقن به، كما قال تعالى عن أهل النار: ﴿وَكُنَّا

(١) تفسير القرآن العظيم: ٥٦٠/٢. وممن أنكر هذا القول أيضا: الهروي في تفسيره: أنوار القرآن وأسرار الفرقان (مخطوط بمكتبة الملك عبد العزيز بجدة، رقم التصنيف: ٢٢٨/١٧): ٣٦٥/١ والألوسي: ٨٧/١٤، والشنقيطي: ٢٠٧/٣ مصادر سابقة.

(٢) انظر: ص ٤٨، من البحث.

(٣) انظر: ص ٤٩، من البحث.

نَكَذِبُ يَوْمَ الدِّينِ ﴿٤٦﴾ حَتَّىٰ أَتَنَا الْيَقِينُ ﴿١﴾، وفي الصحيح أن النبي ﷺ قال لما مات عثمان بن مظعون . رضي الله عنه .: " أما عثمان فقد جاءه اليقين من ربه " (٢) (٣).

وانفرد البقاعي (٤) . رحمه الله . بذكر قول غريب . مع القول الأول .، فإنه قال: " ﴿حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾: بما يشرح صدرك من الموت، أو ما يوعدون به من الساعة أو غيرها، مما يود الذين كفروا معه لو كانوا مسلمين " (٥).

كما انفرد ابن عاشور (٦) . رحمه الله . من المتأخرين باختيار القول الثالث مقتصرًا عليه، مخالفًا بذلك إجماع المفسرين (٧).

والراجح: ما أجمع على ذكره المفسرون . سوى من شذ، (٨) وهو الذي رجحه النسفي . رحمه الله . لدلالة الكتاب والسنة عليه.

أما القول الثالث الذي اختاره ابن عاشور، وذكره بعض المفسرين مع القول الأول؛ فهو في غاية الضعف لوجوه:

-
- (١) سورة المدثر الآيتان ٤٦، ٤٧ .
(٢) أخرجه البخاري في كتاب الجنائز، باب الدخول على الميت بعد الموت إذا أدرج في كفته: ٤١٩/١، برقم: ١١٨٦ . وقد ذكره ابن تيمية بالمعنى .
(٣) درء تعارض العقل والنقل ٣/٢٧٠، ٢٠٣، لابن تيمية ، ت : محمد رشاد سالم ، نشر : جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، ط٢: ١٤١١ .
(٤) هو : إبراهيم بن عمر بن حسن الرُّبَاط بن علي بن أبي بكر البقاعي، أبو الحسن ، برهان الدين، مؤرخ أديب، ولد سنة ٨٠٩هـ، وتوفي بدمشق سنة ٨٨٥هـ، من مؤلفاته: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ومساعد النظر للإشراف على مقاصد السور . الأعلام ١/٥٦، والموسوعة الميسرة في تراجم أئمة التفسير والإقراء والنحو واللغة ١/٦٥-٧٠ .
(٥) نظم الدرر: ٤/٢٤٢، مصدر سابق .
(٦) انظر: ص ٨٣، من البحث .
(٧) التحرير والتنوير: ٧٣/١٣، مصدر سابق .
(٨) الإجماع في التفسير ٣٣٤، لمحمد بن عبد العزيز الخضير، ط١: دار الوطن ، الرياض، ١٤٢٠هـ .:

أحدها: أنه لا دليل عليه من كتاب ولا سنة.

الثاني: فساد المعنى، لأنه يقتضي أن تكون العبادة مغياة بنصره ﷺ على الكافرين، وإن طالت به الحياة بعد ذلك، وهو معنى غير صحيح.

الثالث: أن سيرته ﷺ العملية تدل على بطلان هذا القول، فقد جاءه النصر الموعود على الأعداء، فما زاده ذلك إلا اجتهادا في العبادة، شكرا لله ﷻ، وهذا هو اللائق به عليه الصلاة والسلام، وهو القائل: " أفلا أكون عبدا شكورا" (١).

الرابع: أنه معارض لقوله تعالى: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴿١﴾ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ﴿٢﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَأَسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ﴿٣﴾﴾.

أما ما ذكره البقاعي (٣) . إضافة إلى القول الأول . فهو في غاية الغرابة، وسياق الآية ياباه كل الإباء.

(١) أخرجه البخاري في أبواب التهجد، باب: قيام النبي ﷺ حتى ترم قدماه: ٣٨٠/١، برقم: ١٠٧٨، ومسلم في كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب إكثار الأعمال والاجتهاد في العبادة: ص ٧١٦، برقم: ٢٨١٩.

(٢) سورة النصر

(٣) انظر: ص ٢١١، من البحث.

المسألة الثامنة والعشرون

قول الله تعالى: ﴿وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِرٌ وَلَوْ شَاءَ لَهَدَيْكُمْ أَجْمَعِينَ﴾^(١)

المسألة: الكلام على قوله تعالى: ﴿وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ﴾

اختار الامام النسفي أن المراد بقصد السبيل المصدر وهو بمعنى الفاعل وهو القاصد فقال: ﴿وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ﴾ المراد به الجنس ولذا قال ﴿وَمِنْهَا جَائِرٌ﴾ والقصد مصدر بمعنى الفاعل وهو القاصد يقال سبيل قصد وقاصد أي مستقيم كأنه يقصد الوجه الذي يؤمه السالك لا يعدل عنه ومعناه أن هداية الطريق الموصل إلى الحق عليه كقوله: ﴿إِنَّ عَيْنَنَا لِلْهُدَى﴾^(٢) وليس ذلك للوجوب إذ لا يجب على الله شيء ولكن يفعل ذلك تفضيلاً وقيل معناه وإلى الله وقال الزجاج^(٣) معناه وعلى الله تبيين الطريق الواضح المستقيم والدعاء إليه بالحجج ومنها جائر أي من السبيل مائل عن الاستقامة.^(٤)

والقولان نظير القولين في آية الحجر، وهي: ﴿قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ﴾^(٥)

الدراسة:

اختار النسفي رحمه الله وقال أن المراد بهذه الآية: إلى الله يرجع السبيل القاصد المستقيم، أي أن السبيل القاصد المستقيم يوصل إليه.

(١) سورة النحل الآية ٩

(٢) سورة الليل الآية ١٢.

(٣) انظر: ص ٤٧، من البحث.

(٤) تفسير النسفي، ٢/ ٢٠٥، مصدر سابق.

(٥) سورة الحجر الآية ٤١

والقول الثاني في معنى هذه الآية: على الله بيان قصد السبيل.

وأكثر أهل التفسير على القول الثاني، وقد فسرها بذلك ابن جرير^(١)^(٢)، والرازي^(٣)^(٤)، والقرطبي^(٥)^(٦)، وابن عاشور^(٧)^(٨)، ولم يذكروا غير هذا القول. وفسر الآية به كذلك ابن عطية^(٩)، وقال بعد ذكره: (وإلى هذا ذهب المتأولون.) ثم ذكر القول الذي رجحه النسفي كاحتمال^(١٠).

ووافقه أبو حيان^(١١)، ونقل بعض قوله^(١٢).

وأما ابن كثير^(١٣)؛ فقد وافق النسفي في اختيار القول الأول، حيث ذكر أن مجاهد^(١٤) قال: طريق الحق على الله^(١٥). وأما ابن عباس^(١٦)، والضحاك^(١٧)، وقتادة^(١٨)^(١٩) ففسروها بأن على الله بيان الحق. ثم قال: (وقول مجاهد ههنا أقوى من حيث السياق؛

(١) انظر: ص ٨٢، من البحث.

(٢) جامع البيان ١٧٧/١٤، مصدر سابق.

(٣) انظر: ص ٤١، من البحث.

(٤) التفسير الكبير ١٨٤/١٩، مصدر سابق.

(٥) انظر: ص ٨١، من البحث.

(٦) الجامع لأحكام القرآن ٨١/١٠، مصدر سابق.

(٧) انظر: ص ٨٣، من البحث.

(٨) التحرير والتنوير ١١٢/١٤، مصدر سابق.

(٩) انظر: ص ٤٦، من البحث.

(١٠) المحرر الوجيز ٣٧٦/٨-٣٧٧، مصدر سابق.

(١١) انظر: ص ٨١، من البحث.

(١٢) البحر المحيط ٥٠٩/٦، مصدر سابق.

(١٣) انظر: ص ٨١، من البحث.

(١٤) انظر: ص ٤٧، من البحث.

(١٥) أخرجه ابن جرير ١٧٨/١٤ من طريقين. وإسناده صحيح كما في التفسير الصحيح للدكتور حكمت بن بشير ١٧٥/٣ مصدران سابقان.

(١٦) انظر: ص ٤٧، من البحث.

(١٧) انظر: ص ٧٩، من البحث.

(١٨) انظر: ص ٤٩، من البحث.

(١٩) أخرج أقوالهم ابن جرير ١٧٧/١٤-١٧٨. وقول ابن عباس أورده البخاري في صحيحه معلقا في كتاب التفسير - تفسير سورة النحل - ص ٩٠٤، وهو حسن الإسناد كما في التفسير الصحيح للدكتور حكمت بن بشير ١٧٥/٣، مصادر سابقة.

لأنه تعالى أخبر أن ثم طرقا تسلك إليه، فليس يصل إليه منها إلا طريق الحق، وهي الطريق التي شرعها ورضيها، وما عداها مسدودة، والأعمال فيها مردودة.^(١)

وإذا كان ابن كثير^(٢) يرى أن قول مجاهد أقوى من جهة السياق؛ فإن أبا السعود^(٣) قد خالفه في ذلك، واختار قول ابن عباس ومن وافقه، وقرره تقريرا بديعا، وذكر أنه هو المناسب لسياق الآية في السورة، وقال بعد أن ذكر القول الأول الذي اختاره النسفي، واختاره ابن كثير: (وأنت خبير بأن هذا حق في نفسه، ولكنه بمعزل عن نكتة موجبة لتوسيطه، بين ما سبق من أدلة التوحيد وبين ما لحق^(٤)). ووافق الشنقيطي^(٥) ابن كثير في اختيار قول مجاهد، إلا أنه صحح معنى القولين، وذكر توجيه الآية على كل قول منهما. قال رحمه الله: (اعلم أن في معنى الآية الكريمة وجهين معروفين للعلماء، ولكل منهما مصداق في كتاب الله، إلا أن أحدهما أظهر عندي من الآخر: الأول منهما: أن معنى ﴿وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ﴾: أن طريق الحق التي هي قصد السبيل على الله، أي موصلة إليه، ليست حادثة، ولا جائرة عن الوصول إليه وإلى مرضاته، ﴿وَمِنْهَا جَائِرٌ﴾: أي من الطريق جائر لا يصل إلى الله، بل هو زائغ وحائد عن الوصول إليه. ويشهد لهذا المعنى قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ﴾^(٦)، وقوله: ﴿وَأَنْ أَعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾^(٧). ويؤيد هذا

(١) تفسير القرآن العظيم ١٩٨١/٥، مصدر سابق.

(٢) انظر: ص ٨١، من البحث.

(٣) انظر: ص ١٨١، من البحث.

(٤) إرشاد العقل السليم ٩٩/٥-١٠٠، مصدر سابق.

(٥) انظر: ص ٦٤، من البحث.

(٦) سورة الأنعام الآية ١٥٣

(٧) سورة يس الآية ٦١

التفسير قول ابن القيم^(١) بعده: ﴿وَمِنْهَا جَائِرٌ﴾. وهذا الوجه أظهر عندي^(٢)، واستظهره ابن كثير^(٣) وغيره، وهو قول مجاهد^(٤). الوجه الثاني: أن معنى الآية الكريمة: ﴿وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ﴾، أي: عليه جل وعلا أن يبين لكم طريق الحق على السنة رسله.

وبدل لهذا الوجه قوله تعالى: ﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾^(٥)، وقوله: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا﴾^(٦)، . . . إلى غير ذلك من الآيات.

وعلى هذا القول، فمعنى قوله: ﴿وَمِنْهَا جَائِرٌ﴾ غير واضح؛ لأن المعنى: ومن الطريق جائر عن الحق، وهو الذي نهاكم الله عن سلوكه^(٧).

النتيجة:

القولان صحيحان معنا، محتملان لفظاً؛ فالأولى تفسير الآية بهما معاً، ويبقى تقديم قول على الآخر من باب الاختيار، وتقديم الأظهر. والذي يظهر لي أن القول الثاني هو الأظهر؛ لأنه قول أكثر المفسرين، وهو المعتمد عن المتقدمين^(٨)، كما أنه المناسب لسياق الآية من حيث مناسبتها لما قبلها وما بعدها.

(١) انظر: ص ٦٩، من البحث.

(٢) مدارج السالكين ١/٦١، مصدر سابق.

(٣) انظر: ص ٨١، من البحث.

(٤) انظر: ص ٤٧، من البحث.

(٥) سورة النساء الآية ١٦٥

(٦) سورة الإسراء الآية ١٥

(٧) أضواء البيان ٣/٢٠٠-٢٠١ باختصار يسير، مصدر سابق.

(٨) حتى إن ابن الجوزي - وهو ممن اعتنى بنقل أقوال السلف في التفسير - لم يذكر غيره في زاد المسير ٤/٤٣٢.

مصدر سابق. ونسبة القول الآخر إلى مجاهد محتملة؛ لأنه يمكن أن يكون معنى قوله هو المعنى الثابت عن شيخه ابن

عباس؛ فقوله: "الحق على الله" يمكن أن يكون بمعنى: بيان الحق على الله، وهذا أقرب في نظري.

المسألة التاسعة والعشرون

قوله تعالى: ﴿وَعَلَّمْتِ بِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾^(١).

المسألة: الكلام على قوله تعالى: ﴿وَعَلَّمْتِ﴾.

اختار الامام النسفي رحمه الله أن المراد بـ ﴿وَعَلَّمْتِ﴾ هي معالم الطرق وكل ما يستدل به السابلة^(٢) من جبل وغير ذلك ﴿وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾ المراد بالنجم الجنس أو هو الثريا^(٣) والفرقدان وبنات نعش والجدى^(٤) فإن قلت وبالنجم هم يهتدون مخرج عن سنن الخطاب مقدم فيه النجم مقحم فيه هم كأنه قيل وبالنجم خصوصاً هؤلاء خصوصاً يهتدون فمن المراد بهم قلت كأنه أراد قريشاً فلهم اهتداء بالنجوم في مسابريهم ولهم بذلك علم لم يكن مثله لغيرهم فكان الشكر أوجب عليهم والاعتبار ألزم لهم فخصصوا^(٥).

الدراسة، والترجيح:

(١) سورة النحل الآية ١٦

(٢) المفردات: ٢٣٠، مصدر سابق.

(٣) الثريا: هي المنزلة الأولى من منازل القمر الثماني والعشرين التي يتخذها القمر محطات له أثناء دورانه حول الأرض. وتتألف مجموعة الثريا من مئات النجوم، غير أن العدد الذي من الممكن مشاهدته بالعين المجردة قد لا يتعدى تسع نجوم، منها ست واضحات، وثلاث لا تُرى إلا بصعوبة. وإذا شوهدت الثريا من خلال المرقب ظهرت نجومها متفرقة غير مترابطة. جريدة الجزيرة، العدد ٨٣٩٥، شهر يونيو عام ١٩٩٦ م.

(٤) وتسمى هذه بكواكب البابانيت، وهي التي لا ينزل بها شمس ولا قمر، إنما يهتدى بها في البر والبحر، وهي شامية، ومهبط الشمال منها، أولها القطب، وهو كوكب لا يزول، والجدى والفرقدان، وهو بين القطب، وفيه بنات نعش الصغرى. لسان العرب ١٣٤٦، مصدر سابق.

(٥) تفسير النسفي، ٢/ ٢٠٧، مصدر سابق.

حاصل الأقوال في هذه الآية ثلاثة^(١):

أحدها: العموم في كل ما ذكر في الآية التي قبلها وغيره مما يهتدى به في النهار. وهو الذي اختاره النسفي، وهو المروي عن ابن عباس^(٢). رضي الله عنهما. الثاني: أنها النجوم خاصة. وهو المروي عن مجاهد^(٣)، وقتادة^(٤). الثالث: أنها الجبال خاصة.

وقد وافق الامام النسفي^(٥) في اختياره: الطبري^{(٦)(٧)}، والزمخشري^{(٨)(٩)}، وابن عطية^(١٠)، وابن الجوزي^{(١١)(١٢)}، والبيضاوي^{(١٣)(١٤)}.

قال الطبري . رحمه الله . بعد أن ذكر الأقوال: " وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: إن الله . تعالى ذكره . عدد على عباده من نعمه أنعامه عليهم بما جعل لهم من العلامات التي يهتدون بها في مساكنهم وطرقهم التي يسيرونها، ولم يخصص بذلك

(١) جامع البيان: ٥٧١/٧، ٥٧٢، مصدر سابق.

(٢) انظر: ص ٤٧، من البحث.

(٣) انظر: ص ٤٧، من البحث.

(٤) انظر: ص ٤٩، من البحث.

(٥) تفسير النسفي، ٢/٢٥٢، واختاره من المتأخرين: الثعالبي: ٢/٣٠٥، والبقاعي: ٤/٢٥٥، وأبو السعود: ٥/١٠٤، والأوسى: ١٤/١١٦، وابن عاشور: ١٣/٩٨، والشنقيطي: ٣/١٨٤، مصادر سابقة

(٦) انظر: ص ٤٨، من البحث.

(٧) جامع البيان: ٥٧٢/٧، مصدر سابق.

(٨) انظر: ص ١١١، من البحث.

(٩) الكشاف: ٢/٣٢٥، مصدر سابق.

(١٠) المحرر الوجيز: ٨/٣٨٩، مصدر سابق.

(١١) انظر: ص ١٠٥، من البحث.

(١٢) تذكرة الأريب: ١/٢٨٩، مصدر سابق.

(١٣) انظر: ص ١٠٧، من البحث.

(١٤) أنوار التنزيل: ٣/٣٩٠، مصدر سابق.

بعض العلامات دون بعض، فكل علامة استدل بها الناس على طرقهم وفجاج سبلهم، فداخل في قوله (وعلامات) " . واختار القول الثاني: ابن العربي^(١)، ولم يذكر غيره^(٢) .

واختار القول الثالث: الواحدي^(٣)، والكرماني^(٤)، وجعل الثاني من الغريب .

والراجح هو الأول، وهو القول بالعموم، لما ذكره الطبري^(٥) . رحمه الله . من الإطلاق في اللفظ، وعدم تخصيص بعض العلامات دون بعض . ومن القواعد المقررة في التفسير أن اللفظ إذا دار بين أن يكون مقيدا أو مطلقا؛ فإنه يحمل على إطلاقه^(٦) .

(١) انظر: ص ١٥١، من البحث .

(٢) أحكام القرآن: ١١٤٨/٣، مصدر سابق .

(٣) انظر: ص ٨٠، من البحث .

(٤) الوجيز: ٦٠٢/١، مصدر سابق .

(٥) انظر: ص ١١٥، من البحث .

(٦) غرائب التفسير: ٦٠٢/١ . ومن المتأخرين: ابن كثير: ٥٦٥/٢، مصدران سابقان .

(٧) انظر: ص ٤٨، من البحث .

(٨) قواعد الترجيح: ٥٥٥/٢، وقواعد التفسير: ٦٢١/٢، مصدران سابقان .

المسألة الثلاثون

قول الله تعالى: ﴿ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِنْ بَطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾^(١)

المسألة: الكلام على مرجع الضمير في ﴿فيه﴾

اختلف المفسرون في قوله تعالى: ﴿يَخْرُجُ مِنْ بَطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ﴾، هل الضمير في ﴿فيه﴾ راجع إلى الشراب، أو راجع إلى القرآن؟ على قولين.

وقد اختار الامام النسفي القول الأول فقال ﴿فيه شفاء للناس﴾ لأنه من جملة الأدوية النافعة وقل معجون من المعاجين لم يذكر الأطباء فيه العسل وليس الغرض أنه شفاء لكل مريض كما أن كل دواء كذلك وتكثيره لتعظيم الشفاء الذي فيه أو لأن فيه بعض الشفاء لأن النكرة في الإثبات تخص وشكا رجل استطلق بطن أخيه فقال عليه السلام " اسقه عسلاً فجاءه وقال زاده شراً فقال عليه السلام صدق الله وكذب بطن أخيك اسقه عسلاً فسقاه فصح^{(٢)(٣)}.

(١) سورة النحل الآية ٦٩.

(٢) أخرجه أحمد (١٩/٣). وفي (٩٢/٣)، والبخاري رقم (٥٦٨٤) في الطب، باب الدواء بالعسل، وباب دواء المبطون (١٦٥/٧) ومسلم رقم (٢٢١٧) في السلام، باب التداوي بسقي العسل (٢٦/٧) والترمذي رقم (٢٠٨٢) في الطب، باب ما جاء في التداوي بالعسل. والنسائي في الكبرى (تحفة الأشراف) رقم (٤٢٥١) جامع الأصول (٧/٥١٧) تحقيق: عبد القادر الأرنبوط - التتمة تحقيق بشير عيون الناشر: مكتبة الحلواني - مطبعة الملاح - مكتبة دار البيان الطبعة: الأولى

(٣) تفسير النسفي، ٢/ ٢٢٢، مصدر سابق.

الصحيح رجوعه إلى الشراب، وهو قول ابن مسعود^(١)^(٢)، وابن عباس^(٣)^(٤)،
والحسن^(٥)^(٦)، وقتادة^(٧)^(٨)، والأكثرين؛ فإنه هو المذكور، والكلام سيق لأجله، ولا ذكر
للقرآن في الآية. وهذا الحديث الصحيح وهو قوله: " صدق الله " ^(٩) كالصريح فيه^(١٠).

الدراسة:

ظهور هذه المسألة يغني عن الإطالة فيها، والقول الذي رجحه النسفي هو المعتمد
عند المفسرين.

وقد صرح بترجيح هذا القول كل من ابن جرير^(١١)^(١٢)، والرازي^(١٣)^(١٤)، وابن
وذكروا جميعاً دلالة السياق لترجيحه، وذكر الأخيران دلالة الحديث الذي ذكره النسفي
على صحة هذا القول.

-
- (١) انظر ص ٧٣، من البحث.
(٢) عزاه إليه ابن الجوزي في زاد المسير ٤/٤٦٦، ولم أجد قوله هذا في تفسير الآية، وإنما أخرج ابن جرير ١٤/٢٩٠ -
٢٩١ قوله: " شفاءان: العسل شفاء من كل داء، والقرآن شفاء لما في الصدور. " وتفسير ابن مسعود ٢/٣٧٦-٣٧٧،
جمع وتحقيق ودراسة - إعداد محمد أحمد عيسوي - ط١: مؤسسة الملك فيصل الخيرية ١٤٠٥هـ.
(٣) انظر: ص ٤٧، من البحث.
(٤) أخرج قوله ابن جرير ١٤/٢٩١ من طريق العوفي، مصدر سابق.
(٥) انظر: ص ٥٠، من البحث.
(٦) لم أجدّه عن الحسن.
(٧) انظر: ص ٤٩، من البحث.
(٨) أخرج قوله ابن جرير ١٤/٢٩٠. والتفسير الصحيح للدكتور حكمت بن بشير ٣/١٩٢، مصدران سابقان.
(٩) صدق الله، وكذب بطن أخيك " جزء من حديث فيه قصة سبق تخريجه ص ٢٠٩ من البحث.
(١٠) زاد المعاد ٤/٣٦، ويدائع التفسير ٣/٤١-٤٢. مصدران سابقان.
(١١) انظر: ص ٨٢، من البحث.
(١٢) جامع البيان ١٤/٢٩١، مصدر سابق.
(١٣) انظر: ص ٤١، من البحث.
(١٤) التفسير الكبير ٢٠/٥٩، مصدر سابق.
(١٥) انظر: ص ٨١، من البحث.
(١٦) تفسير القرآن العظيم ٥/١٩٩٩، مصدر سابق.

ونقل القرطبي^(١)^(٢)، وأبو حيان^(٣)^(٤) قول ابن العربي^(٥) في رد القول الآخر مقربين له، ونصه: (وقال مجاهد^(٦)، والحسن^(٧)^(٨)، والضحاك^(٩)^(١٠): إن الهاء في قوله:

"فيه " يعود على القرآن، أي القرآن شفاء للناس.

وهذا قول بعيد، ما أراه يصح عنهم ؛ ولو صح نقلا لم يصح عقلا ؛ فإن مساق الكلام كله للعسل، ليس للقرآن فيه ذكر ؛ وكيف يرجع ضمير في كلام إلى ما لم يجر له ذكر فيه - وإن كان كله منه -؟ ولكنه إنما يراعى مساق الكلام ومنحى القول، وقد حسم النبي ﷺ في ذلك إذ الإشكال، وأزاح وجه الاحتمال حين أمر الذي يشتكي بطنه بشرب العسل، فلما أخبره بأن العسل لما سقاه إياه ما زاده إلا استطلاقا أمره النبي ﷺ بعود الشرب له، وقال له: " صدق الله، وكذب بطن أخيك ".^(١١)

واقتمر ابن عاشور^(١٢) على القول المعتمد.^(١٣)

وممن ذكر القول الثاني - وهو أن الضمير للقرآن -، واستحسنه: الزجاج^(١٤)، والنحاس^(١٥)؛ فقد قال الزجاج بعد ذكره له: (وهذا القول إذا فسر علم أنه حسن،

(١) انظر: ص ٨١، من البحث.

(٢) الجامع لأحكام القرآن ١٠/١٣٦، مصدر سابق.

(٣) انظر: ص ٨١، من البحث.

(٤) البحر المحيط ٦/٥٦١، مصدر سابق.

(٥) انظر: ص ١٥١، من البحث.

(٦) قول مجاهد أخرجه ابن جرير ١٤/٢٨٩، مصدر سابق.

(٧) انظر: ص ٥٠، من البحث.

(٨) لم أجد قوله في هذا.

(٩) انظر: ص ٧٩، من البحث.

(١٠) تفسير الضحاك ١/٥٢٠، جمع وداسة وتحقيق للدكتور محمد شكري الزاوي ط ١: دار السلام - القاهرة - ١٤١٩ هـ.

(١١) أحكام القرآن ٣/١٣٨، مصدر سابق.

(١٢) انظر: ص ٨٣، من البحث.

(١٣) التحرير والتنوير ١٤/٢٠٩-٢١٠، مصدر سابق.

(١٤) انظر: ص ٤٧، من البحث.

(١٥) انظر: ص ١٠٣، من البحث.

المعنى: فيما قصصنا عليكم من قصة النحل في القرآن، وسائر القصص التي تدل على أن الله واحد شفاء للناس). إلا أنه يرى أن القول الأول أولى؛ لأنه حكم عليه بأنه تفسير حسن جدا.^(١)

و وافقه النحاس، وقال نحو قوله.^(٢)

النتيجة:

لا شك في رجحان القول المعتمد عند أكثر المفسرين، وهو أن الضمير يعود على الشراب المذكور في الآية - وهو العسل - وقد ذكر المفسرون وجهين ظاهرين لترجيحه، وهما الوجهان المذكوران آنفاً.

ومن وجوه ترجيحه أيضاً: أن الله ﷻ ذكر أن فيه شفاء للناس عموماً، وأما القرآن فقد أخبر ﷻ أنه شفاء للمؤمنين، كما في قوله تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾^(٣)، وقوله عن القرآن: ﴿قُلْ هُوَ الَّذِي ءَامَنُوا هُدًى وَشِفَاءً ۗ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي ءَاذَانِهِمْ وَقُرْءَانٌ هُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى﴾^(٤). و القول بأن الضمير يرجع إلى القرآن معدود من غرائب الأقوال في التفسير^(٥). وهو كذلك.

(١) معاني القرآن وإعرابه ٣/٢١١، مصدر سابق.

(٢) معاني القرآن ٤/٨٤-٨٥، مصدر سابق.

(٣) سورة الإسراء الآية ٨٢

(٤) سورة فصلت الآية ٤٤

(٥) غرائب التفسير وعجائب التأويل للكرماني ١/٦١٢، مصدر سابق.

المسألة الحادية والثلاثون

قول الله تعالى: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَمَنْ رَزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوُونَ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾^(١)

المسألة: الكلام على من ضرب له هذا المثل في الآية؟

قال الامام النسفي في تفسير الآية: "ثم ضرب المثل فقال ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا﴾ هو بدل من مثلاً ﴿مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَمَنْ رَزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا﴾ مصدران في موضع الحال أي مثلكم في إشراككم بالله الأوثان مثل من سوى بين عبد مملوك عاجز عن التصرف وبين حر مالك قد رزقه الله ما لا فهو يتصرف فيه وينفق منه ما شاء وقيد بالمملوك ليميزه من الحر لأن اسم العبد يقع عليهما جمعياً إذ هما من عباد الله وبلا يقدر على شيء ليمتاز من المكاتب والمأذون فهما يقدران على التصرف ومن موصوفة أي وحرراً رزقناه ليطابق عبداً أو موصولة ﴿هَلْ يَسْتَوُونَ﴾ جمع الضمير لإرادة الجمع أي لا يستوي القبيلان ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ بأن الحمد والعبادة لله"^(٢).

في المسألة قولان: الأول: أن المراد بالمثل (ما ضربه الله سبحانه لنفسه وللأوثان) وهو الذي أختاره الامام النسفي رحمه الله. وهذا قول مجاهد^(٣) وغيره.

(١) سورة النحل الآية ٧٥

(٢) تفسير النسفي، ٢/ ٢٢٤، ٢٢٥، مصدر سابق.

(٣) انظر: ص ٤٧، من البحث.

والثاني: مثل ضربه الله للمؤمن والكافر. ومثل المؤمن في الخير الذي عنده بمن رزقه منه رزقا حسنا فهو ينفق منه على نفسه وعلى غيره سرا وجهرا، والكافر بمنزلة عبد مملوك عاجز لا يقدر على شيء؛ لأنه لا خير عنده؛ فهل يستوي الرجلان عند أحد من العقلاء؟ وهذا قول ابن عباس^{(٢)(٣)}

الدراسة:

ذكرنا سابقاً أن في المسألة قولان في بيان من ضرب له هذا المثل:

القول الأول: أن الله ﷻ ضرب هذا المثل لنفسه وللأوثان.

القول الثاني: أن هذا المثل مضروب للمؤمن والكافر.

وأكثر المفسرين اختار القول الأول، فقد اختاره ابن عطية^(٤)، وقال: (وهذا التأويل أصوب؛ لأن الآية تكون من معنى ما قبلها وما بعدها في تبين أمر الله تبارك وتعالى، والرد على أمر الأصنام.)^(٥)

ووافقه الرازي^(٦)، وذكر أن هذا القول أقرب؛ (لأن ما قبل هذه الآية وما بعدها إنما ورد في إثبات التوحيد، وفي الرد على القائلين بالشرك؛ فحمل هذه الآية على هذا المعنى أولى)^(٧).

(١) أخرج قوله ابن جرير ٣١١/١٤، مصدر سابق.

(٢) انظر: ص ٤٧، من البحث.

(٣) أخرجه ابن جرير ٣٠٨/١٤ عنه بلفظ آخر، مصدر سابق.

(٤) انظر: ص ٤٦، من البحث.

(٥) المحرر الوجيز ٤٧٦/٨، مصدر سابق.

(٦) انظر: ص ٤١، من البحث.

(٧) التفسير الكبير ٦٨/٢٠، مصدر سابق.

وبدأ القرطبي^(١) بهذا القول، وفسر الآية عليه، وذكر أن الجمهور من أهل العلم والتأويل عليه.^(٢)

وفسر أبو حيان^(٣) الآية على هذا القول، ثم أشار إلى القول الآخر.^(٤)

ولم يشر ابن عاشور^(٥) إلى خلاف في المراد بهذا المثل، واقتصر على تفسير الآية على القول الأول.^(٦)

وأما ابن جرير^(٧) فقد بدأ بالقول الثاني، واعتمده في تفسير الآية، ثم أشار إلى القول الأول في آخر كلامه إشارة سريعة، ولم يعلق عليه بشيء. ثم قال بعد ذلك - عند تفسيره للآية التي بعد هذه-: (وإنما اخترنا القول الذي اخترناه في المثل الأول؛ لأنه تعالى ذكره مثل الكافر بالعبد الذي وصف صفته، ومثل مثل المؤمن بالذي رزقه رزقا حسنا فهو ينفق مما رزقه سرا وجهرا؛ فلم يجوز أن يكون ذلك لله مثلا، إذ كان الله إنما مثل الكافر الذي لا يقدر على شيء بأنه لم يرزقه رزقا ينفق منه سرا، ومثل المؤمن الذي وفقه الله لطاعته فهداه لرشده فهو يعمل بما يرضاه الله، كالحر الذي بسط له في الرزق فهو ينفق منه سرا وجهرا، والله تعالى ذكره هو الرازق غير المرزوق؛ فغير جائز أن يمثل إفضاله وجوده بإنفاق المرزوق الرزق الحسن.)^(٨)

(١) انظر: ص ٨١، من البحث.

(٢) الجامع لأحكام القرآن ١٠/١٤٦-١٤٧، مصدر سابق.

(٣) انظر: ص ٨١، من البحث.

(٤) البحر المحيط ٦/٥٦٩، واقتصر في النهر الماد ٣/٥٠٨ على قول الجمهور، مصدران سابقان.

(٥) انظر: ص ٨٣، من البحث.

(٦) التحرير والتنوير ١٤/٢٢٣-٢٢٤، مصدر سابق.

(٧) انظر: ص ٨٢، من البحث.

(٨) جامع البيان ١٤/٣٠٧-٣٠٨، ٣١٣، مصدر سابق.

وكذلك ابن كثير^(١)، ذكر القولين، وبدأ بالقول الثاني، ونص على أن ابن جرير قد اختاره.^(٢)

وقد سلك النحاس^(٣) في تفسير هذه الآية مسلكا خالف فيه جمهور المفسرين، وذكر أن هذه الآية مشككة، ثم ذكر القولين السابقين في بيان المراد بهذا المثل، وأشار إلى ترجيح بعض أهل اللغة للقول الأول؛ لأنه يجعل الآية موافقة لما قبلها وما بعدها. ثم ذكر أنه قد روي عن ابن عباس^(٤) رضي الله عنهما أن هذه الآية نزلت في رجل من قريش وعبد.^(٥) ثم قال: (وأولى الأقوال في هذا قول ابن عباس، رواه عنه حماد بن سلمة، عن عبد الله ابن عثمان بن خثيم، عن إبراهيم، عن عكرمة^(٦) عن ابن عباس. فبين ابن عباس رحمه الله أن هذه الآية نزلت في عبد بعينه لم يكن له مال - ولا يقال في كل عبد لا يقدر على شيء - فنزلت فيه وفي سيد كان له مال ينفق منه. . . . ولا يصح قول من قال: إنه صنم؛ لأن الصنم لا يقع عليه اسم عبد.)^(٧)

ولا شك أن ما ذكره النحاس مردود من وجهين:

الوجه الأول: أن الأصل في المثل العموم، ولا يصح قصره على معين، (والمثال لا يحتاج إلى تعيين أحد.)^(٨)

(١) انظر: ص ٨١، من البحث.

(٢) تفسير القرآن العظيم ٢٠٠٤/٥، مصدر سابق.

(٣) انظر: ص ١٠٣، من البحث.

(٤) انظر: ص ٤٧، من البحث.

(٥) أخرجه ابن جرير ٣١٢/١٤، وأورده مقبل الوادعي في الصحيح المسند من أسباب النزول ١٤٠: الرياض، مكتبة المعارف: ١٤٠٠هـ. وقال: (الحديث رجاله رجال الصحيح.) وأسباب النزول للواحد ٢٨٦، مصدران سابقان.

(٦) انظر: ص ٤٩، من البحث.

(٧) معاني القرآن ٩١/٤-٩٤، مصدر سابق.

(٨) المحرر الوجيز ٤٧٦/٨. والتفسير الكبير ٦٨ / ٢٠ فقد ذكر أن القول بالعموم هو الأظهر؛ لأنه الموافق لمراد الله ﷻ، مصدران سابقان.

الوجه الثاني: لا مانع من إطلاق العبد على الصنم، بدليل قول الله ﷻ: ﴿إِنْ كُنْ مِنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتَى الرَّحْمَنُ عَبْدًا﴾^{(١)(٢)}.

وقد أثبت جمهور المفسرين هذا الإطلاق، والمثبت مقدم على النافي. النتيجة:

كلام النسفي السابق هو في رأي أفضل نتيجة تنهى بها هذه الدراسة؛ فقد اختار القول الأظهر، والمناسب لسياق الآية. والله تعالى أعلم.

(١) سورة مريم الآية ٩٤

(٢) التفسير الكبير ٢٠ / ٦٨، مصدر سابق.

المسألة الثانية والثلاثون

قول الله تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً ۚ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾^(١)

المسألة: الكلام على المراد بالحياة الطيبة في الآية.

اختار الامام النسفي . رحمه الله . أن المراد بالحياة الطيبة في الآية " القناعة والرضا بقسمة الله تعالى". فقال: ﴿فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً﴾ أي في الدنيا ﴿وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ وعده الله ثواب الدنيا والآخرة، كقوله ﴿فَأَنذَرْتَهُمُ اللَّهُ تَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الْآخِرَةِ﴾ وذلك أن المؤمن مع العمل الصالح، موسراً كان أو معسراً، يعيش عيشاً طيباً، إن كان موسراً فظاهر؛ وإن كان معسراً فمعه ما يطيب عيشه، وهو القناعة والرضا بقسمة الله تعالى، وأما الفاجر فأمره بالعكس، إن كان معسراً فظاهر؛ وإن كان موسراً فالحرص لا يدعه أن يتهنأ بعيشه. وقيل الحياة الطيبة القناعة، أو حلوة الطاعة، أو المعرفة بالله، وصدق المقام مع الله، وصدق الوقوف على أمر الله، والإعراض عما سوى الله.^(٢)

وقال ابن القيم^(٣): (وقد جعل الله الحياة الطيبة لأهل معرفته ومحبته وعبادته، فقال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً ۚ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾، وقد فسرت " الحياة الطيبة " بالقناعة والرضا، والرزق الحسن، وغير ذلك. والصواب: أنها حياة القلب ونعيمه، وبهجته

(١) سورة النحل الآية ٩٧

(٢) تفسير النسفي، ٢/ ٢٣٢، مصدر سابق.

(٣) انظر: ص ٦٩، من البحث.

وسروره بالإيمان ومعرفة الله، ومحبته، والإنابة إليه، والتوكل عليه؛ فإنه لا حياة أطيب من حياة صاحبها، ولا نعيم فوق نعيمه، إلا نعيم الجنة.

وإذا كانت حياة القلب حياة طيبة تبعته حياة الجوارح؛ فإنه ملكها. ولهذا جعل الله المعيشة الضنك لمن أعرض عن ذكره، وهي عكس الحياة الطيبة. (١)

وقال ابن القيم أيضاً في موضع آخر: (وأطيب العيش وألذه على الإطلاق عيش المحبين المشتاقين المستأنسين؛ فحياتهم هي الحياة الطيبة الحقيقية، ولا حياة للقلب أطيب ولا أنعم ولا أهنأ منها، وهي الحياة الطيبة في قوله تعالى: ﴿مَنْ عَمِلْ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً﴾؛ ليس المراد منها الحياة المشتركة بين المؤمنين والكفار والأبرار والفجار من طيب المأكل والملبس والمشرب والمنكح، بل ربما زاد أعداء الله على أوليائه في ذلك أضعافاً مضاعفة.

وقد ضمن الله سبحانه لكل من عمل صالحاً أن يحييه حياة طيبة؛ فهو صادق الوعد الذي لا يخلف وعده. . .) (٢)

الدراسة:

وقد تنوعت أقوال المفسرين في بيان المراد بالحياة الطيبة هنا، وهذا بيانها:
ذكر ابن جرير (٣) أن أهل التأويل اختلفوا في الذي عنى الله بالحياة الطيبة التي وعد هؤلاء القوم أن يحيوها، ثم ذكر خمسة أقوال، وهي حسب ترتيبه لها: الرزق الحلال الطيب، والقناعة، وحياة أهل الطاعة والإيمان، والسعادة، وحياة أهل الجنة.
ثم اختار أن المراد بها هنا القناعة. قال: (وذلك أن من قنعه الله بما قسم له من رزق لم يكتر للدنيا تعبها، ولم يعظم فيها نصبها، ولم يتكدر فيها عيشه باتباعه بغية ما

(١) مدارج السالكين ١٢٧/٤، مصدر سابق.

(٢) الداء والدواء - المعروف باسم: الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي ٤٣٦-٤٣٧، ل ابن القيم - ت: عامر بن علي ياسين ط١: دار ابن خزيمة - الرياض - ١٤١٧ هـ.

(٣) انظر: ص ٨٢، من البحث.

فاته منها وحرصه على ما لعله لا يدركه فيها). ثم علل اختياره هذا بمناسبة هذا القول
للآيات التي قبلها، حيث توعّد الله ﷻ من عصاه بأنه يذوق السوء في الدنيا، وله
العذاب العظيم في الآخرة؛ فأراد أن يعقب ذلك بالوعد لأهل طاعته بالإحسان في
الدنيا، والغفران في الآخرة، وكذلك فعل تعالى ذكره.

ثم بين أن تفسير " الحياة الطيبة " بالرزق الحلال يحتمل أن يرجع إلى هذا القول
المختار؛ من حيث أنه تعالى يقنعه في الدنيا بالذي يرزقه من الحلال وإن قل فلا
تدعوه نفسه إلى الكثير منه من غير حله، لا أنه يرزقه الكثير من الحلال؛ وذلك أن
أكثر العاملين لله تعالى بما يرضاه من الأعمال لم نرهم رزقوا الرزق الكثير من الحلال
في الدنيا، ووجدنا ضيق العيش عليهم أغلب من السعة.^(١)

وذكر ابن عطية^(٢) الأقوال التي نقلها ابن جرير^(٣) عن أهل التأويل، وبين أن
الطيب المطلق في الجنة، ولكن ظاهر هذا الوعد أنه في الدنيا. ثم بين اختياره بقوله:
(والذي أقول: إن طيب الحياة اللازم للصالحين إنما هو بنشاط نفوسهم ونبها وقوة
رجائهم، والرجاء للنفس أمر ملذ؛ فهذا تطيب حياتهم، وبأنهم احتقروا الدنيا فزال
همومها عنهم، فإن انضاف إلى هذا مال حلال وصحة أو قناعة فذلك كمال، وإلا
فالطيب فيما ذكرناه راتب).^(٤)

ووافقه أبو حيان^(٥) في كون المراد بالحياة الطيبة هنا الحياة الطيبة في الدنيا، قال:
(وبدل عليه قوله: ﴿وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ﴾، يعني في الآخرة). ثم ذكر الأقوال التي

(١) جامع البيان ١٤/٣٥٠-٣٥٥، مصدر سابق.

(٢) انظر: ص ٤٦، من البحث.

(٣) انظر: ص ٨٢، من البحث.

(٤) المحرر الوجيز ٨/٥٠٦، مصدر سابق.

(٥) انظر: ص ٨١، من البحث.

ذكرها، ونقل قوله السابق، ولم يعلق عليه بشيء.^(١)

وأما الرازي^{(٢)(٣)}، والقرطبي^{(٤)(٥)}، فذكرنا ما قيل في تعيين المراد بالحياة الطيبة، ولم يذكرنا ما يدل على اختيارهما، إلا أن الرازي نقل قول الواحد^(٦): (وقول من يقول: إنها القناعة حسن مختار؛ لأنه لا يطيب عيش أحد في الدنيا إلا عيش القانع، وأما الحريص فإنه يكون أبدا في الكد والعناء)^(٧)، ثم ذكر وجوه تفضيل عيش المؤمن على عيش الكافر. وذكر ابن كثير^(٨) أن الحياة الطيبة تشمل وجوه الراحة من أي جهة كانت، وذكر الأقوال السابقة، ثم قال: (والصحيح أن الحياة الطيبة تشمل هذا كله)^(٩) وقال ابن عاشور^(١٠): (وهذا وعد بخيرات الدنيا؛ وأعظمها الرضى بما قسم لهم وحسن أملهم بالعاقبة، والصحة والعافية، وعزة الإسلام في نفوسهم. وهذا مقام دقيق تتفاوت فيه الأحوال على تفاوت سرائر النفوس، ويعطي الله فيه عباده المؤمنين على مراتب همهم وآمالهم)^(١١) ومما سبق يعلم أن من أقوى الأقوال التي ذكرها المفسرون في تفسير الحياة الطيبة: القناعة؛ وقد ثبت هذا التفسير عن ابن عباس^(١٢) رضي الله عنهما.^(١٣) وثبت عنه أيضا تفسيرها بالسعادة^(١٤).

(١) البحر المحيط ٥٩٢/٦، مصدر سابق.

(٢) انظر: ص ٤١، من البحث.

(٣) التفسير الكبير ٩٠/٢٠-٩١، مصدر سابق.

(٤) انظر: ص ٨١، من البحث.

(٥) الجامع لأحكام القرآن ١٠/١٧٤، مصدر سابق.

(٦) انظر: ص ٨٠، من البحث.

(٧) لم أجد قوله هذا في الوسيط، فلعله في البسيط.

(٨) انظر: ص ٨١، من البحث.

(٩) تفسير القرآن العظيم ٥/٢٠١٥، مصدر سابق.

(١٠) انظر: ص ٨٣، من البحث.

(١١) التحرير والتنوير ١٤/٢٧٣، مصدر سابق.

(١٢) انظر: ص ٤٧، من البحث.

(١٣) أخرجه الحاكم في المستدرک ٢/٣٥٦، وقال صحيح الإسناد ولم يخرجاه. وانظر التفسير الصحيح للدكتور

حكمت بن بشير ٣/٢٠٤، مصدر سابق.

(١٤) أخرجه ابن جرير ١٤/٣٥٣ بسند حسن كما في التفسير الصحيح ٣/٢٠٤، مصدران سابقان.

وهذا يدل على أن هذه الأقوال من باب التمثيل، وأن الحياة الطيبة تشمل تلك المعاني وغيرها.

النتيجة:

لا يخفى أن الحياة الطيبة من حيث هي تشمل كل الأقوال التي نقلت في تفسيرها، ولكن تعيين المراد بالحياة الطيبة في الآية يحتاج إلى نظر في نظمها وسياقها، مع تنزيل ذلك على الواقع المدرك المشاهد.

وعلى هذا، فأظهر الأقوال في المراد بالحياة الطيبة هنا أنها حياة الطاعة والإيمان، وما يترتب عليها من السعادة والأنس بالله ﷻ، والرضا بحكمه، والتسليم لأمره. وهذه المعاني متعلقة بالقلب. والخلاف من اختلاف التنوع. ويحتمل اللفظ لأكثر من معنى.

المسألة الثالثة والثلاثون

قول الله تعالى: ﴿ وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا

تَدْمِيرًا ﴾^(١)

المسألة: الكلام على قوله تعالى: ﴿أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا﴾.

أختار الامام النسفي رحمه الله أن المراد بالأمر هنا الأمر الشرعي فقال:

﴿ وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً ﴾ أي أهل قرية ﴿أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا﴾ متنعميها وجبايرتها بالطاعة

عن أبي عمرو^(٢) والزجاج^(٣) ﴿فَفَسَقُوا فِيهَا﴾ أي خرجوا عن الأمر كقولك أمرته فعصى أو أمرنا كثرنا دليله قراءة يعقوب^(٤) أمرنا^(٥).

الدراسة: الأقوال المشهورة في المراد بـ "أمرنا" هنا ثلاثة أقوال^(٦):

القول الأول منها: أنه من الأمر، وفي الكلام إضمار، تقديره: أمرنا مترفيها بالطاعة، ففسقوا. وهذا القول مروى عن ابن عباس^(٧)، وسعيد بن جبير^(٨)، قال الزجاج: (ومثله في الكلام: أمرتك فعصيتي؛ فقد علم أن المعصية مخالفة الأمر.)^(٩) القول الثاني: كثرنا يقال: أمرت الشيء وأمرته، أي: كثرته. وهو قول أبي

(١) سورة الإسراء الآية ١٦

(٢) انظر: ص ٦٤، من البحث..

(٣) انظر: ص ٦٥، من البحث.

(٤) انظر: ص ٦٥، من البحث.

(٥) تفسير النسفي، ٢/٢٤٩، مصدر سابق.

(٦) انظرها في زاد المسير ١٨/٥-١٩، مصدر سابق.

(٧) انظر: ص ٤٧، من البحث.

(٨) أخرج قوله ابن جرير ١٤/٥٢٧، مصدر سابق.

(٩) انظر: ص ٧٩، من البحث.

(١٠) أخرجه قوله ابن جرير ١٤/٥٢٨، مصدر سابق.

(١١) معاني القرآن وإعرايه ٣/٢٣٢، مصدر سابق.

عبيدة^(١)، وابن قتبية^{(٢)(٣)}. ويؤيد هذا القول قراءة: ﴿أمرنا﴾^(٤). وبهذا المعنى رويت الأقوال في تفسير الآية عن ابن عباس^(٥)، وعكرمة^(٦)، والحسن^(٧)، وقتادة^(٨)، وابن زيد^(٩).^(١٠)

القول الثالث: أن معنى أمرنا: أمّرنا، يقال: أمرت الرجل، بمعنى: أمرته. والمعنى: سلطنا مترفيها بالإمارة. ويؤيد هذا القول قراءة: "أمرنا"^(١١)، وعلى هذه القراءة جاء تفسير ابن عباس، حيث قال: "أمرنا مترفيها" سلطنا أشرارها فعصوا فيها، فإذا فعلوا ذلك أهلكتهم بالعذاب، وهو قوله: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَبِيلَةٍ مُّجْرِمِيهَا لِيَمَّكُرُوا فِيهَا﴾^{(١٢)(١٣)} ومثله قول مجاهد^(١٤):

(١) مجاز القرآن ١/٣٧٢-٣٧٣، مصدر سابق.

(٢) انظر: ص ١١١، من البحث.

(٣) تفسير غريب القرآن، ٢٥٢، مصدر سابق.

(٤) قراءة عشرية متواترة، قرأ بها يعقوب كما في النشر في القراءات العشر ٢/٣٠٦، للحافظ أبي الخير محمد بن محمد بن الجزري - دار الكتب العلمية بيروت - لبنان . ورويت عن نافع، وابن كثير كما في معاني القراءات ٢/٨٩، لأبي منصور الأزهري - تحقيق عيد مصطفى درويش وعوض القوزي - الطبعة الأولى ١٤١٤هـ.

(٥) انظر: ص ٤٧، من البحث.

(٦) انظر: ص ٤٩، من البحث.

(٧) انظر: ص ٥٠، من البحث.

(٨) انظر: ص ٤٩، من البحث.

(٩) انظر: ص ٤٧، من البحث.

(١٠) أقوالهم في تفسير ابن جرير ١٤ / ٥٣٠-٥٣٢، مصدر سابق.

(١١) قراءة شاذة قرأ بها ابن عباس بخلاف، وأبو عثمان النهدي، وأبو العالية بخلاف، ورويت عن أبي عمرو والسدي وعاصم كلهم بخلاف. المحتسب في تبين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها ٢/١٦، لـ أبي الفتح عثمان بن جني . لجنة إحياء التراث الإسلامي . مصر ، ١-١٣٨٦هـ. وعزاها في السبعة ٣٧٩ إلى أبي عمرو من رواية أبي العباس الليثي المعروف بختن ليث. وهي مروية عن ابن كثير كذلك كما في معاني القراءات للأزهري ٢/٨٩، مصدر سابق.

(١٢) سورة الأنعام الآية ١٢٣

(١٣) أخرجه ابن جرير ١٤ / ٥٢٩-٥٣٠ بإسناد صحيح كما في التفسير الصحيح ٣/٢٣٦، المصدر السابق.

(١٤) انظر: ص ٤٧، من البحث.

بعثنا^(١)، وقول الربيع بن أنس^(٢): سلطنا.^(٣) وأما موقف أئمة التفسير من هذه الأقوال؛ فيتضح من خلال هذا العرض:

بدأ ابن جرير^(٤) في تفسيره لهذه الآية بذكر القراءات التي قرئ بها قول الله ﷻ: ﴿أَمْرًا﴾، ثم ذكر معنى الآية على كل قراءة. وقد ذكر الأقوال الثلاثة السابقة، ووجه كل قول منها، وذكر من قال بكل قول من أهل التأويل، وأهل اللغة.

وقد ختم ذلك ببيان موقفه من تلك القراءات، وتلك الأقوال، فرجح قراءة جمهور القراء المشهورة، وبين أنها أولى القراءات بالصواب، ورجح القول الأول من الأقوال الثلاثة السابقة في معنى الآية قائلا: (وإذا كان ذلك هو الأولى بالصواب بالقراءة، فأولى التأويلات به تأويل من تأوله: أمرنا أهلها بالطاعة فعصوا وفسقوا فيها، فحق عليهم القول؛ لأن الأغلب من معنى "أمرنا": الأمر الذي هو خلاف النهي دون غيره، وتوجيه معاني كلام الله جل ثناؤه إلى الأشهر الأعراف من معانيه، أولى ما وجد إليه سبيل من غيره)^(٥) وكذلك ابن عطية^(٦)، والقرطبي^(٧)؛ ذكرنا الأقوال الثلاثة السابقة، ونقلنا القراءات التي قرئ بها هنا، وذكرنا التوجيه المناسب لكل قراءة، ومعنى الآية على كل قول، إلا أنهما لم يذكرنا ترجيحاً أو اختياراً، واكتفيا بعرض تلك الأقوال كاحتمالات لا مانع من قبولها كلها^(٨).

(١) أخرجه ابن جرير ١٤ / ٥٢٩-٥٣٠ بإسناد صحيح كما في التفسير الصحيح ٣ / ٢٣٦، المصدر السابق.

(٢) هو: الربيع بن أنس البكري البصري ثم الخراساني، روى عن أنس بن مالك وأبي العالية والحسن البصري، وروى عنه: الأعمش، ومقاتل بن حيان، وابن المبارك وغيرهم، قال العجلي: بصري صدوق. وقال النسائي: ليس به بأس. وقال ابن معين: كان يتشيع فيفرض. مات سنة ١٣٩ هـ أو ١٤٠ هـ. تهذيب التهذيب ١ / ٥٩٠، ٥٨٩. مصدر سابق.

(٣) أخرجه ابن جرير ١٤ / ٥٢٩، مصدر سابق.

(٤) انظر: ص ٨٢، من البحث.

(٥) جامع البيان ١٤ / ٥٢٧-٥٣٢، مصدر سابق.

(٦) انظر: ص ٤٦، من البحث.

(٧) انظر: ص ٨١، من البحث.

(٨) المحرر الوجيز ٩ / ٣٩-٤٣، الجامع لأحكام القرآن ١٠ / ٢٣٢-٢٣٤، مصدران سابقان.

وذكر الرازي^(١) قولين في معنى: ﴿أَمْرًا﴾:

الأول: أنه المراد به الأمر بالفعل. ثم في المأمور به قولان: أشهرهما أنه أمر بالطاعة - كما في القول الأول من الأقوال الثلاثة السابقة -.

والقول الثاني: أن المأمور به الفسق - كما هو قول الزمخشري^(٢)^(٣). وقد بين الرازي بطلان هذا القول، واستغرب اختيار الزمخشري له، ثم قال: (فثبت أن الحق ما ذكره الكل، وهو أن المعنى: أمرناهم بالأعمال الصالحة - وهي الإيمان والطاعة -، والقوم خالفوا ذلك الأمر عنادا، وأقدموا على الفسق).

والقول الثاني في معنى ﴿أَمْرًا مَّتْرَفِيهَا﴾: أكثرنا فساقها. ثم بين وجه هذا القول، ولم يبين موقفه منه.^(٤)

وتوسع أبو حيان^(٥) في ذكر القراءات، والأقوال التي قيلت في توجيهها، ونقل الكثير من أقوال من سبقه في ذلك، مع تعليقات واستدراكات، أكثرها على كلام الزمخشري^(٦) فيما ذكره في تفسيره للآية.

ومما ذكره أبو حيان من أحكام، وتعليقات: "الظاهر على القراءة المشهورة أن " أمرنا " من الأمر الذي هو ضد النهي". علق على ما ذكره الزمخشري من كون القول الذي اختاره لا يحتاج إلى تقدير محذوف، بخلاف القول المشهور الذي يحتاج الكلام فيه إلى تقدير محذوف لا دليل عليه، ثم قوله: (لأن حذف ما لا دليل عليه غير جائز)؛ علق عليه بقوله: (وقوله "لأن حذف ما لا دليل عليه غير جائز" تعليل لا

(١) انظر: ص ٤١، من البحث.

(٢) انظر: ص ١١١، من البحث.

(٣) قوله في تفسيره الكشاف ٢/٣٥٤-٣٥٥، مصدران سابقان.

(٤) التفسير الكبير ٢٠/١٣٩-١٤٠، مصدر سابق.

(٥) انظر: ص ٨١، من البحث.

(٦) انظر: ص ١١١، من البحث.

يصح فيما نحن بسبيله بل ثم ما يدل على حذفه. " في هذه الآية يستدل على المحذوف بنقيضه، ودلالة النقيض على النقيض كدلالة النظير على النظير.

وبقية ما ذكره وافق فيه ابن عطية^(١)، والقرطبي^(٢) من حيث عدم بيان موقفه منه، واقتصاره على النقل، والتعليق.^(٣)

وذكر ابن القيم^(٤) قولين فقال: فهذا أمر تقدير كوني لا أمر ديني شرعي؛ فإن الله لا يأمر بالفحشاء. والمعنى: قضينا ذلك وقدرناه.

وقالت طائفة: بل هو أمر ديني. والمعنى: أمرناهم بالطاعة فخالفونا وفسقوا.

والقول الأول أرجح لوجوه:

أحدها: أن الإضمار على خلاف الأصل؛ فلا يصار إليه إلا إذا لم يمكن تصحيح الكلام بدونه.

الثاني: أن ذلك يستلزم إضمارين، أحدهما: أمرناهم بطاعتنا، والثاني: فخالفونا أو عصونا، ونحو ذلك.

الثالث: أن ما بعد الفاء في مثل هذا التركيب هو المأمور به نفسه، كقولك: أمرته ففعل، وأمرته فقام، وأمرته فركب؛ لا يفهم المخاطب غير هذا.

الرابع: أنه سبحانه جعل سبب هلاك القرية أمره المذكور. ومن المعلوم أن أمره بالطاعة والتوحيد لا يصلح أن يكون سبب الهلاك، بل هو سبب للنجاة والفوز.

فإن قيل: أمره بالطاعة مع الفسق هو سبب الهلاك.

قيل: هذا يبطل بالوجه الخامس: وهو أن هذا الأمر لا يختص بالمترفين، بل هو سبحانه يأمر بطاعته واتباع رسله المترفين وغيرهم؛ فلا يصح تخصيص الأمر

(١) انظر: ص ٤٦، من البحث.

(٢) انظر: ص ٨١، من البحث.

(٣) البحر المحيط ٧/٢٤-٢٧، مصدر سابق.

(٤) انظر: ص ٦٩، من البحث.

بالطاعة.

يوضحه الوجه السادس: أن الأمر لو كان بالطاعة لكان هو نفس إرسال رسله إليهم. ومعلوم أنه لا يحسن أن يقال: أرسلنا رسلنا إلى مترفيها ففسقوا فيها؛ فإن الإرسال لو كان إلى المترفين لقال من عداهم: نحن لم يرسل إلينا.

السابع: أن إرادة الله سبحانه لإهلاك القرية إنما يكون بعد إرسال الرسل إليهم وتكذيبهم، وإلا فقبل ذلك هو لا يريد إهلاكهم، لأنهم معذرون بغفلتهم وعدم بلوغ الرسالة إليهم، قال تعالى: ﴿ذَلِكَ أَنْ لَمْ يَكُنْ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَفْلُونَ﴾^(١)، فإذا أرسل الرسل فكذبوهم أراد إهلاكها، فأمر رؤساءها ومترفيها أمرا كونيا قدريا - لا شرعيا دينيا - بالفسق في القرية، فاجتمع على أهلها تكذيبهم وفسق رؤسائهم؛ فحينئذ جاءها أمر الله، وحق عليها قوله بالإهلاك^(٢).

وتميز ابن كثير^(٣) بذكر القول الذي رجحه ابن القيم^(٤)، مع الأقوال الثلاثة الأخرى التي نقلها المفسرون، إلا أنه لم يذكر ترجيحا ولا اختيارا. وقد يؤخذ من طريقته في عرضه للأقوال ميله إلى القول الذي رجحه ابن القيم؛ لأنه بدأ به، وذكر الأقوال الأخرى بصيغ تدل التضعيف، مثل: " قيل "، " وقد يحتمل " .^(٥)

وأما ابن عاشور^(٦) فلم يذكر أقوالا في معنى الآية، واقتصر في تفسيره لها على القول الأول من الأقوال الثلاثة المشهورة، فقال: (ومتعلق ﴿أَمْرًا﴾ محذوف، أي: أمرناهم بما نأمرهم به، أي بعثنا إليهم الرسول وأمرناهم بما نأمرهم على لسان رسولهم

(١) سورة الانعام ١٣١

(٢) شفاء العليل ٧٦٩/٢-٧٧١، وبدائع التفسير ٧٥/٣-٧٦، مصدران سابقان.

(٣) انظر: ص ٨١، من البحث.

(٤) انظر: ص ٦٩، من البحث.

(٥) تفسير القرآن العظيم ٢٠٧٩/٥، مصدر سابق.

(٦) انظر: ص ٨٣، من البحث.

فَعَصُوا الرَّسُولَ، وَفَسَقُوا فِي قَرِيَّتِهِمْ).

ومما نبه إليه في سياق تفسيره للآية: سبب تخصيص المترفين بالأمر؛ فقد ذكر علة هذا التخصيص بقوله: (وتعليق الأمر بخصوص المترفين مع أن الرسل يخاطبون جميع الناس؛ لأن عصيانهم الأمر الموجه إليهم هو سبب فسقهم وفسق بقية قومهم؛ إذ هم قادة العامة، وزعماء الكفر؛ فالخطاب في الأكثر يتوجه إليهم، فإذا فسقوا عن الأمر اتبعهم الدهماء، فعم الفسق أو غلب على القرية، فاستحقت الهلاك).^(١)

وقد ذكر الشنقيطي^(٢) أشهر الأقوال في تفسير هذه الآية، وعد منها القول الذي رجحه ابن القيم^(٣)، ثم رجح القول الأول من الأقوال الثلاثة السابق ذكرها في أول الدراسة، وذكر أنه الصواب الذي دل عليه القرآن، وعليه جمهور العلماء.

قال: (وهذا القول الصحيح في الآية جار على الأسلوب العربي المؤلف، من قولهم: "أمرته فعصاني"، أي أمرته بالطاعة فعصى. وليس المعنى: أمرته بالعصيان كما لا يخفى).^(٤)

النتيجة:

الأقوال الثلاثة المشهورة في تفسير الآية كلها صحيحة مقبولة، ولا تعارض بينها؛ فالمختار حمل الآية عليها جميعا، ويكون المعنى: إذا أراد الله إهلاك قرية - لعلمه السابق أنهم يكفرون - كثر مترفيها، وجعلهم أمراء متسلطين، وأمرهم على لسان رسله والدعاة إلى دينه بالطاعة فعصوا، فتكون المعصية والفسوق غالبين؛ فإذا تحققت هذه الأمور مجتمعة حق عليها القول، فدمرها الله تعالى تدميرا.^(٥)

(١) التحرير والتنوير ١٥/٥٣-٥٥، مصدر سابق.

(٢) انظر: ص ٦٤، من البحث.

(٣) انظر: ص ٦٩، من البحث.

(٤) أضواء البيان ٣/٤٤١-٤٤٥، مصدر سابق.

(٥) القراءات وأثرها في التفسير والأحكام ٢/٥٨٩-٥٩٠، إعداد: محمد بن عمر بن سالم بازمول ط١: دار الهجرة

للنشر والتوزيع الرياض ١٤١٧ هـ.

وجميل ما قاله ابن العربي^(١) بعد ذكره لهذه الأقوال الثلاثة: (والقول فيها من كل جهة متقارب متداخل).^(٢)

وأما القول الذي رجحه ابن القيم^(٣) فيبقى قولاً محدثاً في تفسير الآية، ليس له فيه سلف من أئمة التفسير المتقدمين فيما أعلم؛ ففي النفس منه شيء. وكل الوجوه التي ذكرها لا تكفي لترجيحه؛ لأنها وجوه اجتهادية غير مسلمة. وقد ورد في سياق كلام المفسرين المذكور في أثناء الدراسة الجواب عن أكثرها. ومن قواعد التفسير: (إذا تكلم أحد من المتأخرين في معنى آية من القرآن قد تقدم كلام المتقدمين فيها، فخرج عن قولهم لم يلتفت إلى قوله، ولم يعد خلافاً).^(٤) وعبر بعضهم عن هذه القاعدة بقوله: (إذا اختلف السلف في تفسير الآية على قولين لم يجز لمن بعدهم إحداث قول ثالث يخرج عن قولهم).^(٥) والقول المحدث يرد إذا كان يلزم منه رد أقوال السلف، وأما إذا كانت الآية تحتمله مع أقوال السلف، وهو غير مخالف لها؛ فلا وجه لرده، ولا مانع من قبوله إذا كان صحيحاً في نفسه.

(١) انظر: ص ١٥١، من البحث.

(٢) أحكام القرآن ٣/١٨٣، مصدر سابق.

(٣) انظر: ص ٦٩، من البحث.

(٤) كتاب الناسخ والمنسوخ في كتاب الله ﷻ للنحاس ٢/٣٢٨-٣٢٩، مصدر سابق.

(٥) تفصيل هذه القاعدة في كتاب قواعد التفسير للدكتور خالد السبت ١/٢٠٠-٢٠٥، مصدر سابق.

المسألة الرابعة والثلاثون

قول الله تعالى: ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا

مَسْتُورًا﴾^(١)

المسألة: الكلام على قوله تعالى: ﴿حِجَابًا مَسْتُورًا﴾ قال الامام النسفي - رحمه الله

- " ذا ستر أو حجاباً لا يرى فهو مستور"^(٢)

الدراسة:

تضمن كلام الامام النسفي السابق اختياره في تفسير هذه الآية:

فالأول: اختياره في المراد بالحجاب في الآية، حجاباً لا يرى فهو مستور.

والثاني: ترجيحه في معنى: ﴿مستورا﴾ هنا، فقد اختار ذا ستر. ولعل من المناسب

أن تكون دراسة كل منهما في مسألة مستقلة.

المراد بالحجاب في هذه الآية:

في هذه المسألة قولان للمفسرين:

القول الأول: أن المعنى: وإذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون

بالآخرة حجابا يحول بينهم وبين فهمه، وتدبره، والإيمان به. وهذا قول قتادة^(٣)،

والنسفي^(٥).

القول الثاني: المراد بالحجاب المستور أن الله يستره عن أعين الكفار فلا يرونه.

(١) سورة الإسراء الآية ٤٥

(٢) تفسير النسفي، ٢/ ٢٦٠، مصدر سابق.

(٣) انظر: ص ٤٩، من البحث.

(٤) أخرجه عبد الرزاق ٣٢٢/١ بإسناد صحيح، وأخرجه ابن جرير ٦٠٨/١٤ من طريقه، ومن طريق آخر بسند

حسن. التفسير الصحيح للدكتور حكمت بن بشير ٢٥٦/٣، مصادر سابقة.

(٥) تفسير النسفي، ٢/ ٢٦٠، مصدر سابق.

وهو قول الكلبي^(١). ويدل عليه ما روي عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله تعالى عنها^(٢) أنها قالت: لما نزلت ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾^(٣) جاءت العوراء أم جميل^(٤) ولها ولولة، وفي يدها فهر^(٥)، وهي تقول: مذمما أبينا، ودينه قلينا، وأمره عصينا. ورسول الله ﷺ جالس في المسجد، وأبو بكر إلى جنبه، فقال أبو بكر رضي الله عنه: لقد أقبلت هذه، وأنا أخاف أن تراك، فقال: "إنها لن تراني"، وقرأ قرآنا اعتصم به منها: ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا﴾. قال: فجاءت حتى قامت على أبي بكر، فلم تر النبي ﷺ، فقالت: يا أبا بكر؛ بلغني أن صاحبك هجاني، قال أبو بكر: لا ورب هذا البيت ما هجاك، قال: فانصرفت وهي تقول: لقد علمت قريش أنني بنت سيدها^(٦).

(١) هو: محمد بن السائب بن بشر الكلبي، أبو النضر الكوفي، النسابة المفسر، متهم بالكذب، ورمي بالرفض، مات سنة ١٤٦ هـ. تقريب التهذيب ص ٨٤٧، وطبقات المفسرين ١٤٩/٢.

(٢) هي أسماء بنت أبي بكر، والدة عبدالله بن الزبير بن العوام، أسلمت قديماً بمكة، قال ابن إسحاق: بعد سبعة عشر نفساً، وكانت تلقب "ذات النطاقين"، قال أبو عمر: سماها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لأنها هيأت له لما أراد الهجرة سفرة، فاحتاجت إلى أن تشدها به، فشقت خمارها نصفين فشدت بنصفه السفرة واتخذت النصف الآخر منطقالاً. قال أبو نعيم الأصبهاني: ولدت قبل الهجرة بسبع وعشرين سنة، وعاشت إلى أوائل سنة أربع وعشرين، وقيل عاشت بعد ابنها عشرين يوماً وقيل غير ذلك [انظر ترجمتها في الاستيعاب: ٢٢٨/٤ - ٢٣٠، وأسد الغابة: ٣٩٢/٥ - ٣٩٣، والإصابة: ٢٢٥/٤]

(٣) سورة المسد الآية ١

(٤) هي: أم جميل العوراء، واسمها: أروى بنت حرب بن أمية، زوج لهب، وأخت أبي سفيان وكانت من سادات قريش. السيرة النبوية ٤٣٥/١، لابن هشام، ت: د. همام عبد الرحيم سعيد ومحمد أبو صعيليك، ط: مكتبة المنار، الأردن، ١٤٠٩ هـ/ ١٩٨٨ م، تفسير ابن كثير ٤/٦٠٣، ٦٠٤، مصدر سابق.

(٥) حجر يملأ الكف، وقيل: الحجر مطلقاً. انظر لسان العرب - مادة: فهر.

(٦) أخرجه الحميدي في مسنده ١/٣٢٣-٣٢٤، ت: حسين سليم أسد الداراني ط ٢: دار المأمون للتراث بدمشق - دار المغني للنشر والتوزيع بالرياض ١٤٢٣ هـ. - رقم ٣٢٥، ومن طريقه الحاكم في المستدرک ٢/٣٩٣ وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي. وله شواهد يتقوى بها. وللتوسع في تخريجه انظر تعليق محققي تفسير القرآن العظيم ٩/٢١-٢٢ [طبعة مكتبة أولاد الشيخ للتراث]. وانظر الروايات في هذا المعنى في الدر المنثور ٩/٣٦٦-٣٧٠.

وقد اختار النسفي القول الأول.

وقد تباينت مواقف المفسرين من هذين القولين على النحو التالي:

اقتصر ابن جرير^(١) على القول الأول الذي اختاره النسفي، واستدل على ذلك بقول

قتادة^{(٢)(٣)}.

ووافقه ابن كثير^(٤)، إلا أنه ذكر حديث أسماء السابق، ولم يعلق عليه بشيء^(٥).

وذكر ابن عطية^(٦) أن الآية تحتمل المعنيين، وأنها على القول الأول تكون بمعنى

التي بعدها، وعلى القول الثاني - الذي تشهد له حوادث مشهورة مروية - تدل الآيتان

على معنيين. ولم يزد على ذلك^(٧).

ووافقه الرازي^(٨) في ذكر القولين في معنى الآية، غير أنه ذكر بعض الروايات

التي أشار إليها ابن عطية. ولم يذكر ما يدل على اختياره أو ترجيحه لأي من هذين

القولين^(٩).

وذكر القرطبي^(١٠) القولين، مبتدئاً بالقول الثاني، وذكر الروايات الدالة عليه، ثم

قال عن هذا القول: (وهو الأظهر في الآية، والله أعلم)^(١١)

ووافقه أبو حيان^(١٢)، وقال: (والظاهر أن المعنى جعلنا بين رؤيتك وبين أبصار

(١) انظر: ص ٨٢، من البحث.

(٢) انظر: ص ٤٩، من البحث.

(٣) جامع البيان ٦٠٧/١٤-٦٠٨، مصدر سابق.

(٤) انظر: ص ٨١، من البحث.

(٥) تفسير القرآن العظيم ٢٠٩٧/٥، مصدر سابق.

(٦) انظر: ص ٤٦، من البحث.

(٧) المحرر الوجيز ٩٨/٩-٩٩، مصدر سابق.

(٨) انظر: ص ٤١، من البحث.

(٩) التفسير الكبير ١٧٦/٢٠-١٧٧، مصدر سابق.

(١٠) انظر: ص ٨١، من البحث.

(١١) الجامع لأحكام القرآن ٢٦٩/١٠-٢٧١، مصدر سابق.

(١٢) انظر: ص ٨١، من البحث.

الذين لا يؤمنون بالآخرة كما ورد في سبب النزول).^(١)

وأما ابن عاشور^(٢) فذكر أن لفظ الحجاب يصلح للمعنيين، واستعماله للمعنى الثاني من باب الحمل على حقيقة اللفظ، واستعماله للمعنى الأول من باب الحمل على ما له نظير في القرآن.^(٣)

ومما سبق يعلم أن كفتي القولين السابقين متقاربتان، ولم يصرح أحد من المفسرين برد أي من هذين القولين، إلا ما كان من أبي السعود^(٤)؛ فقد بالغ في الحكم على القول الثاني، ونص على أن حمل الحجاب على ما دل عليه حديث أسماء السابق: (مما لا يقبله الذوق السليم، ولا يساعده النظم الكريم).^(٥)

النتيجة:

قول من حمل الآية على المعنيين هو المختار؛ لأنه لا حجة بينة ترد أي من هذين القولين. والأظهر من القولين هو ما اختاره القرطبي^(٦)، وأبو حيان^(٧)، وهو أن المراد بالحجاب المستور أن الله يستر رسوله ﷺ عن أعين الكفار فلا يرونه، ولا يصلون إليه؛ لأن الروايات المذكورة تدل على ذلك، ولأنه أقرب إلى حقيقة اللفظ من القول الآخر؛ فالله تعالى قال: ﴿جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا﴾ ولم يقل: جعلنا بينهم وبين القرآن حجابا.

ثم إنه يفيد معنى جديدا غير المعنى الذي تفيده الآية التي بعد هذه الآية؛ والمقرر أن التأسيس أولى من التأكيد، وتكثير المعاني أولى من تقليها.

(١) البحر المحيط ٥٥/٧-٥٦، مصدر سابق.

(٢) انظر: ص ٨٣، من البحث.

(٣) التحرير والتنوير ١١٦/١٥ .

(٤) انظر: ص ١٨١، من البحث.

(٥) إرشاد العقل السليم ١٧٥/٥، مصدر سابق.

(٦) انظر: ص ٨١، من البحث.

(٧) انظر: ص ٨١، من البحث.

المسألة الخامسة والثلاثون

قول الله تعالى: ﴿جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا﴾^(١)

المسألة: معنى: ﴿مَسْتُورًا﴾ هنا في معنى " مستورا " ثلاثة أقوال:

القول الأول: أن ﴿مَسْتُورًا﴾ هنا اسم مفعول على بابه، أي: مستورا عن الأبصار؛

فلا يرى.

القول الثاني: أنه بمعنى ساتر. قال الزجاج^(٢): وهذا قول أهل اللغة.^(٣)

القول الثالث: وهو الذي اختاره الامام النسفي، وهو أنه على النسب، أي: ذو

ستر^(٤).

وقد ذكر ابن جرير^(٥) القولين المشهورين، الأول والثاني واختار الأول؛ لأنه أظهر

بمعنى الكلام. ومع ذلك لم يرد القول الثاني، بل ذكر أن له وجهاً مفهوماً.^(٦)

ووافق ابن عطية^(٧) في اختيار القول الأول، فقال: (﴿مَسْتُورًا﴾ أظهر ما فيه أن

يكون نعتاً للحجاب، أي مستورا عن أعين الخلق لا يدركه أحد برؤية كسائر الحجب،

وإنما هو من قدرة الله وكفايته وإضلاله بحسب التأويلين المذكورين).

ثم ذكر القول الثاني، وعزاه إلى الأخفش^(٨)^(٩)، وعلق عليه بقوله: (وهذا لغير داعية

إليه تكلف)^(١٠)

(١) سورة الإسراء الآية ٤٥

(٢) انظر: ص ٤٧، من البحث.

(٣) معاني القرآن وإعرابه ٢/٣، ٢٤٢، مصدر سابق.

(٤) تفسير النسفي، ٢/٢٦٠، مصدر سابق.

(٥) انظر: ص ٨٢، من البحث.

(٦) جامع البيان ١٤/٦٠٨-٦٠٩، مصدر سابق.

(٧) انظر: ص ٤٦، من البحث.

(٨) انظر: ص ٢٠٢، من البحث.

(٩) معاني القرآن ٢/٦١٣، ل أبي الحسن سعيد بن مسعدة الأخفش الأوسط. الشركة الكويتية لصناعة

الدفاتر، ١٤٠١هـ. جمع وتحقيق الدكتور عبد الأمير محمد أمين الورد.

(١٠) المحرر الوجيز ٩/٩٩، مصدر سابق.

وذكر الرازي^(١) الأقوال الثلاثة، ورجح الأول، وقال: إنه الحق، وعلق على القول الثاني بقوله: (هذا قول الأخفش، وتابعه عليه قوم، إلا أن كثيرا منهم طعن في هذا القول)^(٢)

وأما القرطبي^(٣)؛ فذكر القولين المشهورين، ولم يرجح أو يختار.^(٤)
وقال أبو حيان^(٥): (والظاهر إقرار **مَسْتَوْرًا** على موضوعه من كونه اسم مفعول أي: مستورا عن أعين الكفار فلا يرونه. .)، ثم ذكر القولين الآخرين.^(٦)
وبدأ ابن كثير^(٧) بالقول الثاني، ثم قال: (وقيل: مستورا عن الأبصار فلا تراه، وهو مع ذلك حجاب بينهم وبين الهدى. ومال إلى ترجيحه ابن جرير رحمه الله^(٨)) ولم يزد على هذا.^(٩)

وأما ابن عاشور^(١٠) فقال: (ووصف الحجاب بالمستور مبالغة في حقيقة جنسه، أي حجابا بالغا الغاية في حجب ما يحجبه هو حتى كأنه مستور بسائر آخر، فذلك في قوة أن يقال: جعلنا حجابا فوق حجاب. . . أو أريد أنه حجاب من غير جنس الحجب المعروفة، فهو حجاب لا تراه الأعين ولكنها ترى آثار أمثاله)^(١١)
وقد أشار ابن عطية^(١٢) إلى الاحتمال الأول الذي ذكره، وتعقبه بقوله: (وهذا معترض بأن المبالغة أبدا إنما تكون باسم الفاعل، ومن اللفظ الأول؛ فلو قال حجابا

(١) انظر: ص ٤١، من البحث.

(٢) التفسير الكبير ١٧٧/٢٠، مصدر سابق.

(٣) انظر: ص ٨١، من البحث.

(٤) الجامع لأحكام القرآن ٢٧١/١٠، مصدر سابق.

(٥) انظر: ص ٨١، من البحث.

(٦) البحر المحيط ٥٦/٧، مصدر سابق.

(٧) انظر: ص ٨١، من البحث.

(٨) انظر: ص ٨٢، من البحث.

(٩) تفسير القرآن العظيم ٢٠٩٧/٥، مصدر سابق.

(١٠) انظر: ص ٨٣، من البحث.

(١١) التحرير والتنوير ١١٧/١٥، مصدر سابق.

(١٢) انظر: ص ٤٦، من البحث.

حاجبا لكان التنظير صحيحا)^(١)

النتيجة:

ما قرره ابن جرير^(٢) هو المختار عندي؛ فالأظهر هو القول الأول، ومع ذلك لا يحكم برد القول الثاني؛ لأن له حظا من القبول.

وقول ابن القيم^(٣): (ومجيء مفعول بمعنى فاعل لا يثبت) غير مسلم؛ فقد أثبتته جماعة من أهل اللغة، وذكروا له شواهد، بعضها من القرآن.^(٤)

قال ابن جرير: (والعرب قد تخرج فاعلا بلفظ مفعول كثيرا)^(٥)

وهو وإن كان خلاف الأصل؛ إلا أن نفيه بالكلية مما يصعب الجزم به.

وهذه المسألة تحتاج إلى مزيد تحرير ونظر.

والخلاف السابق في المسألتين من اختلاف التنوع؛ لأنه لا تعارض بين الأقوال فيها، واللفظ محتمل لها جميعها.

وثمره الخلاف في المسألة الأولى: توسيع معنى الآية؛ لأنها تفيد معنى مستقلا على كل قول.

وفي المسألة الثانية: ينبني على الخلاف فيها مسألة لغوية، وهي أنه لو صح تفسير المستور بالسائر لصارت هذه الآية من أمثلة مجيء المفعول بمعنى الفاعل.

(١) المحرر الوجيز ٩/٩٩، مصدر سابق.

(٢) انظر: ص ٨٢، من البحث.

(٣) انظر: ص ٦٩، من البحث.

(٤) المدخل لعلم تفسير كتاب الله تعالى ٢٦٩-٢٧٠؛ لأبي النصر الحدادي - تحقيق صفوان داوودي ط: دار القلم - دمشق - ١٤٠٨ هـ. فقد عقد بابا بعنوان: باب ما جاء على وزن المفعول وهو في الحقيقة فاعل. وذكر منها هذه الآية.

(٥) جامع البيان ١٥/١٠٦، مصدر سابق.

المسألة السادسة والثلاثون

قول الله تعالى: ﴿ تَخُنُّ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰ إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴾^(١).

وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ فَسَلَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَمُوسَىٰ مَسْحُورًا ﴾^(٢).

المسألة: المراد بـ ﴿ مَسْحُورًا ﴾ في الآيتين السابقتين.

قال الإمام النسفي - رحمه الله - : ﴿ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴾ سحر فجن . وقال في موضع آخر: سحرت فخلوط عقلك . وقال في موضع ثالث: سحر فجن أو ذا سحر وهو الرئة عنوا أنه بشر لا ملك.^(٣)

الدراسة:

في المسألة أربعة أقوال في المراد بـ ﴿ مَسْحُورًا ﴾:

القول الأول: أن المراد به: له سحر، أي: رئة. وهو قول أبي عبيدة؛ قال: (وكذلك كل دابة أو طائر أو بشر يأكل فهو: مسحور؛ لأن له سحرا، والسحر: الرئة).^(٤)

القول الثاني: المسحور الذي يتعاطى السحر، ويتعلمه من غيره. ويجوز أن يكون المسحور بمعنى ساحر؛ لأنه يسحر غيره. فهو مفعول بمعنى فاعل. وهذا ما ذكره ابن

(١) سورة الإسراء الآية ٤٧

(٢) سورة الإسراء الآية ١٠١

(٣) تفسير النسفي، ٢/ ٢٦٠، ٢٨٠، ٥٢٧، مصدر سابق.

(٤) مجاز القرآن ١/ ٣٨١. وقد ذكره الامام النسفي في الموضع الثالث واقتصر في الموضعين الآخرين على القول الثالث وهو القول المختار. مصدر سابق.

جرير^(١). وهذا القول متضمن لوجهين كما هو ظاهر، وهما وجهان متلازمان؛ لأن الساحر لا يكون ساحرا حتى يتعلم السحر، ويتعاطاه.

القول الثالث: وهو المختار عند الامام النسفي رحمه الله أن " مسحور " اسم مفعول على بابه، وهو الذي سحر حتى صار كمن زال عقله فلا يدري ما يقول. وهذا القول مروى عن ابن عباس^{(٢)(٣)}.

القول الرابع: وهو أن المراد بـ " المسحور " : المخدوع. وهو قول مجاهد^{(٤)(٥)}.
وأما موقف أئمة التفسير من هذه الأقوال، فيتضح من خلال العرض التالي:

فسر ابن جرير قول الله ﷻ: ﴿ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَمُوسَىٰ مَسْحُورًا ﴾ بالقول الثاني بوجهيه، وذكر أن العرب قد تخرج " فاعلا " بلفظ " مفعول " كثيرا^(٦).

وفي تفسير قول الله تعالى: ﴿ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴾ اقتصر على ذكر قول أبي عبيدة - وهو القول الأول من الأقوال السابقة -، ثم علق عليه بقوله: (فكأن معناه عنده كان: إن تتبعون إلا رجلا له رئة، يأكل الطعام، ويشرب الشراب، لا ملكا لا حاجة به إلى الطعام والشراب. والذي قال من ذلك غير بعيد من الصواب.)^(٧)

(١) انظر: ص ٨٢، من البحث.

(٢) انظر: ص ٤٧، من البحث.

(٣) عزاه إليه ابن الجوزي في زاد المسير ٤٢/٥ من رواية أبي صالح، مصدر سابق.

(٤) انظر: ص ٤٧، من البحث.

(٥) لم أجد مسندا إليه، وأول من رأته عزاه إليه ابن قتيبة في تفسير غريب القرآن ٢٥٦. ت: السيد أحمد صقر . دار الكتب العلمية . بيروت - ١٣٩٨هـ. وعزاه إليه جماعة منهم النحاس في معاني القرآن ١٦١/٤، وابن الجوزي في زاد المسير ٤٢/٥، مصدر سابق.

(٦) جامع البيان ١٠٦/١٥، مصدر سابق.

(٧) جامع البيان ٦١٢/١٤ - ٦١٣، المصدر السابق.

واعتمد ابن عطية^(١) في تفسير الآية الأولى القول الثالث، وذكر أن الظاهر في هذا اللفظ أن يكون من السحر - بالكسر -، وتكون الآية على هذا القول شبيهة بقول بعضهم: ﴿بِهِ جِنَّةٌ﴾^(٢).

ثم ذكر القول الأول، وعزاه إلى أبي عبيدة، ثم ذكر قرينة تدل على أن هذه اللفظة من السحر - بالكسر -، لا من السحر، وهي دلالة الآية التي بعدها، وهي قول الله ﷻ: ﴿أَنْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ﴾^(٣)؛ لأن ضرب المثل له إنما يظهر على هذا القول، (وأما على أنها من السحر - الذي هو الرئة -، ومن التغذي، وأن تكون الإشارة إلى أنه بشر فلم يضرب له في ذلك مثل، بل هي صفة حقيقية له.)^(٤)

وأما الآية الثانية التي فيها اتهام موسى بأنه مسحور؛ فقد رجح أن مسحور هنا على بابه، وذكر أن ما جوزه ابن جرير^(٥) من كونها بمعنى فاعل، أي: ساحر فيه نظر من وجهين:

الأول: أن في هذا تكلفا، وخروجا عن ظاهر الكلام.

الثاني: أن وصف موسى بهذا الوصف يراد بها التتقص، وهذا يستقيم مع "مسحور"، لا مع "ساحر"؛ لأن "ساحر" يأتي أحيانا للمدح كما في قول الله ﷻ: ﴿وَقَالُوا يَا أَيُّهَا السَّاحِرُ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ﴾^{(٦)(٧)}.

(١) انظر: ص ٤٦، من البحث.

(٢) سورة المؤمنون: من الآية ٧٠.

(٣) سورة الإسراء الآية ٤٨.

(٤) المحرر الوجيز ١٠٢/٩-١٠٤، مصدر سابق.

(٥) انظر: ص ٨٢، من البحث.

(٦) سورة الزخرف الآية ٤٩.

(٧) المحرر الوجيز ٢١٠/٩، المصدر السابق.

وبدأ الرازي^(١) في تفسير الآية الأولى بالقول الثالث، وحصر الصحة فيه بقوله: (هذا هو القول الصحيح)، ثم ذكر ثلاثة أقوال الأخرى، وهي: القول الأول، والقول الرابع من الأقوال السابقة، وقول آخر، وهو أن المسحور: الذي أصابه ما يفسده.^(٢) وفي تفسير ﴿مَسْحُورًا﴾ في الآية الثانية ذكر ثلاثة وجوه: أحدها: القول الثالث، وهو أن مسحور على بابه، والثاني والثالث: الوجهان اللذان تضمنهما القول الثاني الذي ذكره ابن جرير^(٣). ولم يذكر هنا حكما على أي من هذه الوجوه.^(٤) واقتصر القرطبي^(٥) في الموضوعين على ذكر الأقوال التي ذكرها من قبله، ولم يذكر ترجيحاً ولا اختياراً.^(٦) ونص أبو حيان^(٧) في الموضوعين على أن الظاهر في هذا اللفظ أن يكون على بابه.

وقد نقل ما ذكره ابن عطية^(٨) في تفسير الآية الأولى، وأضاف إليه القول الرابع، وهو قول مجاهد^(٩)، وقول ابن قتيبة^(١٠) في تضعيف قول أبي عبيدة، وهو: (ولست أدري ما اضطره إلى هذا التأويل المستكره؟!، وقد سبق التفسير من السلف بما لا استكره فيه)^(١١).

(١) انظر: ص ٤١، من البحث.

(٢) التفسير الكبير ١٧٩/٢٠، مصدر سابق.

(٣) انظر: ص ٨٢، من البحث.

(٤) التفسير الكبير ٥٥/٢١. المصدر السابق.

(٥) انظر: ص ٨١، من البحث.

(٦) الجامع لأحكام القرآن ٢٧٢/١٠-٢٧٣، ٣٣٦. مصدر سابق.

(٧) انظر: ص ٨١، من البحث.

(٨) انظر: ص ٤٦، من البحث.

(٩) انظر: ص ٤٧، من البحث.

(١٠) انظر: ص ١١١، من البحث.

(١١) تفسير غريب القرآن ٢٥٦، وقد نقلته من كتاب ابن قتيبة مباشرة؛ لأن أبا حيان قد تصرف في النقل يسيراً، مصدر سابق.

وأما الآية الثانية فقد اختصر في تفسيرها ما ذكره ابن عطية.^(١)

ورجح ابن كثير^(٢) أن "مسحورا" من السحر، ثم ذكر تصويب ابن جرير لقول من قال: إنها من السحر، وتعقبه بقوله: (وفيه نظر لأنهم أرادوا ههنا أنه مسحور له رأي يأتيه بما استمعوه من الكلام الذي يتلوه، ومنهم من قال: شاعر، ومنهم من قال: كاهن، ومنهم من قال: مجنون، ومنهم من قال: ساحر) وأما "مسحورا" في الآية الثانية فلم يزد على أن قال في تفسيره لهذا اللفظ: (قيل: بمعنى ساحر، والله تعالى أعلم)^(٣)

واقترع ابن عاشور^(٤) على تفسير اللفظ في الآيتين بالقول الثالث الذي رجحه الامام النسفي وقال في تفسير الآية الثانية: (وقوله: ﴿ مَسْحُورًا ﴾ ظاهره أن معناه: متأثرا بالسحر، أي: سحرك السحرة، وأفسدوا عقلك فصرت تهرف بالكلام الباطل الدال على خلل العقل)^(٥)

وبعد هذا العرض يتبين أن أكثر هؤلاء الأئمة قد اعتمد القول الذي رجحه الامام النسفي، فمنهم من رجحه، ومنهم من اختاره. كما يظهر أن أكثرهم يرون ضعف القول الأول الذي قاله أبو عبيدة، مع التنبيه على أن هذا القول إنما ذكره في ﴿ مَسْحُورًا ﴾ في الآية الأولى، وهي قوله تعالى: ﴿ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَى إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا ﴾، وأما الآية الثانية التي اتهم فرعون فيها موسى بأنه مسحور؛ فلم يذكر أحد من المفسرين قول أبي عبيدة هذا.

(١) البحر المحيط ٥٨/٧، ٥٩-١٢٠، ١٢١-١٢٠، مصدر سابق.

(٢) انظر: ص ٨١، من البحث.

(٣) تفسير القرآن العظيم ٢٠٩٨/٥، ٢١٣٤، مصدر سابق.

(٤) انظر: ص ٨٣، من البحث.

(٥) التحرير والتنوير ١٢٠/١٥، ١٢١-١٢٠، ٢٢٦، مصدر سابق.

وقال ابن القيم^(١) رحمه الله في سياق كلام له في الرد على شبهات من أنكروا وقوع السحر على النبي ﷺ وغيره من الأنبياء عليهم السلام^(٢): (أما قوله تعالى عن الكفار أنهم قالوا: ﴿إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا﴾، وقول قوم صالح له: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ﴾^(٣) فقيل: المراد به من له سحر وهي الرئة، أي: أنه بشر مثلهم يأكل ويشرب، ليس بملك، ليس المراد به السحر. هذا جواب غير مرضي، وهو في غاية البعد؛ فإن الكفار لم يكونوا يعبرون عن البشر بأنه مسحور، ولا يعرف هذا في لغة من اللغات، وحيث أرادوا هذا المعنى أتوا بصريح لفظ البشر، فقالوا: ﴿مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلَنَا﴾^(٤)، ﴿أَنْتُمْ لِبَشَرِينَ مِثْلِنَا﴾^(٥)، ﴿أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا﴾^(٦).

وأما المسحور فلم يريدوا به: ذا السحر - وهي الرئة -، وأي مناسبة لذكر الرئة في هذا الموضع؟ ثم كيف يقول فرعون لموسى: ﴿إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَمُوسَى مَسْحُورًا﴾؟ أفتراه ما علم أنه له سحرا، وأنه بشر؟! ثم كيف يجيبه موسى بقوله: ﴿وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَفْرَعَوْتُ مَسْحُورًا﴾^(٧)؟ ولو أراد بالمسحور أنه بشر لصدقه موسى وقال: نعم أنا بشر أرسلني الله إليك، كما قالت الرسل لقومهم لما قالوا لهم: ﴿إِن أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا﴾^(٨) فقالوا: ﴿إِنْ نَحْنُ

(١) انظر: ص ٦٩، من البحث.

(٢) قال المنكرون: (النبي ﷺ لا يجوز أن يسحر؛ فإن كونه مسحورا تصديق لقول الكفار: ﴿إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا﴾ . . .) بدائع الفوائد ٢/٧٣٩-٧٤٠، مصدر سابق.

(٣) سورة الشعراء الآية ١٥٣

(٤) سورة يس: من الآية ١٥.

(٥) سورة المؤمنون: من الآية ٤٧.

(٦) سورة الاسراء: من الآية ٩٤.

(٧) سورة الاسراء: من الآية ١٠٢.

(٨) سورة إبراهيم: من الآية ١٠.

إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ ﴿١﴾، ولم ينكروا ذلك؛ فهذا الجواب في غاية الضعف. وأجابت طائفة - منهم ابن جرير^(٢) وغيره - وقد سبق ذكره - بأن المسحور هنا: هو معلم السحر، الذي قد علمه إياه غيره؛ فالمسحور عنده بمعنى ساحر، أي عالم بالسحر. وهذا جيد إن ساعدت عليه اللغة، وهو أن من علم السحر يقال له: مسحور. ولا يكاد هذا يعرف في الاستعمال، ولا في اللغة، وإنما المسحور من سحره غيره، كالمطبوب، والمضروب والمقتول، وبابه.

وأما من علم السحر فإنما يقال له: ساحر، بمعنى أنه عالم بالسحر، وإن لم يسحره غيره، كما قال قوم فرعون لموسى: ﴿هَذَا سِحْرٌ عَلِيمٌ﴾^(٣)؛ ففرعون قذفه بكونه مسحورا، وقومه قذفوه بكونه ساحرا.

فالصواب هو الجواب الثالث، وهو جواب الامام النسفي وصاحب الكشف^(٤) وغيرهما: أن المسحور على بابه، وهو من سحر حتى جن؛ فقالوا: مسحور، مثل مجنون زائل العقل لا يعقل ما يقول؛ فإن المسحور الذي لا يتبع: هو الذي قد فسد عقله بحيث لا يدري ما يقول، فهو كالمجنون؛ ولهذا قالوا فيه: ﴿مَعَلَمٌ مَّجْنُونٌ﴾^(٥)، فأما من أصيب في بدنه بمرض من الأمراض يصاب به الناس فإنه لا يمنع ذلك من اتباعه. وأعداء الرسل لم يقذفوهم بأمراض الأبدان، وإنما قذفوهم بما يحذرون به سفهاءهم من اتباعهم وهو أنهم قد سحروا حتى صاروا لا يعلمون ما يقولون بمنزلة

(١) سورة إبراهيم: من الآية ١١.

(٢) انظر: ص ٨٢، من البحث.

(٣) سورة لأعراف: من الآية ١٠٩.

(٤) الكشف للزمخشري ٢/٣٦٣، مصدر سابق.

(٥) سورة الدخان: من الآية ١٤.

المجانين؛ ولهذا قال تعالى: ﴿ أَنْظِرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴾^(١)^(٢)

النتيجة:

ما رجحه الامام النسفي رحمه الله في المراد بـ " مسحورا " في الآيتين هو الراجح، وهو القول الموافق لظاهر اللفظ.

وقول مجاهد^(٣) موافق في المعنى لهذا القول؛ لأن المخدوع مغلوب في عقله كالمسحور.^(٤)

وأما قول أبي عبيدة فلا يخفى بعده لفظا ومعنى.^(٥)

الخلافاً بين الأقوال في معنى " مسحورا " فيه تفصيل، فهو من اختلاف التنوع عند من يجيز استعمال المسحور بمعنى الساحر، ويرى صحة قول أبي عبيدة. وأما من يرى عدم صحة هذين القولين فإن الخلاف بين هذين القولين وبين القول الراجح من اختلاف التضاد؛ لعدم صحة حمل اللفظ عليها جميعا. وثمرة الخلاف: توسيع معنى الآية عند من يرى صحة جميع الأقوال. سبب الخلاف هنا يرجع إلى الاختلاف بين المفسرين في معنى اللفظ لغة؛ لأنه يحتمل أكثر من وجه - على تفاوت بين هذه الوجوه في الصحة والضعف -.

(١) سورة الإسراء الآية ٤٨ .

(٢) بدائع الفوائد ٧٤٣/٢-٧٤٤ ، والضوء المنير على التفسير. ١٠٣/٤-١٠٤ . جمع علي الحمد المحمد الصالحي ط: مؤسسة النور للطباعة بالتعاون مع مكتبة دار السلام - الرياض .

(٣) انظر: ص ٤٧ ، من البحث .

(٤) أضواء البيان ٥١١/٤ .

(٥) مزيد بيان لذلك في الدر المصون للسمين الحلبي ٣٦٦/٧ ، مصدر سابق .

المسألة السابعة والثلاثون

قول الله تعالى: ﴿ وَنُزِّلَ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا

خَسَارًا ﴾^(١)

المسألة: الكلام على ﴿ مِنْ ﴾ في الآية.

قال الامام النسفي رحمه الله ﴿ وَنُزِّلَ ﴾ وبالتخفيف أبو عمرو^(٢) ﴿ مِنْ الْقُرْآنِ ﴾ من

للتبيين.^(٣)

الدراسة:

في المسألة ثلاثة أقوال: القول الأول: وهو أن " من " في قول الله ﷻ: ﴿ وَنُزِّلَ

مِنَ الْقُرْآنِ ﴾ لبيان الجنس، وهو الذي اختاره الامام النسفي، رحمه الله.

القول الثاني: أن " من " هنا للتبعيض.

القول الثالث، وهو أن " من " للابتداء.

فعلى القول الأول يكون معنى الآية: وننزل القرآن الذي هو الشفاء.

وعلى القول الثاني يكون معناها: وننزل بعض القرآن شفاء للمؤمنين. أي أن

الشفاء في بعضه، وليس كله شفاء. هذا هو التوجيه الذي فهمه من رد هذا القول،

وسياتي لابن عطية^(٤) توجيه آخر للآية على هذا القول.

وعلى القول الثالث يكون معنى الآية: وننزل ما هو شفاء من القرآن.

وقد اعتمد أكثر المفسرين القول الذي اختاره الامام النسفي، اعتمد جماعة منهم

(١) سورة الإسراء الآية ٨٢

(٢) انظر: ص ٦٤، من البحث.

(٣) تفسير النسفي، ٢ / ٢٧٣، مصدر سابق.

(٤) انظر: ص ٤٦، من البحث.

على الترجيح وصرحوا بعدم كونها للتبعيض.

ومن هؤلاء: النحاس^(١)، والرازي^(٢)، وابن عاشور^(٣)؛ كل هؤلاء قالوا: إنها لبيان الجنس، وليست للتبعيض. وزاد الأخير: ولا للابتداء.^(٤)

ولم يتطرق كل من ابن جرير^(٥)، وابن كثير^(٦) للخلاف في هذه المسألة، واقتصرا على تفسير الآية على ظاهرها، وإن كان صنيع ابن كثير يوحى باعتماده للقول الذي اختاره الامام النسفي؛ لأنه فسر هذه الآية بآية فصلت، وهي صريحة في كون القرآن كله شفاء.^(٧)

وأما ابن عطية^(٨) فصحح أن تكون لبيان الجنس، وأن تكون للابتداء، ثم ذكر أن من المتأولين من أنكروا أن تكون للتبعيض؛ لأنه يلزم من ذلك أن يكون بعضه الآخر لا شفاء فيه، وتعقبه بقوله: (وليس يلزمه هذا، بل يصح أن يكون للتبعيض بحسب أن إنزاله إنما هو مبعض؛ فكأنه قال: ونزل من القرآن شيئا شيئا ما فيه كله شفاء.)^(٩) ومعنى كلام ابن عطية: أن التبعيض لا يتعلق بالشفاء، وإنما يتعلق بالإنزال؛ أي: نزل من القرآن بعضه، وهذا البعض كله شفاء^(١٠). وهذا توجيه لهذا القول سديد، وإن

(١) انظر: ص ١٠٣، من البحث.

(٢) انظر: ص ٤١، من البحث.

(٣) انظر: ص ٨٣، من البحث.

(٤) معاني القرآن ١٨٧/٤، والتفسير الكبير ٢٩/٢١، والتحرير والتنوير ١٨٩/١٥، مصادر سابقة.

(٥) انظر: ص ٨٢، من البحث.

(٦) انظر: ص ٨١، من البحث.

(٧) جامع البيان ٦٢/١٥-٦٣، وتفسير القرآن العظيم ٢١٢٤/٥، مصدران سابقان.

(٨) انظر: ص ٤٦، من البحث.

(٩) المحرر الوجيز ١٧٤/٩-١٧٥، مصدر سابق.

(١٠) عبر ابن أبي العز الهمداني عن هذا المعنى بقوله: (كل شيء نزل منه فهو شفاء للمؤمنين). الفريد في إعراب القرآن المجيد لابن أبي العز الهمداني ٢٩٦/٣، ت: الدكتور محمد حسن النمر وفؤاد علي مخيمر ط: ١: دار الثقافة - قطر - ١٤١١هـ.

حكم عليه السمين الحلبي^(١) بأنه ليس بظاهر^(٢).

وبيان توجيه ابن عطية: أن المراد بالآية على هذا القول: الإخبار عن القدر الذي ينزله الله ﷻ على رسوله من القرآن بأنه يكون شفاء للمؤمنين، ولا يزيد الكافرين إلا خساراً؛ وهكذا كل ما نزل من القرآن شيء. وعليه تكون هذه الآية شبيهة بقول الله تعالى: ﴿وَإِذَا مَا أَنْزَلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٤﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ﴾^(٣). ومما يؤيد هذا التوجيه مجيء الفعل: "نزل" بصيغة المضارع الذي يفيد التجدد والاستمرار.

ثم رأيت أبا السعود^(٤) ذكر ما ذكره ابن عطية^(٥) بطريقة أكثر وضوحاً، فقال: (أو تبعيضة، لكن لا بمعنى أن بعضه ليس كذلك، بل بمعنى: إنا ننزل منه في كل نوبة ما تستدعي الحكمة نزوله حينئذ، فيقع ذلك ممن نزل عليهم بسبب موافقته لأحوالهم الداعية إلى نزوله موقع الدواء الشافي المصادف. .)^(٦).

ونقل القرطبي^(٧) ما ذكره ابن عطية هنا، ولم يذكر ما يدل على موقفه صراحة، وإن كان سياق كلامه يدل على الموافقة لابن عطية.^(٨)

واعتمد أبو حيان^(٩) القول الثالث في تفسير الآية، وهو أنها للابتداء، ذكر القولين

(١) انظر: ص ١٩٩، من البحث.

(٢) الدر المصون ٤٠٣/٧، مصدر سابق.

(٣) سورة التوبة الآية ١٢٤، ١٢٥

(٤) انظر: ص ١٨١، من البحث.

(٥) انظر: ص ٤٦، من البحث.

(٦) إرشاد العقل السليم ١٩١/٥، مصدر سابق.

(٧) انظر: ص ٨١، من البحث.

(٨) الجامع لأحكام القرآن ٣١٥-٣١٦، مصدر سابق.

(٩) انظر: ص ٨١، من البحث.

الآخرين، ونقل ما أورده ابن عطية عن القول بأنها للتبعيض، ولم يتعقبه بشيء، ثم ذكر قول من قال: إنها لبيان الجنس، وتعقبه بقوله: (وقد ذكرنا أن "من" التي لبيان الجنس لا تتقدم على المبهم الذي تبينه وإنما تكون متأخرة عنه).^(١)

وقد تعقب إنكاره هذا الألوسي^(٢) بقوله: (وهو إنكار غير مسموع).^(٣)

النتيجة:

إذا تقرر أن المعنى الذي نفي لأجله القول بأن " من " للتبعيض غير مراد - وهو أن الشفاء في بعض القرآن دون بعض -؛ فالخطب في هذه المسألة يسير، والآية محتملة لهذه الوجوه الثلاثة إذا حملت على معان صحيحة.

وإذا تقرر ما سبق من حمل الوجوه الثلاثة لـ " من " على معان صحيحة؛ فالخلاف هنا من اختلاف التنوع. و من أسباب ثراء المعنى في القرآن: الأدوات، واحتمالها لأكثر من معنى في النص الواحد.^(٤)

والخلاصة أن ما قرره ابن عطية^(٥) هو الذي تبين لي ظهوره.

(١) البحر المحيط ١٠٣/٧، مصدر سابق.

(٢) انظر: ص ١٨١، من البحث.

(٣) روح المعاني للألوسي ١٤٥/١٥، مصدر سابق.

(٤) انظر بيان ذلك في: ثراء المعنى في القرآن الكريم للدكتور محمد جيجك ٦٤-٦٩، مصدر سابق.

(٥) انظر: ص ٤٦، من البحث.

المسألة الثامنة والثلاثون

قول الله تعالى: ﴿وَسَأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا

قَلِيلًا﴾^(١)

المسألة: ما المراد بالروح في هذه الآية؟

أجاب الامام النسفي رحمه الله عنه فقال: ﴿وَسَأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾ أي من أمر يعلمه ربي. الجمهور على أنه الروح الذي في الحيوان سأله عن حقيقته فأخبر أنه من أمر الله أي مما استأثر بعلمه وعن أبي هريرة^(٢) لقد مضى النبي ﷺ وما يعلم الروح وقد عجزت الأوائل عن إدراك ما هيته بعد إنفاق الأعمار الطويلة على الخوض فيه والحكمة في ذلك تعجيز العقل عن إدراك معرفة مخلوق مجاور له ليدل على أنه عن إدراك خالقه أعجز ولذا رد ما قيل في حده أنه جسم دقيق هوائي في كل جزء من الحيوان وقيل هو خلق عظيم روحاني أعظم من الملك وعن ابن عباس^(٣) رضي الله عنهما هو جبريل عليه السلام نزل به الروح الأمين على قلبك وعن الحسن^(٤) القرآن دليله وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا ولأن به حياة القلوب ومن أمر ربي أي من وحيه وكلامه ليس من كلام البشر ورؤي أن اليهود بعثت إلى قريش أن سلوه عن أصحاب الكهف وعن ذي القرنين وعن الروح فإن أجاب عن الكل أو سكت عن الكل فليس بنبي وإن أجاب عن بعض وسكت عن بعض فهو نبي فبين لهم القصتين وأبهم أمر الروح وهو مبهم في التوراة فندموا على سؤالهم وقيل كان السؤال عن خلق الروح

(١) سورة الإسراء الآية ٨٥

(٢) انظر: ص ٤٩، من البحث.

(٣) انظر: ص ٤٧، من البحث.

(٤) انظر: ص ٥٠، من البحث.

يعني أهو مخلوق أم لا وقوله من أمر ربي دليل خلق الروح فكان هذا جواباً ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ الخطاب عام فقد روي أن رسول الله ﷺ لما قال لهم ذلك قالوا نحن مختصون بهذا الخطاب أم أنت معنا فيه فقال بل نحن وأنتم لم نؤت من العلم إلا قليلاً وقيل هو خطاب لليهود خاصة لأنهم قالوا للنبي ﷺ قد أوتينا التوراة وفيها الحكمة وقد تلوت ومان يؤت الحكمة فقد أوتى خيراً كثيراً فقيل لهم ان علم التوراة قليل في جنب علم الله فالقلة والكثرة من الأمور الإضافية فالحكمة التي أوتيتها العبد خير كثير في نفسها إلا أنها إذا أضيفت إلى علم الله تعالى فهي قليلة.^(١)

الدراسة:

مع أن النسفي رحمه الله لم يصرح هنا بالقول الراجح في المراد بالروح؛ إلا أن سياق كلامه يدل على أنه يريد تفسير الروح هنا بأرواح بني آدم، ويرجح أنها الروح

المذكورة في قول الله ﷻ: ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ﴾^(٢)

ولما رجعت إلى كتب التفسير الأخرى وجدت أنهم قد اختلفوا في هذه المسألة، وأكثرهم على أن المراد بالروح هنا: الروح الذي به قيام الجسد، أي روح الإنسان.

وهذا عرض سريع لأقوال أئمة التفسير في هذه المسألة:

ذكر ابن جرير^(٣) قولين في تأويل الروح هنا، وهما:

الأول: أنه جبرائيل عليه السلام.

الثاني: ملك من الملائكة.

ولم يذكر ترجيحاً ولا اختياراً، وأحال إلى بيانه لمعنى الروح في غير موضع من

(١) تفسير النسفي، ٢/٢٧٥، ٢٧٤، مصدر سابق.

(٢) سورة النبأ الآية ٣٨

(٣) انظر: ص ٨٢، من البحث.

كتابه^(١) وقد تتبعت المواضع التي ذكر فيها الروح في القرآن، فلم أجد له تفسيراً للروح الواردة في هذه الآية، وإنما فسرها في المواضع التي وردت فيها.

وقال ابن عطية^(٢): (واختلف الناس في الروح المسؤول عنه: أي روح هو؟ فقالت فرقة - هي الجمهور - : وقع السؤال عن الروح التي في الأشخاص الحيوانية ما هي؟ فالروح اسم جنس على هذا. وهذا هو الصواب، وهو المشكل الذي لا تفسير له). ثم ذكر ثلاثة أقوال أخرى، وهي: أنه جبريل، وملك من الملائكة له أوصاف غريبة أنكراها، والقرآن. ثم قال مبيناً عدم مناسبة هذه الأقوال للروح في هذه الآية، ومؤكداً على قوة ما صوبه: (وهذه كلها أقوال مفسرة، والأول أظهرها وأصوبها)^(٣)

واختصر الرازي^(٤) رأيه في هذه المسألة في أول تفسيره للآية، واختار ما رجحه ابن عطية^(٥)، فقال: (للمفسرين في الروح المذكورة في هذه الآية أقوال، أظهرها أن المراد منه: الروح الذي هو سبب الحياة.) ثم عاد بعد ذلك، وذكر بقية الأقوال بشيء من التفصيل.

وقد ذكر أربعة أقوال أخرى: الثلاثة التي أشار إليها ابن عطية، والرابع: أن الروح خلق ليسوا من الملائكة على صورة بني آدم، ثم بين ضعف هذا القول وغرابته^(٦). وبدأ القرطبي^(٧) بذكر أربعة أقوال في المراد بالروح، وهي على الترتيب: جبريل، وعيسى، والقرآن، وملك من الملائكة. ثم قال: (وذهب أكثر أهل التأويل إلى أنهم سألوه عن الروح الذي يكون به حياة الجسد. وقال أهل النظر منهم: إنما سألوه عن

(١) جامع البيان ٧٠/٧١-٧١، مصدر سابق.

(٢) انظر: ص ٤٦، من البحث.

(٣) المحرر الوجيز ٩/١٨٠-١٨١، مصدر سابق.

(٤) انظر: ص ٤١، من البحث.

(٥) انظر: ص ٤٦، من البحث.

(٦) التفسير الكبير ٢١/٣٠-٣٣، مصدر سابق.

(٧) انظر: ص ٨١، من البحث.

كيفية الروح ومسلكه في بدن الإنسان، وكيف امتزاجه بالجسم، واتصال الحياة به، وهذا شيء لا يعلمه إلا الله ﷻ).

ثم ذكر القول الأخير الذي ذكره الرازي، وقال بعده: (والصحيح الإبهام لقوله: ﴿قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾ دليل على خلق الروح أي هو أمر عظيم وشأن كبير من أمر الله تعالى، مبهما له وتاركا تفصيله، ليعرف الإنسان على القطع عجزه عن علم حقيقة نفسه مع العلم بوجودها).^(١) ومراده بكلامه هذا الأخير: عدم البحث في ماهية الروح - التي هي روح الإنسان -.

وقال أبو حيان^(٢): (والروح على قول الجمهور هنا: الروح التي في الحيوان، وهو اسم جنس، وهو الظاهر). ثم ذكر الأقوال الأخرى، وقال بعدها مؤكداً صحة قول الجمهور: (والصحيح من هذه الأقوال القول الأول).^(٣)

وقال ابن القيم^(٤) رحمه الله بقوله - في سياق كلام له -: (في ذلك خلاف بين السلف والخلف، وأكثر السلف، بل كلهم على أن الروح المسؤول عنها في الآية ليست أرواح بني آدم، بل هو الروح الذي أخبر الله عنه في كتابه أنه يقوم يوم القيامة مع الملائكة^(٥)، وهو ملك عظيم. ومعلوم أن اليهود إنما سألوه عن أمر لا يعرف إلا بالوحي، وذلك هو الروح الذي عند الله لا يعلمها الناس.

وأما أرواح بني آدم فليست من الغيب، وقد تكلم فيها طوائف من الناس من أهل الملل وغيرهم؛ فلم يكن الجواب عنها من أعلام النبوة.

(١) الجامع لأحكام القرآن ٣٢٣/١٠-٣٢٤، مصدر سابق.

(٢) انظر: ص ٨١، من البحث.

(٣) البحر المحيط ١٠٦/٧، مصدر سابق.

(٤) انظر: ص ٦٩، من البحث.

(٥) هو المذكور في قول الله ﷻ: ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أُذِنَ لَهُ الرِّجْسُ وَقَالَ صَوَابًا﴾ سورة النبأ الآية ٣٨.

والروح في القرآن على عدة أوجه:

أحدها: الوحي، كقوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾^(١)، وقوله تعالى: ﴿يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾^(٢)؛ وسمى الوحي روحا لما يحصل به من حياة القلوب والأرواح.

الثاني: القوة والثبات والنصرة التي يؤيد بها من شاء من عباده المؤمنين كما قال: ﴿أُولَٰئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ﴾^(٣).

الثالث: جبريل، كقوله تعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١١٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾^(٤)، وقال تعالى: ﴿قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ، عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾^(٥)، وهو روح القدس قال تعالى: ﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ﴾^(٦).

الرابع: الروح التي سأل عنها اليهود فأجيبوا بأنها من أمر الله، وقد قيل: إنها الروح المذكورة في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ﴾^(٧)، وإنها الروح المذكور في قوله: ﴿نَزَّلَ الْمَلَائِكَةَ وَالرُّوحَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ﴾^(٨). الخامس: المسيح ابن مريم، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾^(٩).

(١) سورة الشورى الآية ٥٢.

(٢) سورة غافر الآية ١٥.

(٣) سورة المجادلة الآية ٢٢.

(٤) سورة الشعراء الآية ١٩٣، ١٩٤.

(٥) سورة البقرة من الآية ٩٧.

(٦) سورة النحل الآية ١٠٢.

(٧) سورة النبا الآية ٣٨.

(٨) سورة القدر الآية ٤.

(٩) سورة النساء الآية ١٧١.

وأما أرواح بني آدم فلم تقع تسميتها في القرآن إلا بالنفس. . . (١).

وذكر ابن كثير (٢) أربعة أقوال في هذه المسألة، وهي: قول الجمهور - أنها روح الإنسان، أو أرواح بني آدم -، وجبريل، وملك من الملائكة، أو طائفة من الملائكة على صور بني آدم، وقيل: طائفة يرون الملائكة ولا تراهم. ولم يبين موقفه من هذه الأقوال، ولم يذكر ترجيحاً أو اختياراً. (٣)

وذكر ابن عاشور (٤) أن الروح يطلق في القرآن على روح الإنسان الذي تدل عليه آثاره من الإدراك والتفكير، وهو المراد بقول الله ﷻ: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ، وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي﴾ (٥)، ويسمى أيضاً النفس. ويطلق كذلك الكائن الشريف المكون بأمر إلهي بدون سبب اعتيادي. ومنه قوله تعالى: ﴿وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾ (٦).

كما يطلق على الملك الذي ينزل بالوحي على الرسل، وهو جبريل ﷺ. ومنه قوله: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١١٣﴾ عَلَى قَلْبِكَ﴾ (٧). ثم قال: (واختلف المفسرون في الروح المسؤول عنه المذكور هنا ما هو من هذه الثلاثة؟

فالجمهور قالوا: المسؤول عنه هو الروح بالمعنى الأول، قالوا: لأنه الأمر المشكل الذي لم تتضح حقيقته، وأما الروح بالمعنيين الآخرين فيشبهه أن يكون السؤال عنه سؤالاً عن معنى مصطلح قرآني. وقد ثبت أن اليهود سألوا عن الروح بالمعنى الأول؛ لأنه هو الوارد في أول كتابهم. . . وليس الروح بالمعنيين الآخرين بوارد في كتبهم).

(١) الروح، ٣٦٣-٣٧٠، وبدائع التفسير ١٠٢/٣-١٠٩ بتصرف. مصدران سابقان.

(٢) انظر: ص ٨١، من البحث.

(٣) تفسير القرآن العظيم ٢١٢٦/٥-٢١٢٧، مصدر سابق.

(٤) انظر: ص ٨٣، من البحث.

(٥) سورة الحجر الآية ٢٩

(٦) سورة النساء الآية ١٧١

(٧) سورة الشعراء الآية ٩٣، ٩٤.

ثم ذكر أن هذا القول هو الأصح.^(١)

وبعد هذا العرض يتبين أن كل المفسرين السابق ذكرهم ما عدا ابن جرير^(٢) وابن كثير^(٣) يرجحون المعنى الذي اختاره الامام النسفي رحمه الله، وهو أن المراد بالروح: روح الإنسان التي بها قوامه وحياته.

وممن نص على صحة هذا القول، واعتمده أيضاً:

أبو سليمان الدمشقي^(٤)؛ فقد نقل عنه ابن الجوزي^(٥) أنه قال: (قد ذكر الله تعالى الروح في مواضع من القرآن، فغالب ظني أن الناقلين نقلوا تفسيره من موضعه إلى موضع لا يليق به، وظنوه مثله، وإنما هو الروح الذي يحيى به ابن آدم.)^(٦)
أما السمعاني^(٧)؛ فقد قال: (وأصح الأقاويل أن الروح ها هنا هو الروح الذي يحيى به الإنسان. وعليه أكثر المفسرين)^(٨)

وكذلك ابن العربي^(٩)؛ فقد اقتصر عليه، وبنى عليه تعليقه على الآية.^(١٠)

(١) التحرير والتنوير ١٥/١٩٦-١٩٧.

(٢) انظر: ص ٨٢، من البحث.

(٣) انظر: ص ٨١، من البحث.

(٤) هو: محمد بن عبدالله بن سليمان السعدي، أبو سليمان الدمشقي، صنّف كتباً في التفسير منها: مجتبي التفسير، والمهذب في التفسير، كان شافعياً أشعرياً كثير الاتباع للسنة، حسن التكلم في التفسير. يكثر ابن الجوزي في زاد المسير من ذكر أقواله معزوة إليه. لم يعرف تاريخ وفاته، غير أنه كان حياً سنة ٣٥١ هـ. طبقات المفسرين للسيوطي ص ٨٩، وطبقات المفسرين للداوودي ٢/١٦٤، ومعجم المفسرين لنويهض ٢/٥٥٧، مصادر سابقة.

(٥) انظر: ص ١٠٥، من البحث.

(٦) زاد المسير ٥/٨٢، مصدر سابق.

(٧) السمعاني هو: أبو المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار بن أحمد المروزي السمعاني الشافعي التميمي، المفسر المحدث الفقيه، من مؤلفاته: تفسير السمعاني، والانتصار لأصحاب الحديث، توفي سنة ٤٨٩ هـ بمرو. طبقات المفسرين للداوودي ٢/٣٣٩ ترجمة (٦٥١). مصدر سابق.

(٨) تفسير القرآن العظيم ٣/٢٧٤.

(٩) انظر: ص ١٥١، من البحث.

(١٠) أحكام القرآن ٣/٢١٤-٢١٥، مصدر سابق.

وابن حجر^(١)؛ حيث نقل ترجيح ابن القيم^(٢)، ثم تعقبه بقوله: (كذا قال، ولا دلالة في ذلك لما رجحه بل الراجح الأول [يريد قول الجمهور]؛ فقد أخرج الطبري^(٣) من طريق العوفي^(٤) عن ابن عباس^(٥) في هذه القصة: أنهم قالوا عن الروح: وكيف يعذب الروح الذي في الجسد، وإنما الروح من الله، فنزلت الآية. ^(٦))
وأما الآلوسي^(٧)؛ فقد بدأ تفسيره للآية بقوله: (الظاهر عند المنصف أن السؤال كان عن حقيقة الروح الذي هو مدار البدن الإنساني ومبدأ حياته؛ لأن ذلك من أدق الأمور التي لا يسع أحدا إنكارها، ويشرب كل إلى معرفتها، وتتوفر دواعي العقلاء إليها، وتكل الأذهان عنها، ولا تكاد تعلم إلا بوحى). ثم قال: (وزعم ابن القيم . . .) وذكر قوله، ثم تعقبه بقوله: (والحق ما ذكرنا، وهو الذي عليه الجمهور)^(٨).
واعتمد هذا القول أيضا الراغب الأصفهاني^(٩)، والسمين الحلبي^(١٠) عند ذكرهما لمعنى الروح في القرآن، وقررا أن هذا المعنى هو المراد بالروح في هذه الآية، وفي

(١) هو: أحمد بن علي بن محمد الكناني العسقلاني، أبو الفضل، شهاب الدين، من أئمة العلم والتاريخ، وأمير المؤمنين في الحديث، علت شهرته فقصدته الناس للأخذ عنه وأصبح حافظ الإسلام في عصره، قال السخاوي: انتشرت مصنفاته في حياته وتهادتها الملوك وكتبها الأكابر، تصانيفه كثيرة جداً، وهي مشهورة متداولة بين أهل العلم، أشهرها وأهمها كتابه "فتح الباري شرح صحيح البخاري"، ولد سنة ٧٧٣ هـ، ومات سنة ٨٥٢ هـ. الأعلام للزركلي ١/١٧٨، ١٧٩، مصدر سابق.

(٢) انظر: ص ٦٩، من البحث.

(٣) انظر: ص ٤٨، من البحث.

(٤) هو: عطية بن سعد بن جنادة العوفي أبو الحسن الجدلي، من مشاهير التابعين، أخذ القرآن عن ابن عباس و أبي هريرة، وكانت وفاته سنة ١١١ هـ. سير أعلام النبلاء: ٥/٥٢٥، وشذرات الذهب: ١/١٤٤، مصدران سابقان.

(٥) انظر: ص ٤٧، من البحث.

(٦) فتح الباري ٢/٢٠٤٠، مصدر سابق.

(٧) انظر: ص ١٨١، من البحث.

(٨) روح المعاني ١٥/١٥١-١٥٢، مصدر سابق.

(٩) انظر: ص ١١٩، من البحث.

(١٠) انظر: ص ١٩٩، من البحث.

قول الله ﷻ: ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي﴾^{(١)(٢)} وأختم هذه الدراسة بالتنبيه على أن أكثر المفسرين الذين نقلوا تفسير الروح هنا بالقرآن ذكروا أن هذا التفسير هو الأنسب من حيث السياق؛ لأن ما قبل هذه الآية وما بعدها عن القرآن، فقبلها قول الله تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾^(٣)، وبعدها: ﴿وَلَيْنَ شِئْنَا لَنُدْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِ عَلَيْنَا وَكِيلًا﴾^(٤) إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ إِنَّ فَضْلَهُ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا﴾^(٥) قُل لِّينِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾^(٦).

وقد رجح القاسمي^(٥) هذا القول، وقال: (والذي أراه متعينا في الآية، لسابقها ولاحقها أن المراد بالروح: الوحي بالقرآن، وهو قريب من قول قتادة^(٦)). ثم ذكر أن وجوها أخرى تدل على تعيينه.^(٧)

إلا أن غيره قد أنكر هذا القول، وعده من بدع التفاسير، وذكر أنه لا وجه للقول به في هذه الآية، ولا معنى لسؤالهم عنه.^(٨)

النتيجة:

-
- (١) سورة الحجر الآية ٢٩
(٢) مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني ص ٣٦٩، وعمدة الحفاظ للحلبي ١٣٦/٢-١٣٧، مصدر سابق.
(٣) سورة الإسراء الآية ٨٢
(٤) سورة الإسراء من الآية ٨٦ - ٨٨.
(٥) هو: محمد جمال الدين القاسمي، إمام أهل الشام في وقته علماً وأديباً، توفي سنة (١٣٣٢هـ). الأعلام للزركلي: ١٣٥/٢، مصدر سابق.
(٦) انظر: ص ٤٩، من البحث.
(٧) محاسن التأويل ٢٩٤/١٠-٢٩٥، مصدر سابق.
(٨) بدع التفاسير لعبدالله بن الصديق الغماري - دار الكتبي - ١٤١٢هـ. ٨٧. وقد ضعفه أيضا عطية محمد سالم في كتابه: السؤال والجواب في آيات الكتاب ٢٦٩. ط: مكتبة دار التراث - المدينة المنورة - ١٤٠٨هـ.

وإذا تقرر ما سبق؛ تبين أن قول ابن القيم^(١): (وأما أرواح بني آدم فلم تقع تسميتها في القرآن إلا بالنفس. . .) ليس بصحيح؛ فقد ثبت تسميتها بالروح في موضعين.

وأما المراد بالروح؛ فلا شك أن الجزم بتعيين معنى من معانيه يحتاج إلى بينة صريحة، ومع ذلك يبقى قول جمهور المفسرين أكثر ظهوراً من بقية الأقوال. وما ذكره ابن عطية^(٢) يعد من أفضل ما تفسر به الآية.

الخلاف السابق في المراد بالروح اختلاف تنوع؛ لأن اللفظ محتمل للجميع من حيث الأصل، ويبقى النظر في مواقف العلماء من هذه الأقوال؛ فمن أثبت قولاً قد نفاه غيره عد الخلاف بينهما من التضاد.

سبب الخلاف السابق هو أن الروح هنا لفظ مبهم، ولم يرد نص صريح في بيانه.^(٣)

من أسبابه كذلك: أن لفظ الروح لفظ مشترك، يطلق على معان متعددة. وكل من رأته ذكر قول ابن القيم^(٤) من العلماء بعده خالفه فيما ذهب إليه في هذه المسألة.^(٥)

فائدة: ذكر بعض العلماء أن السائل إذا كان يقصد التعجيز، وسأل عن شيء مجمل يحتمل أكثر من جواب؛ فالأنسب أن يكون الجواب مجملاً كذلك. قال: (وهذا كما حكي عن اليهود أنهم سألوا عن الروح - وهو لفظ مشترك بين القرآن، وجبريل،

(١) انظر: ص ٦٩، من البحث.

(٢) انظر: ص ٤٦، من البحث.

(٣) تفسير مبهمات القرآن للبلنسي ١٣٤/٢-١٣٥ ت: حنيف القاسمي وعبدالله عبدالكريم محمد ط: ١: دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٤١١هـ.

(٤) انظر: ص ٦٩، من البحث.

(٥) آخر من رأته خالف ابن القيم: الشيخ عطية محمد سالم في كتابه: السؤال والجواب في آيات الكتاب ٢٦٥-٢٧٠، مصدر سابق.

وعيسى، وملك يقال له (الروح)، وروح الإنسان -، وأضمرُوا أنه إن قال لهم: الروح ملك قالوا: بل هو روح الإنسان، وإن قال: روح الإنسان قالوا: بل هو ملك أو غير ذلك من مسميات الروح؛ فعلم الله مكرهم، فأجابهم مجملًا كسؤالهم بقوله: ﴿قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾ وهو يتناول المسميات الخمسة وغيرها. ^(١)

(١) البحر المحيط للزركشي ٣٩٨/٧، وقد ذكر معناه في البرهان في علوم القرآن ٤١/٤.

المسألة التاسعة والثلاثون

قول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ فَسَخَّرَ بِنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَمُوسَى مَسْحُورًا﴾^(١).

المسألة: ما المراد بالآيات التسع التي آتاها الله ﷺ موسى ﷺ.

قال الامام النسفي . رحمه الله .: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾ عن ابن عباس^(٢) رضي الله عنهما هي العصا واليد والجراد والقمل والضفادع والدم والحجر والبحر والطور الذي نتقه على بني إسرائيل وعن الحسن^(٣) الطوفان والسنون ونقص الثمرات مكان الحجر والبحر والطور.^(٤)

عن صفوان عسال المرادي رضي الله عنه، قال: قال يهودي لصاحبه: اذهب بنا إلى هذا النبي حتى نسأله عن هذه الآية ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾، فقال: لا تقل له نبي، فإنه لو سمعك لصارت له أربع أعين، فسألاه، فقال النبي ﷺ: " لا تشركوا بالله شيئا، ولا تسرقوا، ولا تزنوا، ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق، ولا تسحروا، ولا تأكلوا الربا، ولا تمشوا ببيريء إلى ذي سلطان ليقتله، ولا تقذفوا محصنة، أو قال: لا تفروا من الزحف - شعبة الشاك -، وأنتم يا يهود عليكم خاصة أن لا تعدوا في السبت))، فقبلا يديه ورجليه، وقالوا: نشهد أنك نبي. قال: " فما يمنعكما أن تتبعاني؟ " قالوا: لأن دواد الليل دعا أن لا يزال من ذريته نبي، وإنا نخشى إن أسلمنا أن

(١) سورة الإسراء الآية ١٠١.

(٢) انظر: ص ٤٧، من البحث.

(٣) انظر: ص ٥٠، من البحث.

(٤) تفسير النسفي، ٢/٢٨٠، مصدر سابق.

تقتلنا يهود.^(١)

الدراسة:

اختار الامام المسفي . رحمه الله . أن المراد بالآيات التسع التي آتاها الله ﷻ موسى عليه السلام: آيات نبوته، ومعجزات صدقه، كالعصا واليد وباقي الآيات. وهو القول الأول.

ولم يذكر القول الثاني: آيات الحكم والشرع.

وقد ذكر أكثر المفسرين هذين القولين - على اختلاف بينهم في عد الآيات على القول الأول -، وهذا بيان سريع لموقف أشهرهم من هذين القولين: ذكر ابن جرير^(٢)، وابن عطية^(٣)، وأبو حيان^(٤) القولين، وبدعوا بالقول الأول، ثم ذكروا أن من المتأولين من قال بالقول الثاني، ولم يحكموا عليه بشيء.^(٥)

وأما الرازي^(٦) فلم يظهر لي رأيه في هذه المسألة؛ فقد بدأ تفسيره للآية بذكر آيات موسى ومعجزاته، وذكر اختلاف المفسرين في عدها، وقد أوصل ما ذكره المفسرون إلى ست عشرة آية، وعلق على ذلك بقوله: (إذا عرفت هذا؛ فنقول: إنه تعالى ذكر في القرآن هذه المعجزات الستة عشر لموسى عليه الصلاة والسلام، وقال في هذه

(١) أخرجه الإمام أحمد في المسند ١٢/٣٠-١٣ رقم ١٨٠٩٢، ٢١/٣٠-٢٢ رقم ١٨٠٩٦، والترمذي في كتاب الاسندان - باب ما جاء في قبلة اليد والرجل - رقم ٢٧٣٣، وفي كتاب تفسير القرآن - باب: ومن سورة بني إسرائيل - رقم ٣١٤٤، وقال: "هذا حديث حسن صحيح"، والنسائي في كتاب تحريم الدم - باب السحر - رقم ٤٠٧٨، وأخرجه كذلك في الكبرى ٣/٤٤٨-٤٤٩ - كتاب المحاربة - باب السحر - رقم ٣٥٢٧، وقال: " وهذا حديث منكر. . . "، وأخرجه الحاكم في المستدرک ٩/١، وقال: "حديث صحيح، لا نعرف له علة بوجه من الوجوه، ولم يخرجاه"، ابن جرير ١٥/١٠٣-١٢٤، وغيرهم من الأئمة. والحديث مختلف فيه، وقد توسع في تخريجه والحكم عليه محققو المسند ٣٠/١٣-١٦، وذكروا أن إسناده ضعيف. وانظر في تخريجه كذلك تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٩/٨٧-٨٨ [حاشية] طبعة مكتبة أولاد الشيخ للتراث.

(٢) انظر: ص ٨٢، من البحث.

(٣) انظر: ص ٤٦، من البحث.

(٤) انظر: ص ٨١، من البحث.

(٥) جامع البيان ١٥/٩٩-١٠٤، والمحرر الوجيز ٩/٢٠٦-٢٠٨، والبحر المحيط ٧/١١٩، مصادر سابقة.

(٦) انظر: ص ٤١، من البحث.

الآية: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ ءَايَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾، وتخصيص التسعة بالذكر لا يقدر فيه ثبوت الزائد عليه؛ لأننا بينا في أصول الفقه أن تخصيص العدد بالذكر لا يدل على نفي الزائد، بل نقول: إنما يتمسك في هذه المسألة بهذه الآية، ثم نقول: أما هذه التسعة فقد اتفقوا على سبعة منها وهي: العصا واليد والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم، وبقي الاثنان، ولكل واحد من المفسرين قول آخر فيهما. ولما لم تكن تلك الأحوال مستندة إلى حجة ظنية فضلا عن حجة يقينية لا جرم تركت تلك الروايات).

ثم أعقب ذلك بقوله: (وفي تفسير قوله تعالى: ﴿ تِسْعَ ءَايَاتٍ بَيِّنَاتٍ ﴾ أقوال أجودها ما روى صفوان بن عسال^(١) أنه قال: . . .) وذكر الحديث السابق.^(٢)
وبدأ القرطبي^(٣) بالقول الثاني، وذكر حديث صفوان شاهدا عليه، ثم ذكر القول الأول وذكر اختلاف المفسرين في عد تلك الآيات التسع. ولم يبين موقفه من هذين القولين.^(٤)

وتميز ابن كثير^(٥) في تفسير هذه الآية عن غيره بالجزم بتفسير هذه الآية بالقول الأول، فذكر أن هذه الآيات هي الدلائل القاطعة على صحة نبوته وصدقه فيما أخبر به عن أرسله إلى فرعون، وأورد ما قاله المفسرون في عدها، ثم قال: (فهذه الآيات التسع التي ذكرها هؤلاء الأئمة هي المراد ههنا، وهي المعنية في قوله تعالى: ﴿وَأَلْقَى عَصَاكَ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَمُوسَى لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَى الْمُرْسَلُونَ ﴿١٠﴾ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلْ حُسْنًا بَعْدَ سُوءٍ فَإِنِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١١﴾ وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضًا مِّنْ غَيْرِ سُوءٍ فِي تِسْعَ ءَايَاتٍ

(١) صفوان بن عسال من بني الربيع بن زاهر المرادي، سكن الكوفة، يقال: إنه روى عنه من الصحابة عبدالله بن مسعود. أما الذين يروون عنه: فزر بن حبيش وعبدالله بن سلمة وأبو الغريف، يقولون: إنه من بني جمل بن كنانة بن ناحية بن مراد. صحابي معروف. الاستيعاب، ٣٤٤ رقم (١٢٠٦)، والتقريب، ٤٥٤ رقم (٢٩٥٣)، مصدران سابقان.

(٢) التفسير الكبير ٥٤/٢١، مصدر سابق.

(٣) انظر: ص ٨١، من البحث.

(٤) الجامع لأحكام القرآن ٣٣٥/١٠-٣٣٦، مصدر سابق.

(٥) انظر: ص ٨١، من البحث.

إِلَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ ۗ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ^(١)، فذكر هاتين الآيتين العصا واليد، وبين الآيات الباقيات في سورة الأعراف وفصلها).

وقد حكم على حديث صفوان بن عسال^(٢) بأنه مشكل، فقال بعد أن أورده: (وهو حديث مشكل، وعبد الله بن سلمة في حفظه شيء، وقد تكلموا فيه، ولعله اشتبه عليه التسع الآيات بالعشر الكلمات؛ فإنها وصايا في التوراة لا تعلق لها بقيام الحجة على فرعون، والله أعلم).

ثم ذكر أن الآية التي بعدها تؤيد القول الأول، فقال بعد تفسيره لها: (فهذا كله مما يدل على أن المراد بالتسع الآيات إنما هي ما تقدم ذكره من العصا واليد والسنين ونقص من الثمرات والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم، التي فيها حجج وبراهين على فرعون وقومه، وخوارق ودلائل على صدق موسى ووجود الفاعل المختار الذي أرسله، وليس المراد منها كما ورد في الحديث؛ فإن هذه الوصايا ليس فيها حجج على فرعون وقومه، وأي مناسبة بين هذا وبين إقامة البراهين على فرعون؟ وما جاءهم هذا الوهم إلا من قبل عبد الله بن سلمة؛ فإن له بعض ما ينكر، والله أعلم. ولعل ذينك اليهوديين إنما سألا عن العشر الكلمات فاشتبه على الرواي بالتسع الآيات فحصل وهم في ذلك، والله أعلم).^(٣)

وقال في موضع آخر: (وهذه التسع الآيات غير العشر كلمات؛ فإن التسع من كلمات الله القدريّة، والعشر من كلماته الشرعية. وإنما نبهنا على هذا لأنه قد اشتبه أمرها على بعض الرواة، فظن أن هذه هي هذه.)^(٤)
واقترع ابن عاشور^(٥) على القول الأول.^(٦)

(١) سورة النمل الآيات من ١٠ إلى ١٢

(٢) انظر: ص ٢٧٤، من البحث.

(٣) انظر تفسير القرآن العظيم ١٣٤/٥، ١٣٥، مصدر سابق.

(٤) قصص الأنبياء ٤٨١/٢.

(٥) انظر: ص ٨٣، من البحث.

(٦) التحرير والتنوير ٢٢٤/١٥-٢٢٥، مصدر سابق.

النتيجة:

إذا كان حيث صفوان بن عسال رضي الله عنه ضعيفا فلا إشكال في تفسير هذه الآية، والقول فيها بين.

وأما إن كان الحديث ثابتا فلا شك أن في التفسير النبوي للآيات التسع التي سأل عنها اليهوديان إشكالا ظاهرا، ولا بد من توجيه مناسب له.^(١)

والذي ظهر لي أن جواب النبي ﷺ لم يكن تفسيرا للآية، وإنما هو بيان لآيات آتاها الله ﷻ نبيه موسى ليأمر بها من أرسل إليهم من بني اسرائيل. وبدل على هذا أن بعض الأئمة روه بلفظ: " فأتيا رسول الله ﷺ، فسألاه عن تسع آيات بينات، فقال لهم: . . . " ^(٢)، وهذا قريب من توجيه ابن كثير ^(٣) رحمه الله.

الخلاف بين القولين السابقين من اختلاف التضاد؛ لأنه لا يمكن حمل الآية على القولين.

سبب الخلاف - كما هو ظاهر - ورود الحديث في تفسير الآية، والاختلاف في ثبوته، وتوجيهه.^(٤)

توقف بعض أشهر أئمة التفسير عن الترجيح في هذه المسألة مما يلفت الانتباه، ولم يظهر لي سببه.

و هذا الموضوع مثال بين لأهمية تحقيق الأحاديث، والحكم عليها في التفسير، كما أنه مثال لأهمية التفسير في الحكم على الأحاديث.

(١) وقد ذكر بعض المفسرين بعض التوجيهات لهذا التفسير النبوي، وفي أكثرها نظر، وقد جمع أكثرها الألووسي في تفسيره ١٨٣/١٥، مصدر سابق.

(٢) هكذا هو عند الترمذي - كتاب الاستئذان - باب ما جاء في قبلة اليد والرجل - رقم ٢٧٣٣. وكذلك عند النسائي في كتاب تحريم الدم - باب السحر - رقم ٤٠٧٨، مصدران سابقان.

(٣) انظر: ص ٨١، من البحث.

(٤) أسباب اختلاف المفسرين للدكتور عبدالرحمن الشايع ٤٣، مصدر سابق.

المسألة الأربعون

الكلام على قوله تعالى: ﴿سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةً رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةً سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةً وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾^(١) الضمير في سيقولون لمن خاض في قصتهم في زمن رسول الله ﷺ من المؤمنين وأهل الكتاب سألوا رسول الله ﷺ عنهم فأخر الجواب إلى أن يوحى إليه فيهم فنزلت إخباراً بما سيجري بينهم من اختلافهم في عددهم وأن المصيب منهم من يقول سبعة وثامنهم كلبهم^(٢)

المسألة: كم عدد أصحاب الكهف؟

اختار الإمام النسفي - رحمه الله - القول بأن أصحاب الكهف كانوا سبعة.

الدراسة:

ذكر الله - تعالى - في هذه الآية أقوال الناس في عدد أصحاب الكهف، وأن بعضهم قال: ثلاثة، وبعضهم قال: خمسة، وبعضهم قال: سبعة^(٣).

وقد اختلف المفسرون في عددهم على ثلاثة أقوال:

(١) سورة الكهف: الآية ٢٢

(٢) تفسير النسفي، ٢/٢٩٤، مصدر سابق.

(٣) أخرج ابن أبي حاتم عن السدي في قوله: ، قال: " اليهود "، قال: " النصارى "، تفسير ابن أبي حاتم ٢٣٥٤/٧، وروي أن السيد والعاقب وأصحابهما من نصارى نجران كانوا عند النبي ﷺ فجرى ذكر أصحاب الكهف فقال السيد وكان يعقوبيا: كانوا ثلاثة رابعهم كلبهم، وقال العاقب - وكان نسطوريا - : كانوا خمسة سادسهم كلبهم، وقال المسلمون: كانوا سبعة وثامنهم كلبهم. معالم التنزيل ١٥٦/٣. وقيل: إن القائلين هم أهل مدينتهم قبل ظهورهم عليهم. زاد المسير ٨٧/٥، وقيل: المراد بهم أهل التوراة من معاصري رسول الله ﷺ. المحرر الوجيز ٣٨٥/١٠. مصادر سابقة.

القول الأول: أنهم سبعة؛ وبه قال عامة المفسرين^(١)، وقد روي عن ابن عباس^(٢) - رضي الله عنهما - بسند صحيح^(٣)، وروى أيضا عن أبي مسعود^(٤) رضي الله عنه^(٥)، وهو ما اختاره الإمام النسفي كما تقدم.

القول الثاني: أنهم ثمانية؛ وهذا مروى عن ابن عباس^(٦)، ولكن سنده ضعيف^(٧)، وهو قول ابن جريج^(٨) وابن إسحاق^(٩)^(١٠).

واستدل لهذا القول بأن معنى قوله تعالى: أي: صاحب كلبهم، كما يقال: السخاء: حاتم، والشعر: زهير، أي: السخاء سخاء حاتم، والشعر شعر زهير^(١١).

(١) بحر العلوم ٣٨٦/١٠، ل أبي الليث نصر بن محمد السمرقندي . دار الكتب العلمية . بيروت ، ١-١٤١٣هـ . والتفسير الكبير ٩٠/٢١ ، والكشاف ٣٨٥/٢ ، والمحزر الوجيز ٣٨٦/١٠ ، وأنوار التنزيل ٨/٢ ، وملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيهه المتشابه اللفظ من أي التنزيل ٧٧٨/٢ ، لأبي جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزبير الغرناطي: ت: د. محمود كامل أحمد. ط: دار النهضة العربية، بيروت ١٤٠٥هـ، وتفسير القرآن العظيم ٨٢/٣ ، والسعدي ٤٧٤ ، والشنقيطي ٨٣/٤ ، مصادر سابقة.

(٢) انظر: ص ٤٧ ، من البحث.

(٣) أخرجه عبد الرزاق في تفسير القرآن ٤٠٠/٢ . للإمام عبد الرزاق بن همام الصنعاني، ت: الدكتور مصطفى مسلم محمد، ط: ١: مكتبة الرشد، ١٤١٠هـ، وابن جرير ٢٠٦/٨ ، والطبراني في الأوسط ٢٤٥/٦ ح ٦١١٣ ، والواحدي في الوسيط ١٤٣/٣ ، وصحح إسناده عنه ابن كثير ٨٣/٣ ، والسيوطي في الدر المنثور ٣٩٣/٤ ، والألوسي ٢٤٦/٥ ، وانظر: مرويات الإمام أحمد في التفسير ١٠٥/٣ ، حيث قال جامعوه: " الأثر حسن بمجموع طرقه " مصادر سابقة.

(٤) انظر ص ٧٣ ، من البحث.

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم ٢٣٥٤/٧ ، الدر المنثور ٣٩٣/٤ ، مصدران سابقان.

(٦) أخرجه ابن جرير ١٨٣/٨ ، مصدر سابق.

(٧) قال ابن كثير: " هكذا وقع في هذه الرواية ويحتمل أن هذا من كلام ابن إسحاق، ومن بينه وبينه، فإن الصحيح عن ابن عباس أنهم كانوا سبعة وهو ظاهر الآية ". تفسير القرآن العظيم ٨٣/٣ ، مصدر سابق.

(٨) انظر ص ١٣٤ ، من البحث.

(٩) ابن إسحاق : هو العلامة الحافظ الأخباري أبو بكر محمد بن إسحاق بن يسار المطلبي مولاهم ، المدني ، نزيل العراق، إمام المغازي ، توفي سنة ١٥٠هـ ، ويقال بعدها ، من مؤلفاته : السيرة النبوية . سير أعلام النبلاء ٣٣/٧-٥٥ ، وتهذيب التهذيب ٣٥/٩-٤٠ ، مصدران سابقان.

(١٠) تفسير الماوردي: النكت والعيون ٢٩٧/٣ ، ل أبي الحسن علي بن محمد الماوردي ط: دار الكتب العلمية . بيروت ، ١-١٣٨٠هـ . وابن الجوزي ٨٨/٥ ، مصدر سابق.

(١١) زاد المسير ٨٨/٥ ، مصدر سابق.

وهذا القول ظاهر الضعف، ومما يدل على ذلك أن الله - تعالى - ذكر اختلاف الناس في عدد أصحاب الكهف على ثلاثة أقوال؛ وهذا يدل على أنه لم يقل أحد بقول رابع^(١).

القول الثالث: التوقف عن ذكر عددهم، ورد العلم في ذلك إلى الله تعالى، وذلك لعدم وجود دليل صحيح في تعيين عددهم، وأما ما روي عن ابن عباس^(٢) فهو مختلف عليه فيه^(٣).

ويناقش بأن الثابت عن ابن عباس^(٤) أنهم سبعة، وأما الرواية الثانية عنه أنهم ثمانية فهي ضعيفة لا تقوم بها حجة، كما تقدم.

والراجع - والله تعالى أعلم - هو القول الأول، وهو أنهم سبعة ثامنهم كلبهم، وذلك لأدلة منها:

١ - أن الله تعالى أخبر عنهم بثلاثة أقوال ضعف اثنين وسكت عن الثالث، فدل على صحته، وبهذا استدل جمهور المفسرين كابن عطية^(٥)، والرازي^(٦)، والقرطبي^(٧)، وابن كثير^(٨)، والشنقيطي^(٩).

(١) تفسير القرآن العظيم ٨٣/٣، وأنوار التنزيل ٨/٢، واضواء البيان ٨٣/٤، مصادر سابقة.

(٢) انظر: ص ٤٧، من البحث.

(٣) ذهب إلى ذلك القاسمي في تفسيره ٢٥/١١، وابن الحاجب في أماليه، حيث قال: " إن الله - تعالى - قال: ، فلو جعلنا قوله: تصديقا لمن قال سبعة لوجب أن يكون العالم بذلك كثيرا؛ فإن أخبار الله تعالى صدق فدل على أنه لم يصدق منهم أحدا؛ وإذا كان كذلك وجب أن تكون الجمل كلها متساوية في المعنى. . . . أمالي ابن الحاجب ٢٤٩/١، لأبي عمر عثمان بن الحاجب، ت: فخر قدارة، دار الجيل، ط١: بيروت، ١٤٠٩ هـ .

(٤) انظر: ص ٤٧، من البحث.

(٥) انظر: ص ٤٦، من البحث.

(٦) المحرر الوجيز ٣٨٦/١٠ مصدر سابق.

(٧) انظر: ص ٤١، من البحث.

(٨) التفسير الكبير ٩٠/٢١، مصدر سابق.

(٩) انظر: ص ٨١، من البحث.

(١٠) الجامع لأحكام القرآن: ٢٤٩/١٠، مصدر سابق.

(١١) انظر: ص ٨١، من البحث.

(١٢) تفسير القرآن العظيم ٨٣/٣، مصدر سابق.

(١٣) انظر: ص ٦٤، من البحث.

(١٤) أضواء البيان ٨٢/٤، وقواعد التفسير للسبت ٧٦١/٢، ٨٢/٣، مصدران سابقان.

٢ - الواو في قوله تعالى: والاستدلال بها من وجوه:

أ - أن هذه الواو هي التي تدخل على الجملة الواقعة صفة للنكرة، كما تدخل على الواقعة حالاً من المعرفة، وفائدتها تأكيد ثبوت الصفة للموصوف، والدلالة على أن اتصافه بها أمر ثابت مستقر؛ فكانت هذه الواو دالة على صدق الذين قالوا إنهم كانوا سبعة وثامنهم كلبهم، وأنهم قالوا قولاً متقررًا متحققاً، عن ثبات وعلم وطمأنينة نفس^(١).

ب - أن الله - تعالى - خص هذا الموضع بهذا الحرف الزائد، وهو (الواو) فوجب أن تحصل به فائدة زائدة، صونا للفظ عن التعطيل^(٢).

هذا وإن الخلاف في هذه المسألة ليس له ثمرة كبيرة، وليس في تعيين عددهم فائدة تعود على المكلفين في دنياهم ولا دينهم، ولكن نقل الخلاف عنهم في ذلك جائز كما ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية^{(٣)(٤)}.

(١) الكشف ٣٨٥/٢، والتفسير الكبير ٩٠/٢١، وملاك التأويل ٧٨٠/٢، والدر المصون ٤٦٧/٧، مصادر سابقة.

(٢) التفسير الكبير ٩٠/٢١، وذكر وجوهاً أخرى لترجيح هذا القول.

(٣) انظر: ص ٤٨، من البحث.

(٤) مجموع الفتاوى ٣٦٧/١٣، ومقدمة في أصول التفسير ٨٩، وتفسير القرآن العظيم ٨٣/٣. مصادر سابقة.

الختامة

الخاتمة

الحمد لله أولاً وآخراً على ما من به علي من إنجاز هذا العمل الذي أحسب أنني بذلت فيه جهدي، واستنفذت فيه طاقتي.

فقد عشت فترةً من الزمن مع اختيارات الإمام النسفي - رحمه الله - في تفسيره مدارك التنزيل وحقائق التأويل وقارنت أقواله بأقوال كثيرٍ من المفسرين وقد توصلت من خلال هذا البحث إلى نتائج، من أهمها ما يلي:

النتائج:

أولاً - نتائج متعلقة بموضوع البحث:

قمت بدراسة أربعين مسألة في هذا البحث، اشتملت على ما يقرب من سبع وأربعين اختيار وترجيح للإمام النسفي، وكانت النتائج التي توصلت إليها بعد دراسة هذه المسائل كالتالي:

"وافقته في ثلاث وعشرين مسألة ، تبين لي بعد دراستها أن حكمه صحيح".

"وافقته مع الاضافة ليكون القول أشمل في مسألتين".

"خالفته في ثلاث عشرة مسألة، تبين لي بعد الدراسة أن في ترجيحه أو اختياره

نظراً".

و" توقفت في مسألتين".

ثانياً - نتائج عامة:

١. تفسير النسفي من التفاسير الوسط بين الطول والقصر مع عدم الإخلال بعبارات جمعت بين النكت البلاغية والمحسنات البديعية، والعبارات الرصينة.

٢. من خلال تفسيره يتضح للقارئ فهمه الواعي، واطلاعه الواسع، والإتيان بالمعلومات النادرة والفوائد الجمّة، وتوجيهه السديد وإيجازه المركز.
٣. يعتبر مدارك التنزيل من المراجع النفيسة، والمراجع المفيدة، للمهتمين بالتفسير، وغيرهم من العلماء وطلبة العلم، لما يزخر به من فوائد جمّة، ومعلومات مهمة، ولهذه المزايا وغيرها تبوأ مدارك التنزيل مكانة علمية مرموقة، وشهرة واسعة وتداولاً موسعاً بين العلماء وطلبة العلم من خلال الجامعات ودور العلم في العالم الإسلامي.
٤. قصده اختيار الأصوب، وعدم تعصبه لمذهب أو شخص معين، فالمعتمد عنده صحة الدليل، وقوة الاستدلال به.
٥. إن الدراسة المبنية على المقارنة والموازنة بين الأقوال تنمي لدى الباحث ملكة مناقشة الأقوال والترجيح بينها، ولا يخفى ما في ذلك من النفع والفائدة.
٦. تبين لي أن الراجح من الأقوال، والصحيح منها لا يخرج في الغالب عن المشهور عند المفسرين، والشذوذ عن الجماعة غالباً ما يكون خروجاً عن الصواب؛ ولهذا ينبغي لطالب الحق ألا يستعجل في قبول القول الذي فيه شذوذ، وخاصة إذا ترتب عليه تخطئة القائلين بالقول المشهور مع كونهم الكثرة الكاثرة.
٧. إن استعمال صيغ الترجيح بطريقة صحيحة، واختيار المناسب منها لكل مسألة مما ينبغي أن يهتم به الباحث اهتماماً كبيراً؛ لأنه يُبنى على استعمال هذه الصيغ، واختيارها أحكاماً لها تأثير في تفسير كلام الله - عز وجل - ، ويترتب عليها الحكم على أقوال قد نقلت عن أئمة معتبرين، وعلماء متبحرين؛ وقد أمرنا الله - عز وجل - أن نكون قوامين بالقسط. وغير خاف أن لكل صيغة دلالتها الحكمية؛ فلا ينبغي أن تستعمل صيغة في موضع وغيرها أنسب منها، وأدل

على المقصود. وكلما ابتعد الباحث عن استعمال الصيغ العامة الجازمة كان ذلك أولى؛ فالجزم بالحكم على قول في مسألة خلافية مشهورة بأنه الحق والصواب جزماً قاطعاً غير مناسب؛ لأن الحق قد يكون مع القول الآخر. وهكذا الجزم بأن مراد الله - عز وجل - من هذه الآية هو كذا، أو مقصود الآية كذا؛ مما ينبغي أن يُتورع عنه إلا إذا كان بحجة بيّنة من جهة الوحي.

التوصيات:

١. أوصي الباحثين والمعنيين بالدراسات القرآنية بالاهتمام بدراسة اختيارات المفسرين واستيعابها ، ففيها ثروة علمية تفسيرية كبيرة، وتقوية لمملكة التفسير والموازنة. والترجيح لدى الباحث، والاطلاع الشامل على كتب التفسير، ووضوح أوجه الشبه والاختلاف بين المفسرين، ونقل المتأخر عن المتقدم ، والمستقلين بآرائهم واختياراتهم وترجيحاتهم من المفسرين.
٢. أوصي الباحثين، والدارسين للتفسير، والمعنيين بالدراسات القرآنية بالألا يقتصروا على ما في كتب التفسير؛ ففي غيرها من كتب العلوم الأخرى ثروة تفسيرية نفيسة، وهي بحاجة إلى من يجمعها ويقوم بدراستها. ومع أن هناك دراسات في هذا الجانب، إلا أنها لم تأت إلا على القليل من تلك الثروة الكبيرة.
٣. أوصي الأقسام والجمعيات العلمية المتخصصة في الدراسات القرآنية أن تولي دراسة المسائل المشكلة في التفسير بالعناية، وأن تحث الباحثين على أفراد كل مسألة بدراسات مستقلة؛ فقد ظهر لي أن هناك الكثير من المسائل لا زالت بحاجة إلى تحرير. وإذا كان المتقدمون قد اهتموا بتفسير القرآن كاملاً للحاجة إلى ذلك؛ فإن الحاجة الآن تدعو إلى أفراد تلك المسائل بالدراسة.

٤. أرى أن تستكمل دراسة الاختيارات التي لم تبحث لعدد من المفسرين المتقدمين والمتأخرين.

٥. أرى أن ينظر في مشروع جامع لإخراج الدراسات والبحوث التي انتهت دراستها من مواضيع الاختيارات، بعد ترتيبها وتنسيقها..

٦. من الموضوعات التي أوصي بدراستها ، بعد أن ظهر لي أنها بحاجة إلى البحث والتحرير:

"جمع المسائل التفسيرية التي تتعارض فيها القرائن المرجّحه. وهذه المسائل من أصعب مسائل التفسير بحثاً، وفيها يتحول البحث من ترجيح قول على قول إلى ترجيح قرينة من قرائن الترجيح على قرينة أخرى. والمرجحات يُرجح بعضها على بعض حسب قوة كل قرينة، ولذلك ضوابط عند العلماء وخاصة الأصوليين.

"تحديد معنى "الظاهر" يحتاج إلى تحرير؛ فالترجيح به أمر نسبي قد لا ينضبط؛ فالظاهر من معنى الآية عند مفسر قد لا يكون متفقاً مع الظاهر من معناها عند مفسر آخر. فتحرير المراد بظاهر اللفظ أمر يستحق أن يكون محل نظر الباحثين؛ وإلا فإن الترجيح بالظاهر سيبقى غير ظاهر.

" لو جمعت أقوال السلف في التفسير من مصادرها المعتمدة، ثم قورنت بما نُسب إليهم في كتب التفسير وغيرها لوجد أن هناك فروقاً بين حقيقة قولهم، وبين ما نسب إليهم، إما من حيث اللفظ، وإما من حيث ما رُتب عليه من المعاني. وهذا موضوع جدير بالبحث والتحرير .

استعمال القرآن للأدوات له أثر بالغ في إثراء المعنى. وهو موضوع جدير بالبحث والتأمل.

وفي الختام أحمد الله تعالى وأشكره على ما من به علي من إتمام هذا البحث،
وأسأله تعالى أن يجعل عملي هذا خالصاً لوجهه الكريم، وأن يتجاوز عما كان فيه
من خطأٍ وتقصير.

كما أسأله جل وعلا أن يصلح أحوال المسلمين ، وأن ينصر دينه القويم، ويمكن
لأهله الصالحين المصلحين في جميع البلاد. وأن يحتسب لي هذا العمل عنده، وأن
يحقق نسبتي لأهل القرآن العظيم الذين هم أهل الله وخاصته، وأسأله سبحانه وهو
القريب المجيب - أن يجمعنا مع من أحببنا في مستقر رحمته، وأن يغفر لإمامنا
النسفي إنه ولي ذلك والقادر عليه. وأسأل الله بمنه وكرمه أن يختم لنا بالخاتمة
الحسنة، وأن يجعل خير أعمالنا خواتمها، وخير أيامنا أواخرها، وصلى الله على نبينا
محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

الفهارس

العامّة

فهرس الآيات القرآنية

الرقم	النص	الآية	الصفحة
سورة البقرة			
١	﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَيَأْتُونَ الْآخِرَ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ﴾	٨	٢٨
٢	﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾	٤٨	٢٨
٣	﴿وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ...﴾	٥٧	٦٠
٤	﴿قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾	٩٧	٢٦٥
٥	﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَاتِكَ﴾	١٢٩	١٠٤
٦	﴿فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ﴾	١٣٢	١٧٠
٧	﴿... وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ...﴾	١٤٠	١٢٣
٨	﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا﴾	٢٥٩	٣٢
٩	﴿وَعَلَيْهَا مَا أَكْتَسَبْتَ﴾	٢٨٦	٥٣
سورة آل عمران			
١٠	﴿وَاطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾	١٣٢	٢٩
١١	﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾	١٦٤	١٠٤
سورة النساء			
١٢	﴿وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ﴾	٢١	٣١
١٣	﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَبَكَ اللَّهُ﴾	١٠٥	٣٢

الرقم	النص	الآية	الصفحة
١٤	﴿رُسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾	١٦٥	٢١٦
١٥	﴿إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ﴾	١٧١	٢٦٥ ٢٦٦
سورة المائدة			
١٦	﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ﴾	٦	٣٠
١٧	﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَعْيسَى ابْنَ مَرْيَمَ ءَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾	١١٦	٦٣
سورة الأنعام			
١٨	﴿مَنْ يَشَأْ اللَّهُ يُضِلَّهُ وَمَنْ يَشَأْ يُجْعَلْهُ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾	٣٩	١٣٤
١٩	﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ . . .﴾	١٠٠	١٠٩
٢٠	﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا . . .﴾	١١٥	١٢٤
٢١	﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكْبَرًا مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا فِيهَا﴾	١٢٣	٢٣٥
٢٢	﴿ذَلِكَ أَنْ لَمْ يَكُنْ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَافِلُونَ﴾	١٣١	٢٣٩
٢٣	﴿وَكَذَلِكَ زَيْنَ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتَلَ أَوْلَادِهِمْ شُرَكَاءَهُمْ﴾	١٣٧	١٠٩
٢٤	﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفْرٍ﴾	١٤٦	٦٠

الرقم	النص	الآية	الصفحة
٢٥	﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾	١٥٣	٢١٥
سورة الأعراف			
٢٦	﴿قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٩﴾ يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ﴾	١٠٩ ١١٠	١٦٠
٢٧	﴿وَأَخَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِمِيقَاتِنَا﴾	١٥٥	٤٠
سورة الأنفال			
٢٨	﴿وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ﴾	٤٤	٧٣
٢٩	﴿لَوْلَا كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾	٦٨	٣٢
سورة التوبة			
٣٠	﴿وَنَزَّلَ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾	٢٤	٢٥٧
٣١	﴿إِنَّمَا الصَّدَقَتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالمَسْكِينِ وَالعَمِلِينَ عَلَيْهَا وَالمُؤَلَّفَةِ فُلُوبِهِمْ ...﴾	٦٠	٣١
٣٢	﴿فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خَلْفَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ...﴾	٨١	٩٠
٣٣	﴿التَّائِبُونَ الْعَمِيدُونَ الْحَمِيدُونَ الْمُتَّكِفُونَ ...﴾	١١٢	٧٧
٣٤	﴿وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِفُوا حَتَّىٰ إِذَا ضَافَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ﴾	١١٨	٧١ ٨٦

الرقم	النص	الآية	الصفحة
٣٥	﴿ مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﴾	١٢٠	٩٥
٣٦	﴿ وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً ﴾	١٢٢	٥٥ ٥٧
٣٧	﴿ وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ ﴾	١٢٢	٩٢
٣٨	﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ ﴾	١٢٨	١٠٢
سورة يونس			
٣٩	﴿ الرَّ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ ﴿١﴾ ﴾	١	١١٢
٤٠	﴿ وَنَبِّئِ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمٌ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ ﴾	٢	١١٣
٤١	﴿ وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا ﴾	١٢	١٠٥
٤٢	﴿ قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ ثُمَّ ... ﴾	٣٥	٥٧ ٧٤ ١٠٧
٤٣	﴿ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِّنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾	٥٧	١١٣
٤٤	﴿ قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾	٥٨	١١٠
٤٥	﴿ فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِّمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَسْأَلِ الَّذِينَ يُقْرَأُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ ﴾	٩٤	١١٦
٤٦	﴿ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٤﴾ ﴾	١٠٤	١١٣

الرقم	النص	الآية	الصفحة
٤٧	﴿وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ . . ﴾	١٠٩	١١٣
سورة هود			
٤٨	﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ وَمِن قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَىٰ إِمَامًا وَرَحْمَةً أُولَٰئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَن يَكْفُرْ بِهِ مِّن الْأَحْزَابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ﴾	١٧	١١٤ ١٢٦
٤٩	﴿إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِن دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا﴾	٥٦	١٣٦
٥٠	﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ﴾ ﴿. . وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْنِيْبٍ﴾	١٠١	٦٠ ١٣٧
٥١	﴿وَأَمَّا الَّذِينَ سَعِدُوا فِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءٌ غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾	١٠٨	٢٨ ١٣٩
٥٢	﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلِهَا مُصْلِحُونَ﴾	١١٧	١٣٨
٥٣	﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَرَالُونَ مَخْلَفِينَ ﴿١١٨﴾﴾ ﴿مَنْ رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ . . ﴾	١١٨ ١١٩	١٤٣
سورة يوسف			
٥٤	﴿نَفُصٌ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ . . ﴾	٣	٥٣ ١٤٦
٥٥	﴿وَكَذَٰلِكَ يُجَنِّبُكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ . . ﴾	٦	١٥٧
٥٦	﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾	١٥	١٥٢

الرقم	النص	الآية	الصفحة
٥٧	﴿كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلِصِينَ﴾	٢٤	٥٥ ١٥٢
٥٨	﴿. . . وَأَسْتَغْفِرِي لِدُنْيَاكَ إِنَّا كُنْتُمْ مِنَ الْخَاطِئِينَ﴾	٢٩	١٦٢
٥٩	﴿قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلَّا نَبَأٌ كُفْرًا تَوِيلًا بِهِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا ذَلِكَ مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ﴾	٣٧	١٥٥
٦٠	﴿. . . يَتَأْتِيهَا الْمَلَأُ أَفْتُونًا فِي رُءْيَايَ إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ﴾ (٤٣) قَالُوا أَضْغَثٌ أَحْلَمٌ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَمِ بِعَالِمِينَ﴾ (٤٤)	٤٣ ٤٤	١٥٧
٦١	﴿. . . أُمَّةٌ أَنَا أُنْتِخِبُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُون﴾	٤٥	١٥٧
٦٢	﴿ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ﴾ (٥٢) وَمَا أُبْرِيئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمْتُ . . .﴾	٥٢ ٥٣	١٥٩
٦٣	﴿وَقَالَ لِفَتْنَيْنِهِ اجْعَلُوا بَصْنَعَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ . . .﴾	٦٢	١٦٩
٦٤	﴿وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ أَوْسَىٰ إِلَيْهِ أَخَاهُ قَالَ إِنِّي أَنَا أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾	٦٩	١٦٣
٦٥	﴿. . . إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ﴾	٧٠	١٦٧
٦٦	﴿. . . هَذَا تَأْوِيلُ رُءْيَايَ مِنْ قَبْلُ . . .﴾	١٠٠	١٥٧
٦٧	﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ . . .﴾	١٠١	١٥٧ ١٧٠
٦٨	﴿لَقَدْ كَانَتْ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ . . .﴾	١١١	١٤٧

الرقم	النص	الآية	الصفحة
سورة الرعد			
٦٩	﴿ . . . إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴾	٧	١٧٤
٧٠	﴿ وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أُنَابَ ﴾	٢٧	١٨١ ١٨٢ ١٨٣
٧١	﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾	٢٨	١٧٩
٧٢	﴿ كَذَلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهَا أُمَمٌ لَبِثُوا عَلَىٰهَا الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ . . . ﴾	٣٠	١٨٣
٧٣	﴿ وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانَ سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كَلِمٌ بِهِ الْمَوْتَى . . . ﴾	٣١	١٨٣
٧٤	﴿ أَكَلُوهَا دَائِمًا وَظَلُّوهَا ﴾	٣٥	٢٩
سورة إبراهيم			
٧٥	﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ ﴾	٦	١٨٧
٧٦	﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴾	٧	١٨٦
٧٧	﴿ إِنَّ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا ﴾	١٠	٢٥٤
٧٨	﴿ إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ ﴾	١١	٢٥٤
٧٩	﴿ مِنْ وَرَائِهِ جَهَنَّمُ وَيُسْقَىٰ مِنْ مَاءٍ صَدِيدٍ ﴿١٦﴾ يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسَبِّغُهُ، وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ	١٦ ١٧	١٩٠

الرقم	النص	الآية	الصفحة
	وَمِنْ وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ ﴿١٠﴾		
٨٠	﴿وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي...﴾	٢٢	٢٠٦ ٢٠٧
٨١	﴿... فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي...﴾	٣٦	١٢٥
٨٢	﴿يَوْمَ تَبْدُلُ الْأَرْضُ عَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ...﴾	٤٨	١٤٠
سورة الحجر			
٨٣	﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾	٩	١٨٢
٨٤	﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾	٩	١٩٦
٨٥	﴿وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿١١﴾ كَذَلِكَ نَسُكُّهُمْ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ ﴿١٢﴾ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ﴾	١١ ١٢ ١٣	١٩٤
٨٦	﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ، وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي﴾	٢٩	٢٦٦ ٢٦٩
٨٧	﴿قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ ﴿٤١﴾ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنْ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾	٤١ ٤٢	٢٠١
٨٨	﴿قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ﴾	٤١	٢١٣
٨٩	﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنْ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾	٤٢	٢٠٥
٩٠	﴿وَأَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾	٩٩	٢٠٨
سورة النحل			
٩١	﴿وَعَلَى اللَّهِ فَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِرٌ وَلَوْ شَاءَ لَهَدَيْكُمْ﴾	٩	٥٩

الرقم	النص	الآية	الصفحة
	﴿ أَجْمَعِينَ ﴾		٢١٣
٩٢	﴿ وَعَلَّمْتِ وَبِالتَّجْمِيمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴾	١٦	٢١٧
٩٣	﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَنْفَكِرُونَ ﴾	٤٤	٦٦
٩٤	﴿ ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَنْفَكِرُونَ ﴾	٦٩	٢٢٠
٩٥	﴿ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَمَنْ رَزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا ﴾	٧٥	٢٢٤
٩٦	﴿ مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ ﴾	٩٦	٢٩
٩٧	﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً ﴾	٩٧	٢٢٩
٩٨	﴿ إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطٰنٌ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ... ﴾	٩٩	٢٠٧
٩٩	﴿ قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾	١٠٢	٢٦٥
١٠٠	﴿ وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَمْنَا مَا كَصَحْنَا عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ ﴾	١١٨	٦٠
سورة الإسراء			
١٠١	﴿ إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ ﴾	٧	٥٣
١٠٢	﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْءَانَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ ... ﴾	٩	ب
١٠٣	﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾	١٥	٢١٦

الرقم	النص	الآية	الصفحة
١٠٤	﴿ وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا ﴾	١٦	٦٤٦ ٤ ٢٣٤
١٠٥	﴿ وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا ﴾	٤٥	٢٤٢ ٢٤٦ ٢٤٦
١٠٦	﴿ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ مَجْجَوْنَ إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا ﴾	٤٧	٦١ ٢٤٩
١٠٧	﴿ أَنْظِرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴾	٤٨	٢٥١ ٢٥٦
١٠٨	﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ﴾	٦١	٢٠٧
١٠٩	﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَنٌ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا ﴾	٦٥	٢٠٧
١١٠	﴿ وَنَزَّلْنَا مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴾	٨٢	٢٢٤ ٢٥٨ ٢٧٠
١١١	﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾	٨٥	٢٦١
١١٢	﴿ وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِ عَلَيْنَا وَكِيلًا ﴿٨٦﴾ إِلَّا رَحْمَةً مِن رَّبِّكَ إِن فَضَّلَهُ كَانَتْ عَلَيْكَ كَبِيرًا ﴿٨٧﴾ قُل لِّئِن أَجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا	٨٦ ٨٨	٢٦٩

الرقم	النص	الآية	الصفحة
	يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿١١٣﴾		
١١٣	﴿أَبْعَثَ اللَّهُ بَشْرًا رَسُولًا﴾	٩٤	٢٥٤
١١٤	﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ فَسَلَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَمُوسَىٰ مَسْحُورًا﴾	١٠١	٧٣٧ ٢٤٩ ٢٧٢
١١٥	﴿وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَفِرْعَوْنُ مَشْهُورًا﴾	١٠٢	٢٥٤
سورة الكهف			
١١٦	﴿سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾	٢٢	٢٧٧
١١٧	﴿وَكَانَ وِرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا﴾	٧٩	١٩١
سورة مريم			
١١٨	﴿. . . يَلِيَّتَنِي مَتَّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسِيًّا مَنَسِيًّا﴾	٢٣	١٧٢
١١٩	﴿وَأَذْكُرِي فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ﴾	٥٤	٥٣
١٢٠	﴿إِن كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتَى الرَّحْمَنِ عَبْدًا﴾	٩٤	٢٢٨
سورة الأنبياء			
١٢١	﴿وَهَذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ﴾	٥٠	١٨٢
١٢٢	﴿فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكَلَّمْنَا هَارُونَ وَكَلَّمْنَا شِيثَانَ﴾	٧٩	٣٢
١٢٣	﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ . . .﴾	١٠٤	١٤٠
سورة المؤمنون			
١٢٤	﴿أَتُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا﴾	٤٧	٢٥٤

الرقم	النص	الآية	الصفحة
١٢٥	﴿ بِهِ جِنَّةٌ ﴾	٧٠	٢٥١
سورة الشعراء			
١٢٦	﴿ وَإِنَّهُ لَنَزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴿١٩٥﴾ ﴾	١٩٢ ١٩٥	٧٥
١٢٧	﴿ إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمَسْحُورِينَ ﴾	١٥٣	٢٥٤
١٢٨	﴿ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَى قَلْبِكَ ﴾	١٩٣ ١٩٤	٢٦٥
١٢٩	﴿ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَى قَلْبِكَ ﴾	١٩٣ ٩٤	٢٦٦
سورة النمل			
١٣٠	﴿ وَالْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَمُوسَى لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَى الْمُرْسَلُونَ ﴿١٠﴾ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًا بَعْدَ سُوءٍ فَإِنِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١١﴾ وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ فِي تِسْعِ آيَاتٍ إِلَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴾	١٠ ١٢	٢٧٤
سورة القصص			
١٣١	﴿ . . . إِنْ كَادَتْ لَتُبْدَى بِهِ لَوْلَا أَنْ رَبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠﴾ ﴾	١٠	١٥٠
١٣٢	﴿ وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَىٰ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ ﴾	٥٩	١٣٨
سورة لقمان			
١٣٣	﴿ إِنَّا مَرْجِعُهُمْ ﴾	٢٣	١٣٢

الرقم	النص	الآية	الصفحة
سورة السجدة			
١٣٤	﴿بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مِمَّا أَتَتْهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِمَّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾	٣	٥٢
١٣٥	﴿وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَلِيمِ الَّذِي دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾	٢١	٤٧
سورة الأحزاب			
١٣٦	﴿فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا﴾	٣٧	١١٦
١٣٧	﴿خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾	٥٠	١١٧
سورة فاطر			
١٣٨	﴿وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾	٢٤	١٧٨
سورة يس			
١٣٩	﴿مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا﴾	١٥	٢٥٤
١٤٠	﴿وَأَنْ أَعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾	٦١	٢١٥
سورة الزمر			
١٤١	﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾	٦٥	١١٦
سورة غافر			
١٤٢	﴿يَلْقَى الرُّوحَ مِنْ أَمْرِئِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾	١٥	٢٦٥
سورة فصلات			
١٤٣	﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ﴾	٤١	٤٦
١٤٤	﴿قُلْ هُوَ الَّذِي هَدَىٰ أُمَّتَنَا هُدًى وَشَفَاءً﴾	٤٤	٢٢٣

الرقم	النص	الآية	الصفحة
سورة الشورى			
١٤٥	﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ .﴾	٥٢	١٢٣ ٢٦٥
سورة الزخرف			
١٤٦	﴿وَقَالُوا يَتَّبِعُهُ السَّاحِرُ أَدْعُنَا رَبَّنَا بِمَا عَاهَدَ عَلَيْكَ إِنَّا لَمُهْتَدُونَ﴾	٤٩	٢٥١
١٤٧	﴿فَلَمَّا ءَاسَفُونَا انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ ﴿فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْآخِرِينَ﴾	٥٥ ٥٦	٧٢
١٤٨	﴿. . . إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ﴾	٥٧	١٧٨
سورة الدخان			
١٤٩	﴿مُعَامَّرٌ مَّجْنُونٌ﴾	١٤	٢٥٥
سورة ق			
١٥٠	﴿وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ﴾	٣٨	٤٧
سورة الذاريات			
١٥١	﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾	٥٦	١٤٣
سورة النجم			
١٥٢	﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنْتَهَىٰ﴾	٤٢	١٣٢
١٥٣	﴿أَزِفَتِ الْأَازِفَةُ﴾	٥٧	٤٦
سورة الواقعة			
١٥٤	﴿لَا مَقْطُوعَةَ وَلَا مَمْنُوعَةَ﴾	٣٣	٢٩
سورة المجادلة			

الرقم	النص	الآية	الصفحة
١٥٥	﴿أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ﴾	٢٢	٢٦٥
سورة الجمعة			
١٥٦	﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ ..﴾	٣ ، ٢	١٠٣
سورة الطلاق			
١٥٧	﴿لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا﴾	١	٤٦
سورة التحريم			
١٥٨	﴿عَسَى رَبُّهُ إِن طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبَدِّلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِّنْكَ﴾	٥	٨٤
سورة المعارج			
١٥٩	﴿يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْهَيْلِ﴾	٨	١٤٠
١٦٠	﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ خَلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾ إِلَّا الْمُسْلِمِينَ ﴿٢٢﴾﴾	١٩ ، ٢٠ ، ٢١ ، ٢٢	١٠٦
سورة النبأ			
١٦١	﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ﴾	٣٨	٢٦٢ ٢٦٥ ٢٦٥
سورة الغاشية			
١٦٢	﴿إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ﴾	٢٥	١٣٢
سورة الفجر			

الرقم	النص	الآية	الصفحة
١٦٣	﴿وَالْفَجْرِ﴾	١	٥٠
١٦٤	﴿إِنَّ رَبَّكَ لِبِالْمُرْصَادِ﴾	١٤	١٣٢ ٢٠٢
سورة الليل			
١٦٥	﴿إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَى﴾	١٢	٦٠ ٢١٣
سورة القدر			
١٦٦	﴿نَزَّلُ الْمَلَائِكَةَ وَالرُّوحَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ﴾	٤	٢٦٥
سورة الزلزلة			
١٦٧	﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾	٧	
سورة العصر			
١٦٨	﴿وَالْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ...﴾	١ ٣،٢	١٠٦
سورة النصر			
١٦٩	﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ...﴾	١ ٣،٢	٢١٢
سورة المسد			
١٧٠	﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾	١	١٣٧ ٢٤٣

فهرس الأحاديث النبوية

الرقم	طرف الحديث	الصفحة
١	" أربع من كن فيه كان منافقا خالصا. ومن ...	١٠٦
٢	" أفلا أكون عبدا شكورا"	٢١٢
٣	" أما عثمان فقد جاءه اليقين من ربه"	٢١١
٤	" اسقه عسلاً فجاءه وقال زاده شراً فقال:	٢٢٠
٥	" البينة على المدعي، واليمين على من أنكر"	١١٩
٦	" بعثت إلى الأحمر والأسود "	١٧٦
٧	تلا: ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ...﴾ فقال: " بكتاب الله والإسلام "	١١١
٨	" سياحة أمتي الجهاد في سبيل الله"	٧٨
٩	" سياحة أمتي الصيام"	٦٩
		٧٧
١٠	" شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي "	٢٨
١١	" لا تشركوا بالله شيئا، ولا تسرقوا، ولا تزنوا، ولا تقتلوا.....	٢٧٢
١٢	«لا يشكر الله من لا يشكر الناس»	د
١٣	" ما تركت بعدي فتنة أضر على الرجال من النساء"	١٧٣
١٤	" ناصيتي بيدك ...	١٣٢
١٥	"وإذا أردت فتنة قوم، فتوفني غير مفتون."	١٧٣
١٦	" وإذا استنفرتم فانفروا"	٩٣

فهرس الأعلام

الرقم	اسم العلم	الصفحة
١	ابن أبي حاتم	٤٥
٢	ابن إسحاق	٢٧٨
٣	ابن الأثير	٨
٤	ابن الأنباري	١٣١
٥	ابن الجوزي	١٠٥
٦	ابن الحنفية	١٢٥
٧	ابن الساعاتي	٢٥
٨	ابن العربي	١٥١
٩	ابن القيم	٦٩
١٠	ابن تيمية	٤٨
١١	ابن جرير	٨٢
١٢	ابن حجر	٢٦٨
١٣	ابن عاشور	٨٣
١٤	ابن عباس	٤٧
١٥	ابن عبد البر	٥٤
١٦	ابن عطية	٤٦
١٧	ابن عمر	١١١
١٨	ابن قتيبة	١١١
١٩	ابن قدامة	٤٥
٢٠	ابن كثير	٨١

الرقم	اسم العلم	الصفحة
٢١	ابن مسعود	٧٣
٢٢	ابن نجيم	٣٧
٢٣	أبو إسحق إبراهيم بن معقل بن الحجاج النسفي	٢٠
٢٤	أبو السعود	١٨٣
٢٥	أبو العالية	١٧٥
٢٦	أبو حنيفة	٢٦
٢٧	أبو حيان	٨١
٢٨	أبو سليمان الدمشقي	٢٦٧
٢٩	أبو عبيدة	١٩٠
٣٠	أبو عمرو	٦٤
٣١	أبو جعفر المنصور	٦
٣٢	أبو منصور الماتريدي	٢٦
٣٣	أبي المحاسن حسن بن منصور قاضي خان	٢٣
٣٤	أبي بن كعب	١١١
٣٥	أبي هريرة	٤٩
٣٦	أحمد بن أغوز دانشمند الإقشهدي	٣٥
٣٧	أحمد بن حنبل	٦٧
٣٨	الأخفش	٢٠٢
٣٩	أسماء بنت أبي بكر رضي الله تعالى عنها	٢٤٣
٤٠	الأشعري	٢٦
٤١	الألوسي	١٨١
٤٢	الإمام السغناقي	٢٥

الصفحة	اسم العلم	الرقم
٤١	الآمديّ	٤٣
٧	أبيك	٤٤
٨٨	البخاري	٤٥
٢٣	بدر الدين عمر بن عبد الكريم الورسكي	٤٦
٢٣	برهان الدين على بن أبي بكر بن عبد الجليل المرغيناني	٤٧
١٠٨	البغوي	٤٨
٢١١	البقاعي	٤٩
١٠٧	البيضاوي	٥٠
١٧٠	التستري	٥١
١٩١	الثعلبي	٥٢
١٥١	الجصاص	٥٣
١٢٥	جليبيب	٥٤
٣٥	جمال الدين محمود بن أحمد القنوي	٥٥
٤	جنكيز خان	٥٦
٤٢	الجوينيّ	٥٧
٨	الحاكم بأمر الله	٥٨
٤٩	الحسن البصري	٥٩
١٢١	الحسين بن عليؑ	٦٠
٢٤	حميد الدين الضرير البخاري	٦١
١٨٢	الخازن	٦٢
٦	الخليفة المستعصم	٦٣
٢٣	خواهر زادة	٦٤

الصفحة	اسم العلم	الرقم
٤١	الرازي	٦٥
١١٩	الراغب الأصفهاني	٦٦
٢٣٦	الربيع بن أنس	٦٧
٤٧	الزجاج	٦٨
١١١	الزمخشري	٦٩
٤٩	زيد بن أسلم	٧٠
١٣	الساماني	٧١
١٢٩	السدي	٧٢
٣٦	السرخسي	٧٣
٣٦	سعد الدين الدهلوي	٧٤
٧٩	سعيد بن جبير	٧٥
٤٧	سفيان الثوري	٧٦
٧٩	سفيان بن عيينة	٧٧
١٧	السلطان نور الدين زنكي	٧٨
٢٦٧	السمعاني	٧٩
١٩٩	السمين الحلي	٨٠
٢٣	سيف الدين البخاري	٨١
٣٠	الشافعي	٨٢
٦	شجرة الدر	٨٣
٣٤	شمس الدين محمد بن إبراهيم النكساري	٨٤
٤١	الشوكاني	٨٥
٦	الصالح أيوب	٨٦

الصفحة	اسم العلم	الرقم
٢٧٤	صفوان بن عسال	٨٧
٣	صلاح الدين الأيوبي	٨٨
٧٩	الضحاك بن مزاحم	٨٩
٤٨	الطبري	٩٠
٢٦	الطحاوي	٩١
٧	الظاهر بيبرس	٩٢
١٠٣	عائشة	٩٣
٤٧	عبدالرحمن بن زيد	٩٤
١٣٣	عبدالله بن أبي نجيح	٩٥
٢٤	عبدالله بن محمد بن يعقوب الحارثي	٩٦
٢٥	العتابي	٩٧
٧٩	عطاء بن ابي رياح	٩٨
١٤٧	العكبري	٩٩
٤٩	عكرمة	١٠٠
٨٩	عكرمة بن خالد المخزومي	١٠١
٣	علاء الدين محمد خوارزم شاه	١٠٢
٢٢	على برهان الدين ناصر بن عبدالسيد المطرزي	١٠٣
٥٠	علي بن ابي طالب	١٠٤
١٨٦	علي بن صالح	١٠٥
١٣٢	عمر بن عبد العزيز	١٠٦
٢٤٣	العوراء أم جميل	١٠٧
٢٦٨	العوفي	١٠٨

الصفحة	اسم العلم	الرقم
١٢٢	الفراء	١٠٩
٢٦٩	القاسمي	١١٠
٤٩	قتادة	١١١
٨١	القرطبي	١١٢
٧	قطز	١١٣
١١٥	الكرماني	١١٤
٧١	كعب بن مالك	١١٥
٢٤٣	الكلبي	١١٦
٤٦	المارودي	١١٧
٣٠	مالك	١١٨
١٥٠	المبرد	١١٩
٤٧	مجاهد	١٢٠
١٠	مجاهد الدين أبيك الدويدار المستصيري	١٢١
٦٤	محمد الشنقيطي	١٢٢
٥٠	محمد بن كعب القرظي	١٢٣
٢٣	محمد بن محمود الفقيهي	١٢٤
٧١	مرارة بن الربيع	١٢٥
٧	المستصر	١٢٦
٥٠	مسروق	١٢٧
٨٨	مسلم	١٢٨
٦٢	مسلم ابن يسار	١٢٩

الصفحة	اسم العلم	الرقم
١٣٠	مقاتل	١٣٠
٣٦	ناصر الدين القونوي	١٣١
١٠٤	النجاشي	١٣٢
١٠٣	النحاس	١٣٣
١٧٤	النخعي	١٣٤
٧١	هلال بن أمية	١٣٥
٥	هولاكو	١٣٦
٨٠	الواحي	١٣٧
٢٣	وخواهر زادة وفخر الدين المايمرغي	١٣٨
١٤	ياقوت الحموي	١٣٩
٦٥	يعقوب	١٤٠

فهرس الأبيات الشعرية

الصفحة	البيت	الرقم
١٣٢	أمير المؤمنين على صراط إذا اعوج الموارد مستقيم	١
١٩	تهابُ الرومُ في معاقلها والترك تخشاك من وراء نَسَف	٢

فهرس الفرق والقباثل

الصفحة	الكلمة	الرقم
٢٩	الأشاعرة	١
٢	إمبراطورية خوارزم العظيمة	٢
٢٧	الباطنية	٣
٥	التتار	٤
٢٧	الثنوية	٥
٢٧	الجهمية	٦
٢٧	الروافض	٧
١٤	السلاجقة	٨
١٣	الغزنويين	٩
١٣	الفاطمين	١٠
٢٧	الكرامية	١١
٢٧	المرجئة	١٢
٢٧	المعتزلة	١٣
٣	المغول	١٤

فهرس الأماكن والبلدان

الصفحة	اسم المكان أو البلد	الرقم
١٤	الأزهر	١
١١	الإسكندرية	٢
١٦	أسيوط	٣
١٥	أشبيلية	٤
١٣	أصبهان	٥
١٨	إيذج	٦
٣	بحر قزوين	٧
٤	بخارى	٨
٢	بغداد	٩
١٣	بلاد بني بويه	١٠
٤	بلاد ما وراء النهر	١١
٥	بلخ	١٢
٢	تكريت	١٣
٤	جبال طمغاج	١٤
١٩	جيجون	١٥
١٦	حلب	١٦
٢	حلوان	١٧
١٦	حماة	١٨
١٦	حمص	١٩
١٤	خراسان	٢٠
٦	دمشق	٢١
١٣	الري	٢٢

الصفحة	اسم المكان أو البلد	الرقم
٥	سمرقند	٢٣
٤	سوريا	٢٤
٣	الشام	٢٥
٢	عانة	٢٦
٧	عين جالوت	٢٧
٦	غزة	٢٨
٢	الفاو	٢٩
٤	فلسطين	٣٠
١٦	الفيوم	٣١
٧	القاهرة	٣٢
١٥	قرطبة	٣٣
١٨	كرمان	٣٤
١٨	كلاباذ	٣٥
١٧	المدرسة الأتابكية	٣٦
١٨	المدرسة القطبية	٣٧
١٤	مرو	٣٨
٣	مصر	٣٩
١٥	نيسابور	٤٠

فهرس المصادر والمراجع

الرقم	اسم المصدر أو المرجع
١	القرآن الكريم مصحف المدينة
٢	الإتقان في علوم القرآن لجلال الدين السيوطي ت ٩١١ هـ ط ٤: مكتبة مصطفى البابي الحلبي بمصر ١٣٩٨ هـ ١٩٧٨ م
٣	آثار البلاد وأخبار العباد، زكريا بن محمد بن محمود القزويني (المتوفى: ٦٨٢ هـ) الناشر: دار صادر - بيروت
٤	أثر التطور الفكري في التفسير في العصر العباسي ل د. مساعد مسلم آل جعفر، ط: مؤسسة الرسالة.
٥	الإجماع في التفسير، لمحمد بن عبد العزيز الخضير، ط ١: دار الوطن، الرياض، ١٤٢٠ هـ.
٦	أحكام القرآن، لأبي بكر محمد بن عبد الله بن العربي، تحقيق: علي البجاوي، دار الجيل، بيروت.
٧	أحكام القرآن للشافعي جمع البيهقي - تعليق عبدالغني عبدالخالق - ط: دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤١٢ هـ.
٨	أحكام القرآن. لأبي بكر أحمد بن علي الرازي الجصاص - ضبط نصه - وخرج آياته: عبدالسلام محمد علي شاهين. ط ١: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان - توزيع: مكتبة دار الباز - مكة المكرمة - ١٤١٥ هـ.
٩	أحكام القرآن. لأبي بكر أحمد بن علي الرازي الجصاص: بيروت: دار الكتاب العربي: ١٣٣٥ هـ.
١٠	الإحكام في أصول الأحكام، لأبي الحسن علي بن أبي علي الأمدي: بيروت: ط: دار الكتب العلمية: ١٤٠٠ هـ.

الرقم	اسم المصدر أو المرجع
١١	اختيارات ابن تيمية في التفسير؛ من أول سورة الفاتحة إلى آخر سورة النساء: جمعاً وترتيباً ودراسة للباحث محمد بن زيلعي هندي رسالة دكتوراة في القرآن وعلومه بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
١٢	الأدكار المنتخبة من كلام سيد الأبرار، لأبي زكريا يحيى بن شرف النووي: ط٦: بيروت: دار القلم: ١٤٠٣هـ.
١٣	إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم. لأبي السعود العمادي، ط٢: دار إحياء التراث العربي بيروت، ١٤١١.
١٤	إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول. لمحمد بن علي بن محمد الشوكاني (١١٧٣-١٢٥٠) ت: محمد سعيد البدرى أبو مصعب ط: دار الفكر بيروت ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م
١٥	إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل. لمحمد ناصر الدين الألباني: ط١؛ بيروت: المكتب الإسلامي: ١٣٩٩هـ.
١٦	أسباب اختلاف المفسرين للدكتور محمد بن عبدالرحمن الشايع، ط١: مكتبة العبيكان ١٤١٦هـ .
١٧	أسباب النزول لـ أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (المتوفى: ٤٦٨هـ) ت: كمال بسيوني زغلول ط١: دار الكتب العلمية - بيروت، ١٤١١هـ
١٨	أسباب نزول القرآن لـ أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (المتوفى: ٤٦٨هـ) ت: عصام بن عبد المحسن الحميدان ط٢: دار الإصلاح - الدمام - ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م
١٩	الاستيعاب في معرفة الأصحاب للإمام ابن عبد البر - ت: علي محمد البجاوي - ط١: دار الجيل بيروت، ١٤١٢هـ.

الرقم	اسم المصدر أو المرجع
٢٠	أسد الغابة في معرفة الصحابة، عز الدين بن الأثير أبي الحسن بن محمد الجذري، ط١: دار الكتب العلمية، (١٤١٥هـ - ١٩٩٤م)، ت: علي محمد معوض وعادل أحمد عبد الموجود،
٢١	الإصابة في تمييز الصحابة، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني، الشافعي، ط١، (١٤١٢هـ)، دار الجيل - بيروت، ت: علي محمد البجاوي
٢٢	أصول الدين عند الإمام أبي حنيفة. لـ محمد بن عبد الرحمن الخميس ط: دار الصميعة، المملكة العربية السعودية.
٢٣	الأضداد، لمحمد بن القاسم الأنباري، ط: المكتبة العصرية: بيروت: ١٤٠٧هـ. ت: محمد أبو الفضل إبراهيم.
٢٤	أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن. لـ محمد الأمين محمد المختار الجكني الشنقيطي، ت: مكتب البحوث والدراسات ط دار الفكر للطباعة والنشر بيروت عام ١٤١٥هـ ١٩٩٥م
٢٥	أطلس التاريخ العربي والإسلامي. لـ د. شوقي أبو خليل، ط: دار الفكر، دمشق سوريا.
٢٦	الاعتماد شرح العمدة. عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي (مخطوط) مصور عن دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة برقم (٨٨١١٨/٥٧٥٥)
٢٧	إعجاز القرآن والبلاغة النبوية. لمصطفى صادق الرافعي ط: المكتبة العصرية صيدا بيروت، ١٤٢٣هـ ٢٠٠٢م.
٢٨	إعراب القرآن لـ الزجاج: ت: إبراهيم الأبياري ط٣: دار الكتب العلمية: بيروت، ١٤٠٦هـ.
٢٩	الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام و الجزيرة لـ ابن شداد مصدر الكتاب: موقع الوراق www. alwarraq.com [الكتاب مرقم آليا غير موافق للمطبوع]
٣٠	إعلام الموقعين عن رب العالمين. ت: مشهور بن حسن آل سلمان ط١: دار ابن الجوزي الدمام: ١٤٢٣هـ .

الرقم	اسم المصدر أو المرجع
٣١	الأعلام ل: خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي ط١٥: دار العلم للملايين - أيار / مايو ٢٠٠٢ م
٣٢	أقوال أبي عبيد القاسم بن سلام في التفسير رسائل جامعية من قسم القرآن جامعة الإمام.
٣٣	أمالي ابن الحاجب. لأبي عمر عثمان بن الحاجب، ت: فخر قدارة، ط١: دار الجبل، بيروت، ١٤٠٩هـ.
٣٤	الانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار ل يحيى بن أبي الخير العمراني ت ٥٥٨هـ. ت: سعود بن عبدالعزيز الخلف ط أضواء السلف الرياض ١٩٩٩م
٣٥	الأنساب. للإمام أبي سعد عبد الكريم السمعاني وتعليق عبد الله البارودي ط دار الجنان.
٣٦	الأنساب، لأبي سعد عبدالكريم بن محمد بن منصور السمعاني، ط١(١٩٤١هـ - ١٩٩٨م)، دار الكتب العلمية، وضع حواشيه محمد عبدالقادر عطا..
٣٧	أنوار التنزيل وأسرار التأويل. للبيضاوي، ط١: دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٨هـ.
٣٨	أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير ل جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر أبو بكر الجزائري ط٥: مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م
٣٩	الإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه: للإمام العلامة أبي محمد مكي بن أبي طالب القيسي، ت: الدكتور أحمد حسن فرحات ط١: دار المنارة جدة ١٤٠٦ هـ.
٤٠	الأيوبيون بعد صلاح الدين ل: د. علي محمد محمد الصلابي
٤١	بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، لمحمد باقر محمد تقى المجلسي: ط: دار الكتب الإسلامية، طهران. كتب الفرق
٤٢	البحر الرائق في شرح كنز الدقائق، للشيخ زين الدين الشهير بابن نجيم، ط . دار الكتب العربية الكبرى.

الرقم	اسم المصدر أو المرجع
٤٣	البحر المحيط في أصول الفقه لـ بدر الدين محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي ت ٧٩٤هـ ط دار الكتبي .
٤٤	البحر المحيط، لأبي حيان محمد بن يوسف الأندلسي: ط ١؛ بيروت: دار الكتب العلمية: ١٤١٣هـ. دراسة وتحقيق وتعليق: عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد معوض.
٤٥	بحوث في أصول التفسير ومناهجه لـ د. فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي ط ٣: مكتبة التوبة- الرياض - السعودية - ١٤١٦هـ.
٤٦	البداية والنهاية. للإمام الحافظ أبي الفداء اسماعيل بن كثير الدمشقي المتوفى سنة ٧٧٤ هـ. حققه ودقق أصوله وعلق حواشيه علي شيري ط ١: دار إحياء التراث العربي طبعة جديدة محققة.
٤٧	بدائع التفسير الجامع لتفسير الإمام ابن قيم الجوزية : جمعه ووثق نصوصه وخرج أحاديثه : يسرى السيد محمد ط ١: دار ابن الجوزي - الدمام - المملكة العربية السعودية ١٤١٤ هـ .
٤٨	بدائع الفوائد لـ ابن قيم الجوزية ت: علي بن محمد العمران ط ١: دار عالم الفوائد - مكة المكرمة - ١٤٢٥هـ.
٤٩	البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع . لـ محمد بن علي الشوكاني . ت : حسين بن عبد الله العمري . دار الفكر . دمشق ، ١ - ١٤١٩هـ.
٥٠	البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، ل: العلامة محمد بن علي الشوكاني، ط دار المعرفة - بيروت .
٥١	بدع التفاسير لعبدالله بن الصديق الغماري - دار الكتبي - ١٤١٢هـ.
٥٢	البرهان في علوم القرآن . لـ بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي . دار الفكر . بيروت ، ١ - ١٤٠٨هـ
٥٣	البرهان في علوم القرآن لبدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم المكتبة العصرية صيدا - بيروت .، ١٤٢٥هـ ٢٠٠٥م

الرقم	اسم المصدر أو المرجع
٥٤	بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس لـ أحمد بن يحيى بن أحمد بن عميرة، أبو جعفر الضبي ط: دار الكاتب العربي القاهرة. عام النشر: ١٩٦٧م
٥٥	بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة . لـ عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ط: دار الفكر . بيروت ، ٢-١٩٧٩م .
٥٦	بلدان الخلافة الشرقية . لـ كي لسترنج نقله إلى العربية بشير فرنسيس وكوريس عواد ط٢: مؤسسة الرسالة بيروت ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م
٥٧	البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة. لـ محمد بن يعقوب الفيروز آبادي ط١ جمعية إحياء التراث الإسلامي الكويت، ١٤٠٧هـ تحقيق: محمد المصري
٥٨	تاج التراجم في طبقات الحنفية. للشيخ أبي العدل زين الدين بن قطلوبغا ط: العاني. بغداد
٥٩	تاريخ أبي الفداء. لـ: الملك المؤيد إسماعيل بن أبي الفداء
٦٠	تاريخ آداب اللغة العربية، جرجي زيدان، ط. دار مكتبة الحياة بيروت.
٦١	تاريخ الأدب العربي. لـ د. شوقي ضيف. ط: دار المعارف مصر.
٦٢	تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي. د.حسن إبراهيم حسن ط: دار الفكر
٦٣	تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام. لـ شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، ط١: دار الكتاب العربي، لبنان/بيروت، ١٤٠٧هـ، ١٩٨٧م، ت: د. عمر عبد السلام تدمري
٦٤	تاريخ الخلفاء. لـ: عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، ط١: مطبعة السعادة، مصر ١٣٧١هـ ١٩٥٢م ت: محمد محي الدين عبد الحميد
٦٥	تاريخ العالم الإسلامي د. إبراهيم أحمد العدوي. ط معهد الدراسات الإسلامية
٦٦	تاريخ العرب. لـ: د. محمد أسعد أطلس، ط. دار الأندلس.

الرقم	اسم المصدر أو المرجع
٦٧	التاريخ الكبير، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله، (د. ط) دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد - الدكن، ت: محمد عبد المعيد خان، ٩٤ / ٤.
٦٨	تاريخ بغداد. ل: أحمد بن علي أبو بكر الخطيب البغدادي، ط: ١ (١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢ م)، دار الغرب الإسلامي - بيروت، ت: الدكتور بشار عواد معروف
٦٩	تأويل مختلف الحديث. لأبي محمد عبد الله بن مسلم ابن قتيبة: مصر: ط: مكتبة الكليات الأزهرية. صححه وضبطه: محمد زهري النجار.
٧٠	تأويل مشكل القرآن . ل: أبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة . ط: المكتبة العلمية. المدينة المنورة، ٣-١٤٠١هـ
٧١	التبيان في إعراب القرآن، لأبي البقاء محبّ الدين عبد الله بن الحسين العكبري: عمّان: بيت الأفكار الدولية.
٧٢	تبين كذب المفترى لابن عساكر ط: دار الكتاب العربي بيروت
٧٣	التحرير والتنوير، لمحمد الطاهر ابن عاشور، الدار التونسية للنشر، ١٩٨٤م .
٧٤	تحفة المودود بأحكام المولود لمحمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ) ت: عبد القادر الأرنؤوط ط: ١: مكتبة دار البيان - دمشق ١٣٩١ - ١٩٧١
٧٥	تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي ل: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ) ت: أبو قتيبة نظر محمد الفاريابي ط: دار طيبة
٧٦	تذكرة الأريب في تفسير الغريب. لابن الجوزي: ط: ١: الرياض: مكتبة المعارف: ١٤٠٧هـ. تحقيق: عليّ البوّاب.
٧٧	تذكرة الحفاظ. شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي، ط: ١: (١٤١٩هـ - ١٩٩٨م)، دار الكتب العلمية بيروت-لبنان،
٧٨	تراجم رواة الحديث في نيسابور. رسالة جامعية من الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة .

الرقم	اسم المصدر أو المرجع
٧٩	التسهيل لعلوم التنزيل، لمحمد بن أحمد بن جزي الكلبّي: ط٢: دار الكتاب العربي: بيروت ١٣٩٣هـ
٨٠	تعريف بالأعلام الواردة في البداية والنهاية لابن كثير مصدر الكتاب: موقع الإسلام http://www.al-islam.com [الكتاب مرقم آليا]
٨١	التعريفات للجرجاني، ت: إبراهيم الأبياري ، ط١: دار الكتاب العربي بيروت، ١٤٠٥هـ .
٨٢	التعريفات، لعليّ بن محمد الجرجاني: ط١: دار الكتب العلميّة:بيروت:١٤٠٣هـ.
٨٣	تفسير ابن جرير الطبري. جامع البيان في تأويل القرآن : لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري - ط١: دار هجر - ت: الدكتور عبدالله بن عبدالمحسن التركي بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات بالدار - ١٤٢٢هـ.
٨٤	تفسير ابن عطية (المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز) : للقاضي أبي محمد عبدالحق بن غالب ابن عطية الأندلسي، ت: عبدالله الأنصاري و السيد عبدالعال السيد إبراهيم ط٢: دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.
٨٥	تفسير ابن مسعود جمع وتحقيق ودراسة - إعداد محمد أحمد عيسوي - ط١: مؤسسة الملك فيصل الخيرية - ١٤٠٥هـ.
٨٦	تفسير البيضاوي: أنوار التنزيل وأسرار التأويل . لـ أبي سعيد عبد الله بن عمر البيضاوي .ط: دار الكتب العلمية . بيروت ، ١-١٤٠٨هـ
٨٧	تفسير التحرير والتنوير: للشيخ محمد الطاهر ابن عاشور ط: مكتبة ابن تيمية توزيع الدار التونسية للنشر ١٩٨٤ م.
٨٨	تفسير الثعلبي: الكشف والبيان في تفسير القرآن . لـ أبي إسحاق أحمد الثعلبي. ت: سيد كسروي حسن. ط: دار الكتب العلمية. بيروت، ١-١٤٢٥هـ
٨٩	تفسير الجلالين. لجلال الدين محمد بن أحمد المحلي، وجلال الدين السيوطي: ط١: القاهرة: دار الحديث.

الرقم	اسم المصدر أو المرجع
٩٠	تفسير السعدي. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: للشيخ عبدالرحمن بن ناصر السعدي - اعتنى به سعد بن فواز الصميل ط١: دار ابن الجوزي - الدمام - ١٤٢٥هـ.
٩١	تفسير السمرقندي. بحر العلوم. لـ أبي الليث نصر بن محمد السمرقندي. ط: دار الكتب العلمية. بيروت، ١-١٤١٣هـ
٩٢	تفسير الشعراوي لـ محمد متولي الشعراوي (المتوفى: ١٤١٨هـ) ط: مطابع أخبار اليوم ١٩٩٧ م
٩٣	تفسير الشنقيطي. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن. لـ محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي. دار إحياء التراث العربي. بيروت ، ١-١٤١٧هـ
٩٤	تفسير الشيخ محمد بن عثيمين ط١: دار ابن الجوزي بالدمام، ١٤٢٣هـ .
٩٥	التفسير الصحيح (موسوعة الصحيح المسبور في التفسير بالمأثور) للأستاذ الدكتور حكمت بن بشير بن ياسين ط١: دار المآثر المدينة النبوية ١٤٢٠هـ.
٩٦	تفسير الضحاك جمع وداسة وتحقيق للدكتور محمد شكري الزاويتي ط١: دار السلام - القاهرة - ١٤١٩هـ.
٩٧	تفسير القرآن العظيم. لابن أبي حاتم، ت: أسعد محمد الطيب نشر المكتبة العصرية بصيدا ، لبنان .
٩٨	تفسير القرآن العظيم. لابن كثير نشر، دار الفكر ، بيروت ، ١٤٠١هـ.
٩٩	تفسير القرآن لـ أبو المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار السمعاني (٤٢٦هـ ، ٤٨٩هـ) ت: ياسر بن إبراهيم و غنيم بن عباس بن غنيم ط: دار الوطن السعودية، الرياض ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م
١٠٠	التفسير الكبير (مفاتيح الغيب) للفخر الرازي ط١: دار الكتب العلمية، بيروت ١٤١١هـ .
١٠١	التفسير اللغوي للقرآن الكريم. لمساعد الطيار ط٢: دار ابن الجوزي ١٤٢٧هـ.

الرقم	اسم المصدر أو المرجع
١٠٢	تفسير الماوردي. النكت والعيون . لـ أبي الحسن علي بن محمد الماوردي . دار الكتب العلمية . بيروت ، ١-١٣٨٠هـ
١٠٣	تفسير النسفي. مدارك التنزيل وحقائق التأويل لـ أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي (المتوفى: ٧١٠هـ) حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي راجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستو ط١: دار الكلم الطيب، بيروت، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م
١٠٤	تفسير النسفي، مدارك التنزيل وحقائق التأويل لـ عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي، ط دار الكتب العلمية، بيروت لبنان.
١٠٥	تفسير أنوار القرآن وأسرار الفرقان (مخطوط بمكتبة الملك عبد العزيز بجدة)، للهروي
١٠٦	تفسير آيات أشكلت على كثير من العلماء. لـ أحمد بن عبد الحلیم بن تيمية . ت: عبد العزيز محمد الخليفة. ط: مكتبة الرشد. الرياض، ١ - ١٤١٧ هـ .
١٠٧	تفسير عبد الرزاق تفسير القرآن. للإمام عبد الرزاق بن همّام الصنعاني، ت: الدكتور مصطفى مسلم محمد، ط١: مكتبة الرشد، ١٤١٠هـ.
١٠٨	تفسير غريب القرآن العظيم لأبي عبدالله محمد بن أبي بكر الرازي - ت: الدكتور حسين ألمالي - مديرية النشر والطباعة - أنقرة - ١٩٩٧م.
١٠٩	تفسير غريب القرآن. لـ أبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة . ت: السيد أحمد صقر. دار الكتب العلمية . بيروت - ١٣٩٨هـ.
١١٠	تفسير غريب القرآن، لأبي حفص عمر بن أبي الحسن المعروف بابن الملقن: ط١: بيروت: عالم الكتب: ١٤٠٨هـ. تحقيق: سمير طه مجذوب.
١١١	تفسير مبهمات القرآن للبلنسي - ت: حنيف القاسمي وعبدالله عبدالكريم محمد ط١: دار الغرب الإسلامي - بيروت - ١٤١١هـ.
١١٢	تفسير مجاهد، لمجاهد بن جبر: بيروت: ط: المنشورات العلميّة. ت: عبد الرحمن الطاهر.

الرقم	اسم المصدر أو المرجع
١١٣	تفسير مقاتل بن سليمان - ت: الدكتور عبدالله شحاته ط١: دار إحياء التراث العربي - بيروت - ١٤٢٣هـ.
١١٤	التفسير والمفسرون. محمد حسين الذهبي ط مكتبة وهبة. القاهرة.
١١٥	التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد. لـ أبي عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر . مكتبة عيسى الحلبي . القاهرة ، ١-١٣٩٨هـ
١١٦	تهذيب الأسماء واللغات ، لـ أبي زكريا محي الدين يحيى بن شرف بن خرام النووي ، ط١: دار الفكر، بيروت، ١٩٩٦م.
١١٧	تهذيب الأسماء واللغات للإمام العلامة الفقيه الحافظ أبي زكريا محي الدين بن شرف النووي المتوفى سنة (٦٧٦ هـ) ط: دار الكتب العلمية- بيروت- لبنان.
١١٨	تهذيب الكمال . لـ أبي الحجاج يوسف المزي . ط: مؤسسة الرسالة . بيروت ، ١-١٤١٨هـ
١١٩	تهذيب اللغة لـ محمد بن أحمد بن الأزهر الهروي، أبو منصور (المتوفى: ٣٧٠هـ) ت: محمد عوض مرعب ط١: دار إحياء التراث العربي بيروت، ٢٠٠١م
١٢٠	التوضيح والنتمات على كشف الشبهات، قسم العقيدة المكتبة الشاملة غير موافق للمطبوع.
١٢١	التوقيف على مهمات التعاريف، للمناوي: ط١؛ بيروت: دار الفكر: ١٤١٠هـ. تحقيق: محمد رضوان
١٢٢	ثراء المعنى في القرآن الكريم للدكتور محمد خليل جيجك، ط١: دار السلام - القاهرة - ١٤١٩هـ.
١٢٣	جامع الأصول ت: عبد القادر الأرئوط - التتمة ت: بشير عيون الناشر: ط١: مكتبة الحلواني - مطبعة الملاح - مكتبة دار البيان .

الرقم	اسم المصدر أو المرجع
١٢٤	جامع الأصول في أحاديث الرسول ل: مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير (المتوفى: ٦٠٦هـ) ت: عبد القادر الأرنبوط - التتمة ت: بشير عيون ط١: مكتبة الحلواني - مطبعة الملاح - مكتبة دار البيان
١٢٥	جامع البيان عن تأويل آي القرآن . للطبري ، نشر مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر ، ط٣: ١٣٨٨هـ.
١٢٦	الجامع الصحيح ، سنن الترمذي ، ت: أحمد شاكر ، توزيع دار الباز ، مكة.
١٢٧	الجامع لأحكام القرآن . ل: أبي عبد الله محمد بن أحمد القرطبي . دار الحديث . القاهرة ، ١-١٤١٤هـ
١٢٨	الجامع لأحكام القرآن . للقرطبي ، ط دار الشعب بالقاهرة.
١٢٩	الجامع لمسائل أصول الفقه وتطبيقاتها على المذهب الراجح ل: عبد الكريم بن علي بن محمد النملة ط١: مكتبة الرشد - الرياض - المملكة العربية السعودية ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م
١٣٠	الجرح والتعديل، لأبي محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي: ط١: دار إحياء التراث العربي، بيروت: ١٣٧١هـ
١٣١	جريدة الجزيرة
١٣٢	الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، لشيخ الإسلام: ط٢: دار العاصمة: الرياض: ١٤١٩هـ. تحقيق وتعليق: د. علي بن حسن، ود. عبد العزيز العسكر، ود. حمد الحمدان.
١٣٣	الحدود الأنيفة، لأبي يحيى زكريا بن محمد الأنصاري: ط١؛ بيروت: دار الفكر المعاصر: ١٤١١هـ. تحقيق: د. مازن المعارك.
١٣٤	الحقيقة الشرعية في تفسير القرآن العظيم والسنة النبوية : لمحمد بن عمر بن سالم بازمول ط١: دار الهجرة للنشر والتوزيع - الرياض - ١٤١٥ هـ .

الرقم	اسم المصدر أو المرجع
١٣٥	حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ل: أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (المتوفى: ٤٣٠هـ) ط: السعادة - بجوار محافظة مصر، ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤
١٣٦	حميد الآثار في نظم تنوير الأبصار لمحمد الجعفري ط. المطبعة السلفية بمصر
١٣٧	الداء والدواء - المعروف باسم : الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي - ت: عامر بن علي ياسين ط: ١: دار ابن خزيمة - الرياض - ١٤١٧هـ.
١٣٨	الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، لأحمد بن يوسف السمين الحلبي ، ت: أحمد الخراط ، ط: ١: دار القلم، دمشق، ١٤١٣هـ .
١٣٩	الدر المنثور في التفسير بالمأثور . ل جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي . دار الفكر . بيروت
١٤٠	درء تعارض العقل والنقل. ل ابن تيمية ، ت: محمد رشاد سالم، نشر: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، ط: ٢: ١٤١١.
١٤١	الدراسات اللغوية والنحوية في مؤلفات شيخ الإسلام ابن تيمية وأثرها في استنباط الأحكام الشرعية. لهادي أحمد فرحات، ط: ١: دار البشائر الإسلامية، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م
١٤٢	دراسات في التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ل د. زاهر بن عواض الألمعي: ط: ١: ١٤٠٥.
١٤٣	الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة شيخ الإسلام أحمد بن علي الشهير بابن حجر العسقلاني، ط دار الجيل بيروت،
١٤٤	دقائق التفسير، الجامع لتفسير الإمام ابن تيمية، جمع وتحقيق: محمد السيد ط: ٣: دار القبلة للثقافة الإسلامية، جدة، ١٤٠٦هـ .
١٤٥	دواوين الشعر العربي على مر العصور

الرقم	اسم المصدر أو المرجع
١٤٦	دولة السلاجقة وبروز مشروع إسلامي لمقاومة التغلغل الباطني والغزو الصليبي، لـ علي محمد محمد الصلّابي، ط٣: (١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦ م)، مؤسسة اقرأ للنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة
١٤٧	الذيل على طبقات الحنابلة، للحافظ ابن رجب الحنبلي، دار المعرفة ، بيروت.
١٤٨	رحلة ابن بطوطة لـ ابن بطوطة مصدر الكتاب : موقع الوراق http://www.alwarraq.com [الكتاب مرقم آليا غير موافق للمطبوع]
١٤٩	الردّ على المنطقيين، لـ ابن تيمية : ط٤؛ لاهور: إدارة ترجمان السنّة: ١٩٨٢م.
١٥٠	الرسالة. لـ محمد بن إدريس الشافعي. ت: أحمد محمد شاكر. دار الكتب العلمية - بيروت ، ١ - ١٩٣٩م .
١٥١	روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، لشهاب الدين محمود الألوسي ، ط٤: دار إحياء التراث العربي ، ١٤٠٥ هـ .
١٥٢	الروض المعطار في خبر الأقطار لـ محمد بن عبد المنعم الحميري ت: إحسان عباس ط: مؤسسة ناصر للثقافة بيروت طبع على مطابع دار السراج ١٩٨٠ م
١٥٣	روضة الناظر وجنة المناظر في أصول الفقه على مذهب الإمام أحمد بن حنبل لـ أبو محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة الجماعيلي المقدسي ثم الدمشقي الحنبلي، الشهير بابن قدامة المقدسي (المتوفى: ٦٢٠هـ) ط٣: مؤسسة الريان للطباعة والنشر والتوزيع ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م
١٥٤	زاد المسير في علم التفسير لأبي الفرج ابن الجوزي ط٤ المكتب الإسلامي ١٤٠٧هـ.
١٥٥	زاد المسير في علم التفسير. لأبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي ، ط١: دار الفكر، ١٤٠٧ هـ .
١٥٦	سمط اللآلئ، للوزير أبي عبيد البكري الأونبي: دار الكتب العلميّة، بيروت، ت: عبد العزيز الميمني.

الرقم	اسم المصدر أو المرجع
١٥٧	سنن أبي داود . ل أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني . ت: عزت الدعاس . ط: دار الحديث ، ١ - ١٣٨٩ هـ .
١٥٨	سنن النسائي، للحافظ أبي عبد الرحمن النسائي ، اعتنى به: عبد الفتاح أبوغدة، ط٣: دار البشائر الإسلامية، بيروت، ١٤٠٩ هـ .
١٥٩	السؤال والجواب في آيات الكتاب لعطية محمد سالم ط١: مكتبة دار التراث المدينة المنورة ١٤٠٨ هـ.
١٦٠	سير أعلام النبلاء، الإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، ط: مؤسسة الرسالة
١٦١	سير السلف الصالحين، ل إسماعيل بن محمد بن الفضل بن علي القرشي الطليحي التيمي الأصبهاني، (د.ط)، دار الولاية للنشر والتوزيع، الرياض، ت: د. كرم بن حلمي بن فرحات بن أحمد.
١٦٢	السيرة النبوية لابن هشام ت: د. همام عبد الرحيم سعيد ومحمد أبو صعيديك، ط١: مكتبة المنار، الأردن، ١٤٠٩ هـ / ١٩٨٨ م.
١٦٣	شذرات الذهب في أخبار من ذهب، لأبي الفلاح عبد الحي بن العماد الحنبلي، ط: دار الآفاق الجديدة، بيروت.
١٦٤	شذرات الذهب في أخبار من ذهب، لأبي الفلاح عبد الحي بن العماد الحنبلي، ط: . دار الكتب العلمية، بيروت لبنان.
١٦٥	شرح (التبصرة والتذكرة = ألفية العراقي) ل أبو الفضل زين الدين عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن بن أبي بكر بن إبراهيم العراقي (المتوفى: ٨٠٦ هـ) ت: عبد اللطيف الهميم - ماهر ياسين فحل ط١: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م
١٦٦	شرح العقيدة الطحاوية. ابن أبي العز الحنفي ١٧ ط المكتب الإسلامي
١٦٧	شرح العلامة معين الدين الهروي المعروف بمنلا مكسين على كنز الدقائق. ط: المطبعة الحسينية المصرية.

الرقم	اسم المصدر أو المرجع
١٦٨	شرح الورقات لـ أبو عبد الله، أحمد بن عمر بن مساعد الحازمي مصدر الكتاب: دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشيخ الحازمي http://alhazme.net
١٦٩	شرح مختصر الروضة، لأبي الربيع سليمان بن عبد القوي الطوفي: ط٢؛ بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤١٩هـ. ت: د. عبد الله التركي.
١٧٠	شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل . لـ ابن قيم الجوزية . ط: دار المعرفة . بيروت ، ١-١٣٩٨هـ
١٧١	صحيح البخاري للإمام محمد بن إسماعيل البخاري، اعتنى به : أبو صهيب الكرمي ، ط: بيت الأفكار الدولية ١٤١٩ هـ.
١٧٢	الصحيح المسند من أسباب النزول، لمقبل بن هادي الوادعي: الرياض: مكتبة المعارف: ١٤٠٠هـ.
١٧٣	صحيح سنن أبي داود . لـ محمد ناصر الدين الألباني . المكتب الإسلامي ، ١- ١٤٠٩هـ
١٧٤	صحيح مسلم تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي ، المطبعة الإسلامية ، استانبول .
١٧٥	صحيح مسلم لـ مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري ط: دار إحياء التراث العربي، بيروت ت: محمد فؤاد عبد الباقي
١٧٦	صفة الصفوة . لـ جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي . ت : إبراهيم رمضان . دار الكتب العلمية ، ١ - ١٤٠٩هـ .
١٧٧	الضوء المنير على التفسير - جمع علي الحمد المحمد الصالحي - مؤسسة النور للطباعة بالتعاون مع مكتبة دار السلام - الرياض .
١٧٨	طبقات الحفاظ، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، ط١، (١٤٠٣م)، دار الكتب العلمية، بيروت،
١٧٩	الطبقات السنية في تراجم الحنفية للمولى تقي الدين بن عبد القادر التميمي الداري الغزي. ط دار الرفاعي. الرياض، وهجر. إمبابة. القاهرة.

الرقم	اسم المصدر أو المرجع
١٨٠	طبقات الشافعية الكبرى لـ الإمام العلامة تاج الدين بن علي بن عبد الكافي السبكي ط٢: هجر للطباعة والنشر والتوزيع ١٤١٣هـ
١٨١	طبقات الفقهاء، محمد بن جلال الدين المكرم (ابن منظور)، ط١: دار الرائد العربي، (١٩٧٠م)، بيروت، لبنان.
١٨٢	طبقات المفسرين . للداوودي ، نشر دار الكتب العلمية ، بيروت .
١٨٣	طبقات المفسرين لـ عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ، ت: علي محمد عمر ط١: مكتبة وهبة - القاهرة ١٣٩٦هـ
١٨٤	طبقات المفسرين، جلال الدين السيوطي ط. دار الكتب العلمية، بيروت لبنان.
١٨٥	طبقات النحويين واللغويين، لأبي بكر محمد بن الحسن الزبيدي: ط٢: القاهرة: دار المعارف. ت: محمد أبو الفضل إبراهيم.
١٨٦	طبقات علماء الحديث للإمام أبي عبد الله محمد بن عبد الهادي الدمشقي، ت: أكرم البوشي وإبراهيم الزبيق ط١: مؤسسة الرسالة بيروت ١٤٠٩ هـ .
١٨٧	العبر في خبر من غير. لـ شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي . ت: صلاح الدين المنجد. دائرة المطبوعات والنشر . الكويت ، ٢ - ١٩٨٤م .
١٨٨	عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين . لـ ابن قيم الجوزية ط: دار الكتاب العربي . بيروت ، ٢ - ١٤٠٧هـ
١٨٩	العقائد. عمر عناية ط: دار العصور.
١٩٠	علم القراءات؛ نشأته، أطواره، أثره في العلوم الشرعية، لـ د. نبيل بن محمد آل إسماعيل: ط١؛ الرياض: مكتبة التوبة: ١٤١٢هـ.
١٩١	عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ : صنّفه أحمد بن يوسف السمين الحلبي ت: الدكتور محمد التونجي ط١: عالم الكتب ١٤١٤هـ .
١٩٢	عمدة العقائد، عبد الله أحمد بن محمود النسفي (مخطوط)، مصور عن دار . الكتب والوثائق القومية، القاهرة، برقم (٥٧٥٥ / ٨٨١١٨)

الرقم	اسم المصدر أو المرجع
١٩٣	غاية النهاية في طبقات القراء، لأبي الخير محمد بن الجزري: ط٣: دار الكتب العلمية بيروت: ١٤٠٢هـ. عني بنشره: برجستراسر.
١٩٤	غرائب التفسير وعجائب التأويل، لمحمود بن حمزة الكرمانى: ط١: دار القبلة، جدّة. مؤسّسة علوم القرآن، بيروت ١٤٠٨هـ. تحقيق: شمران سركال.
١٩٥	غرائب القرآن ورغائب الفرقان لـ نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري (المتوفى: ٨٥٠هـ) ت: الشيخ زكريا عميرات ط١: دار الكتب العلمية بيروت ١٤١٦هـ
١٩٦	فتح الباري ، لابن حجر العسقلاني، ط. المكتبة السلفية
١٩٧	فتح الباري شرح صحيح البخاري، لابن حجر العسقلاني، ط١: دار السلام، ١٤١٨هـ .
١٩٨	فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، للشوكاني، ت: سيد إبراهيم ، ط١: دار الحديث ، ١٤١٣هـ
١٩٩	الفرق الإسلامية الكلامية، د. عبد الفتاح المغربي مكتبة وهبة.
٢٠٠	فرق الشيعة لـ الحسن بن موسى النوبختي ط: دار الأضواء بيروت ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م
٢٠١	الفرق بين الفرق لـ عبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادي أبو منصور ط٢: دار الآفاق الجديدة، بيروت ١٩٧٧م
٢٠٢	فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام د. غالب بن علي عواجي دار النشر والتوزيع
٢٠٣	الفريد في إعراب القرآن المجيد لابن أبي العز الهمداني - ت: الدكتور محمد حسن النمر وفؤاد علي مخيمر ط١: دار الثقافة قطر ١٤١١هـ.
٢٠٤	فصول في أصول التفسير، لمساعد الطيّار (الرياض: دار النشر الدوليّ).
٢٠٥	الفقه الإسلامي وأدلته د. وهبة الزحيلي ط. دار الفكر
٢٠٦	فوات الوفيات، لـ: محمد بن شاكر بن أحمد الكتبي، ط١: دار الكتب العلمية بيروت ٢٠٠٠م، ت: علي محمد بن يعوض الله/عادل أحمد عبد الموجود.

الرقم	اسم المصدر أو المرجع
٢٠٧	القراءات وأثرها في التفسير والأحكام : إعداد : محمد بن عمر بن سالم بازمول ط١: دار الهجرة للنشر والتوزيع - الرياض ١٤١٧ هـ.
٢٠٨	قصة التتار من البداية إلى عين جالوت ل: د. راغب السرجاني
٢٠٩	قصص الأنبياء في القرآن الكريم وما فيها من العبر، لعبد الرحمن السعدي: ط: دار روضة الناظر: ١٤١٥ هـ.
٢١٠	قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث لمحمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (المتوفى: ١٣٣٢هـ) ط: دار الكتب العلمية بيروت لبنان
٢١١	قواعد الترجيح عند المفسرين. ل حسين بن علي الحري. رسالة ماجستير. بكلية أصول الدين. جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية. الرياض ١٤١٢ هـ
٢١٢	قواعد الترجيح عند المفسرين، لحسين بن علي الحري، ط١: دار القاسم، ١٤١٧ هـ.
٢١٣	قواعد التفسير جمعاً ودراسة : لخالد بن عثمان السبت ط١: دار ابن عفان المملكة العربية السعودية - الخُبر ١٤١٧ هـ .
٢١٤	قواعد التفسير جمعاً ودراسة لخالد السبت دار ابن عفان ١٤٢٦ هـ ٢٠٠٥ م
٢١٥	الكافي، لأبي جعفر محمد بن يعقوب بن إسحاق الكليني: ط: طهران. كتب الفرق
٢١٦	الكامل في التاريخ تأليف: أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني، دار النشر: دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤١٥ هـ ط٢، تحقيق: عبد الله القاضي
٢١٧	كتاب الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير للدكتور محمد بن محمد أبو شهبة
٢١٨	كشّاف اصطلاحات الفنون والعلوم ، لمحمد عليّ التهانوي: ط١؛ بيروت: مكتبة لبنان: ١٩٩٦ م. ت: د. عليّ دحروج.

الرقم	اسم المصدر أو المرجع
٢١٩	الكشّاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، لأبي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري: بيروت: دار المعرفة.
٢٢٠	كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون. للعلامة مصطفى ابن عبدالله القسطنطيني الرومي المعروف بحاجي خليفة ط: دار الفكر.
٢٢١	اللباب في تهذيب الأنساب لعز الدين بن الأثير ط: دار صادر بيروت.
٢٢٢	اللباب في علوم الكتاب لـ أبو حفص عمر بن علي ابن عادل الدمشقي الحنبلي ط: ١: دار الكتب العلمية - بيروت لبنان - ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م
٢٢٣	لسان العرب، لابن منظور ط: ١: دار صادر بيروت.
٢٢٤	لسان العرب، لأبي الفضل محمد بن مكرم بن عليّ ابن منظور: القاهرة: دار المعارف. ت: عبد الله الكبير، ومحمد أحمد حسب الله، وهاشم الشاذلي.
٢٢٥	لوامع الأنوار البهية، لمحمد بن أحمد السفاريني ط٣: المكتب الإسلامي بيروت ١٤١١ هـ
٢٢٦	مباحث في التفسير الموضوعي لمصطفى مسلم ط: دار القلم دمشق
٢٢٧	المبسوط لشمس الدين السرخي ط. دار الفكر
٢٢٨	مجاز القرآن . لـ أبي عبيدة معمر بن المثنى . ت : محمد فؤاد سزكين . مكتبة الخانجي . القاهرة ، ٢ - ١٣٩٠ هـ.
٢٢٩	مجلة الراصد-متخصصة في الفرق
٢٣٠	مجمع الزوائد ومنبع الفوائد . لـ الهيثمي علي بن أبي بكر . دار الكتاب العربي . بيروت ، ٣-١٤٠٢ هـ
٢٣١	مجموع الفتاوى ط١: مكتبة الرشد بيروت ١٤٢٦ هـ ٢٠٠٥ م. اعتنى بها محمد بن حسين القحطاني.

الرقم	اسم المصدر أو المرجع
٢٣٢	مجموع الفتاوى. لـ تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم بن تیمیة الحراني (المتوفى: ٧٢٨هـ) ت: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم ط مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية عام النشر: ١٤١٦هـ/١٩٩٥م
٢٣٣	مجموع الفتاوى. لابن تیمیة جمع وترتيب عبد الرحمن بن قاسم وابنه محمد الطبعة الأولى ١٣٩٨هـ.
٢٣٤	محاسن التأويل : لمحمد جمال الدين القاسمي ط١: دار الفكر بيروت ١٣٩٨هـ
٢٣٥	محاضرات في تاريخ الأمم الإسلامية، الشيخ محمد الخضري بك، المكتبة التجارية الكبرى مصر
٢٣٦	محاضرات في عقد الزواج وآثاره للإمام محمد أبي زهرة ط. دار الفكر العربي.
٢٣٧	المحتسب في تبين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها . لـ أبي الفتح عثمان بن جني . لجنة إحياء التراث الإسلامي . مصر ، ١-١٣٨٦هـ
٢٣٨	المحصول في علم أصول الفقه، لمحمد بن عمر بن الحسين الرازي: ط١؛ الرياض: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية: ١٤٠٠هـ. ت: طه جابر العلواني.
٢٣٩	المحيط في اللغة. لـ: صاحب إسماعيل بن عباد، ت: محمد حسن آل ياسين ط١: عالم الكتب ١٤١٤هـ.
٢٤٠	مختار الصحاح، لمحمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي: ط: مكتبة لبنان، بيروت ١٩٨٨م.
٢٤١	مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين . لـ ابن قيم الجوزية . ت : محمد حامد الفقي . دار الكتاب العربي . بيروت - ١٣٩٢هـ.
٢٤٢	المدخل لعلم تفسير كتاب الله تعالى لأبي النصر الحدادي، ت: صفوان داوودي ط١: دار القلم دمشق ١٤٠٨هـ .

الرقم	اسم المصدر أو المرجع
٢٤٣	مذكرة في أصول الفقه لمحمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (المتوفى: ١٣٩٣هـ) ط: ٥: مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة ٢٠٠١م
٢٤٤	مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة حوادث الزمان، أبو محمد عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان اليافعي، (د. ط) دار الكتاب الإسلامي - القاهرة (١٤١٣هـ - ١٩٩٣م)
٢٤٥	مراسد الاطلاع لـ عبد المؤمن بن عبد الحق، ابن شمائل القطيعي البغدادي، الحنبلي، صفى الدين (المتوفى: ٧٣٩هـ) ط: ١: دار الجيل، بيروت ١٤١٢ هـ
٢٤٦	المستدرک علی الصحیحین . لـ أبي عبد الله الحاكم . ت : مصطفى عبد القادر عطا . ط: دار الكتب العلمية . بيروت ، ١ - ١٤١١هـ.
٢٤٧	مسند أحمد بن حنبل. لـ أبي عبد الله أحمد بن حنبل. ت: شعيب الأرنؤوط. ط: مؤسسة الرسالة . بيروت ، ١ - ١٤١٦ هـ .
٢٤٨	مسند الإمام أبي بكر الحميدي - تحقيق حسين سليم أسد الداراني ط: ٢: دار المأمون للتراث بدمشق - دار المغني للنشر والتوزيع بالرياض ١٤٢٣هـ.
٢٤٩	مشاهير علماء الأمصار وأعلام فقهاء الأقطار، لمحمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبَد، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي، ط١، (١٤١١ هـ - ١٩٩١ م)، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع - المنصورة، ت: مرزوق على ابراهيم
٢٥٠	مشكل إعراب القرآن. لـ مكي بن أبي طالب القيسي . ت : ياسين محمد السواس . ط: دار المأمون للتراث . دمشق ، ٢ - ١٤٢١هـ.
٢٥١	مصنف ابن أبي شيبة لـ أبو بكر بن أبي شيبة، عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان بن خواستي العبسي (المتوفى: ٢٣٥هـ) ت كمال يوسف الحوت ط ١ مكتبة الرشد - الرياض ١٤٠٩
٢٥٢	معالم التنزيل للبغوي ، ط: ٣: دار المعرفة ، ١٤١٣ هـ .

الرقم	اسم المصدر أو المرجع
٢٥٣	معاني القراءات لأبي منصور الأزهري. ت: عيد مصطفى درويش وعض القوزي ط ١ ١٤١٤هـ.
٢٥٤	معاني القرآن ، للنحاس ، ت: محمد علي الصابوني ، ط ١: جامعة أم القرى، ١٤٠٨هـ .
٢٥٥	معاني القرآن وإعرابه : للزجاج أبي إسحاق إبراهيم بن السري - شرح وتعليق : دكتور عبدالجليل عبده شلبي ط ١ دار الحديث - القاهرة - ١٤١٤ هـ .
٢٥٦	معاني القرآن وإعرابه، للزجاج ، ت: د. عبد الجليل شلبي، ط ٢: دار الحديث ، القاهرة ، ١٤١٨ هـ .
٢٥٧	معاني القرآن. لـ أبي الحسن سعيد بن مسعدة الأخفش الأوسط . الشركة الكويتية لصناعة الدفاتر ، ٢-١٤٠١هـ
٢٥٨	معجم الأمثال العربية القديمة لعفيف عبد الرحمن (الرياض: دار العلوم):
٢٥٩	معجم البلدان ياقوت بن عبد الله الحموي أبو عبد الله ط دار الفكر - بيروت
٢٦٠	معجم البلدان، شهاب الدين أبي عبدالله ياقوت بن عبدالله الحموي الرومي البغدادي، (١٩٩٥م)، ط ٢: دار صادر، بيروت.
٢٦١	معجم البلدان، ياقوت الحموي، ت: فريد الجندي، ط: دار الكتب العلمية بيروت لبنان.
٢٦٢	معجم الصحابة لعبد الباقي بن قانع أبو الحسين - ت: صلاح بن سالم المصراي ط ١: مكتبة الغرباء الأثرية- المدينة المنورة - ١٤١٨ هـ.
٢٦٣	معجم المؤلفين، لعمر بن رضا بن محمد راغب بن عبد الغني كحالة الدمشقي (المتوفى: ١٤٠٨هـ) ، ط مكتبة المثني بيروت ، دار إحياء التراث العربي بيروت
٢٦٤	معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع ل: أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري الأندلسي (المتوفى: ٤٨٧هـ) ط ٣: عالم الكتب، بيروت، ١٤٠٣ هـ

الرقم	اسم المصدر أو المرجع
٢٦٥	معجم محدثي الذهبى، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبى. ت: د روية عبد الرحمن السوفى، ط: دار الكتب العلمية، سنة النشر ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م - مكان النشر بيروت - لبنان
٢٦٦	معجم مصطلحات الحديث ولطائف الإسناد ل: د. محمد ضياء الرحمن الأعظمى، ط: ١: أضواء السلف، الرياض، ١٤٢٠هـ.
٢٦٧	معجم مفردات ألفاظ القرآن، للراغب الأصفهاني، ت: نديم مرعشلى ط: دار الفكر بيروت.
٢٦٨	المعرب من الكلام الأعجمى على حروف المعجم ل: أبى منصور الجوالقى تحقيق أحمد شاكى ط٣ دار الكتب المصرىة ١٩٩٥م
٢٦٩	معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار، للحافظ الذهبى: ط: ١: مؤسسه الرسالة، بيروت ١٤٠٤هـ. ت: بشار عواد معروف، وشعيب الأرنؤوط، وصالح مهدي.
٢٧٠	مفاتيح الغيب ل: الإمام العالم العلامة والحبر البحر الفهامة فخر الدين محمد بن عمر التميمى الرازى الشافعى ط: ١: دار الكتب العلمىة - بيروت - ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م
٢٧١	مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة . ل: ابن قىم الجوزىة . ت: محمود حسن ربيع. مكتبة حمىدو . مصر ، ٣ - ١٣٩٩هـ .
٢٧٢	المفردات فى غرىب القرآن، للراغب الأصفهانى: ط: ١؛ بيروت: دار المعرفة: ١٤١٨هـ.
٢٧٣	مقارنة المذاهب فى الفقه عمل الأستاذىن الشىخ محمود شلتوت، والشىخ محمد على السابىس ط. محمد على صبىىح وأولاده بالأزهر بمصر.
٢٧٤	مقالات الإسلامىين اختلاف المصلىين ل: على بن إسماعىل الأشعرى أبو الحسن ط٣ دار إحىاء التراث العربى - بيروت تحقيق : هلموت رىتر

الرقم	اسم المصدر أو المرجع
٢٧٥	مقدّمة في أصول التفسير، لشيخ الإسلام: ط٣؛ بيروت: دار القرآن الكريم: ١٣٩٩هـ. ت: عدنان زرزور.
٢٧٦	المكتفى في الوقف والابتدا في كتاب الله - عز وجل - لأبي عمرو الداني
٢٧٧	ملاحق تراجم الفقهاء الموسوعة الفقهية المصدر: www.islam.gov.kw [الكتاب مرقم آليا غير موافق للمطبوع]
٢٧٨	الملل والنحل لـ بو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني (المتوفى: ٥٤٨هـ) ط: مؤسسة الحلبي
٢٧٩	الملل والنحل للشهرستاني ط دار السرور بيروت لبنان.
٢٨٠	منار الهدى في بيان الوقف والابتداء للأشموني
٢٨١	مناهج المفسرين القسم الأول التفسير في عصر الصحابة، ل: مصطفى مسلم، (١٤١٥هـ)، ط١: دار المسلم للنشر والتوزيع - الرياض.
٢٨٢	مناهل العرفان في علوم القرآن : ل محمد عبدالعظيم الزرقاني ط١: دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان، ١٤٠٩ هـ .
٢٨٣	منتهى الوصول والأمل في علمي الأصول والجدل، لأبي عمرو عثمان بن عمرو المعروف بابن الحاجب: ط١؛ بيروت: دار الكتب العلميّة ١٤٠٥هـ
٢٨٤	المنجد باللغة والأعلام، تجديد الأستاذ كرم البستاني ومجموعة من العلماء، ط دار المشرق بيروت.
٢٨٥	المنخول، لأبي حامد الغزالي: ط٢؛ دمشق: دار الفكر: ١٤٠٠هـ. ت: د. محمد حسن هيتو.
٢٨٦	منهاج السنّة النبويّة في نقض كلام الشيعة والقدريّة، لشيخ الإسلام: دار الكتب العلميّة بيروت.
٢٨٧	منهج الأشاعرة في العقيدة لسفر الحوالي ط: الدار السلفية الكويت.

الرقم	اسم المصدر أو المرجع
٢٨٨	منهج الإمام النسفي في تفسير القرآن الكريم ومقارنته بمنهج الزمخشري والبيضاوي وأبي السعود. محمود عبد العاطي رسالة مقدمة للحصول على درجة العالمية الدكتوراه، كلية أصول الدين بجامعة الأزهر بالقاهرة قسم التفسير وعلوم القرآن ١٤١٢هـ، ١٩٩٢.
٢٨٩	منهج الزجاج في اختياراته في التفسير من خلال كتابه : معاني القرآن وإعرابه رسالة ماجستير من جامعة الإمام محمد بن سعود " للباحث الطالب: عادل بن محمد بن عمر العُمري.
٢٩٠	منهج النقد في علوم الحديث "، للدكتور نور الدين عتر، دار الفكر، دمشق، ط٢ ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م.
٢٩١	المواعظ والاعتبار. لـ. المقرئ موقع الوراق http://www.alwarraq.com الكتاب مرقم آليا غير موافق للمطبوع]
٢٩٢	الموافقات في أصول الشريعة . لـ. أبي إسحاق إبراهيم بن موسى الشاطبي . ت : محمد عبد الله دراز . دار الكتب العلمية . بيروت ، ١ - ١٤١١ هـ.
٢٩٣	موجز التاريخ الإسلامي، أحمد معمور العسيري، ط٣، (١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م)
٢٩٤	موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية لـ.د. أحمد شلبي ط: مكتبة النهضة المصرية
٢٩٥	موسوعة الحروب الصليبية (المغول) التتار بين الانتشار والإنكسار لـ: د. علي محمد محمد الصلابي
٢٩٦	الموسوعة الشاملة : www.shamela.ws .
٢٩٧	الموسوعة العربية العالمية
٢٩٨	الموسوعة العربية الميسرة بأشراف محمد شفيق غربال ط. دار إحياء التراث العربي بيروت لبنان
٢٩٩	الموسوعة الميسرة في تراجم أئمة التفسير والإقراء والنحو واللغة لجماعة من الباحثين - من إصدارات مجلة الحكمة - الأولى ١٤٢٤هـ.

الرقم	اسم المصدر أو المرجع
٣٠٠	موسوعة ويكيبيديا على الانترنت www.wikipedia.org
٣٠١	ميزان الاعتدال في نقد الرجال . ل أبي عبد الله محمد بن أحمد الذهبي . ط: دار المعرفة . بيروت ، ١-١٤٠٦هـ
٣٠٢	الناسخ والمنسوخ في كتاب الله عزوجل واختلاف العلماء في ذلك : لأبي جعفر أحمد بن محمد ابن إسماعيل النحاس - دراسة وتحقيق : الدكتور سليمان بن إبراهيم اللاحم ط١: مؤسسة الرسالة بيروت ١٤١٢ هـ .
٣٠٣	النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ل : جمال الدين أبي المحاسن يوسف بن تغري بردى الأتابكي، ط: دار النشر: وزارة والإرشاد القومي - مصر
٣٠٤	نزهة خاطر العاطر شرح روضة الناظر. ل عبد القادر بن أحمد بن مصطفى الدمشقي .ط: مكتبة المعارف . الرياض . ٢ - ١٤٠٤هـ
٣٠٥	النسفي وآراؤه العقدية، نائلة المشهراوي، رسالة ماجستير مقدمة إلى معهد الدعوة وأصول الدين جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية قسنطينة
٣٠٦	النسقي ومنهجه في التفسير، أميمة بدر الدين. بحث مقدم لنيل درجة الماجستير في جامعة دمشق بكلية الآداب والعلوم الإنسانية قسم اللغة العربية وآدابها ١٩٨٩-١٩٩٠م.
٣٠٧	النشر في القراءات العشر للحافظ أبي الخير محمد بن محمد بن الجزري - دار الكتب العلمية بيروت - لبنان .
٣٠٨	نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ، لبرهان الدين البقاعي ، مصور عن الطبعة الأولى ١٣٨٩ ، دائرة المعارف العثمانية ، حيدر آباد ، الهند .
٣٠٩	النكت على كتاب ابن الصلاح ل أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ) ت ربيع بن هادي عمير المدخلي ط١: عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م

الرقم	اسم المصدر أو المرجع
٣١٠	النكت والعيون . لأبي الحسن علي بن محمد الماوردي، نشر مؤسسة الكتب الثقافية ببيروت .
٣١١	هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين لـ إسماعيل بن محمد أمين بن مير سليم الباباني البغدادي (المتوفى: ١٣٩٩هـ) طبع بعناية وكالة المعارف الجليلة في مطبعتها البهية استانبول ١٩٥١ أعادت طبعه بالأوفست: دار إحياء التراث العربي بيروت - لبنان
٣١٢	الوافي بالوفيات . لـ صلاح الدين خليل بن أبيك الصفي . ت : أحمد الأرنؤوط. دار إحياء التراث العربي . بيروت ، ١ - ١٤٢٠هـ.
٣١٣	الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، للواحدي ، ت: صفوان داوودي ، ط١: دار القلم ، دمشق ، ١٤١٥.
٣١٤	الوسيط في تفسير القرآن المجيد لأبي الحسن علي بن أحمد الواحدي، ت: عادل عبد الموجود وزملائه ، ط١: دار الكتب العلمية ، ١٤١٥ هـ .
٣١٥	وفيات الأعيان وأنبياء أبناء الزمان ، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان، (د. ط)، تاريخها (١٩٠٠)، دار صادر - بيروت، ت: إحسان عباس.

فهرس الموضوعات

ب.....	استهلال
ج.....	إهداء
د.....	الشكر والعرفان
ه.....	ملخص البحث
و.....	Abstract
ز.....	المقدمة
ح.....	أهمية الموضوع وأسباب اختياره:
ي.....	الدراسات السابقة:
ك.....	حدود البحث
ل.....	منهج البحث:
م.....	هيكل البحث
١.....	الفصل الأول
٢.....	المبحث الأول: عصر الإمام النسفي
٢.....	المطلب الأول: الحالة السياسية:
٩.....	المطلب الثاني: الحالة الاجتماعية:
١٢.....	المطلب الثالث: الحالة الثقافية والحركة العلمية:
١٩.....	المبحث الثاني: ترجمته
١٩.....	المطلب الأول: اسمه وكنيته ونسبته:
٢٠.....	المطلب الثاني: مولده ونشأته:
٢١.....	المطلب الثالث: وفاته:

٢٢	المبحث الثالث: حياته العلمية.....
٢٢	المطلب الأول: رحلاته في طلب العلم.....
٢٢	المطلب الثاني: شيوخه وتلاميذه.....
٢٢	شيوخه:.....
٢٥	تلاميذه:
٢٦	المطلب الثالث: عقيدته ومذهبه الفقهي.....
٢٦	أولاً: عقيدته:.....
٣٠	ثانياً: مذهب الفقهي:
٣٢	المطلب الرابع:آثاره العلمية، ومؤلفاته.....
٣٣	أولاً: تفسيره الذي نحن بصدد الدراسة فيه:.....
٣٤	ثانياً: مؤلفات أخرى:.....
٣٩	الفصل الثاني
٤٠	المبحث الأول : تعريف الاختيار والترجيح، والفرق بينهما، ومتى يكون الاختيار؟ ..
٤٠	المطلب الأول: تعريف الاختيار والترجيح:.....
٤٤	المطلب الثاني: الفرق بين الاختيار والترجيح:.....
٤٥	المطلب الثالث: متى يكون الاختيار؟.....
٥١	المبحث الثاني: صيغُ الاختيار وأساليبه عند الإمام النَّسْفِي،.....
٥٢	المطلب الأول: التنصيصُ على القول المختار.....
٥٤	المطلب الثاني: التفسير بقول مع النص على ضعف غيره.....
	المطلب الثالث: التفسير بالقول المختار وذكره بصيغة الجزم وذكر الأقوال الأخرى
٥٦	بصيغة التمريض.....
٥٨	المبحث الثالث: وجوه الاختيار عند الإمام النَّسْفِي، وفيه تسعة مطالب:

- المطلب الأول: الاختيار النظائر القرآنية..... ٥٩
- المطلب الثاني: الترجيح بظاهر القرآن..... ٦١
- المطلب الثالث: الترجيح بالسياق..... ٦٢
- المطلب الرابع: الاختيار بالقراءات..... ٦٤
- المطلب الخامس: الاختيار بالحديث..... ٦٦
- المطلب السادس: الاختيار بأسباب النزول..... ٧٠
- المطلب السابع: الاختيار بأقوال السلف..... ٧٢
- المطلب الثامن: الاختيار بالعموم..... ٧٤
- المطلب التاسع: الاختيار باللغة والشعر..... ٧٥
- الفصل الثالث** اختيارات الامام النسفي من الجزء ١١ إلى الجزء ١٥..... ٧٦
- المسألة الأولى: معنى ﴿السَّكِينُونَ﴾..... ٧٧
- المسألة الثانية: معنى قوله تعالى: ﴿خَلِفُوا﴾..... ٨٦
- المسألة الثالثة: المراد بالنفير..... ٩٢
- المسألة الرابعة: المراد من قوله تعالى: ﴿مَنْ أَنْفَسِكُمْ﴾..... ١٠٢
- المسألة الخامسة: معنى ﴿الْإِنْسَانَ﴾..... ١٠٥
- المسألة السادسة: معنى ﴿الشركاء﴾..... ١٠٧
- المسألة السابعة: معنى ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ﴾..... ١١٠
- المسألة الثامنة: معنى ﴿أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيْنَةٍ مِّن رَّبِّهِ، وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ وَمِنْ قَبْلِهِ كَتَبَ مُوسَىٰ
إِمَامًا وَرَحْمَةً أُولَٰئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ، وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ، مِنَ الْأَحْزَابِ فَآلِنَارُ مَوْعِدُهُ﴾..... ١١٤
- المسألة التاسعة: المراد بقول الله ﷻ: ﴿عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾..... ١٣١
- المسألة العاشرة: معنى التنبيب..... ١٣٧
- المسألة الحادية عشر: الكلام على قوله تعالى: ﴿مَا دَامَتِ﴾..... ١٣٩
- المسألة الثانية عشر: الكلام على اللام في قوله تعالى ﴿وَلِذَلِكَ﴾..... ١٤٣

- المسألة الثالثة عشر: محل قوله ﴿ أَحْسَنَ الْقَصَصِ ﴾ من الإعراب. ١٤٦
- المسألة الرابعة عشر: معنى ﴿ وَهَمَّ بِهَا ﴾ ١٤٨
- المسألة الخامسة عشر: معنى الآية: ﴿ لَا يَأْتِيكُمْ طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلَّا نَبَأُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ ﴾ .. ١٥٥
- المسألة السادسة عشر: الكلام على قوله تعالى ﴿ لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ ﴾ ١٥٩
- المسألة السابعة عشر: معنى ﴿ إِنِّي أَنَا أَخُوكَ ﴾ ١٦٣
- المسألة الثامنة عشر: الكلام على قوله تعالى ﴿ إِنَّكُمْ لَسَرِقُونَ ﴾ ١٦٧
- المسألة التاسعة عشر: هل سأل يوسف عليه السلام ربه الوفاء على الاسلام؟ أم سأل الموت ولقاءه؟ ١٧٠
- المسألة العشرون: معنى ﴿ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴾ ١٧٤
- المسألة الحادية والعشرون: ما المراد بذكر الله الذي تطمئن به القلوب؟ ١٧٩
- المسألة الثانية والعشرون: الكلام على قوله تعالى: ﴿ لِأَزِيدَنَّكُمْ ﴾ ١٨٦
- المسألة الثالثة والعشرون: معنى ﴿ وَرَأَيْتَهُ ﴾ ١٩٠
- المسألة الرابعة والعشرون: الكلام على قوله تعالى ﴿ نَسَلُكُمْ ﴾ ١٩٤
- المسألة الخامسة والعشرون: الكلام على معنى ﴿ صِرْطٌ عَلَىٰ مُسْتَقِيمٍ ﴾ ٢٠١
- المسألة السادسة والعشرين: الكلام على ﴿ عِبَادِي ﴾ ٢٠٥
- المسألة السابعة والعشرون: المراد باليقين في قوله تعالى: ﴿ وَأَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴾ ٢٠٨
- المسألة الثامنة والعشرون: الكلام على قوله تعالى: ﴿ وَعَلَىٰ اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ ﴾ ٢١٣
- المسألة التاسعة والعشرون: الكلام على قوله تعالى: ﴿ وَعَلَّمْتِ ﴾ ٢١٧
- المسألة الثلاثون: الكلام على مرجع الضمير في ﴿ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ ﴾ ٢٢٠
- المسألة الحادية والثلاثون: من ضرب له هذا المثل في قوله ﴿ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا ﴾ ٢٢٤
- المسألة الثانية والثلاثون: المراد بالحياة الطيبة ٢٢٩
- المسألة الثالثة والثلاثون: الكلام على قوله تعالى: ﴿ أَمَرْنَا مُرَفِيهَا ﴾ ٢٣٤

٢٤٢	المسألة الرابعة والثلاثون: الكلام على قوله تعالى: ﴿حِجَابًا﴾
٢٤٦	المسألة الخامسة والثلاثون: معنى: ﴿مَسْتَوْرًا﴾
٢٤٩	المسألة السادسة والثلاثون: المراد بـ ﴿مَسْحُورًا﴾
٢٥٧	المسألة السابعة والثلاثون: الكلام على ﴿مِنَ الْقُرَّانِ﴾
٢٦١	المسألة الثامنة والثلاثون: ما المراد بالروح؟
٢٧٢	المسألة التاسعة والثلاثون: المراد بالآيات التسع التي آتاها الله ﷺ موسى عليه السلام .
٢٧٧	المسألة الأربعون: كم عدد أصحاب الكهف؟
٢٨٢	الخاتمة
٢٨٢	النتائج:
٢٨٤	التوصيات:
٢٨٨	فهرس الآيات القرآنية.
٣٠٤	فهرس الأحاديث النبوية.
٣٠٥	فهرس الأعلام.
٣١٢	فهرس الأبيات الشعرية.
٣١٣	فهرس الفرق والقبائل.
٣١٤	فهرس الأماكن والبلدان.
٣١٦	فهرس المصادر والمراجع.
٣٤٤	فهرس الموضوعات.